مقدمة المصنف

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللّهم يامن هدانا بأنوار القرآن والحديث لمعرفة الفرائض والسنن، ونجّانا بسفينة أهل بيت نبيّه من أمواج الفتن، وأغنانا بعلمهم عن اجتهاد الرأي والقول بالظنّ، وأراحنا بمتابعتهم عن تقليد آراء الناس في الأعصار والزمن.

فألهمنااللهمّ طاعتك، وجنّبنا معصيتك، و يسّر لنا بلوغ ماتتمنّى من ابتغاء رضوانك، وأحللنا [1] بحبوحة جنانك، واقشع [2] عن بصائرنا سحائب الإرتياب واكشف عن قلوبنا أغشية الريب والحجاب، وأزهق الباطل عن ضمائرنا، وأثبت الحقّ في سرائرنا، فانّ الشكوك والظّنون لواقح [3] الفتن ومكدرة الصفح والمنن واحملنا في سفن نجاتك، ومتّعنا بلذيذ مناجاتك وأوردنا حياض حبّك، وأذقنا حلاوة ودّك وقربك، واجعل شغلنا فيك، وهمّنا في طاعتك، وأخلص نيّاتنا في معاملتك. فإنّا بك ولك، ولاوسيلة لنا إليك إلّا أنت سبحانك ماأضيق الطريق على من لم تكن دليله! وماأوضح الحقّ عند من هديته سبيله! فاسلك بنا سبل الوصول إليك، وسيّرنا

١. أي انزلنا.
٢. أي أذهب.
٣. لقحت الناقة كسمع لَقْحاً ولَقَحاً محركة ولقاحاً: قبلت اللقاح فهي لاقح من لواقح «قاموس».

في أقرب الطرق للوفود عليك، قرّب علينا البعيد، وسهّل لدينا العسير الشديد، وألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسارعون، و بابك على الدوام يطرقون، وإيّاك في الليل والنهار يعبدون، وهم من هيبتك مشفقون.

الذين صفيت لهم المشارب، و بلغتهم الرغائب [١] وأنجحت لهم المطالب، وقضيت لهم من فضلك المآرب، وملأت ضمائرهم من حبّك، ورو يتهم من صافي شراب ودّك . فبك إلى لذيذ مناجاتك وصلوا، ومنك على أقصى مقاصدهم حصلوا.

اللّهمّ وصلّ [٢] وسلّم على أوفرهم منك حظّاً، وأعلاهم عندك منزلاً، وأجزلهم من حبّك قسماً [٣] وأفضلهم في معرفتك نصيباً:

محمد المصطفى

وعلى أخيه وصنوه عليّ المرتضى، وعلى سبطيه الحسن والحسين

وعلى التسعة من ولد الحسين

الأئمة المجتبين، وعلى سائر أنبيائك وأوليائك وأهل اصطفائك، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين.

أمّا بعد:

فيقول خادم علوم الدّين، وراصد أسرار الأئمة المعصومين (محمدبن مرتضى المدعوّ بمحسن) أحسن الله [تعالى] حاله، وجعل إلى الرّفيق الأعلى مآله: هذا ياإخواني كتاب واف في فنون علوم الدّين يحتوي على جملة ماورد منها في القرآن المبين، وجميع ماتضمّنته أصولنا الأربعة الّتي عليها المدار في هذه الأعصار، أعني:

«الكافي» و«الفقيه» و«التهذيب» و«الإستبصار»

من أحاديث الأئمة الأطهار (سلام الله عليهم) حداني [٤] إلى تأليفه مارأيت من قصور كلّ من الكتب الأربعة عن الكفاية، وعدم وفائه بمهمّات الأخبار الواردة

١ . الرغيبة: العطاء الكثير.
٢ . اللهم صلّ، بحذف الواو في أكثر النسخ.
٣ . القِسم بالكسر النصيب و بالفتح العطاء.
٤ . أي بعثني.

للهداية، وتعسّر الرّجوع إلى المجموع لاختلاف أبوابها في العنوانات، وتباينها في مواضع الرّوايات، وطولها المنبعث عن [١] المكرّرات.

أمّا الكافي:

فهو وإن كان أشرفها وأوثقها وأتمّها وأجمعها، لاشتماله على الأصول من بينها وخلوّه من الفضول وشينها، إلّا أنّه أهمل كثيراً من الأحكام ولم يأت بأبوابها على التّمام، وربّما اقتصر على أحد طرفي الخلاف من الأخبار الموهمة للتّنافي، ولم يأت بالمنافي، ثمّ إنّه لم يشرح المبهمات والمشكلات، وأخلّ بحسن التّرتيب في بعض الكتب والأبواب والرّوايات.

وربّما أورد حديثاً في غير بابه، وربّما أهمل العنوان لأبوابه، وربّما أخلّ بالعنوان لما يستدعيه، وربّما عنون ما لا يقتضيه.

وأمّا الفقيه:

فهو كالكافي، في أكثر ذلك، مع خلوّه من الأصول، وقصوره عن كثير من [٢] الأبواب والفصول.

وربّما يشتبه الحديث فيه بكلامه، و يشبه كلامه في ذيل الحديث بتمامه، وربّما يرسل الحديث إرسالاً، ويهمل الأسناد إهمالاً.

وأمّا التهذيب:

فهو وإن كان جامعاً للأحكام، مورداً لها قريباً من التّمام، إلّا أنّه كالفقيه في الخلوّ من [٣] الأصول، مع اشتماله على تأويلات بعيدة وتوفيقات غير سديدة، وتفريق

١ . من ـ خ ل.

٢ . ٣. عن، ق.

لماينبغي أن يجمع، وجمع لماينبغي أن يفرق، ووضع لكثير من الأخبار في غير موضعها وإهمال لكثير منها في موضعها، وتكرارات مملّة، وتطويلات للأبواب مع عنوانات قاصرة مخلّة.

وأمّا الاستبصار:

فهو بضعة من التهذيب، أفردها منه مقتصراً على الأخبار المختلفة والجمع بينها بالقريب والغريب.

وبالجملة، فالمشايخ الثّلاثة، شكر الله مساعيهم، وإن بذلوا جهدهم فيماأرادوا وسعوا في نقل الأحاديث وجمع شتاتها وأجادوا، إلّا أنّهم لم يأتوا فيها بنظام تامّ، ولاوفى كلّ واحد منهم بجميع الأصول والأحكام، ولم يشرحوا المبهمات منها شرحاً شافياً ولم يكشفوا كثيراً ممّا كان منها خافياً، ولم يتعاطوا حلّ غوامضه، ولا تفرغوا [١] لتفسير [٢] مغامضه، ولكن الإنصاف أنّ الجمع بين مافعلوا وبين ماتركوا أمر غير ميسّر، بل خطب لا تبلغه مقدرة البشر، فهم قدفعلوا ما كان عليهم وإنّما بقي مالم يكن موكولاً إليهم. فكم من سرائر بقيت تحت السّواتر، وكم ترك الأوّل للآخر، فجزاهم الله عنّا خير الجزاء بمابلّغوا إلينا، وأسكنهم الجنان في العقبى لماتلوا علينا.

ولم أر أحداً تصدّى لتتميم هذا الأمر إلى الآن، ولاصدَعَ به أحد من مشايخنا في طول الزّمان، مع أنّ الأفئدة في الأعصار والأدوار هاوية إليه، والأكباد في الأقطار والأمصار هائمة [٣] عليه.

وإنّي وإن كنت في هذا الشأن لقليل البضاعة، غير ممتط [٤] ظهر الخطر في بوادي هذه الصّناعة، إلّا أنّ الدّهر لمّا كان عن إبراز الرّجال في وسن [٥]، ولم يكن لمعضلات

١ . ولايفرغوا، ف، ق. وفي القاموس: تفرّغ تخلّى من الشغل.

٢ . لتقشير، ق.

٣ . الهيمان: العطشان.

٤ . المطيّة: الدّابة تجدّ في السير وتسرع وامتطاها: جعلها مطيّة ـ منه رحمه الله.

٥ . أي نوم.

القضايا أبوحسن [١] وكانت آمال جماعة من الإخوان متوجّهة إليّ و وجوه قلوبهم مقبلة عليّ، اضطرّني ذلك إلى الخوض في هذا الخطب الشّريف، والأخذ في هذا الجمع والتّأليف، والإتيان من المباني والمعاني بالتّليد [٢] والطّريف [٣].

فشرعت فيه مستعيناً بالله عزّ وجلّ، وجمعته جمعاً وتدويناً، ونظمته نظماً وترقيناً [٤] وهذّبته تهذيباً، ورتّبته ترتيباً، وفصّلته تفصيلاً، وسهّلت طريق تناوله تسهيلاً، و بذلت جهدي في أن لايشذّ عنه حديث ولاإسناد، يشتمل عليه الكتب الأربعة مااستطعت إليه سبيلاً، وشرحت منه مالعلّه يحتاج إلى بيان شرحاً مختصراً في غير طول .

وأوردت بتقريب الشّرح أحاديث مهمة من غيرها من الكتب والأصول، و وفّقت بين أكثر مايكاد يكون متنافياً منه توفيقاً سديداً وأوّلت بعضه إلى بعض تأو يلاً غير بعيد، ليكون قانوناً يرجع إليه أهل المعرفة والهدى، من الفرقة النّاجية الإمامية ودستوراً يعوّل عليه من يطلب النّجاة في العقبى من شيعة العترة النّبو يّة، ولايحتاجوا معه إلى كتاب آخر، ولايفتقروا بعده في استنباط المسائل والأحكام إلى كثير نظر و يستريحوا من الإجتهادات الفاسدة والإجماعات الكاسدة، والأصول الفقهية المختلقة [٥] والأنظار الوهمية المختلفة وسمّيته:

بـ«الوافي».

لوفائه بالمهمّات وكشف المبهمات، وأسأل الله تعالى التّوفيق للبلوغ إلى انتهائه كما هيّأ لي أسباب ابتدائه، وأن يجعله خالصاً لوجهه ورضائه و يشركني في أجر كلّ من انتفع به إلى يوم لقائه.

ونقدّم أمام الخوض في المقصود ثلاث مقدّمات:

ننبّه في إحداها على طريق معرفة العلوم الدّينيّة من كان غافلاً أو مريباً فـ«إنّهم

١ . أي علي بن أبي طالب (عليه السلام).
٢ . أي القديم.
٣ . أي الحادث.
٤ . الترقين والترقيم: تحسين الكتاب وتزيينه.
٥ . أي الموضوعة من عند أنفسهم إقتباساً من قوله تعالى: إن هذا إلّا اختلاق سورة ص/٧

يرونه بعيداً ونريٰه قريباً»[١].

ونوقّف في الأخرى لقسط من معرفة أسانيد الأخبار، من أراد منها نصيباً.

ونمهّد في الثالثة اصطلاحات وقواعد، نختصر بتمهيدها الكتاب ونهذّبه تهذيباً.

ومن الله الإستعانة في كلّ باب، إنّه كان قريباً مجيباً.

المقدمة الأولى
في التنبيه على طريق معرفة العلوم الدينية

تنبيه: العلوم الدّينيّة قسمان:

(قسم يقصد لذاته): وهو العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو إمّا (تحقيقي) أو (تقليدي).

فالتحقيقي: نور يظهر في القلب فينشرح فيشاهد الغيب و ينفسح [١] فيحتمل البلاء ويحفظ السّرّ، وعلامته التّجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود، والتّأهب للموت قبل نزوله. و يسمّى بـ«العلم اللدنيّ». أخذاً من قوله سبحانه وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً [٢].

وهو أفضل العلوم وأعلاها، بل هو العلم حقيقة، وماعداه بالإضافة إليه جهل وهو المقصد الأقصى من الإيجاد.

والتقليدي: تلقّي بعض مسائل هذا العلم، من صاحب الشّرع على قدر الفهم والحوصلة كمّاً وكيفاً ثمّ التّديّن به [٣].

(وقسم يقصد للعمل ليتوسّل به إلى ذلك النّور): وهو العلم بمايقرّب إلى الله تعالى ومايبعّد منه [٤] من طاعات الجوارح ومعاصيها ومكارم الأخلاق ومساويها، وهو تقليد

١. بالمهملة بمعنى يتّسع. الفسحة بمعنى السّعة يقال: فسح المكان من باب كرم.

٢. الكهف/٦٥

٣. أي الاعتقاد به.

٤. في سائر النسخ «عنه».

كلّه لصاحب الشّرع إلّا مالايختلف فيه العقول منه. وله التّقدّم بالنّسبة إلى تحقيقيّ الأوّل، لأنّه الشّرط فيه.

وطريق معرفة العلم التّحقيقيّ اللّدنيّ تفريغ القلب للتّعلّم، وتصفية الباطن بتخليته من الرّذائل وتحليته بالفضائل ومتابعة الشّرع وملازمة التّقوى، كما قال الله تعالى: وَاتَّقُوا اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ [1] وقال: إِنْ تَتَّقُوا اللّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً [2].

وقال: وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا [3] وفي الحديث النبوي «ليس العلم بكثرة التعلّم، إنّما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد الله أن يهديه» وفيه: «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» [4] وفيه: «من علم وعمل بماعلم ورّثه الله علم مالم يعلم» [5].

ومثل ذلك مثل من يمشي بسراج في ظلمة، فكلّما أضاء له من الطريق قطعة مشى فيها، فيصير ذلك المشي سبباً لإضاءة قطعة أخرى منه وهكذا. فالعلم بمنزلة السراج والعمل بمنزلة المشي. وفي الحديث النبوي أيضاً «مامن عبد إلّا ولقلبه عينان، وهما غيب يدرك بهما الغيب، فاذا أراد الله بعبد خيراً، فتح عيني قلبه فيرى ماهو غائب عن بصره».

وفي أخبار أهل البيت (عليهم السلام) من أمثال هذه الكلمات أكثر من أن تحصى، ولاسيّما في كلام أميرالمؤمنين صلوات الله عليه، وستقف على بعضها في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وهذا العلم يجب أن يكون مكنوناً عن كلّ ذي عمه [6] وجهل، مضنوناً [7] عمّن

١ . البقرة/٢٨٢

٢ . الأنفال/٢٩

٣ . العنكبوت/٦٩

٤ . وقريب منه مافي البحار ٢٤٢/٧٠ عن عيون الأخبار ٦٩/٢ عن الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) «ماأخلص عبد لله عزّوجلّ أربعين صباحاً إلّا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

٥ . البحار ٣٦٢/٦٨

٦ . العمه في البصيرة والعمى في البصر، والمراد به هنا عمى الباطن.

٧ . مضنوناً من الضن: البخل.

ليس له بأهل إذ كلّ أحد لايفهم كلّ علم وإلّا لفهم كلّ حائك وحجّام مايفهمه العلماء من دقائق العلوم، فكما أنهم لايفهمون فكذلك علماء الرسوم لايفهمون أسرار الدين ولايحتملون، وإن كانوا مدقّقين فيا يعلمون، ولهذا أكابر الصحابة (رضي الله عنهم) يكتم بعضهم علمه عن بعض.

قال أمير المؤمنين وإمام المتقين (عليه الصلاة السلام)، مشيراً إلى صدره المبارك: «إنّ هاهنا لعلماً جمّاً لو [1] وجدت له حملة» وقال سيد العابدين وزينهم (صلوات الله عليه): «لوعلم أبوذرّ مافي قلب سلمان لقتله» [2] وفي رواية «لكفّره» [3] ولقد آخا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بينهما، وقال (عليه السلام):

إنّي لأكتم من علمي جواهره	كيلا يرى الحقّ ذو جهل فيفتتنا [4]
وقد تقدّم في هذا أبوحسن	إلى الحسين ووصّى قبله الحسنا
وربّ جوهر علم لوأبوح به	لقيل لي أنت ممّن يعبد الوثنا
ولاستحلّ رجال مسلمون دمي	يرون أقبح مايأتونه حسنا

وقال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) «مازال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً على نبيّنا وعليه السلام وقال أبوعبدالله الصادق (عليه السلام): خالطوا الناس بمايعرفون ودعوهم ممايُنكرون، ولاتحتملوا [5] على أنفسكم وعلينا، إنّ أمرنا صعب مستصعب لايحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان».

وذلك لأنَّ أسرار العلوم على ماهي عليه لا تطابق مايفهمه الجمهور من ظواهر الشرع، وطريق معرفة العلم التقليدي بنوعيه أعني الاعتقادي والعملي - ليس إلّا تعرّف آثار أهل البيت (عليهم السلام) وتعلّم احاديثهم من الأصول المنقولة عنهم لأنهم هم خلفاء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ومهابط الوحي وخزنة العلم

١ . كلمة (لو) هنا للتمني.

٢ . ويأتي هذا الخبر في كتاب الكفر والايمان إن شاء الله تعالى، وأيضاً أورده في كتاب مجمع الرجال بتقريب منه ١٤٦/٣ «ض.ع».

٣ . أي لنسبه إلى الكفر.

٤ . الألف للاشباع.

٥ . وفي البحار بلفظ «لاتحملوا» ٧١/٢ وكذلك في البصائر ص٢٦.

والراسخون فيه وأهل الذكر الذين أمرنا بمسألتهم [١] وأولوا الأمر الذين أمرنا بطاعتهم [٢].

وقد صعدوا ذرى [٣] الحقائق بأقدام النبوة والولاية، ونوّروا طبقات أعلام الفتوى بالهداية، وسائر العلماء والحكماء إنّما استضاؤا بأنوارهم، بل الأنبياء والأوصياء إنّما اقتدوا في عالم الأرواح بآثارهم.

فالكليم ألبس حلّة الإصطفاء لماشاهدوا منه الوفاء، وروح القدس في جنان الصاقورة [٤] ذاق من حدائقهم الباكورة [٥]، فهم منار [٦] الهدى والعروة الوثقى والحجّة على أهل الدنيا، خزائن أسرار الوحي والتنزيل ومعادن جواهر العلم والتأويل الأمناء على الحقائق والخلفاء على الخلائق مفاتيح الكرم ومصابيح الأمم، طهّرهم الله من الرجس تطهيراً، وصلى الله عليهم وسلم تسليماً كثيراً.

ونحن «بحمد الله» عازمون على أن نجمع مهمات أحاديثهم، بل جلّ مابأيدينا اليوم منها في هذا الكتاب بتوفيق الله وتأييده.

وأمّا طريقة المتكلّمين وأهل الجدل والإجتهاد فحاشا أن تكون مصححة للاعتقاد أو أساساً لعبادة العباد بل هي ممّايقسي القلب و يُبعد عن الله سبحانه غاية الإبعاد وتربو به الشّبه والشّكوك وتزداد.

فالإنسان لابدّ أن يكون أحد رجلين: إمّا محقّقاً صاحب كشف و يقين، أو مقلّداً صاحب تصديق وتسليم، وأمّا الثالث فهالك وإلى الضّلال سالك، وهوالذي يمزج الحقّ بالباطل ويحمل الكتاب والسّنة على رأيه و يتصرّف فيها بعقله، كماورد في وصفه وذمّه الأخبار عن الأئمّة الأطهار وستقف على بعضها.

١ . في سورة النحل، ٤٣ وسورة الأنبياء، ٧

٢ . في سورة النساء: آية ٥٩ و٨٣

٣ . ذروة الشيء بالضمّ والكسر: أعلاه وجمعها: ذرى. قاموس.

٤ . أوردها في جميع النسخ بالغين المعجمة، والصحيح بالقاف كما أوردناها. وفي معيار اللغة في لغة (الصقر)... ومنه «إن روح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة» ـ الحديث انتهى. والحديث في البحار ٢٦/٢٦٤ «ض.ع».

٥ . أول الفواكه.

٦ . بفتح الميم: الموضع المرتفع الذي توقد في أعلاه النار لهداية الضال ونحوه.

وقد قالوا (عليهم السلام) «كن عالماً أو متعلّماً ولا تكن الثّالث فتهلك» وقالوا أيضاً، «نحن العلماء وشيعتنا المتعلّمون [١] وسائر النّاس غثاء» [٢] وانّما رخّص في التّكلّم لدفع شبه المعاندين وردّ الجاحدين. وقدورد [٣] «أنّ إثمه أكبر من نفعه» وأوّل من أحدث الجدال في الدّين واستنباط الأحكام بالرّأي والتخمين في هذه الأمّة أئمّة الضّلال (خذلهم الله) ثمّ تبعهم في ذلك علماء العامّة، ثمّ جرى على منوالهم فريق من متأخري الفرقة النّاجية بخطأ وجهالة، ونحن نقصّ عليك نبأهم بالحقّ [٤].

تنبيه:

إنّه لمّا افتُتن [٥] النّاس بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فغرقوا في لجج الفتن وهلكوا في طوفان المحن إلّا شرذمة ممّن عصمه الله و بسيفنة أهل البيت (عليهم السلام) نجّاه و بالتمسّك بالثّقلين ابقاه استكتم النّاجون دينهم وصانوا وتينهم [٦] فاستبق الله عزّ وجلّ بهم رمق الشّريعة في هذه الأمة، وأبقى بابقاء نوعهم، سنّة خاتم النّبيّين الى يوم القيامة.

فبعث إمام هدىً بعد إمام، وأقام خَلَفَ شيعة لهم بعد سلف فكان لا تزال طائفة من الشّيعة (رضي الله عنهم) يحملون الأحاديث «في الفروع والأصول عن أئمّتهم (عليهم السلام) بأمرهم وترغيبهم و يروونها لآخرين، و يروي الآخرون لآخرين وهكذا إلى أن وصلت إلينا. والحمد لله ربّ العالمين.

وكانوا يثبتونها في الصّدور، و يسطرونها [٧] في الدّفاتر و يعونها [٨] كما يسمعونها

١ . كذا، ولكن أورده في البحار ١٨٧/١ عن الخصال والبصائر عن أبي عبدالله (عليه السلام) هكذا، قال الناس يغدون على ثلاثة، عالم ومتعلّم وغثاء، فنحن العلماء وشيعتنا المتعلّمون وسائر النّاس غثاء.

٢ . الغثاء بالضّمّ والمدّ: مايجيء فوق السّيل، ممّا يجمد من الزّبد والوسخ وغيره يريد (عليه السلام) بذلك أراذل النّاس وأسقاطهم، شبّههم بذلك لدناءة قدرهم وخفّة أحلامهم.

٣ . في كلام الرّضا (عليه السلام).

٤ . اقتباس من سورة الكهف/١٣

٥ . أي وقعوا في الفتنة.

٦ . الوتين: عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه ـ ق.

٧ . أي يكتبونها.

٨ . أي يحفظونها.

ويحفظونها كما يتحمّلونها، و يبالغون في نقدها وتصحيحها وردّ زيفها وقبول صحيحها وتخريج صوابها وسليمها من خطاءها وسقيمها، حتّى يرى أحدهم لايستحلّ نقل مالاوثوق به ولاإثبات ذلك في كتبه، إلّا مقروناً بالتضعيف، ومشفوعاً بالتزييف طاعناً في من يروي كلّ مايروى، و يسطر كلّ مايحكي، كما هوغير خاف على من تتبّع كتب الرّجال وتعرّف منها الأحوال.

وكانوا لايعتمدون على الخبر الذي كان ناقله منحصراً في مطعون أو مجهول [1] ومالاقرينة معه تدلّ على صحّة المدلول، و يسمّونه الخبر الواحد [2] الّذي لايوجب علماً ولاعملاً، وكانوا لايعتقدون في شيء من تفاصيل الأصول الدّينيّة، ولايعملون في شيء من الأحكام الشّرعيّة إلّا بالنصوص المسموعة عن أئمّتهم عليهم الصلوات ولوبواسطة ثقة أو وسائط ثقات. وكانوا مأمورين بذلك من قبل أولئك السّادات ولايستندون في شيء منها الى تخريج الرّأي بتأو يل المتشابهات، وتحصيل الظّن باستعانة الأصول المخترعات الّذي يسمّى بـ(الاجتهاد) ولاإلى اتّفاق آراء الناس الّذي يسمّى بـ(الإجماع) كما يفعل ذلك كله الجمهور من العامة. وكانوا ممنوعين عن ذلك كلّه من جهتهم (عليهم السلام)، ومن جهة صاحب الشّرع بالآيات الصّريحة والأخبار الصّحيحة، وكان المنع من ذلك كلّه معروفاً من مذهبهم مشهوراً منهم حتّى بين مخالفيهم كما صرّح به طائفة من الفريقين.

ثمّ لـمّا انقضت مدّة ظهور الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وانقطعت السّفراء بينهم و بين شيعتهم، وطالت الغيبة واشتدّت الفرقة وامتدّت دولة الباطل وخالطت الشّيعة بمخالفيهم وألفت في صغر سنّهم بكتبهم. إذ كانت هي المتعارف تعليمها في المدارس والمساجد وغيرها لأنّ الملوك وأرباب الدّول كانوا منهم، والنّاس إنّما يكونون مع الملوك وأرباب الدّول، فعاشرت معهم في مدارسة العلوم الدّينيّة

١ ـ مجهول الدّين أو مجهول الحال.

٢ ـ الخبر الواحد بهذا المعنى هو الذي نقل السيد المرتضى رحمه الله إجماع الإمامية على ترك العمل به، دون ماليس بمتواتر وبهذا يجمع بين قوله وقول العلاّمة الحلّي حيث نقل إجماع الإمامية على العمل بخبر الواحد، كأنّه أراد به غير هذا النوع من الخبر. منه دام ظلّه.

وطالعوا كتبهم الّتي صنّفوها في أصول الفقه الّتي دوّنوها لتسهيل اجتهاداتهم الّتي عليها مدار أحكامهم، فاستحسنوا بعضاً واستهجنوا بعضاً، أدّاهم ذلك إلى أن صنّفوا في ذلك العلم كتباً إبراماً ونقضاً، وتكلّموا فيا تكلّم العامّة فيه من الأشياء الّتي لم يأت بها الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولاالأئمة المعصومون صلوات الله عليهم، وكثّروا بها المسائل ولبّسوا على النّاس طرق الدلائل.

وكانت العامّة قد أحدثوا في القضايا والأحكام أشياء كثيرة بآرائهم وعقولهم في جنب الله، واشتبهت أحكامهم بأحكام الله، ولم يقنعوا بإبهام ماأبهم الله، والسّكوت عمّا سكت الله، بل جعلوا لله شركاء حكموا كحكمه فتشابه الحكم عليهم بل لله الحكم جميعاً وإليه تُرجعون [١] وسيجزيهم الله بما كانوا يعملون [٢].

ثمّ لـمّا كثرت تصانيف أصحابنا في ذلك وتكلّموا في أصول الفقه وفروعه باصطلاحات العامّة اشتبهت أصول الطّائفتين واصطلاحاتهم بعضها ببعض، وانجرّ ذلك إلى أن التبس الأمر على طائفة منهم، حتّى زعموا جواز الإجتهاد والحكم بالرّأي ووضع القواعد والضّوابط لذلك، وتأويل المتشابهات بالتّظنّي والترآى والأخذ باتّفاق الآراء وتأيّد ذلك عندهم بأمور:

أحدها: مارأوه من الإختلاف في ظواهر الآيات والأخبار الّتي لا تتطابق إلّا بتأويل بعضها بمايرجع إلى بعض، وذلك نوع من الإجتهاد المحتاج فيه إلى وضع الأصول والضّوابط.

والثاني: مارأوه من كثرة الوقائع الّتي لانصّ فيها على الخصوص مع مسيس الحاجة الى معرفة أحكامها.

والثالث: مارأوه من اشتباه بعض الأحكام ومافيه من الإبهام الّذي لاينكشف ولايتعيّن إلّا بتحصيل الظّنّ فيه بالتّرجيح، وهوعين الإجتهاد.

فأوّلوا الآيات والأخبار الواردة في المنع من الإجتهاد والعمل بالرّأي بتخصيصها

١ . مقتبس من آيات: منها في سورة القصص آية ٧٠ ـ و ـ ٨٨ حيث قال تعالى: له الحكم وإليه ترجعون.

٢ . مقتبس من آيات: منها في سورة الأعراف آية ١٨٠ حيث قال تعالى: ... سيجزون ما كانوا يعملون.

بالقياس والإستحسان ونحوهما من الأصول الّتي تختصّ بها العامّة، والواردة في النّهي عن تأويل المتشابهات ومتابعة الظنّ بتخصيصها بأصول الدّين، والواردة في ذمّ الأخذ باتّفاق الآراء بتخصيصها بالآراء الخاليّة من قول المعصوم، لماثبت عندهم أنّ الزّمان لايخلو من إمام معصوم.

فصار ذلك كلّه سبباً لكثرة الإختلاف بينهم في المسائل وتزايده ليلاً ونهاراً وتوسّع دائرته مدداً وأعصاراً، حتّى انتهى إلى أن تراهم يختلفون في المسألة الواحدة على عشرين [١] قولاً أو ثلاثين أو أزيد، بل لو [٢]شئت أقول: لم تبق مسألة فرعيّة لم يختلفوا فيها أو في بعض متعلّقاتها.

وذلك لأنّ الآراء لا تكاد تتوافق والظّنون قلّما تتطابق والأفهام تتشاكس [٣] ووجوه الاجتهاد تتعاكس والاجتهاد يقبل التّشكيك ويتطرّق إليه الرّكيك، فيتشبّه بالقوم من ليس منهم ويدخل نفسه في جملتهم من هو بمعزل عنهم، فظلّت المقلّدة في غمار آرائهم يعمهون وأصبحوا في لجج أقاويلهم يغرقون.

تنبيه:

ليت شعري [٤]، كيف ذهب عنهم ماينحلّ به عقد هذه المشكلات عن ضمائرهم، أم كيف خفي عنهم ماينقلع به أصول هذه الشّبهات من سرائرهم ألم يسمعوا حديث (التّثليث) المشهور المستفيض المتفق عليه بين العامّة والخاصّة المتضمّن لإثبات الإبهام في بعض الأحكام.

وأنّ (الأمور ثلاثة: بيّن رشده، وبيّن غيّه، وأمر مشكل يردّ حكمه الى الله

١ . هذا في مسألة القراءة خلف الإمام، كما نقله صاحب (كشف اللّثام) في (المناهج النبويّة) ويحتمل بلوغ الإختلاف الى العشرين أو الثلاثين في محل آخر أيضاً، ولكن انّي لم أجده ـ رضا الرّضوي . والأصح المناهج السويّة انظر ص٣٤٥ و٣٥٠ ج٢٢ الذريعة. «ض.ع».

٢ . جواب لو في «لوشئت» محذوف، وهو (لقلت) وليس الجواب (أقول) كما يتبادر الى الوهم.

٣ . أي تتخالف.

٤ . أي ليتني علمت.

ورسوله) [١].

وهلاّ سوّغوا أنّ في إبهام بعض الأحكام حكماً ومصالح، مع أنّ من تلك الحكم مايمكن أن يتعرّف ولعلّ مالايعرف منها يكون أكثر. على أنّ الإجتهاد لايغني من ذلك لبقاء الشّبهات بعده «إنْ لم تزد به»، كلّا بل زادت وزادت، أحسبوا أنّهم خلصوا منها باجتهادهم؟ كلاّ بل أمعنوا فيها بازديادهم. أزعموا أنهم هدوا بالتّظنّي الى(التثنى) كلا بل (التثلث) باقٍ ومالهم منه من واق [٢].

أو لم يدّبروا قول الله عزّ وجلّ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَاتَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَايَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» [٣].

أما طنّ آذانهم أنّ المراد بالرّاسخين في العلم الأئمّة (عليهم السلام) لا ء هم أغفلوا عن الأحاديث المعصوميّة المتضمّنة لكيفية الترجيح بين الرّوايات عند تعارضها واثبات التخيير في العمل عند عدم جريانه وأنّه يؤخذ بخبر الأوثق وماللقرآن أوفق أو [٤] عن آراء المخالفين أبعد وأسحق [٥] ثمّ التخيير على وجه التسليم المطلق [٦].

أو مابلغهم و بلغك «بأيّها أخذت من باب التّسليم [٧] وسعك»؟

أوَ خفي عليهم أنّ قول المعصوم (عليه السلام) إنّما يعرف بالحديث المسموع عنه عند حضوره والمحفوظ في صدور الثقات أو المثبت في دفاترهم عند غيبته، ولامدخل لضمّ الآراء معه اتّفقوا أو اختلفوا.

نعم، قد يكون الحديث ممّااتّفقت الطّائفة المحقّة على نقله، أو العمل بمضمونه بحيث اشتهر عنهم وفيما بينهم، و يسمّى ذلك الحديث بـ«المجمع عليه» كما ورد في

١ . وفي البحار ٨/١ء في حديث طويل: وانّما الأمور ثلاثة: أمر بيّن رشده فيتبع، وأمر بيّن غيّه فيجتنب، وأمر مشكل يردّ علمه الى الله ورسوله.

٢ . مقتبس من سورة الرّعد آية ٣٤ حيث قال تعالى وماهم من الله من واق و من سورة غافر آية ٢١ حيث قال تعالى: وما كان لهم من الله من واق.

٣ . آل عمران/٧

٤ . وعن آراء (ق).

٥ . السحق: بالضمّ و بضمتين، البعد، وقد سحق كـ«كرُم» و«علم» سحقاً بالضمّ . القاموس.

٦ . أي غير مقيّد بالهوى والغرض النّفساني ـ منه رحمه الله.

٧ . أي من جهة الإنقياد والإطاعة لامن حيث الإجتهاد.

كلام أبي عبدالله (عليه السلام) في حديث الترجيح بين الرّوايات المتعارضة «خذ بالمجمع عليه بين أصحابك، فانّ المجمع عليه لاريب فيه».

وهذا معنى الإجماع الصحيح المشتمل على قول المعصوم عند قدماء الشيعة لاغير.

فلو أنهم تركوا المتشابه على حاله من غير تصرف فيه، وسكتوا عمّاسكت الله عنه، وأبهموا ماأبهم الله، وجعلوا الأحكام ثلاثة، واحتاطوا في المتشابه، وردّوا علمه إلى الله ورسوله، وخيّروا في المتعارض، ووسّعوا في المتناقض، كما ورد بذلك كلّه النصوص عن أهل الخصوص لاجتمعت أقوالهم، واتّفقت كلمتهم ومقالهم، وكانوا فقهاء متوافقين ولأحاديث أئمتهم ناقلين، لاخصماء متشاكسين وعن النصوص ناكلين.

ولكان كلّما جاء منهم خلف دعوا لسلفهم، لاكلّما دخلت منهم أمّة طعنت في اختها [١] بصلفهم [٢] ولكان كلّ امرئٍ منهم بالقرآن والحديث منطيقاً وعن الآراء سكّيتاً ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً﴾ [٣].

وليت شعري ماحملهم على أن تركوا السّبيل الّذي هداهم إليه أئمة الهدى، وأخذوا سبلاً شتّى واتّبعوا الآراء والأهواء كلّ يدعو إلى طريقته ويذود [٤] عن الأخرى.

ثمّ ماالّذي حمل مقلّدتهم على تقليدهم في الآراء دون تقليد الأئمّة (عليهم السلام) على الطريقة المثلى، إن هي إلّا سنّة ضيزى [٥] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٦].

وقد أشبعنا الكلام في تحقيق هذه الكلمات وتشييدها بالآيات والرّوايات في كتابنا الموسوم بـ«سفينة النجاة» وفي «الأصول الأصيلة» وغيرهما من المصنّفات. والحمد لله وحده.

١ . اشارة إلى سورة الأعراف آية ٣٨ «كلّما دخلت أمّة لعنت أختها».
٢ . الصّلف: التكلّم بمايكرهه صاحبك. قاموس.
٣ . النساء/٦٦
٤ . الذود: الطرد والدفع ـ ق.
٥ ـ ضيزى كذكرى أي جائرة ناقصة
٦ . الزمر/٢٩

المقدمة الثانية
في التّوقيف لمعرفة الأسانيد

توقيف:

قد يعبّر عن بعض الرّواة باسم مشترك يوجب الإلتباس على بعض النّاس، لكن كثرة الممارسة تكشف في الأغلب عن حقيقة الحال:

فمن ذلك محمّد بن اسماعيل المذكور في صدر السّند من كتاب الكافي الّذي يروي عن الفضل بن شاذان النّيسابوري، وهو محمّد بن اسماعيل النّيسابوري الّذي يروي عنه أبوعمرو الكشي أيضاً عن الفضل بن شاذان و يصدّر به السّند «وهو أبوالحسن المتكلّم الفاضل المتقدّم البارع المحدّث تلميذ الفضل بن شاذان» الخصّيص به، يقال له «بندفرّ» [1]، وتوهّم كونه محمّد بن اسماعيل بن بزيع، أو محمّد بن اسماعيل البرمكي صاحب الصّومعة بعيد جدّاً.

ومن ذلك العبّاس الّذي يروي عنه محمّد بن عليّ بن محبوب، فإنّه كثيراً مايقع مطلقاً غير مقرون بفصل مميّز، ولكنّه ابن معروف، الثقة القمي.

ومن ذلك حماد الّذي يروي عنه الحسين بن سعيد، فانه ابن عيسى الثّقة الجهني الّذي يروي غالباً عن حريز، وحريز هذا هو ابن عبدالله السّجستاني.

ومن ذلك (العلاء) الّذي يروي عن محمّد بن مسلم، وقديقال «العلاء عن محمّد»

١ ـ بندفرـ بفتح الباء الموحّدة وسكون النّون وفتح الفاء وضمّها وتشديد الرّاء وقيل إنّه أيضاً بندو يه، و«ابن بندو يه»، باضافة «بند» الى «و يه» كـ«بابو يه» و«نفطو يه»، والـ«بند»، العلم الكبير، والـ«فرّ» وجه القوم ـ منه رحمه الله.

من غير تقييد بابن مسلم، والمراد ابن رزين الثّقة، ومحمّد الّذي يروي عنه «هو ابن مسلم».

ومن ذلك محمّد بن يحيى، فانّه مشترك بين جماعة:

منهم العطّار القمّي (شيخ) أبي جعفر الكليني، الّذي هو مراده عند إطلاقه هذا الإسم في أوّل السّند.

ومنهم «الخزّاز» بالمعجمات الّذي يروي كثيراً عن غياث بن ابراهيم، و يروي عنه البرقي.

ومنهم الخثعمي الكوفي، الّذي يروي عنه ابن سماعة وابن أبي عمير وكلاهما يرو يان عن الصّادق (عليه السلام)، والثّلاثة ثقات وتميّزهم بالطّبقات.

ومن ذلك محمّد بن قيس، وهو مشترك بين أربعة: اثنان ثقتان وهما الأسدي أبونصر والبجليّ أبوعبدالله، وكلاهما يرو يان عن الباقر والصّادق (عليهما السلام) والثالث ممدوح من غير توثيق، وهو الأسدي مولى بني نصر، ولم يذكروا عمّن يروي والرّابع ضعيف، وهو أبوأحمد، يروي عن الباقر (عليه السلام) خاصة، فالرّاوي عن الصادق (عليه السلام) غير ضعيف البتّة، واحتمال كونه الثّقة أقرب من احتمال كونه الممدوح، والّذي له كتاب قضايا أميرالمؤمنين (عليه السلام) الّذي يرو يه عن أبي جعفر (عليه السلام) و يروي عنه عاصم بن حميد الحنّاط. و يوسف بن عقيل «هو البجليّ الثّقة» على ماقاله الشّيخ أبوجعفر الطّوسي في فهرسته ورجاله. ولكنّ النّجاشي نسب الكتاب إلى الأسدي الثّقة والأمر فيه سهل.

ومن ذلك احمد بن محمد [1]، فإنّه مشترك بين جماعة يزيدون على الثّلاثين، ولكن

[1] . وليعلم أنّ الحسين الّذي يروي عنه أحمد ـ أو يروي هو عن فضالة هو إبن سعيد الأهوازي والذي يروي عنه «فضالة» هو ابن عثمان الرّواسي إن روى عن أبي عبدالله (عليه السلام) بواسطة وان روى عنه بدون واسطة، فهو إبن أبي العلا. وأبو اسحاق الّذي يروي عنه «محمدبن أحمد» هو ابراهيم بن هاشم و يروي غالباً عن النّوفلي، ولايتوسّط هو بين إبنه علي و بين محمدبن عيسى العبيدي في الكافي، فتوسيطه بينهما في التّهذيبين في بعض المواضع المنقولة عن الكافي سهو. و«صفوان» الّذي يروي عنه الحسين بن سعيد هو إبن يحيى.

وإن توسّط بينهما ثالث فهو ابن مهران الجمّال. و«القاسم» الّذي يروي عنه الحسين بن سعيد هو «الجوهري» إن روى عن «علي بن أبي حمزة» وان روى عن عبدالله بن بكير فهو «ابن عروة»، وإن روى عن غيرهما يحتمل كلاًّ منهما. كذا قيل ـ منه ادام الله ايّامه «عهد».

أكثرهم إطلاقاً وتكراراً في الأسانيد أربعة ثقات: ابن الوليد القمّي، وابن عيسى الأشعري، وابن خالد البرقي، وابن أبي نصر البزنطي. فالأوّل يذكر في أوائل السّند والأوسطان في أواسطه، والأخير في أواخره، وأكثر مايقع الإشتباه بين الأوسطين ولكن حيث أنّهما ثقتان لم يكن في البحث عن التعيين فائدة يعتدّ بها، وأمّا البواقي فأغلب مايذكرون مع قيد مميّز، والنظر في من روى عنهم ورووا عنه، ربّما يعين الممارس على استكشاف الحال.

ومن ذلك: ابن سنان، فإنّه يذكر كثيراً من غير فصل مميّز يعلم به أنّه عبدالله الثّقة أو محمّد الضعيف، ويمكن استعلام كونه عبدالله بوجوه:

منها ـ أن يروي عن الصادق عليه السلام بغير واسطة، فانّ محمداً انّما يروي عنه بواسطة.

ومنها ـ أن يروي عنه (عليه السلام) بتوسط عمر بن يزيد أو أبي حمزة أو حفص الأعور، فإنّ محمداً لايروي عنه بتوسّط بعض هؤلاء.

ومنها ـ ان ابن سنان الذي يروي عنه النضر بن سو يد، أو عبدالله بن المغيرة، أو عبدالرحمان بن أبي نجران، أو أحمد بن محمد بن أبي نصر، أو فضالة، أو عبدالله بن جبلة فهو «عبد الله» لا «محمد».

و«ابن سنان» الذي يروي عنه أيّوب بن نوح أو موسى بن القاسم، أو أحمد بن محمد بن عيسى أو علي بن الحكم، فهو «محمد» لا «عبدالله».

وقد يختلف كلام علماء الرجال في ترجمة الرّجل الواحد، فيظنّ بسبب ذلك اشتراكه، كما ظنّ الحسن بن داود في محمد بن الحسن الصّفّار والعلاّمة الحلّي في علي بن الحكم.

وقد يكون الرّجل متعدداً فيظنّ أنّه واحد، كما ظنّه العلاّمة في اسحاق بن عمّار فإنّه مشترك بين اثنين: أحدهما من أصحابنا وهو ابن عمّار بن حيّان الكوفي أبو يعقوب الصيرفي، والآخر فطحي، وهو ابن عمار بن موسى السّاباطي كما يظهر على المتأمّل الى غير ذلك، فلابدّ من امعان النّظر لمن أراد زيادة التبصّر.

توقيف:

قد اصطلح متأخّروا فقهاءنا على تنويع الحديث المعتبر في: صحيح وحسن وموثّق.

فإن كان جميع سلسلة سنده إماميّين ممدوحين بالتوثيق سمّوه صحيحاً، أو إماميّين ممدوحين بدونه كلاً أو بعضاً مع توثيق الباقي سمّوه حسناً، أو كانوا كلاً أو بعضاً غير اماميين مع توثيق الكلّ سمّوه موثّقاً.

وأول من اصطلح على ذلك وسلك هذا المسلك (العلامة الحلّي رحمه الله)، وهذا الإصطلاح لم يكن معروفاً بين قدماءنا قدس الله أرواحهم كما هو ظاهر لمن مارس كلامهم، بل كان المتعارف بينهم اطلاق الصحيح على كلّ حديث اعتضد بمايقتضي الإعتماد عليه واقترن بمايوجب الوثوق به والركون إليه، كوجوده في كثير من الأصول الأربعمائة المشهورة المتداولة بينهم التي نقلوها عن مشايخهم بطرقهم المتصلة بأصحاب العصمة سلام الله عليهم. وكتكرّره في أصل أو أصلين منها فصاعداً بطرق مختلفة وأسانيد عديدة معتبرة [١] وكوجوده في أصل معروف الإنتساب الى أحد الجماعة الذين أجمعوا على تصديقهم، كزرارة ومحمدبن مسلم والفضيل بن يسار.

أو (على تصحيح مايصحّ عنهم) كصفوان بن يحيى و يونس بن عبدالرحمن واحمدبن محمدبن أبي نصر، أو (على العمل بروايتهم) كعمار الساباطي ونظرائه.

وكاندراجه في أحد الكتب التي عرضت على أحد الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، فأثنوا على مؤلفيها ككتاب عبيد الله الحلبي الّذي عرض على الصّادق (عليه

١ . قيل: كانوا إذا سمعوا حديثاً بادروا إلى ضبطه في أصل. نقل محمدبن علي بن شهرآشوب المازندراني. رحمه الله في كتابه معالم العلماء عن الشيخ المفيد طاب ثراه إنّه قال: صنفت الإمامية من عهد أميرالمؤمنين (عليه السلام) الى عهد أبي محمد العسكري (عليه السلام) أربعمائة كتاب تسمّى الأصول وهذا معنى قولهم «فلان له أصل».

وقال: إنّ مااستقر الأمر على اعتبارها والتعويل عليها وتسميتها بالأصول هذه الأربعمائة، لأنّ كتبهم منحصرة في ذلك فإنها أكثر من أن تحصى.

ورجال الصادق (عليه السلام) من العامة والخاصة ـ على ماقاله المفيد في ارشاده ـ زهاء أربعة آلاف رجل ـ منه أدام الله ايامه.

السلام) وكتابي (يونس بن عبدالرّحمن والفضل بن شاذان) المعروضين على العسكري (عليه السلام).

وكأخذه من أحد الكتب الّتي شاع بين سلفهم الوثوق بها، والإعتماد عليها سواء كان مؤلّفوها من الإمامية، ككتاب «الصلاة» لحريز بن عبدالله السّجستاني، وكتب «بني سعيد» و«علي بن مهزيار».

أو من غير الإمامية: ككتاب حفص بن غياث القاضي، والحسين بن عبدالله [1] السّعدي، وكتاب «القبلة» لعليّ بن الحسن الطّاطري.

وقد جرى صاحبا كتابي (الكافي والفقيه) على متعارف المتقدّمين في اطلاق الصّحيح على مايركن إليه و يعتمد عليه، فحكما بصحة جميع ماأورداه في كتابيها من الأحاديث، وإن لم يكن كثير منه صحيحاً على مصطلح المتأخرين.

قال صاحب الكافي في أول كتابه في جواب من التمس عنه التصنيف: وقلت انّك تحبّ أن يكون عندك كتاب كاف يجمع من جميع فنون علوم الدّين، مايكتفي به المتعلّم و يرجع إليه المسترشد و يأخذ منه من يريد علم الدّين، والعمل بالآثار الصّحيحة عن الصادقين (عليهم السلام) والسنن القائمة الّتي عليها العمل، وبها يؤدّىٰ فرض الله وسنة نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن قال: وقديسّر الله وله الحمد تأليف ماسألت، وأرجو أن يكون بحيث توخّيت.

وقال صاحب (الفقيه) في أوّله: انّي لم أقصد فيه قصد المصنفين في ايراد جميع مارووه، بل قصدت إلى إيراد ماأفتي به وأحكم بصحّته وأعتقد فيه أنّه حجّة فيما بيني و بين ربّي، تقدّس ذكره، وجميع مافيه مستخرج من كتب مشهورة عليها المعوّل وإليها المرجع.

وقال صاحب (التهذيب) في كتاب العدّة: انّ ماأورده في كتابي الأخبار انّما أخذه من الأصول المعتمدة عليها، وقدسلك على ذلك المنوال كثير من علماء الرجال

١ . عبيد الله، ف، ق والظاهر أنه الصحيح. راجع ص١٨٣ ج٢ مجمع الرجال وص٢٤٦ ج٢ جامع الرواة «ص.ع».

فحكموا بصحّة حديث بعض الرواة الغير الإمامية (كعلي بن محمد بن رباح)[١] وغيره لما لاح لهم من القرائن المقتضية للوثوق بهم والإعتماد عليهم، وان لم يكونوا في عداد الجماعة الذين انعقد الإجماع على تصحيح مايصحّ عنهم بل المتأخرون ربما يسلكون طريقة القدماء فيصفون بعض الأحاديث التي في سندها من يعتقدون أنه فطحي أو ناووسي «بالصحة» نظراً الى اندراجه «في من أجمعوا على تصحيح مايصحّ عنهم» بل يصفون مراسيل[٢] هؤلاء ومقاطيعهم ومرافيعهم ومسانيدهم إلى الضعفاء والمجاهيل بـ«الصحة» لذلك .

وعلى هذا جرى العلامة والشهيد في مواضع من كتبها مع أنهما الأصل في الإصطلاح الجديد، وربما يقال: الباعث لهم على العدول عن طريقة القدماء طول المدة واندراس بعض الأصول المعتمدة والتباس الأحاديث المأخوذة من الأصول المعتمدة بالمأخوذة من غير المعتمدة، واشتباه المتكررة في كتب الأصول بغير المتكررة، وعدم امكانهم الجري على أثر القدماء في تمييز مايعتمد عليه ممالايركن إليه.

وهذا إن صحّ فهذا الإصطلاح لايغني عنه شيئاً، مع أن مدار الأحكام الشرعية اليوم على هذه الأصول الأربعة، وهي المشهود عليها بالصحة من مصنفيها ولامدخل لماذكر في ذلك فإن كانوا لايعتمدون على شهادتهم بصحّة كتبهم، فلايعتمدوا على شهادتهم وشهادة أمثالهم في الجرح والتّعديل أيضاً وأيّ فرق بين الأمرين.

وبعد، فأيّ مدخل لفساد العقيدة في صدق حديث المرء إذا كان ثقة في مذهبه وأيّ منافاة للممدوحيّة بفضيلة ما-مع المسامحة في نقل الحديث.

١ ـ بالباء الموحدة تحتها نقطة وهو علي بن محمد بن علي بن عمر بن رباح وماترى في بعض النسخ بالياء تصحيف، راجع ص٢١٧ ج٤ مجمع الرجال وسائر الكتب «ض.ع».

٢ ـ وأما وصفهم لمراسيل «ابن أبي عمير» بالصحّة فعلله بعضهم بمثل ذلك، وآخرون بماشاع بينهم «انّه كان لايرسل إلّا عمّن يثق بصدقه» ومنهم من أنكر ذلك كالمحقق فانه قال في «المعتبر»: انه يرسل عن أربعين من أصحاب الصادق عليه السلام فيهم المجاهيل والضعفاء، فإذا أرسل احتمل الجميع ومنهم من علل بأنه ذهبت كتبه حين كان في الحبس، وكان يحفظ أربعين مجلداً، وكانت رواياته فيها مسندة فحدث بها من حفظه وممّا كان سلف له في أيدي الناس فهي معلومة الايصال والأسناد إجمالاً، وإن فاتته طرق الإسناد على التفصيل، وكلّ ذلك خروج عن الاصطلاح الذي قرروه كما لايخفى ـ منه.

وأيضاً فإنّ كثيراً من الرّواة المعتنين بشأنهم الّذين هم مشايخ مشايخنا [1] المشاهير الّذين يكثرون الرّواية عنهم ليسوا بمذكورين في كتب الجرح والتّعديل بمدح ولاقدح و يلزم على هذا الإصطلاح أن يعدّ حديثهم في (الضّعيف) مع أنّ أصحاب هذا الإصطلاح أيضاً لايرضون بذلك وذلك:

مثل: أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد الّذي هو من مشايخ شيخنا المفيد والواسطة بينه و بين أبيه، والرّواية عنه كثيرة.

ومثل: احمد بن محمد بن يحيى العطّار الّذي هو من مشايخ الشيخ الصدوق و يروي عنه كثيراً، وهو الواسطة بينه و بين سعد بن عبدالله.

ومثل: الحسين بن الحسن بن أبان الّذي هو من مشايخ محمّد بن الحسن بن الوليد والواسطة بينه و بين الحسين بن سعيد.

ومثل: أبي الحسين علي بن أبي جيد، وهو من مشايخ الشيخ الطّوسي والنّجاشي والواسطة بين الشّيخ، و بين محمّد بن الحسن بن الوليد.

ومثل: ابراهيم بن هاشم القمّي الذي أكثر صاحب (الكافي) الرّواية عنه بواسطة ابنه «علي» وهو أوّل من نشر حديث الكوفيين بقم. إلى غير ذلك من الرّجال.

و بعد، فإنّ في الجرح والتّعديل وشرائطهما اختلافات وتناقضات واشتباهات لايكاد ترتفع [2] بماتطمئنّ إليه النفوس كما لايخفى على الخبير بها، فالأولى الوقوف على طريقة القدماء وعدم الاعتناء بهذا الاصطلاح المستحدث رأساً وقطعاً والخروج عن هذه المضايق.

نعم، إذا تعارض الخبران المعتمد عليهما على طريقة القدماء فاحتجنا الى الترجيح بينهما فعلينا أن نرجع إلى حال رواتهما في الجرح والتعديل المنقولين عن المشايخ فيهم ونبني الحكم على ذلك كما أشير إليه في الأخبار الواردة في التراجيح بقولهم (عليهم السلام) «فالحكم ماحكم به أعدلهما وأورعهما وأصدقهما في الحديث».

١ . إن قيل: هؤلاء المشايخ لكثرة روايتهم واعتناء أكابر مشايخنا بهم أجلّ قدراً من أن يحتاجوا إلى توثيق أو مدح. قلنا: هذا رجوع الى طريقة القدماء، ونحن لانريد منك إلّا هذا فتدبّر ـ منه «عهد»

٢ . لا تكاد ترتفع (ج، ف، ق).

وهو أحد وجوه التّراجيح المنصوص عليها، وهذا هو عمدة الأسباب الباعثة لنا على ذكر الأسانيد في هذا الكتاب.

توقيف:

نقل عن أبي عمرو الكشّي رحمه الله أنّه قال: في كتاب رجاله عند تسمية الفقهاء من أصحاب أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهما السلام): أجمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأوّلين من أصحاب أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السّلام وانقادوا لهم بالفقه وقالوا: أفقه الأوّلين ستّة: زرارة ومعروف بن خرّبوذ، وبريد، وأبو بصير الأسدي والفضيل بن يسار ومحمّدبن مسلم الطّائفي.

قالوا: وأفقه السّتة «زرارة» وقال بعضهم مكان أبي بصير الأسدي «أبو بصير المرادي»، وهو ليث بن البَخْتري [1] وروي باسناده عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال: أوتاد الأرض وأعلام الدين أربعة: محمّدبن مسلم، وبريدبن معاوية، وليث بن البختري المرادي وزرارةبن أعين.

وقال في تسمية الفقهاء من أصحاب أبي عبدالله (عليه السلام): أجمعت العصابة على تصحيح مايصحّ عن هؤلاء وتصديقهم لما يقولون وأقرّوا لهم بالفقه من دون هؤلاء السّتة الّذين عدّدناهم وسمّيناهم ستّة نفر: جميل بن درّاج، وعبدالله بن مسكان وعبدالله بن بكير وحمّادبن عيسى، وحمّادبن عثمان، وأبان بن عثمان.

قال: وزعم أبو اسحاق الفقيه يعني ثعلبةبن ميمون أنّ أفقه هؤلاء جميل بن درّاج وهم أحداث أبي عبدالله عليه السلام.

وقال في تسمية الفقهاء من أصحاب أبي إبراهيم وأبي الحسن الرضا عليهما السلام: أجمع الأصحاب على تصحيح مايصحّ عن هؤلاء وتصديقهم وأقرّوا لهم بالفقه والعلم وهم ستّة نفر آخر دون السّتة نفر الذين ذكرناهم في أصحاب أبي عبدالله (عليه

١ . بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة، هذا هو الصحيح نعم بهذه الهيئة يوجد البُحْتري أبو عبادة الشاعر وهو بالحاء المهملة لابالمعجمة. راجع ص٤٩ ج١ «المشتبه» في أسماء الرجال «ض.ع».

السلام):

منهم: يونس بن عبدالرّحمان، وصفوان بن يحيى بياع السّابري ومحمدبن أبي عمير وعبدالله بن المغيرة، والحسن بن محبوب، وأحمدبن محمدبن أبي نصر، وقال بعضهم مكان الحسن بن محبوب «الحسن بن علي بن فضال وفضالةبن أيوب» وقال بعضهم مكان ابن فضال «عثمان بن عيسى». وأفقه هؤلاء: يونس بن عبدالرّحمان وصفوان بن يحيى - انتهى كلامه.

وقد فهم جماعة من المتأخّرين من قوله «أجمعت العصابة أو الأصحاب على تصحيح مايصحّ عن هؤلاء» الحكم بصحّة الحديث المنقول عنهم، ونسبته إلى أهل البيت (عليهم السلام) بمجرد صحّته عنهم من دون اعتبار العدالة في من يروون عنه حتّى لورووا عن معروف بالفسق أو بالوضع فضلاً عمّا لوأرسلوا الحديث، كان مانقلوه صحيحاً محكوماً على نسبته إلى أهل العصمة (صلوات الله عليهم). وأنت خبير بأنّ هذه العبارة ليست صريحة في ذلك ولاظاهرة فيه، فإنّ مايصحّ عنهم إنّما هو الرّواية لاالمرويّ، بل كما يحتمل ذلك يحتمل كونها كناية عن الإجماع على عدالتهم وصدقهم بخلاف غيرهم ممّن لم ينقل الإجماع على عدالته.

توقيف:

إعلم أنّ إضمار الحديث من الثقات المشهورين من أصحاب الأئمة (عليهم السلام) ليس طعناً في الحديث، إذ قديكون ذلك اعتماداً على القرينة، وقديكون للتقية، وقديكون لقطع الأخبار بعضها عن بعض فإنّ الرّاوي كان يصرّح باسم الإمام الّذي يروي عنه في أوّل الرّوايات ثمّ قال: وسألته عن كذا وسألته عن كذا إلى أن يستوفي الرّوايات الّتي رواها عن ذلك الإمام (عليه السلام)، فلمّا حصل القطع توهّم الإضمار.

وكذلك الرّواية عن أحد تارة بواسطة وأخرى بدونها لا توجب الإضطراب في الرّواية كما ظنّ، لجواز تعدّد سماعه.

امّا رواية الحديث تارة على وجه وأخرى على وجه آخر مخالف له فهي توجب

الإضطراب وعدم الإعتماد.

وممّا يوجب عدم الإعتماد «القطع»، وهو أن لايبلغ الإسناد الى المعصوم بل ينتهي إلى بعض الوسائط.

ومنه الإرسال، وهو أن يروي عن المعصوم من لم يدركه بغير واسطة أو بوسائط نسيها أو تركها أو أبهمها، كما قيل «عن رجل» أو «عمّن أخبره» أو «عن بعض أصحابه».

توقيف:

قد يعبّر عن المعصوم (عليه السلام) بـ(العالم) و(الفقيه) و(الشّيخ) و(العبد الصّالح) و(الرجل) و(الماضي) وغير ذلك للتقيّة وشدّة الزّمان المانعة من التّصريح بالإسم أو الكنية، و يعرف ذلك بقرينة الرّاوي، وأكثر مايكون ذلك في أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السّلام).

وقد يعبّر عن الإمام باسم مشترك كـ(محمد بن علي) أو كنية مشتركة كـ(أبي جعفر) و(أبي الحسن) و يعرف ذلك أيضاً بقرينة الرّاوي وطبقته.

وكلّما قيل (أبو الحسن الأول) أو (الماضي) فالمراد به (الكاظم) عليه السلام أو (الثاني) فالرضا (عليه السلام) أو (الثالث) أو (الأخير) فالهادي (عليه السلام).

وإذا قيل أبو جعفر الأول فـ(الباقر) أو (الثاني) فـ(الجواد) أو أبوعبدالله فـ(الصادق) (عليه السلام).

توقيف:

لي إلى رواية الأصول [١] الأربعة عن مؤلّفيها الثّلاثة طرق متعدّدة وكذا إلى غيرها من الكتب والأصول، ولكن أقتصر فأقول: إنّي أروي الأصول الأربعة تارة عن أستادي ومن عليه في العلوم الشّرعيّة استنادي وعليه اعتمادي السّيّد ماجدبن هاشم

١. أصول (ق).

الصّادق البحراني تغمّده الله بغفرانه، عن الشّيخ الفاضل الكامل بهاء الدّين محمّد العاملي طاب ثراه.

وتارة عن الشيخ المذكور بلاوساطة [١] الأستاد، وهو يروي عن أبيه وأستاده الحسين بن عبد الصّمد الحارثي، وهو عن شيخه الأجلّ السّعيد زين الدّين بن عليّ بن احمد العاملي الشّهيد.

وتارة أروي الأصول الأربعة وسائر كتب الحديث وغيرها عن الشّيخ محمّد بن الشّيخ حسن بن الشّيخ زين الدّين الشّهيد، عن أبيه، عن جدّه.

وهو يروي عن الشّيخ الفاضل [٢] عليّ بن عبد العالي العاملي الميسي، عن الشيخ شمس الدّين محمّد بن المؤذّن الجزيني [٣]، عن الشّيخ ضياء الدّين علي، عن والده الأجلّ الشّيخ شمس الدّين محمّد بن مكّي الشّهيد، عن الشّيخ فخر الدّين أبي طالب محمّد، عن والده العلاّمة جمال الملّة والدّين الحسن بن مطهّر الحلّي، عن شيخه المحقّق نجم الملّة والدّين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد، عن السّيّد الجليل أبي علي فخار بن معدّ الموسوي، عن الشّيخ أبي الفضل شاذان بن جبرئيل القمّي، عن الشّيخ الفقيه عماد الدّين أبي جعفر محمّد بن أبي القاسم الطّبري، عن الشّيخ أبي علي الحسن، عن والده شيخ الطّائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطّوسي.

وله الى ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني طرق متعدّدة:

منها ـ عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد، عن شيخه أبي القاسم جعفر بن قولويه، عنه طاب ثراه.

وكذلك له إلى الشّيخ الصّدوق محمّد بن عليّ بن بابويه القمّي طرق:

منها ـ عن الشّيخ المفيد عنه قدس الله أسرارهم جميعاً.

١ ـ بلاواسطة، ق، ك، ط.

٢ ـ ناصر المذهب الحق ـ توجد هذه الزّيادة في (ق).

٣ ـ قرية في جبل عامل كذا في هامش «ف» وهي على زنة سكّين.

المقدمة الثالثة

في تمهيد الإصطلاحات والقواعد

تمهيد:

قد سلك كلّ من مشايخنا (الأبي جعفرين المحمّدين) الثّلاثة في كتابه مسلكاً لم يسلكه الآخر: اما ثقة الإسلام أبوجعفر محمّدبن يعقوب الكليني طاب ثراه فإنّه ملتزم في الكافي أن يذكر في كلّ حديث إلّا نادراً جميع سلسلة السّند بينه و بين المعصوم (عليه السلام)، وقديحذف صدر السّند، ولعلّه لنقله عن أصل المروي عنه من غير واسطة أو لحوالته على ماذكره قريباً، وهذا في حكم المذكور.

وأما رئيس المحدّثين أبوجعفر محمّد بن علي بن بابويه القمي عطّر الله مرقده فدأبه في كتاب (من لايحضره الفقيه) ترك أكثر السّند والإقتصار في الأغلب على ذكر الرّاوي الّذي أخذ عن المعصوم فقط، أو مع من يروي عنه، ثمّ انّه ذكر في آخر الكتاب طريقه المتّصل بذلك الرّاوي، ولم يخلّ بذلك إلّا نادراً، كاخلاله بطريقه الى «بريد بن معاوية العجلي» وإلى «يحيى بن سعيد الأهوازي».

وأمّا شيخ الطّائفة أبوجعفر محمّد بن الحسن الطّوسي (رحمه الله) فقد يجري في كتابي (التهذيب والاستبصار) على وتيرة الكليني، فيذكر جميع السّند حقيقة أو حكماً وقديقتصر على البعض فيذكر أواخر السّند و يترك أوائله. وكلّ موضع سلك هذا المسلك ـ أعني الاقتصار على البعض ـ فقدإبتدأ فيه بذكر صاحب الأصل الّذي أخذ الحديث من أصله أو مؤلّف الكتاب الّذي نقل الحديث من كتابه، وذكر في آخر

الكتابين بعض طرقه إلى أصحاب تلك الأصول ومؤلّفي تلك الكتب، وأحال البواقي على ماأورده في كتاب «فهرست الشّيعة».

وأنا أسلك في كلّ حديث أنقله في هذا الكتاب من أحد كتب هؤلاء المشايخ ماسلكه صاحب ذلك الكتاب، فأذكر جميع السّند إن ذكره وأقتصر على البعض إن اقتصر عليه، ولاأنقل الحديث الّذي نقل بعض هؤلاء عن بعض إلّا عن الأعلى ولاالمتكرّر في الكتب المتعدّدة أو الكتاب الواحد بسند واحد بعينه إلّا مرّة إلّا نادراً فأرقم علامات لتلك الكتب في أوّل السّند إلّا (الإستبصار) فاكتفي بالتهذيب عنه لأنّهما في حكم واحد. ومن أراد أن يكتب علامة الاستبصار أيضاً فليكتبها في الحاشية، وكذلك فليفعل فيا نقل في الكتابين عن صاحب الكافي فيكتب علامتها في الحاشية، إذ ثبت العلامة في هذه الصورة ليس بمهم.

وإن تعدد سند حديث واحد في كتاب واحد أو أكثر أذكر تلك الأسناد أولاً مع علامة ذلك الكتاب أو تلك الكتب، ثمّ أذكر الحديث إن اتحد الرّاوي عن المعصوم والمعصوم جميعاً، وإلّا فإن اختلف تمام السّند أنقل الحديث من الكافي أولاً باسناده ثم أذكر الأسناد الآخر مشيراً الى الحديث من غير تكرير.

وإن اختصّ الإختلاف ببعض السند أرقم علامة المنفرد في أوّل ماانفرد به وعلامة شريكه فقط في أوّل المشترك إن كان في موضع لم يشتبه فيه بالمنفرد، كوقوعه بعد لفظة «عن»، وإلّا فأكرر ذكر رجل لرفع الإشتباه كما هو مصطلحهم في مثله. وفي بعض المواضع أرقم علامة (ش) إن اشترك فيه جميع ماسبق علامته ثلاثة كان أو إثنين وإلّا فعلامة الشريكين وكذلك أفعل في متن الحديث إذا اختلف ألفاظه في كتابين أو أكثر بزيادة أو نقصان.

وإن اختلف اللّفظ بتبديل قليل، فإن لم يختلف به المعنى أقتصر على ذكر الأوضح لفظاً أو الأقدم مصنفاً، وإن اختلف المعنى أو كان التفاوت [١] كثيراً أذكر الأسناد مرّة أخرى مفصّلاً (مع التعدد) ومجملاً (مع الإتحاد).

١ . أو كان التبديل ـ مكان ـ وكان التفاوت، ق.

ثم أذكر الحديث تارة أخرى مفصّلاً إن اختلف المعنى ومجملاً مع الإشارة الى التفاوت إن لم يختلف، وربّما أشير إلى اختلاف النّسخ [١] إذا كان ممّا يعتني به في مقام البيان. والله المستعان.

تمهيد:

كثيراً مايتكرّر في أوائل أسانيد الكافي ذكر قوله «عدّة من أصحابنا»، فإن قال بعده «عن أحمد بن محمد بن عيسى» فالمراد بهم: محمّد بن يحيى العطّار، وعليّ بن موسى الكميداني [٢-٣] وداود بن كورة واحمد بن ادريس، وعلي بن ابراهيم بن هاشم.

وإن قال بعده «عن سهل بن زياد» فهم: عليّ بن محمّد بن علاّن ومحمّد بن أبي عبدالله، ومحمّد بن الحسن، ومحمّد بن عقيل الكليني.

وإن قال بعده «عن احمد بن محمّد بن خالد البرقي» فهم: عليّ بن ابراهيم وعليّ بن محمّد بن عبدالله بن أذينة، وأحمد بن محمد بن أميّة [٤] وعليّ بن الحسن «كذا

١ . من كتاب واحد أو أكثر. هذه الزّيادة في، ق.

٢ . قال المحدّث الخبير والنّقاد البصير مولانا الحاج ميرزا محمّدحسين النّوري في مستدركاته: «الكميدان» على مايظهر من تاريخ قم كان احدى القرى السّبعة الّتي كانت مجتمعة قبل بناء قم، و يقال له «هفت ده» أي سبعة قراء، وهي: ممجان، وقزوان، ومالون، وسكن، وجلينادان، وكميدان. فلمّا نزل الأشعريّون بأرض قم جعلوا السّبعة واحدة وسمّوها بـ(قم) فصارت (كميدان) احدى محلاّتها في شرح يطول.

وذكر في باب ميادين قم: ميدان يحيى بن عمران بن عبدالله الأشعري بكيدان بقرب المسجد الجامع، وميدان «أبي علوية» الحسن بن يحيى بن عمران الأشعري بكيدان بقرب قصر مشرف عليه يعرف به ـ انتهى كلامه. وكتب في حاشية كتابه المذكور «سقط من نسختي واحدة» محمّدرضا الرّضوي.

٣. الكميداني ضبطها العلاّمة في ترجمة موسى بن جعفر من الخلاصة بالنون بعد الميم، وليس بصحيح، بل الصّواب (الياء المثنّاة من تحت) نسبة الى كميدان بضمّ الكاف وفتح الميم واسكان الياء واعجام الذّال، وربّما يهمل، وهي قرية بقم. وداود بن كورة بضمّ الكاف واسكان الواو وفتح الرّاء قمي يكنّى أباسليمان مصغّراً وهو الّذي بوّب كتاب «النّوادر» لأحمد بن محمد بن عيسى وكتاب «المشيخة» للحسن بن محبوب السّرّاد. (عهد).

٤ . بل الصّحيح احمد بن عبدالله بن اميّة أو «أبيّه» مع ترديد في اسم جدّه والظّاهر انّ نسخة المؤلّف رحمه الله كانت مصحّفة لأنّ مافي النّسخ المعتبرة الّتي بأيدينا من الخلاصة والنّسخ المطبوعة الّتي عثرنا عليها هو احمد بن عبدالله أيضاً وكذلك مافي كتب الرّجال انظر ص١٢١ ج١ وص٢٠٠ ج٧ من مجمع الرّجال حتّى يتضح لك الحال وفي كتاب «الهدايا» أيضاً أورده احمد بن عبدالله فيبقى التّرديد في اسم جدّه (اميّة) أو (أبيّه) وبعضهم احتمل أنّ اميّه مصحّف من «ابنيّه» ولكن احتمال تصحيفه من «ابيّه» أقرب. «ض.ع».

نقل العلاّمة الحلّي (رحمه الله) عنه في خلاصته».

وأنا أعبّر عن الجماعة في كلّ من المواضع الثّلاثة بقولي «العدة».

وكثيراً مايتكرّر في أوائل أسانيده أو أسانيد التّهذيب «محمّدبن اسماعيل عن الفضل بن شاذان» وأنا أعبّر عنهما بقولي «النّيسابوريان».

وكثيراً مايتكرّر في أوائل أسانيدهما «ابو علي الأشعري عن محمّدبن عبدالجبّار» وقديعبّر عنهما بأحمدبن ادريس عن محمّدبن أبي الصُّهبان [1] وأنا أعبّر عنهما بقولي «القميان».

وإن تفرّد أحدهما عن الآخر أعبّر عن الأوّل بـ«القمي» وعن الثّاني بـ«الصُّهباني».

وإن اجتمع الأربعة بالعطف وكان المرويّ عنه صفوان بن يحيى قلت «الأربعة عن صفوان» [2] وكثيراً مايتكرّر في أوائل أسانيدهما «الحسين بن محمّدعن معلّى بن محمّد»، وأنا أكتفي عن ذكرهما بقولي «الاثنان» وكثيراً مايتكرّر في أوائل أسانيدهما هؤلاء الثّلاثة هكذا:

«علي بن ابراهيم عن أبيه عن إبن أبي عمير» وأنا أكتفي عن تعدادهم بقولي «الثلاثة».

فإن كان تتمّة السّند عن حمّاد عن الحلبي أعبّر عنهم «بالخمسة».

وحمّاد هذا هو (حمّادبن عثمان) والحلبي (عبيدالله بن محمد).

وكثيراً مايتكرّر في أوائل أسانيدهما هؤلاء الخمسة هكذا: (علي بن ابراهيم عن أبيه ومحمدبن اسماعيل عن الفضل بن شاذان) جميعاً عن إبن أبي عمير وأنا أكتفي

---

١ . الصهبان بضم المهملة وتسكين الهاء والباء المفردة قبل الألف والنون بعدها «ثقة» وكذلك أبو علي الرّاوي عنه كان ثقة فقيهاً في أصحابنا كثير الحديث «عهد» غفر له.

٢ . الفرق بين الأربعة الأولى وغيرها بكون المروي عنه في الأولى «صفوان» والفرق بين الخمستين بأنّ الأولى تمام السّند والثانية بعضه، فلاتشتبه احداهما بالأخرى، وكذا الفرق بين الأربعتين الثانية والثالثة.

وأمّا الأخيرتان: فالفرق بينهما أن الأولى في أول السند والأخرى في آخره، وكذا الفرق بين الاثنين «الأول والثاني» و«بين الثلاثة الأولى والبواقي».

وامّا الفرق بين البواقي فبالراوي عنهم، فلااشتباه ـ والحمد لله ـ منه أدام أيّام افادته «عهد».

عن تعدادهم «بالخمسة»، وكثيراً مايتكرّر في تمام أسانيدهما هؤلاء الأربعة هكذا: علي بن ابراهيم عن أبيه عن النّوفلي عن السّكوني، وأنا اكتفي عن تعدادهم «بالأربعة» .

وربما يتكرّر في تمام أسانيدهما هؤلاء الخمسة هكذا: علي بن ابراهيم عن أبيه عن حماد عن حريز عن محمدبن مسلم، وأنا أكتفي عنهم بقولي «الأربعة عن محمد» .

وربّما يكون مكان محمد غيره [1] فأقول «الأربعة عن فلان» [2].

وربما يتكرّر في تمام أسانيدهما هؤلاء الخمسة هكذا: محمدبن يحيى عن احمدبن محمد عن علي بن الحكم عن العلاءعن محمدبن مسلم، وأنا اكتفي عنهم بقولي «محمد عن الأربعة».

وربّما يتكرّر في أسانيدهما هؤلاء الأربعة الفطحيّة هكذا: احمدبن الحسن عن عمرو بن سعيد عن مصدق بن صدقة عن عمار بن موسى وأنا أكتفي عن تعدادهم بـ«الفطحيّة».

وربّما يتكرّر في أوائل أسانيد التّهذيب هؤلاء المشايخ الثلاثة هكذا: محمدبن محمدبن النعمان عن احمدبن محمدبن الحسن عن أبيه محمدبن الحسن بن الوليد، وأنا أكتفي عن تعدادهم بـ(المشايخ) [3].

وربما يتكرّر في الكتابين ـ ولاسيّما التّهذيب ـ رواية الحسين بن سعيد عن إبن أبي عمير عن حمّاد عن الحلبي أو «رواية سهل بن زياد» عن محمّدبن الحسن بن شمّون عن عبدالله بن عبدالرّحمن الأصمّ عن مسمع بن عبدالملك، أو رواية «الصّفّار» عن الحسن بن موسى الخشّاب عن غياث بن كلوب، عن اسحاق بن عمّار وأنا أقول: الحسين، أو سهل، أو الصّفّار «عن الثلاثة» وربّما يتكرّر في أواسط السّند محمّدبن اسماعيل عن محمّدبن الفضيل، وأنا اكتفي عنهما بـ«المحمّدين».

١ . مكان كلمة غيره «زرارة» في ق.
٢ . مكان كلمة فلان «زرارة» ق.
٣ . مكان كلمة المشايخ «الثلاثة» في، ف.

وربّما يتكرّر في أواخر السّند هارون‌بن مسلم عن مسعدة‌بن صدقة وأنا أكتفي عنهما بـ«الإثنين».

وربّما يتكرّر القاسم بن يحيى عن جدّه الحسن بن راشد، وأنا أكتفي عنهما بـ«القاسم عن جدّه». وكذلك يتكرّر علي بن حسان عن عمّه عبدالرحمان‌بن كثير الهاشمي، فأقول «علي عن عمّه». وكذلك يتكرّر ابن اسباط عن عمّه يعقوب‌بن سالم الأحمر، فأكتفي بقولي «ابن اسباط عن عمّه »وكثيراً مايتكرّر في السّند أسماء رجال كثيرة الألفاظ [١] مثل:

احمد بن محمد بن خالد البرقي
وعبد الرحمان بن الحجّاج البجلي
وعبد الرحمان بن أبي عبدالله البصري
ومحمد بن عيسى العبيدي اليقطيني
وعبد الله بن يحيى الكاهلي
واحمد بن الحسن الميثمي
وجعفر بن محمد الأشعري
وسليمان بن داود المنقري
وابراهيم بن عمر اليماني
واسماعيل بن الفضل الهاشمي
والحسن بن علي الكوفي
وابراهيم بن زياد الكرخي
و يقال له التيمي

وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي
وعبد الرحمان بن أبي نجران التميمي
وعبد الرحمان بن محمد العرزمي
وابراهيم بن أبي محمود الخراساني
وبريد بن معاوية العجلي
وعلي بن محمد القاساني
وسليمان بن جعفر الجعفري
والهيثم بن أبي مسروق النهدي
ومحمد بن خالد الطيالسي
والحسن بن الحسين اللؤلؤي
وهارون بن حمزة الغنوي
وعلي بن الحسن بن علي بن فضال التيملي
وربّما يصحّف بالميثمي

١ . ليس كلّما يتكرّر هذه الأسماء في كلامهم يذكر بجميع هذه الألفاظ بل قديكتفي فيها ببعضها إلّا أنّي أوردت الجميع في الجميع للتعريف ولئلايتوهّم التعدّد عند مبادلة لفظ بآخر في كلامهم عند التّسمية، ونحن نقتصر في الكلّ أبداً على لفظ واحد معيّن إلّا عند الإشتباه كما قلنا، وأعبّر عن «العبيدي اليقطيني والرّازي الجاموراني» في الأكثر بالأقصر، وكلّما ورد محمّدبن عيسى عن يونس‌بن عبدالرّحمان أعبّر عن محمّد «بالعبيدي»، واكتفى بيونس عن أبيه وإن لم يجر ذكر العبيدي أو ذكر عبدالرّحمان لأنّ كلاً منها قرينة شاهدة على تعيين صاحبه، وكذلك في نظائرهما، وقديعبّر صاحب التهذيبين عن احمدبن محمّدبن عيسى بـ«أبي جعفر»، وعن معاويةبن عمّار بـ«أبي القاسم»، فان كانا في موضع لايشتبهان فيه بغيرهما أعبر عنهما بالمصطلحت. منه دام ظلّه.

وعلي بن الحسن الطاطري [١] والقاسم بن محمّد الجوهري
وشعيب بن يعقوب العقرقوفي وموسى بن أكيل النميري [٢]
واحمد بن محمد السّيّاري وبكر بن محمد الأزدي
وأيّوب بن نوح النخعي ومحمّد بن أحمد العلوي
وسليمان بن حفص المروزي ومحمد بن سليمان الديلمي
وأبي محمد هارون بن موسى التلعكبري ومحمّد بن مسعود العيّاشي
وأبي الصّبّاح الكناني [٣] وأبي حمزة الثمالي [٤]
وأبي بكر الحضرمي [٥] وأبي عبد الله احمدبن محمد العاصمي

وأبي عبد الله محمد بن احمد الرّازي الجاموراني، وأنا أكتفي عنها بكلمات النسبة كما أكتفي عن: أبي عبدالله محمدبن محمدبن النعمان الملقّب بالمفيد، ومحمدبن الحسن الصّفّار.

والحسن بن موسى الخشّاب والحسن بن محبوب السّرّاد
والحسن بن زياد الصّيقل والحسن بن علي الوشّاء
والحسين بن نعيم الصحّاف وأبي عبيدة [٦] الحذّاء
وأبي أيّوب [٧] الخرّاز [٨] وعبد الله بن محمد الحجّال
وعبد الله بن ميمون القدّاح وعبيد الله بن عبدالله الدهقان
وعبد الله بن عبد الرحمن الأصم ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب الزّيّات
وأبي اسامة زيد الشحّام وأبي العباس محمد بن جعفر الرزاز
وأبي العباس الفضل بن عبد الملك البقباق وأبي جعفر محمد بن النعمان
الأحول الملقّب بمؤمن الطاق ويزيد بن اسحاق شعر

ومنصور بن يونس بزرج بالأوصاف والألقاب.

وكما أكتفي عن:

١ . سمّى الطاطري (بفتح الطائين) لبيعه ثياباً يقال لها الطاطرية ـ منه عزّ بهاؤه.

٢ . نمري، ق.

٣ . ٤ . ٥ . إسم أبي الصّباح: إبراهيم بن نعيم، وإسم أبي حمزة: ثابت بن دينار، وإسم أبي بكر: عبدالله بن محمد. منه مدّ ظلّه.

٦ . ٧ . اسم أبي عبيدة ـ زياد واسم أبي أيّوب ـ ابراهيم ـ منه مدّ ظله.

٨ . إختلفوا في هذا الرّجل مرّة في اسم أبيه ومرّة في صنعته، والتحقيق. يأتي في محلّ آخر إن شاء الله تعالى. أنظر ص٢١ ج١ وص٣٦٧ ج٢ من جامع الرّواة وص٤٤ ج١ وص٩ ج٧ من مجمع الرّجال. «ض.ع».

علي بن محمد بن بندار
واحمد بن محمد بن عيسى
والحسن بن محمد بن سماعة
ومحمد بن الحسن بن شمون
والحسن بن علي بن يوسف بن بقاح
والحسن بن علي بن فضال
وعلي بن الحسن بن رباط
وعلي بن احمد بن اشيم
وجعفر بن محمد بن قولويه
ومحمد بن اسماعيل بن بزيع
والحسين بن الحسن بن أبان
ومحمد بن علي بن محبوب
والحسن بن علي بن يقطين
والحسن بن علي بن أبي حمزة
ومحمد بن عبد الله بن هلال
ومحمد بن عبد الله بن زرارة
واحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة
وعلي بن محمد بن الزبير

بنسبتهم الى أجدادهم وحذف أسمائهم.

وكذلك أكتفي عمّن له إسم غريب باسمه عن اسم أبيه: كـ«مسمع» بن عبدالملك أبي سيّار الملقّب بـ(كردين).

ودرست بن أبي منصور الواسطي
وذريح بن محمد بن يزيد المحاربي أبي الوليد
ويقال له: ذريح بن يزيد
وذبيان بن حكيم الأودي
بضم المعجمة واسكان الموحدة
وبنان بن محمد بن عيسى

أخي احمد بن محمد بن عيسى بتقديم الموحدة على النون ويقال له: عبدالله بن محمد، وسماعة بن مهران الحضرمي، ورفاعة بن موسى النخاس الأسدي.

وكذلك أكتفي عمّن كان لأبيه اسم غريب بنسبته إليه وحذف اسمه كعلي بن رئاب وعلي بن أسباط، وغياث بن كلوب، وإسماعيل بن مرّار، وعن معاوية بن عمار ومعاوية بن وهب كذلك، وعن أكثر العبادله المشاهير المتكررة كذلك.

كما يفعلونه كثيراً مثل: عبد الله بن المغيرة، وابن أبي يعفور، وابن مسكان، وابن بكير [1] وعن الحسين بن علي بن يقطين اذا كان مع أخيه الحسن بأخيه، وعن أبيها اذا كان معهما بأبيه، كلّ ذلك اذا لم يحتمل غيره.

وربّما أحذف أسماء الآباء لدلالة القرائن عليها، كما أفعل في: علي بن ابراهيم

١ . إنّما لم نكتف عن عبدالله بن سنان بـ«ابن سنان» كما في نظرائه من العبادلة مع كثرة ذكره، لئلايشتبه بـ«محمد بن سنان» فانهم قديعبّرون عنه أيضاً بذلك كما نبّهنا عليه فيما سلف ـ منه دام بهاؤه.

ومحمدبن يحيى المتكرّرين في أوائل أسانيد الكافي. وفي: سهل بن زياد واحمدبن محمد المتكرّرين في ثوانيها.

وقد يقعان في أوائلها بحذف الصّدر، وكما أفعل في: أحمدبن محمد والحسين بن سعيد، وسعدبن عبدالله المتكررين في أوائل أسانيد التهذيب، أو أواسطها، وموسى بن القاسم البجلّي، المتكرّر في أوائلها في كتاب الحجّ، والنضربن سويد، وفضالة بن أيّوب المتكرّرين بعد الحسين غالباً، وأبان بن عثمان، وعثمان بن عيسى، وصفوان بن يحيى وحمّادبن عثمان، وحسين بن عثمان، المتكرّرين غالباً فيا قبل آخر السند أو آخره.

و يكتب حسين هذا بلا لام،وكما افعل في: عاصم بن حميد الرّاوي عن محمدبن قيس، وحميدبن زياد الرّاوي عن ابن سماعة، وعلي بن أبي حمزة الرّاوي عن أبي بصير والعلاءبن رزين، ومحمّدبن مسلم المتكرّرين معاً في أواخر السّند.

وأحذف اسم الجدّ في مثل: محمّدبن أحمدبن يحيى، واسم الأب في مثل: علي بن اسمعيل الميثمي المتكرّر في أوائل أسانيد التّهذيب ممّن لايشتبه.

وربّما يتكرر في أثناء أسانيد التهذيب أبوجعفر، ولاسيّما في كتابي الزكاة والصّيام منه، و يشبه ان يكون احمدبن محمدبن عيسى، وقدقطع بعض أصحاب كتب الرجال بأنه هو إذا روي عنه سعد إلّا أنّا اتبعنا صاحب التّهذيب في التعبير عنه بأبي جعفر في الأكثر [لعدم الجزم].

وقد وضعت لكل من الأصول الأربعة علامة، فعلامة الكافي (كا)، وعلامة الفقيه (يه)، وعلامة التهذيب (يب)، وعلامة الإستبصار (صا)، وعنوان مايتعلّق بشرح الحديث (بيان) والله المستعان.

تمهيد:

لقد كنت أردت أن أرتّب كتب هذا الكتاب أولاً على ماهوبه خليق، ثم أضع أبواب كلّ كتاب في مواضعها كمايليق، ثمّ أورد كل حديث في بابه واضعاً له على ترتيب هو به حقيق، فتعسّر ذلك عليّ على ماهوحقّه وكما أردت، وأبى أن يأتيني على

وجهه وكما شئت، وذلك لتشابه بعض الأخبار والعنوانات في التناسب والتقارب مع بعض، وكونه ذا وجوه في التقدّم والتأخر مع آخر، ولقرب بعض العنوانات من بعض وتشاركهما في أمر مع وجود موانع من الجمع بينهما، ولتشتّت الأخبار المتناسبة المتقاربة في الأماكن المتباينة المتباعدة من الكتب الأربعة، وذهابها عن النّظر في أوقات نقلها ولإشتمال بعضها على الأحكام المتباينة مع تعسّر التفريق وحزازة التكرير ـ الى غير ذلك من الأسباب.

ومع ذلك كلّه قد بذلت جهدي في الإتيان بما أردت على حسب المقدور وبقدر الميسور، فإنّ مالايدرك كلّه لايترك كلّه، فربّما فرّقت حديثاً واحداً يشتمل على حكمين في بابين، وكرّرت الاسناد رعاية لمناسبة العنوان، وهذا ممّايفعله أرباب الحديث كثيراً.

وربّما أوردت طائفة من الأخبار الواردة في حكم واحد في باب، وذكرت سائرها في باب آخر مع الإشارة إلى ذلك في كلّ منها لكون هذه أربط بهذا، وذاك بذاك وكلّ حديث يناسب بابين أو أكثر أو كتابين أو أكثر أوردته في الأقدم،ثمّ أحلت عليه فيما تأخّر، وربّما عكست الأمر إذا كان بالمتأخر أربط، وربما كرّرت فجاء بحمد الله قريباً ممّاأردت (وحافظت على عنوانات أبواب «الكافي» وترتيباته ماأمكن وابتدأت في كلّ باب غالباً بذكر «مافيه» حتّى اذا استوفيت مافي الباب منه أتيت بمافي «التهذيب» و«الفقيه» إلّا إذا كان في الباب أمور مختلفة، فمهما فرغت من أمرها من الكافي أوردت ذلك الأمر من غيره أولاً، ثمّ أتيت بالأمر الآخر منه) [١].

وكلّ حديث يحتاج الى شرح فإن وجدت شرحه من حديث آخر ولومن غير الكتب الأربعة شرحته به، ولوبذكره في جنبه اذا كان منها، وإلّا فإن تعرّض لشرحه أحد المشايخ الثلاثة ولونادراً أو ألفيته في كلام غيرهم من أهل العلم أو أئمة اللّغة ولوأحياناً نقلته عنهم، وإلّا شرحته بعقلي بمقدار فهمي القاصر وعلى مبلغ علمي النّاصر، فإن أصبت فمن الله جلّ وعزّ وله الحمد والمنّة على ذلك، وإن أخطأت فمن

١ . مابين القوسين ليست في الأصل أوردناها من سائر النسخ.

نفسي والله غفور رحيم.

وأمّا التوفيق والجمع بين الأخبار المختلف ظاهرها بالتأويل، فاوجدت منه في الفقيه ـ ولوعلى الشذوذ ـ نقلته عنه، وكذا ماذكره في «التهذيب والإستبصار» ممّا كان قريباً معتبراً عنها معاً بـ(التهذيبين)، وماكان بعيداً فربّما لم أتعرّض له، وربّما أشرت الى بعده من غير ذكر له، ثمّ إن خطر لي فيه تأويل غير بعيد ذكرته، وإلّا فان أمكن الترجيح بحسب الأسناد أو موافقة القرآن والسّنة، أو مخالفة العامّة بالحمل على التقيّة أشرت إليه، وإلّا تركته على حاله ليكون من المتعارضات الّتي يكون الحكم فيها التخيير.

تمهيد:

إعلم أنَّ لفظة «الواجب» و«السنّة» و«الأمر بالشّيء» في كلام أهل البيت (عليهم السلام) أعمّ من الفرض والإستحباب، وكذا لفظة «الكراهة» و«النهي عن الشيء» أعمّ من التحريم والتنزيه، ولكلّ مراتب في الشّدة والتأكّد وعدمها وتخصيص الألفاظ الخمسة بالأحكام الخمسة مجرّد اصطلاح من المتأخّرين محدث.

وعلى هذا فاطلاق «الوجوب» على فعل شيء أو [١] الأمر به في حديث لاينافي نفي البأس عن تركه في آخر، وكذا إطلاق «السّنة» على فعل في خبر لاينافي الحكم بالمعصية على تركه في آخر. وكذا اطلاق «الكراهة» على فعل شيء أو النّهي عنه في رواية لاينافي نفي البأس عن فعله في أخرى.

وربّما يكون ايجاب شيء أو تحريمه أصلاً فيه، ومع هذا وردت رخصة في خلافه وتكون تلك الرّخصة لذوي الأعذار وأهل الزّمانة والإضطرار وهذه قواعد يمكن أن يجمع بها بين كثير من الأخبار المتنافية بحسب الظّاهر، وقد تعرّض لها في «التهذيب والإستبصار» في غير موضع، وأمّا نحن فنكتفي غالباً بهذا التمهيد وفي مواضعه فلانعيد.

١ . والأمر به ـ مكان أو الامر به، ك .

تمهيد:

قد رتبت هذا الكتاب على أربعة عشر جزءً وخاتمة، كل جزء كتاب على حدة هذا فهرسه [١]:

كتاب العقل والعلم والتوحيد
كتاب الحجّة
كتاب الايمان والكفر
كتاب الطهارة والتزيّن
كتاب الصلاة والدعاء والقرآن
كتاب الزكاة والخمس والمبرّات
كتاب الصيام والاعتكاف والمعاهدات
كتاب الحجّ والعمرة والزيارات
كتاب الحسبة والأحكام والشهادات
كتاب المعايش والمكاسب والمعاملات
كتاب المطاعم والمشارب والتجمّلات
كتاب النكاح والطلاق والولادات
كتاب الجنائز والفرائض والوصيّات
كتاب الروضة الجامعة للمتفرقات

واما الخاتمة

فنذكر فيها ماترك في كلّ من (الفقيه والتّهذيبين) من صدر الأسناد واستدرك في آخر الكتاب بالإيراد، و يندرج في المبرات (القرض والعتق والمكاتبة، والوقوف والهبات) وفي الحسبة ـ (الحدود، والجهاد والقصاص، والدّيات).

وفي المكاسب والمعاملات ـ (الصناعات، والتجارات، والزّراعات والإجارات والدّيون، والضمانات، والرّهون، والأمانات).

وفي التّجمّلات ـ (الملابس، والمراكب والمساكن والدّواجن).

وجعلت كلّ كتاب على أبواب، وأفردت كل جملة من أبواب كتاب واحد اشتركت في معنى بعنوان يخصّها، وعنونت الباب الأخير من تلك الجملة بالنّوادر وهي الأحاديث المتفرّقة التي لايكاد يجمعها معنى واحد حتى تدخل معاً تحت عنوان

١ . قال في القاموس: الفهرس بالكسر، الكتاب الذي تجمع فيه الكتب معرب فهرست.
وقال في نثر اللّئالئ: الفهرس، كزبرج: مايجتمع فيه الأشياء، والفهرست لحن فاحش.
أقول: ولعلّ مراده أنّه لحن في لغة العرب، إنّه ليس بعربي، وإلّا فهو في لغة الفرس صحيح كما أشار إليه في القاموس بل هو في العرب أيضاً أفصح وأشهر من الفهرس حتى يورد فيهم في الأكثر من غير تعريب، كما لايخفى على المتتبع لكتبهم المتداولة وكلماتهم المقاولة بينهم ـ منه (قدس سرّه).

وأوردت من الآيات القرآنية في أوّل كلّ كتاب مايناسبه، ثمّ في أوّل كلّ جملة من الأبواب مايناسبها.

وكرّرت البيانات اللّغوية في الجمل المتعدّدة من الأبواب، لبعد العهد دون الجملة الواحدة أو مامرّ منها في أواخر الجملة السابقة واحتيج إليها في أوائل اللاحقة في كتاب واحد لقربه. ولم أكرّر البيانات المعنوية الّتي احتاجت الى بسط في الكلام بل أحلت الى موضعه الأوّل.

وربّما تعرضت لتفسير بعض الألفاظ التي لايكاد يحتاج الى التّفسير عند المحصّل لالتماس جماعة من الإخوان، ذلك لكي يعمّ نفعه من لم يكن له كثير معرفة بالفنون العربية ممّن خلصت نيّته، وصلحت سريرته من الطّالبين، ولم أتعرّض لكشف غوامض بعض الأحاديث الأصولية وحلّ مرموزاته كما ينبغي لقصور أفهام الجمهور عن دركها على ماهي عليه، إذ كانت من العلوم التحقيقيّة التي أمرنا بكتمانها.

وبذلت جهدي في أن لاأتنطق في البيانات إلّا باصطلاحات أهل ظواهر الشرائع والديانات مااستطعت دون اصطلاحات أهل السّرّ ممّن خفيت مقاصدهم عن أفهام الجماهير وماتوفيقي إلّا بالله، عليه توكلّت وإليه أنيب.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله والصّلاة والسلام على رسول الله، ثمّ على أهـل بيت رسول الله

ثمّ على رواة احكام الله، ثم على من انتفع بمواعظ الله.

كتـــاب العقل والعلم والتوحيد

وهو الجزء الأول من أجزاء كتاب الوافي تصنيف محمد بن مرتضى المدعو بمحسن أيده الله تعالى:

الآيات:

قال الله عزّ وجل: وَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحيم[1].

إِنَّ في خَلْقِ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتي تَجْري فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النّاسَ وَما أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وَتَصْريفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ[2].

وقال سبحانه في غير موضع من كتابه: إِنَّ في ذٰلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ[3].

وقال جلّ اسمه: هَلْ يَسْتَوِي الَّذينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْباب[4].

وقال عزّ وجلّ: شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ[5].

١ . البقرة/١٦٣.

٢ . البقرة/١٦٤.

٣ . الرعد/ ٤ ـ و ـ النحل/١٢ ـ و ـ الروم/٢٤.

٤ . الزمر/٩.

٥ . آل عمران/١٨.

وقال: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَٰؤُا [١]

وقال: وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ [٢].

وقال سبحانه: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ [٣].

١. فاطر/٢٨.

٢. سبأ/٦.

٣. المجادلة/١١.

ابواب العقل والعلم[1]

الآيات:

قال الله تبارك وتعالى: وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ [2].

١ . قال الحكيم المتألّه المحدّث المتفقّه علاّمة عصره رفيع الدّين النّائيني (قدس سرّه): العقل يطلق على حالة في النفس داعية إلى اختيار الخير والنّافع، بها يدرك الخير والشرّ ويميّز بينهما و يتمكّن من معرفة أسباب المسبّبات ومايتفع فيها ومايضرّ، وبها تقوى على زجر الدّواعي الشّهوانية والغضبية ودفع الوساوس الشّيطانيّة، و يقابله الجهل و يكون بفقد أحد الأمور و بفقد أكثرها و بفقد جميعها وقديطلق و يراد به قوّة إدراك الخير والشرّ والتميز بينهما.

ثم قال: بناءأعلى ثبوت العقل المجرّد الّذي يقول به الحكماء وإنّه أوّل خلق من الروحانيين كما يأتي، انّ النفس بارتباطها بالعقل المجرّد الّذي خلقه الله أولاً قبل خلق النّفس، إشراق من ذلك العقل. فبذلك الإعتبار يطلق العقل على ذلك الإشراق كما يطلق على الأصل الصادر منه ذلك الإشراق، في بعض الأحاديث استعمل في الأوّل وفي بعضها في الثّاني يعرف بالتّدبّر. يعني مثلاً لتّاتسب الخلق إليه وجعله أوّل مخلوق من الرّوحانيّين وكلّمه فالمراد منه في هذه العبارة العقل المجرّد السّابق الّذي يقول به الحكماء، فإنّ العقل الّذي جعل في آدم أبي البشر لاينسب إليه الخلق مستقلاً وليس أوّل روحانيّ، بل الملائكة أسبق، بل هو قوّة من قوى أبينا آدم (عليه السلام).

ولايدلّ قوله: ماخلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك على وجود مخلوق قبل العقل كما توهّم، فإنّ الماضي قديراد به المستقبل. ولماقال: إيّاك أعاقب وإيّاك أثيب، فباعتبار إشراقه على النّفوس الإنسانيّة والعقاب على النّفوس لاعلى العقل المجرّد كما يقال: خلق الله الشمس في السّماء وأنبت بها البقل في الأرض (يعني أنبت بإشراقها)«ش».

٢ . العنكبوت/٤٣.

-١-

باب العقل والجهل

١ - ١ (الكافي - ١:١٠) محمد، عن احمد، عن السرّاد، عن العلاء، عن محمد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لمّا خلق الله تعالى العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فاقبل، ثمّ قال له: أدبر، فادبر، ثم قال: وعزّتي وجلالي ماخلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك ولاأكملتك إلّا في من أُحبّ أما انّي إيّاك اٰمر واٰيّاك أنهى وإيّاك أُعاقب وايّاك أُثيب» [١].

٢ - ٢ (الكافي - ١:٢٦) محمدبن الحسن، عن سهل، عن التميمي، عن العلاء عن محمد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لمّا خلق الله تعالى العقل قال له: أقبل فأقبل، ثمّ قال له: أدبر، فأدبر فقال: وعزّتي ماخلقت خلقاً أحسن منك إيّاك اٰمر وإيّاك انهى وإيّاك أُثيب وإيّاك أُعاقب» .

١ . قال في «الهدايا» العقل لغة له معان: منها الفهم وهوالإدراك البشري مطلقاً. وشرعاً ماهومناط التكاليف الشرعية والثواب والعقاب.

وفي عرف المعصومين عليهم السلام يطلق على أشياء: فتارة على المخلوق الأول من مخلوقات الله تبارك وتعالى وهو نور نبيّنا سيد المرسلين وخاتم النبيّين(ص) وأخرى على حالة ذلك النور ومعرفته وكذا تارة على نور اله المنشعب من نوره وعلى نور شيعتهم المنشعب من نورهم كنور الأنبياء والمرسلين وشيعتهم....

ثم قال: وقال برهان الفضلاء سلّمه الله تعالى: المراد بالعقل في هذا الحديث مابه يراعى اداب الحسنة في تحصيل علم الدين والعمل بمقتضاه على قدر الوسع والطاقة، لاالعقل الذي شرط التكليف وهوضد الجنون. «ض.ع».

بيـــان:

هـذا الحـديـث مـمّـا روتـه العامة والخاصّة بأسانيد مختلفة وألفاظ متغايرة والعقل جـوهـر ملكوتي نوراني خلقه الله سبحانه من نور عظمته و به أقام السماوات والأرضين ومافيهنّ ومابـينهنّ من الخيرات ولأجله ألبس الجميع حلّة نور الوجود و بوساطته فتح أبواب الكرم والجودولولاه لكُنّ جيعاً في ظلمة العدم ولأُغلقت دوننا أبواب النعم وهو أوّل خـلـق مـن الرّوحانيين عن يمين العرش، وهو بعينه نور نبيّنا (صلى الله عليه وآله وسلم)، وروحه الّذي تشعّب منه أنوار أوصياءه المعصومين وأرواح الأنبياء والمرسلين (سلام الله عـليهـم أجمعين)، ثمّ خلقت من شعاعها أرواح شيعتهم من الأوّلين والآخرين.

قـال نـبـيّـنـا (صلى الله عليه وآله وسلم) «أول ماخلق الله [تعالى] نوري» [1] وفي روايـة أخـرى «روحـي» [2] وفي الحـديـث الـقـدسـي مخاطباً إيّاه: «لولاك لماخلقت الأفلاك» [3] وفي هذا المعنى وردت روايات كثيرة .

وفي حـديـث المفضّـل عـن الـصادق (عليه السلام)[4]: «إنّا خلقنا أنواراً وخلقت شيـعـتـنـا مـن شـعاع ذلك النّور، فلذلك سمّيت شيعة، فإذا كان يوم القيامة التحقت السّفلى بالعليا» .

«استـنـطـقـه» جـعـله ذا نطق وكلام يليق بذلك المقام ليصير أهلاً للخطاب، أو طلب منه النّطق بأن قال له «تكلّم» كما ورد في رواية أخرى يأتي ذكرها في آخر هذا البيان إن شاء الله تعالى .

«أقبل» الإقبـال والإدبـار في هذا الحديث يحتملان معنيين مبتنيين على معنيي

١ ـ البحار ـ ١٥:٢٤ ح٤٤

قـال السّـيّـد الـدامـاد تـغمّده الله بغفرانه: أوّلية خلق نوره (صلى الله عليه وآله وسلم) إنّما هي في الدّرجة والرّتبة، لأن درجة نـفـس الإنـسانـيـة الـكاملة التي هي في حاقّ الكمال في سلسلة العود درجة المخلوق الأوّل الذي هو أوّل الأنوار العقلية في سلسلة البدو.

أقول: هذا طريقة أهل النظر وماقلنا طريقة الموحّدين ـ منه رحمه الله تعالى.

٢ ـ البحار ـ ٥٧:٣٠٩

٣ ـ الأنوار لأبي الحسن البكري ١:٥

٤ ـ البحار ٢/٢١.

العقل المتغايرين بالإعتبار، فإنّا إذا حملنا العقل على روح نبيّنا (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ظهوره في هذا العالم وتكوّنه فيه، فمعنى إقباله عبارة عن اكتسابه الكمالات وترقياته في الدّرجات إلى أن يصل إلى الله سبحانه، وهو المعبّر عنه بالعقل المكتسب كما يأتي بيانه .

وإدباره عبارة عن رجوعه إلى الخلق، لتكميل من يقبل التّكميل، وإن حملناه على المخلوق الأوّل قبل نزوله إلى هذه النّشأة الدّنياو ّية فمعنى إقباله إقباله الى الدّنيا، يعني أقبل إلى الدّنيا واهبط إلى الأرض رحمة للعالمين، والتّعبير عن هذا المعنى بالإقبال باعتبار أن الله سبحانه بكلّ شيء محيط، فالإقبال إليه عين الإدبار عنه و بالعكس ولهذا عبّر عن هذا المعنى في هذا الحديث على هذا الإحتمال بالإقبال، وفي الحديث الآتي: بـ«الإدبار» .

«فأقبل» معناه على المعنى الأوّل قد تبيّن ممّا ذكر، وكذا معنى «أدبر» وعلى المعنى الثّاني «فأقبل» أي فنزل إلى هذا العالم فأفاض النّفوس الفلكيّة بإذن ربّه، ثم الطّبائع، ثم الصور، ثم المواد، فظهر في حقيقة كلّ منها وفعل فعلها فصار كثرة واعداداً وتكثّر أشخاصاً وأفراداً .

ثم قال له «أدبر» [1] ارجع إلى ربك «فأدبر» فأجاب داعي ربّه وتوجّه إلى جناب قدسه .

بأن صار جسماً مصوّراً من ماء عذب وأرض طيبة، ثم نبت نباتاً حسناً، ثم صار حيواناً ذا عقل هيولاني [2]، ثم صار عقلاً بالملكة، ثمّ عقلاً مستفاداً، ثمّ عقلاً بالفعل ثم فارق الدّنيا ولحق بالرفيق الأعلى. وكذلك فعل كلّ من تبعه وشيّعه من الأرواح

١ . قوله: «فقال له «أدبر» فإن قيل في الحديث الأوّل ذكر الأمر بالإقبال أولاً بعكس مافي هذا الحديث. قلنا: لامنافاة لجواز تعدّد الأمر بالإقبال والأمر بها يعني بأن يكون الأمر بالإقبال مرّتين: مرّة قبيل الإدبار وأخرى بعده أو يكون الأمر بها كلاهما مرّتين. ومع ذلك فتأخّر الإقبال أظهر، فإنّه يقبل إلى الله بعد الهبوط الى الإمكان. وأمّا التوجه الى الخلق بعد الإقبال على الله في السّفر الثّالث للأولياء فاطلاق الإدبار عليه بعيد، فإنّه سفر الى الخلق بالحقّ. «ش».

٢ . قوله: ذا عقل هيولاني العقل الهيولانيّ هو القوّة القابلة للصّور العلميّة.

والعقل بالملكة: هو ادراك البديهيّات.

والعقل بالفعل: هو القوة المنطقيّة الكاسبة للعلوم النّظرية بواسطة النّظر والإستدلال، وهذا يسمّى عقلاً مستفاداً إن كان كاملاً «ش» .

المنشعبة منه المقتبسة من نوره أو المتبجسة [1] من شعائه، و يلحق به الجميع ويحشر معه في عروجه الى العالم الأعلى ورجوعه الى الله تعالى .

فإقباله عبارة عن توجهه الى هذا العالم الجسماني وإلقائه عليه من شعاع نوره واظهاره الأعيان فيه وإفاضاته الشّعور والإدراك والعلم والنّطق على كلّ منها بقدر إستعداده له، وقبوله منه من غير أن يفارق معدنه ويخلّي مرتبته ومقامه في القرب بل يرشح بفضل وجوده الفائض من الله عزّ وجل على وجود مادونه .

وإدباره عبارة عن رجوعه الى جناب الحق وعروجه الى عالم القدس باستكماله لذاته بالعبودية الذّاتية شيئاً فشيئاً من أرض المادّة الى سماء العقل حتى يصل الى الله تعالى و يستقرّ الى مقام الأمن والراحة، و يبعث الى المقام المحمود الذي يغبطه به الأوّلون والآخرون. فإقباله في جميع المراتب ايجابي تكويني لايحتمل العصيان، وأمريّ دفعيّ لايدخل تحت الزمان. ولايتطرق إلى السابق عند وجود اللاحق بطلان ولانقصان ، وإدباره في الأواخر تكليفي تشريعي وكلّه خلقيّ تدريجيّ مقيّد بالزمان يبطل السّابق عند حدوث اللاّحق شخصاً وجسماً لاحقيقةً وروحاً، وكلّ مرتبة منها عين نظيرته من الآخر حقيقة وغيره شخصاً.

ومثل نور العقل في عالم الغيب مثل نور الشمس في عالم الشهادة فكما أنّ عين البصر تدرك بنور الشمس المحسوسات في هذا العالم ولولاه لماأبصرت شيئاً فكذلك عين البصيرة تدرك بنور العقل المعقولات في ذلك العالم ولولاه لما أبصرت شيئاً وكما أنّ من عمى بصره لايبصر بنور الشّمس شيئاً، فكذلك من عميت بصيرته لايبصر بنور العقل شيئاً.

ثم إنّ هذه الأنوار الشّعاعيّة المنبجسة من ضياء العقل والنّور المحمّدي منها ماهو غريزي للإنسان به يتهيّأ لإدراك العلوم النّظرية وتدبير الصّناعات الخفيّة فيخرجها من القوّة الى الفعل شيئاً فشيئاً، وبها يفارق سائر الحيوانات ومنها ماهو مكتسب له به يميز بين النّافع له في المال والضّارّ به فيه، فيقدم على النّافع و يجتنب الضّارّ ويختار الآجل

[1] . الانبجاس: التبوع في العين خاصّة أو عامّ ـ قاموس.

الباقي على العاجل الفاني في النفع و بالعكس في الضّرر، وهو ثمرة الأوّل والغاية القصوى له وتؤيّده الملائكة وتلهمه وتهديه .

والى كلا العقلين أشيرفيماينسب إلى اميرالمؤمنين صلوات الله عليه انه قال :

رأيت العقل عقلين	فمطبوع ومسموع
ولاينفع مسموع	إذا لم يك مطبوع
كما لاينفع الشمس	وضوء العين ممنوع

ولكل منها درجات ومراتب: فكامل وأكمل وناقص وأنقص .

«إيّاك آمر» إمّا على حقيقته أو بمعنى بك ولأجلك، إذ العقل هو المكلّف أو هو ملاك [1] التّكليف .

و«إياك أعاقب» يعني عند انغمارك في التّعلّقات الجسمانيّة واستغراقك في الشّهوات الدّنياوية وإلّا فالجوهر العقلي من جهة ذاته بذاته سعيد في الدّنيا والآخرة لاذنب له ولامعصية . وإنّما يعتريه شيء من ذلك لأجل صحبة البدن ومخالطة الوهم والخيال والنّزول في منزل الأرذال.

هذا ماعندي في شرح هذا الحديث، وانّما اقتبسته من مشكوة أنوار أئمّتنا (عليهم السّلام) وإفاضة أشعّة أضوائهم، فإنّ عطاياهم لا تحملها إلّا مطاياهم. وسيأتي في كلماتهم (عليهم السلام) مايؤكّده و يحقّقه إنشاءالله تعالى .

وزاد في «محاسن البرقي» في آخر الحديث: فأعطى محمّداً (صلى الله عليه وآله وسلم) تسعة وتسعين جزءاً، ثمّ قسّم بين العباد جزءاً واحداً وكأنّه أريد بالجزء الواحد الجزء الشّعاعي الذي لاينتقص بانبجاسه من عقل الكلّ شيء منه وإنّما قيل ذلك تمثيلاً للنّسبة.

وروى [2] الشّيخ الصدوق ابوجعفر محمّدبن علي بن موسى بن بابويه (رحمه الله) في كتاب «الخصال» [3] مرسلاً عن عليّ (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى

١ . ملاك الأمر: مايتقوّم به و يعتمد عليه... وأهل اللّغة يكسرون الميم و يفتحونها ـ مجمع البحرين.
٢ . ورواه مسنداً عنه عليه السلام في كتاب علل الشرائع ـ منه ف.
٣ . خصال ص٤٢٧

الله عليه وآله وسلم): إنّ الله تعالى خلق العقل من نور مخزون مكنون في سابق علمه الّذي لم يطّلع عليه نبيّ مرسل ولاملك مقرّب، فجعل العلم نفسه والفهم روحه والزّهد رأسه والحياء عينيه والحكمة لسانه والرّأفة همّته والرّحمة قلبه.

ثمّ حشاه و قوّاه بعشرة أشياء: باليقين، والإيمان، والصّدق، والسكينة والإخلاص، والرّفق والعطيّة، والقنوع، والتسليم، والشّكر. ثم قال عزّ وجلّ له: «أدبر» فأدبر، ثم قال له: «اقبل» فأقبل ثم قال له: «تكلم» فقال:

الحمد لله الذي ليس له ضدّ ولاندّ ولاشبيه ولا كفو ولاعديل ولامثل، الّذي كلّ شيء لعظمته خاضع ذليل، فقال الرّب تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي ماخلقت خلقاً أحسن منك ولاأطوع لي منك ولاأرفع منك ولاأشرف منك ولاأعزّ منك، بك أحيي وبك آخذ وبك أعطي وبك أُوحّد وبك أُعْبَد وبك أُدعىٰ وبك أُرتجىٰ وبك أُبتغىٰ وبك أُخاف وبك أُحذر وبك الثّواب وبك العقاب.

فخرّ العقل عند ذلك ساجداً، وكان في سجوده ألف عام، فقال الرّب تبارك وتعالى: إرفع رأسك وسل تعط. واشفع تشفع. فرفع العقل رأسه فقال: إلهي أسألك أن تشفعني فيمن خلقتني فيه، فقال الله عزّ وجلّ لملائكته: أشهدكم انّي قدشفّعته فيمن أخلقه فيه» ويأتي لبعض ألفاظ هذا الحديث بيان في ضمن بيان بعض الأخبار الآتية ان شاء الله تعالى[1]. وفي هذا المقام أسرار لايحتملها أفهام الجمهور فلنذرها في سنابلها.

٣ - ٣ (الكافي - ١: ٢٠) العدّة، عن أحمد، عن علي بن حديد، عن سماعة قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السلام) وعنده جماعة من مواليه، فجرى ذكر العقل والجهل، فقال أبوعبدالله (عليه السلام): «إعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا». قال سماعة: فقلت جعلت فداك لانعرف إلّا ماعرّفتنا.

١. هذا الحديث رواه الصدوق أيضاً في «الخصال» و«العلل» والبرقي في «محاسنه» مع تفاوت أشرنا إليه في مواضعه ـ منه رحمه الله، ك.

فقال أبو عبدالله (عليه السلام) «إن الله تعالى خلق العقل، وهو أوّل خلق من الرّوحانيين عن يمين العرش من نوره فقال له: أدبر فأدبر، ثمّ قال له: أقبل فأقبل [١]، فقال الله تعالى: خلقتك خلقاً عظيماً وكرّمتك على جميع خلقي. قال: ثمّ خلق الجهل [٢] من البحر الأجاج ظلمانيّاً فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فلم يقبل، فقال له: استكبرت، فلعنه، ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً .

فلمّا رأى الجهل ماأكرم الله به العقل وماأعطاه أضمر [٣] له العداوة، فقال الجهل: يا ربّ، هذا خلق مثلي خلقته وكرّمته وقوّيته، وأنا ضدّه ولاقوّة لي به، فأعطني من الجند مثل ماأعطيته،فقال: نعم، فان عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي، قال: قدرضيت، فأعطاه خمسة وسبعين جنداً، فكان ممّا أعطى العقل من الخمسة وسبعين الجند .

(١) الخير وهو وزير العقل وجعل ضدّه الشّرّ وهو وزير الجهل .
(٢) والإيمان وضده الكفر .
(٣) والتصديق وضده الجحود .
(٤) والرّجا وضدّه القنوط .
(٥) والعدل وضدّه الجور .
(٦) والرّضا وضدّه السّخط .
(٧) والشّكر وضدّه الكفران .
(٨) والطّمع وضدّه اليأس .
(٩) والتوكّل وضدّه الحرص .

١ . فقال له: أقبل فاقبل، ثم قال له: ادبر: فأدبر ـ كذا في الخصال. لك .
٢ . قوله: ثم خلق الجهل من البحر الأجاج أي من المادّة الظلمانية الكدرة أو بوساطتها، والمراد بالجهل مبدأ الشرور والمضار والمكائد والآفات والمناقص والمفاسد كما أنّ العقل مبدأ الانكشاف واختيار الخير والنافع ـ رفيع(ره).
قال السيد الداماد تغمّده الله بغفرانه: المراد بالجهل مبدؤه الذي هو القوة الجاهلة، كما أن المراد بالعقل هو القوة العاقلة.
أقول: المبدأن أولى بذينك الإسمين ـ منه دام عزّه.
٣ . أظهر، كذا في العلل، لك .

(١٠) والرّأفة وضدّها القسوة .

(١١) والرّحمة وضدّها الغضب .

(١٢) والعلم وضدّه الجهل .

(١٣) والفهم وضدّه الحمق .

(١٤) والعفّة وضدّها التّهتّك .

(١٥) والزّهد وضدّه الرّغبة .

(١٦) والرّفق وضدّه الخرق .

(١٧) والرّهبة وضدّها الجرأة .

(١٨) والتّواضع وضدّه الكبر .

(١٩) والتّؤده[١] وضدها التسرّع .

(٢٠) والحلم وضدّه السفه .

(٢١) والصّمت وضدّه الهذر .

(٢٢) والإستسلام وضدّه الإستكبار .

(٢٣) والتّسليم[٢] وضدّه الشكّ .

(٢٤) والصّبر وضدّه الجزع .

(٢٥) والصّفح وضده الإنتقام .

(٢٦) والغنا[٣] وضدّه الفقر .

(٢٧) والتّذكّر وضده السهو .

(٢٨) والحفظ وضدّه النّسيان .

(٢٩) والتعطّف وضده القطيعة .

(٣٠) والقنوع وضده الحرص .

١ . التّؤدة: بضم التاء وفتح الهمزة وسكونها: التأني والتمهل والرزانة ـ لسان العرب.

٢ . التّسليم وضدّه التجبر، والعفو وضدّه الحقد، والرقة وضدها القسوة، واليقين وضده الشك كذا في «المحاسن» و«الخصال» و«العلل»، لك .

٣ . قوله: والغنى وضده الفقر الغنى: كـ(الى) وإذا فتح مدّ، و ينبغي أن يحمل على غناء النفس، فإنّه من أحوالها وآثارها ومن توابع العقل، وأمّا الغناء بالمال فليس بصنعه. . رفيع رحمه الله.

(٣١) والمواساة وضدّها المنع .

(٣٢) والمودّة وضدها العداوة .

(٣٣) والوفاء وضدّه الغدر .

(٣٤) والطاعة وضدها المعصية .

(٣٥) والخضوع وضده التطاول .

(٣٦) والسّلامة وضدها البلاء .

(٣٧) والحبّ وضده البغض .

(٣٨) والصّدق وضدّه الكذب .

(٣٩) والحقّ وضدّه الباطل .

(٤٠) والأمانة وضدّها الخيانة .

(٤١) والإخلاص وضدّه الشّوب[1].

(٤٢) والشّهامة وضدها البلادة .

(٤٣) والفهم وضدّه الغباوة .

(٤٤) والمعرفة وضدّها الإنكار .

(٤٥) والمداراة وضدها المكاشفة .

(٤٦) وسلامة الغيب[2] وضدها المماكرة .

(٤٧) والكتمان وضده الإفشاء .

(٤٨) والصلاة وضدها الإضاعة .

(٤٩) والصّوم وضدّه الإفطار .

(٥٠) والجهاد وضده النّكول .

(٥١) والحجّ وضدّه نبذ الميثاق .

(٥٢) وصون الحديث وضده النّميمة .

(٥٣) و برّ الوالدين وضدّه العقوق .

١ . الشرك «علل»، ك .

٢ . القلب، كذا في «المحاسن» و«العلل»، لـ ..

(٥٤) والحقيقة وضدّها الرّياء .

(٥٥) والمعروف وضده المنكر .

(٥٦) والسّتر وضدّه التبرّج .

(٥٧) والتّقيّة وضدها الإذاعة .

(٥٨) والإنصاف وضدّه الحميّة .

(٥٩) والتّهيّة[1] وضدها البغي .

(٦٠) والنّظافة وضدّها القذر .

(٦١) والحياء وضدّه الخلع .

(٦٢) والقصد وضده العدوان .

(٦٣) والرّاحة وضدّها التّعب .

(٦٤) والسّهولة وضدها الصّعوبة .

(٦٥) والبركة وضدها المحق .

(٦٦) والعافية[2] وضدها البلاء .

(٦٧) والقوام وضدّه المكاثرة .

(٦٨) والحكمة وضدها الهوى .

(٦٩) والوقار وضده الخفّة .

(٧٠) والسّعادة وضدّها الشّقاوة .

(٧١) والتّوبة وضدها الإصرار .

(٧٢) والإستغفار وضده الاغترار .

(٧٣) والمحافظة وضدها التّهاون .

(٧٤) والدّعاء وضده الإستنكاف .

(٧٥) والنّشاط وضدّه الكسل .

١ . قوله: التّهيّة: الموافقة والمصالحة للجماعة وامامهم، وضدّها «البغي والمخالفة» رفيع. ويحتمل انها «النّهية» بالنون.

٢ . قوله: والعافية من المكاره وضدّها البلاء فالعاقل بالشّكر والعفو يدوم النّعم عليه و يعفى عنه والجاهل بالكفران وشدّة المواجدة يبتلى و يزول النّعم عنه. رفيع رحمه الله.

(٧٦) والفرح وضدّه الحزن .

(٧٧) والألفة وضدّها الفرقة .

(٧٨) والسّخاء وضده البخل[١].

ولايجتمع هذه الخصال كلّها من اجناد العقل إلّا في نبيّ أو وصي نبي أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان، وأمّا سائر ذلك من موالينا فإن احدهم لايخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتّى يستكمل و ينقي من جنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدّرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء، وانما يدرك ذلك بمعرفة العقل وجنوده ومجانبة الجهل وجنوده، وفقنا الله واياكم لطاعته ومرضاته.

بيـــان

«من مواليه» أي محبّيه وتابعيه «من الرّوحانيّين» بالضّمّ نسبة الى الرّوح والألف والنّون من مزيدات النّسبة «عن يمين العرش» العرش عبارة عن جميع الخلائق كما ورد في الحديث[٢] و يأتي ذكره، و يمينه أقوى جانبيه وأشرفهما وهو عالم الرّوحانيّات، كما أنّ يساره أضعفهما وأدونهما وهو عالم الجسمانيّات «من نوره»: من نور ذاته الّذي هو عين ذاته.

«أدبر» أي انصرف الى الدّنيا واهبط الى الأرض رحمة للعالمين، فمعنى الإدبار هاهنا بعينه هو معنى الإقبال في الحديث الأوّل على المعنى الثّاني

١ . وقال الشيخ بهاء الملّة والدين رحمه الله: لعل الثلاثة الزائدة احدى فقرتي «الرجاء والطمع» واحدى فقرتي «الفهم» واحدى فقرتي السلامة والعافيةفجمع الناسخون بين البدلين غافلين عن البدلية.

وقال الفاضل صدرالدين محمد الشيرازي: لعلّ الثلاثة الزائدة «الطمع والعافية والفهم» لاتحاد الأوّلين مع الرجاء والسلامة المذكورين وذكر الفهم مرتين في مقابلة اثنين متقاربين ولعل الوجه في ذلك انه لمّا كان كلّ منها غير صاحبته في دقيق النظر ذكرت عليحدة ولمّا كان الفرق دقيقاً خفيّاً لم يحسب من العدد ذكره في «الهدايا» ثم قال وقال بعض المعاصرين مثله ومراده من بعض المعاصرين «الفيض» رحمه الله ثم قال وقال الشارح المازندراني ليس في العنوان مايفيد الحصر إلّا مفهوم العدد ثم قال وقال السيد السند أميرحسن القايني رحمه الله لعل العبادات الأربع (الصلوة والصيام والحجّ والجهاد) محسوبة بواحد «ض.ع».

٢ . معاني الأخبار ٢٩

فلامنافاة بين الحديثين في التقديم والتأخير.

«أقبل» توجّه إليّ وترقّ إلى معارج الكمال باكتساب المقامات والأحوال «خلقاً عظيماً» إذ به يقوم كلّ شيء بعد تقويم الله تعالى إيّاه «وكرّمتك على جميع خلقي» إذ هو وسيلة إفاضة نور الوجود على الجميع .

«ثم خلق الجهل» وهو جوهر نفساني ظلماني خلق بالعرض و بتبعيّة العقل من غير صنع فيه غير صنع العقل، يقوم به كلّ مافي الأرض من الشّرور والقبائح، وهو بعينه نفس إبليس وروحه الّذي به قوام حياته الّذي تشعّب منه أرواح الشّياطين، ثمّ خلقت من ظلماتها أرواح الكفّار والمشركين «من البحر الأجاج» من المادّة الجسمانيّة الظلمانية الكدرة التي هي منبع الشرور والآفات في هذا العالم، وهو إشارة إلى علّته القابليّة.

قال الله تعالى: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ[1] أي كان بناء العالم الجسماني وقوامه على المادة التي لها قبول كل خير وشر، كالماء القابل للتّشكلات المختلفة بسهولة، فمنه عذب فرات ومنه ملح أجاج. وقال أبوجعفر الباقر (عليه السلام) [2] «انّ الله تعالى قبل أن يخلق الخلق قال: كن ماء عذباً [3] أخلق منك جنّتي وأهل

١ . هود/٧.
٢. الكافي ٢:٦
٣ . ولنورد مثالاً لهذا المقام يقرب به معناه الى الأفهام، فنقول و بالله التوفيق:

مثال العقل «ضوء الشمس» اذا كان قائماً بذاته.

ومثال الماء الذي خلق من عذبه أرواح السّعداء ومن أجاجه نفوس الأشقياء جرم الأرض الّذي هو العلّة القابليّة في حدوث الأشعّة والظّلال القابل لوقوعها عليه لمحاذاة الضّوء وعدمها.

ومثال أرواح السّعداء الطّيبة المتشعبة من العقل بالذّات أشعة ذلك الضّوء الشّارقة على وجه الأرض على حسب استعدادات مواقعها.

ومثال نفوس الأشقياء الخبيثة الصّادرة من العقل بالعرض الظّلال المحدودة المتميّزة الواقعة على وجه الأرض بتبعيّة الأشعة و بقدر قابليّة مواضعها.

ومثال إدبار العقل من العالم العلوي الى العالم السّفلي الّذي هو عبارة عن تنزّلاته نفساً ثم طبيعة ثم صورة ثم مادة وقوع الأشعة من الضوء على الأرض الأول فالثاني فالثالث فالرابع.

ومثال إقبالها الى العالم العلوي الذي هو عبارة عن معارجه جسماً ثم نباتاً ثم حيواناً ثم عقلاً بمراتبه الأربع رجوع الأشعة الى الضوء واتحادهما معه كما كان على عكس ترتيب الوقوع.

ومثال الجهل الظّلمة الواقعة فيما لايصلح من الأرض لقبول الشعاع أصلاً لحجاب ذاتي وكدورة أصلية.

ومثال إدبار الجهل ازدياد الظّلمة شيئاً فشيئاً بحسب بعدها من الضّوء بسبب تنزّلات العقل ومعارجه المشار اليها.

ومثال عدم اقباله بقائه على الظلمة المتأكدة المنتهية إلى الغاية ـ منه رحمه الله.

طاعتي، وكن ملحاً أجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثم أمرهما فامتزجا فمن ذلك صار يلد المؤمن كافراً والكافر مؤمناً.

و يؤيّد هذا التشبيه والتجوز و يشيده مايقال: إنّ نسبة المادة إلى مقبولاتها التي هي لابِستُها وخالِعتُها من الصور والأعراض نسبة البحر الى الأمواج.

«فقال له أدبر» أمر الله له أمر التكوين أن اهبط من عالم الملكوت والنور الى عالم المواد والظلمات مصلحة للنظام وابتلاء للأنام، إذ نظام هذا العالم وعمارته لاينصلح إلّا بنفوس شريرة[1] وقلوب قاسية، وتكميل السّعداء المهتدين لايتمشّى إلّا بوجود الأشقياء المردودين، ولأن يتحقّق مظاهر بعض الأسماء فيوجد آثارها كـ«العدل» و«المنتقم» و«الجبار» و«التوّاب» و«الغفور» و«العفوّ» فإنّها أسماء إلهية وصفات ربّانية لا تظهر آثارها وغاياتها إلّا إذا جرى على العبد ذنب، ولذلك ورد في بعض الأخبار: «لولا أنكم تذنبون لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم» .

«فأدبر»: فتوجه إلى عالم الزور و بُعد عن مقام الرحمة والنور هابطاً مع العقل حيث هبط وظهر في حقائق النفوس الفلكية والطبائع والصور والمواد، فصار جسماً مصوّراً من ماءٍ أجاج وأرض خبيثة منتنة، ثم صار نباتاً، ثم حيواناً ذا جهل هيولاني ثم اكتسب جهلاً بالملكة، ثم جهلاً مستفاداً، ثم جهلاً بالفعل، وعند ذلك انتهى إدباره وصار في غاية البعد عن الله سبحانه.

وكذلك فعل من تبعه وشيّعه من الأرواح الخبيثة المنشعبة منه و يلحق به و يحشر معه في هويّه الى دركات الجحيم ونزوله إلى أسفل سافلين، وإدباره في جميع المراتب تابع لإدبار العقل وإقباله جميعاً، وإنما تحقق بالعرض لابالذات، إذ كل من لم يقبل من شعاع نور العقل أو قلّ قبوله منه، بقي في ظلمة الجهل بمقدار عدم قبوله منه، وذلك لسوء استعداد مادته وخبث طينته.

١ . روى المفيد في كتاب «الدرة الباهرة عن الاصداف الطاهرة» عن أبي محمد العسكري عليها السلام، لوعقل أهل الدنيا خربت، لطف ـ رحمه الله تعالى، ف.
قال شيخنا في الذريعة بعد ذكر الكتاب في ج٨ ص٩٠ ينقل عنه المجلسي ونسبه... إلى الشيخ السعيد محمدبن مكى الشهيد. «ض.ع».

«ثم قال له أقبل» أمراً تكليفياً تشريعياً «فلم يقبل» لأنه بلغ بالإدبار أقصى مراتب الكمال المتصور في حقه، ولهذا استكبر لتأكّد وجوده الظلماني ورسوخه في ذمائم الصفات وقوة أنانيته واغتراره. والإقبال الى الحق انما يتيسر لنفوس السعداء لأجل ضعف وجودهم الجسماني وقبولهم التبدل في الأكوان الوجوديّة، وتطوّرهم في الأطوار الأخروية بفناء بعد فناء لبقاء فوق بقاء، وعدم تعلقهم بهذا الوجود ولا تقيدهم بهذه المحابس والقيود وترك التفاتهم الى شيء سوى مبدأ كل خير وجود، وليس شيء من هذه في الأشقياء بل هم متصفون بأضدادها.

«فلعنه» أبعده عن رحمته وطرده عن دار كرامته «خمسة وسبعين جنداً» المذكور في النسخ التي رأيناها عند التفصيل «ثمانية وسبعون» ولعل الثلاثة الزائدة «الطمع والعافية والفهم» لاتحاد الأولين[1] مع الرّجاء والسلامة المذكورين وذكر الفهم مرّتين في مقابلة اثنين متقاربين. ولعل الوجه في ذلك أنه لماكان كل منهما غير صاحبه[2] في دقيق النظر ذكر[3] على حدة، ولماكان الفرق دقيقاً خفياً والمعنى قريباً كما يأتي ذكره لم يحسب من العدد.

«أضمر له العداوة» قال أستادنا في العلوم الحقيقية صدر المحققين محمد بن ابراهيم الشيرازي قدس الله سره: إنما لم يعلن بالعداوة لعدم قدرته على إمضائها وذلك إنّه لمّا ظهر له من فضائل العقل ومحاسنه وماأكرمه الله به من العلوم والكمالات ماهو مسلوب عنه، ولايمكنه تحصيلها لنفسه لإعراضه عن الحق سابقاً بالإيجاب ولاحقاً بالإكتساب، ولايقدر أيضاً على جحودها وإنكارها لغاية ظهورها وظهور آثارها فغلبه الحسد والبغضاء.

فجعل تارة يكتسب لنفسه صفات مشبهة، وعلوماً مموّهة[4]، وأقوالاً مزخرفة

١ . قيل كأنّ كلّ واحد من الثلاث كانت في بعض النسخ بدل أختها، فوقع من النساخ الجمع بين الأختين غفلة. أقول: وفيه بعد لأنّ شيئاً منها ليس بجنب صاحبته في الذكر وقيل: بل العبادات الأربع التي هي الصلوة والصيام والجهاد والحجّ جند واحد، وهو أبعد، والأولى ماقلناه والله يعلم ـ منه مدّ ظلّه.

٢ . صاحبته ـ خ ل.

٣ . ذكرت ـ خ ل.

٤ . قول مموّه: أي مزخرف أو ممزوج من الحق والباطل، مجمع البحرين.

يتراءئ عند الجهال أنها كمالات، وأخرى يعارض العقلاء و يقاوم الحكماء بصفات تضاد صفاتهم، فالتطارد بين حزب الله وحزب الشيطان واقع إلى يوم القيامة، كما قال: «وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ»[1] هذا ملخص ماأفاده قدّس سره.

وفي العلل: أظهر له العداوة «مثلي» فاني مخلوقك كما أنه مخلوقك «مثل ماأعطيته» في القوة والكثرة، ليتحقق لي بكل منها المعارضة والمجادلة معه.

وذلك قول الله عز وجل: وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ[2].

«من رحمتي» أي من الرحمة العامة الواسعة التي وسعت كل شيء لا الخاصة التي هي لأهل السعادة خالصة، لخروج الجهل وجنده من تلك الرحمة أزلاً وأبداً. الخير المراد به معناه الحقيقي دون الاضافي وهو ظاهر وانما جعل وزير العقل لدخول سائر جنود العقل تحته كدخول سائر جنود الملك تحت حكم وزيره وكذا الكلام في الشر.

«والايمان» هو الإعتقاد الجازم الثابت بالله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكماله إنّما يكون بالعمل بمقتضاه «والتصديق» يعني بماظهر[3] حقيقته ولأهل الحق اذا عرفه «والرجا» هو بالقصر وقديمدّ والفرق بينه و بين الطمع ه‍..ذا بين القنوط[4] واليأس إمّا بأن يخصّ الرجاء والقنوط بالأمور الأخروية و. .خران بالأمور الدنيوية، كما يشعر به قوله سبحانه: لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً[5] وقوله عزّ وجلّ حكاية عن يعقوب عليه السلام: فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ[6].

١. الممتحنة/٤
٢. الذاريات/٤٩
٣. يظهر حقيته عليه أو لأهل الحق، ق.
٤. أمّا تخصيص الرّجا والقنوط بمايكون من الله سبحانه والطمع واليأس بمايكون من الناس فلاوجه له، ولاسيّما في هذا الحديث، لاقتضائه تقديم اليأس على الطمع في الذكر، لتعاكس الحمد والذمّ فيهما حينئذ، فيصير اليأس من جنود العقل والطمع من جنود الجهل ـ منه حفظه الله.
٥. الزمر/٥٣.
٦. يوسف/٨٧.

أو يخصّ الرجاء بمايكون بالاستحقاق والطمع بماليس بالإستحقاق وكذا الآخران. أو يخصّ أحدهما باعطاء الثواب والآخر بترك العقاب ومقابلاهما بمايقابلهما.

«والعدل» هو لزوم الاقتصاد في كل شيء من الأخلاق والأعمال ومعاملات الناس من غير ميل الى طرفي الإفراط والتفريط.

«والرضا» أي بقضاء الله عز وجل، وعلامته ترك الشكاية في نفسه وإلى غيره.
«والشكر» وهويكون باللسان بأن يحمد الله على نعمه و بالجنان بأن يعتقد أنها من الله سبحانه، و بالأركان بأن يصرفها في طاعة الله.

«والتوكل»: هوأن يكل أموره جميعاً الى الله تعالى ولايعتمد على الأسباب ولاينافيه السعي الإجمالي فيها من غير اعتماد[1] «وضده الحرص» هوبذل الجهد في التحصيل معتقداً أنه بدون ذلك لايحصل ولاشتماله على المعنيين، قوبل تارة بالقنوع كما يأتي وأخرى بالتوكل كما هنا. وقيل[2] بل الذي هوضد التوكل إنما هو بالضاد المعجمة والتحريك، ومعناه: الهمّ بالشيء والحزن له والوجد عليه. وتقسّم[3] البال في التوصل اليه.

«والرأفة» قيل[4] هي حال القلب المعنوي، والرحمة حال القلب الجسماني.
«وضده الجهل»، هوعدم العلم عمن شأنه أن يكون عالماً فهوغير الجهل الذي في مقابلة العقل الذي قدمرّ تفسيره.

«وضده الحمق» هو البلادة المفرطة، ولعلّ الفرق بينه و بين الغباوة كالفرق بين الجهل المركب والبسيط.

«والعفّة» هي اعتدال القوة الشهوية في كل شيء من غير ميل الى الإفراط والتفريط.

١ . من غير اعتقاد . ک .
٢ . قال في الهدايا «وقال السيد باقر ثالث المعلمين الشهير بداماد رحمه الله انّه «الحرض» بالضاد المعجمة والتحريك وهو الهمّ بالشيء والحزن له والوجد عليه و«الحرص» بالمهملة تصحيف... م ه ب وو ب الشّد السند أميرحسن القايني رحمه الله من يصحّف «الحرض» ضدّ التوكّل فيتوهمه بالصاد المهملة كما هوضد القناعة «ض.ع»».
٣ . تقسم البال: تفرق البال.
٤ . القائل جدّي المتبحر المتألّه صدرالمحققين محمدبن ابراهيم التبرازي انار الله برهانه (عهد).

«وضدها التهتك» هو افراط القوة الشهوية واستعمالها فيما لاينبغي.

«والزهد» يعني في الدنيا[١]، «والرفق» هو التلطف ولين الجانب.

«وضدّه الخرق» بالضم و بالتحريك، وهو الزجر والخشونة، وأصله الجهل والحمق، و يقال «الأخرق»، لمن لايحسن العمل والتصرف في الأمور أيضاً.

و«الرهبة» يعني من الله سبحانه «وضدها» الجرأة يعني على محارم الله سبحانه.

«وضده الكبر» هو مايكون في النفس كامناً، فان ترتب عليه الآثار فهو التكبّر والإستكبار.

«والتؤدة» هي التأنّي والتثبت في الأمور، «وضده السّفه» هو الخفة والطيش.

«والصمت» هو السكوت عمّا لايحتاج إليه «وضده الهذر» وهو الهذيان والكلام الذي لافائدة فيه.

«والإستسلام» هو الطاعة والإنقياد لكل ماهوحق، «والتسليم» هو الإذعان للحق من غير تزلزل واضطراب.

وربما يوجد في بعض نسخ الكافي وغيره[٢]: (والتسليم وضده التجبر، والعفو وضده الحقد، والرقة وضدها القسوة، واليقين وضده الشك).

و يمكن ارجاع بعض هذه الى غيره ممّاذكر.

و«الصبر» وهويكون على الطاعات، وعن المعاصي، وعلى المكاره.

و«الصفح» هو العفو والتجاوز.

و«الغناء»[٣] يعني بالحق، أوغناء النفس، أو[٤] التغاني، و«ضده الفقر» يعني الى الخلق، أو فقر النفس، أو التفاقر.

و«التذكّر» هو استحضار القوة المدركة الصورة[٥] العلمية من الحافظة، ثانياً بعد

١ . والرغبة فيا عند الله، وضدّه الرغبة في الدنيا والزهد فيا عند الله. ـ خ ل.

٢ . كلمة «وغيره» اشارة الى «المحاسن» و«الخصال» و«العلل» على مايظهر من حاشية «ك » كما مرّ. «ض، ع».

٣ . الغناء: بفتح الغين والمدّ، وبكسر الغين والقصر ضدّ الفقر. وأمّا بكسرالغين والمدّ فهومايطرب به من الصّوت «عهد» أيده‌الله.

٤ . والتغاني ـ خ ل.

٥ . لصورة ـ ط.

ماأدركها أولاً واختزنها فيها.

وفي بعض النسخ «التفكر» يعني في صنائع الله تعالى و بدائعه وآفات النفس و الأمور الأخرو ية ونحو ذلك.

و«ضده السهو» السهو: إن جعل ضد التذكر: فمعناه زوال تلك الصورة من المدركة لاالحافظة، فيمكن استحضارها ثانياً عند التفتيش والإمعان والاسترجاع وإن جعل ضد التفكر فمعناه الغفلة عما ينبغي أن يتفكر فيه.

و«الحفظ» يعني حفظ ماينبغي حفظه، وهو اختزان الصورة العلمية في الحافظة.

و«ضده النسيان» هو زوالها عن الحافظة .

و«التعطّف» هو الميل والإشفاق والرحمة .

و«القنوع» أي في أمور الدنيا بالقليل اليسير وعلى قدر الكفاية .

و«المواساة» هي المشاركة في المعاش والمساهمة في الرزق مع إخوانه الذين[١] هم نظراؤه في الدين.

و«المودّة» هي من الودّ بمعنى الحبّ، وكأنّ الفرق بينها و بين الحبّ أن الحبّ ماكان كامناً في النفس وربما لم يظهر أثره، بخلاف المودّة فإنها عبارة عن اظهار المحبة وابراز آثارها من التألّف[٢] والتعطف ونحو ذلك فالحب أعمّ وكذا مقابلاهما.

و«الوفاء» هو اتمام الحقوق وتوفيرها.

و«الخضوع» أي لمن ينبغي و يستحق له، وهو «التذلّل»، وربما يفرق بينه و بين الخشوع بأن يخصّ الخضوع بالصوت والبصر، والخشوع بالبدن، أو أحدهما بالقلب والآخر بالجوارح.

١ . لايخفى لطف هذا القيد وسداده، اذ المواساة وأداء حقوق الأخوة، انّما يجب مع اخوان الثقة كما يأتي في أبواب مايجب على المؤمن من الحقوق من كتاب الايمان والكفر. يوجد هذا بهامش الأصل بخط علم الهدى ورمّزه «٥» مكان رمز اسمه الشريف «عهد» .

٢ . التأليف، ق.

وضده «التطاول» هو الترفع والاستحقار.

و«السلامة وضدها البلاء» و يأتي أيضاً.

و«العافية وضدها البلاء» وربما يفرق بينهما بأن يجعل البلاء الذي هوضد السلامة بمعنى الامتحان والاختبار و يكون بالخير والشر، والبلاء الذي هوضد العافية: بمعنى البلوى والبليّة.

وربما يخصّ متعلق إحداهما بمايكون العبد سبباً له كالفسوق والعادات الرديّة والأخرى بمايكون من جهته سبحانه كالأمراض والعلل، أويخصّ احداهما بالروح والأخرى بالجسد، أو يخصّ إحداهما بالنفس والأخرى بمايخرج عنها كالأهل والمال والولد، والأوّل أولى.

وأما تفسير السلامة بسلامة الناس منه، وتفسير العافية بسلامته من الناس وتفسير البلاء المقابل للسلامة بابتلاء الناس به، والمقابل للعافية بابتلائه بهم[1] فبعيد جداً، وان كان هذان المعنيان لازمين لأكثر معانيهما وانما هما معاً معنى المعافاة.

ثمّ إن فسرناهما أو إحداهما بالخلو من الأمراض النفسانية والآراء الفاسدة والأعمال القبيحة فكونهما من جنود العقل، وكون ضدهما من جنود الجهل ظاهر فإن العاقل يتخلص منها لمعرفته بها والجاهل يختارها أو يقع فيها من حيث لايشعر.

وأمّا اذا فسرناهما أو احداهما بالخلوّ من الأمراض والعلل فبيانه يحتاج إلى بسط في الكلام، مع أنه ورد في الحديث «إن البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل».[2] فكيف يكون من جنود الجهل ماهو بالأنبياء والأولياء أخصّ و بهم أليق،فنقولُ وبالله التوفيق:

قد دلّ قوله سبحانه: مَاأَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ[3] على أنّ جميع المصائب من الأمراض والعلل وغيرها متسبب عن سيئات العبد ومعاصيه

١ . هذا التفسير لشيخنا البهائي العاملي الحارثي الهمداني، برد الله مضجعه «عهد».

٢ . في الكافي ٢: ٢٥٩ مافي معناه.

٣ . الشورى/٣٠

الناشئة من جهله، فهو بمقدار جهله وقلة عقله سبب لمعاصيه الموجبة لابتلائه بالبلايا.

وأمّا الأنبياء والأولياء فابتلاؤهم مخصوص بأبدانهم ومايتعلق بحياتهم الدنيوية فحسب، دون أرواحهم ومايرتبط بحياتهم الأخروية، وأبدانهم في معرض الغفلة والحجاب والبعد عن الله سبحانه اللازمة للبشرية، فهم إنّما يبتلون في أبدانهم بقدر غفلتهم ولوازم بشريّتهم في هذه الدار التي هي بمنزلة السجن لهم ليتخلصوا الى جناب القدس خالصين مخلصين «بفتح اللام» وهذا لاينافي عصمتهم، لأن عصمتهم إنما هي من الذنوب والمعاصي لاالمباحات المبعدة لهم عن عوالي المراتب الموجبة لابتلائهم بالمصائب ليعودوا إليها يدلّ على ذلك مانسب إليهم في القرآن ممالاينبغي وإن لم يكن معاصي.

وفي روضة الكافي باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله (عليه السلام)[1] قال: قلت له:

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ+ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [2] فقال: ياأبامحمد، تسلطه [3] والله من المؤمن على بدنه ولايسلّط على دينه، وقدسلط على أيوب (عليه السلام) فشوّه خلقه ولم يسلّط على دينه، وقد يسلّط [4] من المؤمنين على أبدانهم ولايسلّط على دينهم. قلت قوله تعالى: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ [5].

قال: الذين هم بالله مشركون يسلّط على أبدانهم وعلى أديانهم.

وربما يقال[6] المراد بالعافية والبلاء ماهو بحسب الآخرة والنشأة الدائمة فلايرد النقض.

١. الكافي ـ ٨:٢٨٨ حديث ٤٣٣

٢. النحل/٩٨-٩٩

٣. يسلط، في روضة الكافي.

٤. سلط ف، ق تسلط، ج.

٥. النحل/١٠٠.

٦. القائل جدّي العارف المتبحر صدرالمتألهين رحمه الله. «عهد».

أو يقال: المراد بهما مايكون من جهة العقل فحسب.

وقيل: إنّ العاقل بشكره وعفوه تدوم النعمة عليه و يعفى عنه والجاهل بكفرانه وشدّة مؤاخذته يبتلى بالمكاره وزوال النعم، وماذكرناه أولى وأتم.

«والإخلاص» هو أن يفعل الطاعة ابتغاء لوجه الله سبحانه والدّار الآخرة لالشيء آخر من هوىً، أو شهوة، أو عادة، أو رياء أو نحو ذلك..

«وضدّه الشوب» هو أن يكون مشوباً بإحدى هذه..

«والشهامة» هي الجلادة وذكاء الفؤاد وتوقّده..

«والمعرفة» ربما يفرق بينها و بين العلم بأنها إدراك الجزئيات والعلم إدراك الكليات، أو هي إدراك البسائط وهو إدراك المركبات، أو هي الإدراك التصوري وهو الإدراك التصديقي، أو هي ادراك الشيء ثانياً وتصديقه بأنّ هذا ذاك الذي قدأدركه أوّلاً، وكأنه المراد هاهنا، لأن الإنكار لايصلح أن يكون ضداً إلاّ لمثل هذا المعنى.

«والمداراة» هي الستر على المعايب، وترك الجفاء، والصبر على الأذىٰ .

«وضدها المكاشفة» هي إظهار العداوة وكشف البغضاء .

«وسلامة الغيب»[1] أي سلامة غيره عنه في غيبته فلايمكره، وقيل[2] بل أراد بالغيب القلب و يعنى بسلامته صفاء الباطن عن الكدورات من الغش والدغل والمكر والكذب والنفاق ونحوها، والأول أشبه بمحاوراتهم (عليهم السلام)[3].

«والكتمان» أي ستر عيوب الإخوان وأسرار الخلاّن .

قيل: وإن اضطر الى الكذب فله أن يفعل كما في حق نفسه، فالمؤمنون كنفس واحدة .

«والصلاة» وضدها الإضاعة، للاضاعة مراتب: أعلاها تركها بالكلية، وأدناها ترك شيء من آدابها وسننها كالمحافظة على وقتها والإقبال عليها والجماعة فيها.

١ . وفي محاسن البرقي «القلب» مكان «الغيب» وهو يؤيد المعنى الثاني. منه «عهد».

٢ . والقائل جدّي المتألّه طاب ثراه «عهد».

٣ . وأنسب بتخصيص ضدّها بالمماكرة ـ منه دام عزّه «عهد».

«وضده[١] الإفطار» للإفطار أيضاً مراتب: أعلاها الأكل والشرب والوقاع وأدناها الغيبة والكذب والفحش والخصومة ونحوها .

«والجهاد» وهو شامل للأصغر الذي هو مع الأعداء الظاهرة، والأكبر الذي هو مع النفس التي هي أعدى الأعداء .

«وضده النكول» هو الإمتناع وترك الإقدام. وللنكول مراتب: أعلاها ترك الجهاد بالكلية، وأدناها ترك الإخلاص فيه وشوبه بالحظوظ العاجلة .

«وضده[٢] نبذ الميثاق» هو ترك الوفاء بالعهد، فان لله سبحانه عهداً في عنق عباده أن يحجّوا بيته الحرام و يتذكّروا الميثاق الذي جعله «جعل ـ خ» الله سبحانه لهم في «الحجر الأسود»[٣] بالربوبية لنفسه و بالنبوة لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و بالوصية لعلي (عليه السلام) «فإنه»[٤] أول من أسرع إلى الإقرار بذلك

١ . الضمير راجع إلى الصوم.

٢ . الضمير راجع الى الحج.

٣ . روى الشيخ الطوسي باسناده عن أبي سعيد الخدري قال: حجّ عمر بن الخطاب في إمرته، فلمّا افتتح الطواف حاذى الحجر الأسود ومرّ فاستلمه، ثم قبّله وقال: أقبلك وإنّي لأعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولكن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بك حفيّاً، ولولا أنّي رأيته يقبّلك ماقبّلتك. قال: وكان في «من ـ خ» القوم الحجيج علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه).

فقال: بلى والله إنّه ليضر و ينفع. قال: وبم قلت ذلك يا أبا الحسن؟ قال: بكتاب الله تعالى. قال: أشهد أنك لذو علم بكتاب الله فأين ذلك من الكتاب قال: قول الله عزّ وجلّ: وإذ أخذَ ربُّك مِن بني آدمَ مِن ظُهورِهِم ذرّيّتهم وأشهدَهُم علىٰ أنفسِهِم ألستُ بربّكُم. قالُوا بَلىٰ شهِدْنا وأخبرك أن الله سبحانه لمّا خلق آدم مسح ظهره فاستخرج ذريته من صلبه نسماً في هيئة الذّر، فألزمهم العقل وقررهم أنّه الرّبّ وأنهم العبيد، فأقروا له بالربوبية وشهدوا على أنفسهم بالعبودية، والله عزّ وجلّ يعلم أنهم في ذلك في منازل مختلفة، فكتب أسماء عبيده في رقّ، وكان لهذا الحجر يومئذ عينان ولسان وشفتان فقال له: افتح فاك ، فقال: ففتح فاه فألقمه ذلك الرقّ ثم قال له: إشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة .

فلما اهبط آدم (عليه السلام) وهبط الحجر معه فجعل في مثل موضعه من هذا الركن وكانت الملائكة تحجّ الى هذا البيت من قبل أن يخلق الله تعالى آدم، ثم حجّ آدم، ثم نوح من هذه، ثم تهدم «انهدمت ـ خ» البيت ودرست قواعده فاستودع الحجر من أبي قبيس، فلمّا أعاد ابراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) بناء البيت و بناء قواعده واستخرجا «فاستخرجا ـ خ» الحجر من أبي قبيس بوحي من الله عزّ وجلّ، فجعلاه بحيث هو اليوم من هذا الركن وهو من حجارة الجنة.

وكان لمّا أنزل في مثل لون الدرّ و بياضه وصفاء الياقوت وضيائه، فسودته «اسودته ـ خ» أيدي الكفار ومن كان يستلمه من أهل الشرك لغبارهم. قال: فقال عمر: لاعشت في أمة لست فيها يا أبا الحسن.

و يأتي أكثر ماتضمنته هذه الرواية مع زيادات من الكافي في باب بدء الحجر وفضله وعلة وضعه من كتاب «الحجّ» إن شاء الله تعالى ـ منه رحمه الله.

٤ . الضمير راجع الى الحجر الأسود.

فاختاره الله لأن يجعل فيه ميثاق الناس، فيشهد يوم القيامة لكل من وافاه وحفظ الميثاق كما جاءت به الرواية عنهم (عليهم السلام) و يأتي في كتاب الحج إن شاء الله تعالى.

«وضده النميمة»[١]: هي نقل الحديث من قوم الى قوم على جهة الإفساد والشر، فهي أخص من الإفشاء، لأنّ الإفشاء قديتعلق بغير الحديث، كما أنّ صون الحديث أخص من الكتمان.

«وضده[٢] العقوق» هو الاساءة اليهما وتضييع حقوقهما .

«والحقيقة» قيل: المراد بها الخلوص في التوحيد. قلت: إفرادها عن الاخلاص ومقابلتها بالرياء يشعران بأنّها أعم من ذلك، وكأنه أراد بها أن يفعل الطاعة لغرض حقّ ثابت له أصل، كابتغاء وجه الله وتحصيل الثواب والخلاص من العقاب ونحو ذلك، دون ماكان باطلاً محضاً ووهماً صرفاً كالرّياء، فهي أعم من الاخلاص وترجع الى استواء السرّ والعلانية، بأن لايظهر في أفعاله وأقواله ماليس له ولايرائي الناس بماليس فيه، فإنّ الحقيقة مايثبت به الشيء و يتضح

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث حارثة [٣] حيث ادعى الإيمان «إن لكل شيء حقيقة فماحقيقة إيمانك»؟.

«والمعروف» هو اسم جامع لكل ماعرف من طاعة الله عز وجل والتقرب إليه والإحسان الى الناس، وكل ماندب اليه الشرع من فعل الحسنات وترك القبائح وهو من الصفات الغالبة، أي الأمر المعروف بين الناس اذا رأوه لاينكرونه .

«والسّتر» هو بفتح السين بمعنى التغطية، والمراد به تغطية مايقبح إظهاره و يستهجن شرعاً أو عرفاً.

«وضده التبرج» هو التظاهر بذلك من دون مبالاة .

«والتقية» هي وقاية النفس من اللائمة أو العقوبة، وهي من الدين وفي كل

١ . الضمير راجع إلى «صون الحديث».
٢ . الضمير راجع الى «بر الوالدين».
٣ . الكافي - ٢: ٥٣

شيء.

«وضدها الإذاعة» هي الإشاعة، قال الله تعالى تعييراً لقوم: وإذا جاءَهُمْ أمْرٌ مِنَ الأمنِ أوِ الخَوْفِ أذاعُوا بِهِ [١].

«والانصاف» هو التسوية، والعدل من النصف[٢]

«وضده الحمية» هي التجاوز من العدل والتعدي من الحق استنكافاً منهما للغيرة النفسانية والتعصب للشيء، سميت بها لأنها سبب الحماية.

«والتهيئة»[٣] لعل المراد بها هاهنا التأنّي والتثبّت في الأمور والإستقامة على المأمور وربما تُفسّر بالموافقة والمصالحة للجماعة وإمامهم وفي بعض النّسخ بالنون قبل الهاء، فان صحت فهي اسم من انتهى عن المنكر وتناهى عنه.

«وضده الخلع»[٤] هو في الأصل بمعنى النّزع،ومن لم يستحي فكأنّه نزع عن نفسه قيد الشّرع وعقال العقل، يقال: فلان خليع العذار أي يتسرّح في الشّهوات و يفعل مايشتهي كالدّابة التي لاعقال عليها والعذار: اللجام.

«والقصد» هو التوسط في الأمور كلّها و يؤدّي بصاحبه الى الجنة «وضده العدوان» هو التجاوز عن الوسط والعدول عن الإستقامة إمّا الى الإفراط أو التفريط و يوجب السقوط الى الجحيم.

«والراحة» قيل: يعني بها اختيار مايوجبها بحسب النشأتين.

قال أستادنا صدرالمحققين طاب ثراه[٥]: إنّما كانت الراحة من جنود العقل لقلة شواغل العاقل بالأمور الدنياوية، لاستئناسه بذكر الحق ورضائه بماجرى عليه وقسّم له من قضاء الله صابراً على أحكامه شاكراً لنعمه، لايحسد أحداً من الخلق ولايريد ظلماً، ولاسوءً ولايضمر دغلاً ولاشرّاً، فنفسه ساكنة عن الوسواس، وقلبه فارغ عن الخلق، يستوي عنده إنكارهم وإذعانهم لعلمه بحقارة الدنيا ودثورها.

١. النساء/٨٣

٢. النّصف بالكسر: النصفة وهو الاسم من الانصاف... وتثلّث على مافي القاموس «عهد».

٣. وربما تفسر التهيئة بـ(التزيّي) بهيئة الصلحاء والإقتداء بهم والاستعداد للآخرة بصوالح الأعمال. منه عزّ بهاؤه.

٤. الضمير راجع الى الحياء.

٥. الحكيم المتألّه المعروف بـ«ملاّ صدرا» رحمه الله.

وأمّا الجاهل فهو أبداً في تعب ومشقّة، تارة من جهة عاداته الرديّة وأمراضه النّفسانية: كالحقد، والحسد، والعداوة، وغيرها من الملكات التي هي كشعلات ناريّة، يحترق بها قلبه في الدنيا والآخرة، وتارة من جهة أغراضه النفسانية الشهوية واكتساب مشتهياته التي يُتعِب بدنه في تحصيلها من ارتكاب الأسفار البعيدة وركوب البحار العميقة، وقطع المفاوز الخطيرة.

وتارة من جهة حبه الرياسات والمناصب والترفعات على الأقران بارتكاب المخاطرات، كتقرّب السلاطين وتعرضه لمكافحة[1] الخصماء ومحاربة الأعداء الى غير ذلك من الأمور الباطلة المتعبة للنفوس والأبدان المعذّبة للقلوب والأرواح ومنشأ هذه كلّها الجهل بدناءة الحياة الدنيا وخساسة هذه الأغراض ودثورها وزوالها.

«والسهولة» هي الإنقياد ولين الجانب، في الحديث النبوي «المؤمنون هينون لينون [2] كالجمل الأنِف إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ».

«والبركة» هي الدوام والثبات والنماء، وضدها «المحق» هو النقص والمحو والإبطال.

«والقوام» هو القناعة بمايقوم به الشخص في الدنيا و يتقوّى به في العبادة والكفاية بالمقدور والإقتصاد في التحصيل والإنفاق، قال الله تعالى: وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً[3]

«وضدّه المكاثرة» هي جمع الأسباب والحرص على التكاثر في الأموال والأولاد والضياع والعقار والنساء والخيل والأنعام وغير ذلك من متاع الحياة الدنيا ممّا يزول و يبقى حسرته، وقدورد «انّ الدنيا دار من لادار له ولها يجمع من لاعقل له».

١ ـ المكافحة: المدافعة تلقاء الوجه.

٢ ـ هما مخفف «الهيّن» و«اللّين» بالتشديد وقيل: يمدح بـ(الهين) و(اللين) مخففتين و يذم بهما مثقلتين. والأنف: المأنوف، وهو الذي عقر الخشاش أنفه ولايمتنع على قائده و يروي بالمدّ وهو بمعناه ـ (منه) والخشاش بالكسر: عود يجعل في أنف البعير يشدّ به الزّمام ليكون أسرع لانقياده. «ض. ع»

٣ ـ الفرقان/٦٧

«والحكمة» هي الأخذ باليقينيّات الحقّة في القول والعمل «وضدّها الهوى» هو الرأي الفاسد واتباع النفس وشهواتها الباطلة فيهما، قال الله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ [١]

«والوقار» هو الثبات والسكون والحلم والرزانة.

«والسعادة وضدها الشقاوة» السعادة: هي نيل ماتشتهيه النفس مع الشعور به والشقاوة فقد ذلك مع الشعور به. وكلّ منهما ينقسم الى الدنياو يّة والأُخراو يّة والسعادة الدُنياو يّة أيضاً من جنود العقل إذا لم تخل بالأخراو ية، وأمّا الشقاوتان فكلتاهما من جنود الجهل، كما بيّنّاه في بيان الراحة والتعب.

«والتوبة» هي الرجوع من الذنب إلى الطاعة .

«وضدها الإصرار» هو الإقامة على الذنب والإدامة عليه .

«والإستغفار» هو طلب المغفرة والعفو من الله تعالى عن تقصيره في جنب الله .

«وضده الإغترار» هو الغفلة عن التقصير بسبب غلبة الهوى .

«والمحافظة» هي المراقبة والمداومة على فعل الخيرات .

«وضدها التهاون» هو الإستحقار والإستخفاف. .

«والنشاط» هو النهوض للعبادة على وجه الخفّة والسهولة .

«وضده الكسل» هو التثاقل في الأمر .

«والفرح» هو السّرور، وإنما كان الفرح من جنود العقل لأنه من لوازم إدراك المحبوب وصفاته وآثاره .

وكلّما كان المحبوب أشرف وأعلى فإدراكه وإدراك صفاته وآثاره ألذّ وأبهج وسرور المدرك به أشدّ وأكثر. والعاقل محبوبه هو الله سبحانه الذي هو أعلى الأشياء، وهو مدرك لصفاته وآثاره عزّ وجلّ. فهو فرحان بالحق و بكل شيء، لأنه يرى فيه الحق و يعلم أنه منه وأنّ مصيره إليه، لأنّه ينظر إلى الأشياء بنور الله .

١. النجم/٣

والجاهل مطلوبه إنّما هي اللذات الفانية التي هي حاجات متعبة وضرورات مزعجة، فإنّ الأكل والشرب، والوقاع، وقهر العدوّ، ونحوها مثلاً إن هي إلاّ دفع آلام، ورفع كربات، وتسكين نيران، واطفاء لهبات من جوع أو عطش أو غلمة[١] أو تشفّي غيظ أو نحو ذلك. وإنّما سمّي مايحصل له عقيب انفعاله عنها فرحاً وسروراً من باب الغلط والإشتباه لعدم وجدان صاحبه الفرح الحقيقي فيحصل بسببه الغرور كما قال سبحانه: أنّما الحَيوةُ الدُّنيا لَعِبٌ... الى قوله وَمَاالحَيوةُ الدُّنيا إلّا مَتاعُ الغُرُورِ[٢].

بل كلّما نال منها شيئاً اهتم في تحصيل آخر ولم يرض به، وهكذا فهو دائماً في غمّ وحزن في تحصيل مآربه. ومآربه كَسَرابٍ بِقيعَةٍ يَحسَبُهُ الظَّمْئانُ مَاءً حَتّىٰ إذا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً[٣].

«وضده الحزن» انّما كان الحزن من جنود الجهل لأن الحزن إنّما يكون على مافات، والعاقل من حيث هو عاقل لايتأسف على مافاته. قال الله سبحانه لِكَيْلا تَأسَوْا عَلىٰ مافاتَكُمْ[٤]، وقال إنَّ أَوْلِياءَ اللّهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاهُمْ يَحْزَنُونَ[٥].

«والألفة» يعني بالموافق والمخالف، قال أستادنا قدس سرّه: الوجه في كون الألفة من صفات العقل أنّه جوهر مرتفع الذات عن الأجسام والجسمانيات، وعالمه عالم الوحدة والجمعية، ومنه يتفرّع كل[٦] خير ورحمة، والجهل صفة النفوس المتعلقة، بالأجسام التي وجودها عين قبول الإنقسام والإفتراق، ووحدتها عين الكثرة ووصلها عين الفصل والمباينة. وكل واحد من ذوي النفوس الجزئية قبل أن يستكمل ذاته عقلاً بالفعل لايحب إلّا نفسه، بل يعادي غيره ويحسده على ماآتاه الله من فضله .

وإذا أحب أحداً فإنّما أحبه ليتوسل به الى هواه وشهوته، فاذا ارتفعت الأغراض

١ . الغلمة: هيجان شهوة النكاح من المرأة والرّجل «مجمع البحرين».
٢ . الحديد/٢٠
٣ . النور/٣٩
٤ . الحديد/٢٣
٥ . يونس/٦٢
٦ . أثر وخير، مكان «خير ورحمة» ف.

والأعواض من بينهم كما في الآخرة رجعوا الى ما كانوا عليه من الفرقة والعداوة كما قال سبحانه ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

«وضدها الفرقة»[2] في بعض النسخ «العصبية».

«والسخاء» له مراتب أعلاها بذل المهجة في سبيل الله، ثم الإيثار: وهو البذل مع الحاجة، وفي مقابله الإمساك عن نفسه مع حاجته، وهي غاية اللّؤم.

«إمتحن الله قلبه» شرحه ووسعه بالتصفية والتحلية «للايمان» لنور الايمان وهو العلم التحقيقي اللدنّي الذي أشرنا إليه في صدر الكتاب «بمعرفة العقل وجنوده» لأنه إذا عرف العقل وجنوده عرف الجهل وجنوده، لأنّ الأشياء انّما تعرف بأضدادها.

«ومجانبة الجهل وجنوده» لأنه اذا جونب الجهل وجنوده حصل العقل وجنوده لأن التخلية والتجلية تستلزمان التحلية، فالأوّل إشارة الى العلم والثاني الى العمل.

٤ - ٤ (الكافي - ١:٢٧) العاصمي، عن علي بن الحسن، عن ابن اسباط، عن الحسن بن الجهم، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: ذكر عنده أصحابنا وذكر العقل قال: فقال: «لايُعبأ بأهل الدين ممّن لاعقل له».

قلت: جعلت فداك إنّ ممّن يصف هذا الأمر قوماً لابأس بهم عندنا وليست لهم تلك العقول. فقال: ليس هؤلاء ممن خاطب الله إنّ الله خلق العقل. فقال له: «أقبل» فأقبل، وقال له «أدبر» فأدبر فقال: وعزّتي «وجلالي-خ» ماخلقت شيئاً أحسن منك، أوأحبّ إليّ منك، بك آخذ و بك أعطي».

بيـان:

«لايعبأ بأهل الدين» لايبالي بهم ولايلتفت اليهم. «يصف هذا الأمر» أي

١ - الزخرف/٦٧

٢ - الضمير راجع إلى الألفة.

يقول بإمامة أئمة الحق. «تلك العقول» أي العقول الكاملة. «ممّن خاطب الله» ممّن كلّفهم بالمعرفة، إذ ليست لهم قوة عقلية ونور شحشعاني، يمكنهم بهما الإرتقاء الى درجة العرفان والإقبال على الله.

والتكليف إنّما يكون بقدر تلك القوة وذلك النور، وهؤلاء هم الذين ورد فيهم أنّه يلهى عنهم بعد موتهم و يعدم أنفسهم عند فساد أجسادهم[1] فلايشعرون بشيء حتى يبعثوا لأنّهم لم يمحضوا الأيمان محضاً ولاالكفر محضاً، كما رواه شيخنا المفيد في شرح اعتقادات الصدوق طاب ثراه.

٥ ـ ٥ (الكافي ـ ١:١١) القميان، عن بعض أصحابنا رفعه الى أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ماالعقل؟ قال: «ماعبد به الرحمان واكتسب به الجنان» قال قلت: فالذي كان في معاو ية؟ فقال: تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل .

بيــان

«ماعبد به الرحمان» هذا تفسير للعقل بمعناه الثاني من معنييه اللذين ذكرناهما في شرح الحديث الأول وهوالعقل المكتسب، ثم ان جعلنا العبادة عبارة عن العبادة الناشئة عن المعرفة المترتبة عليها كانت إشارة الى كمال القوة النظرية «واكتساب الجنان» إلى كمال القوة العملية .

«تلك النكراء» هي الفطنة المجاوزة[2] عن حدّ الإعتدال الى الإفراط الباعثة لصاحبها على المكر والحيل. والاستبداد بالرأي وطلب الفضول في الدنيا و يسمى بـ(الجر بزة) و(الدّهاء) يقال: ماأشد نكره! بالضم والفتح.

١ . قوله «و يعدم أنفسهم عند فساد أجسادهم» وهذا لايوافق مذهبهم، فإن النفس بعد العدم يمتنع عليها الإعادة عندهم، بل الظاهر منهم أن النفوس باقية مطلقاً وعدم شعورهم بالعذاب بعد الموت الى يوم القيامة لايدلّ على عدمهم ذاتاً والمتأخرون يثبتون للنفوس تجرّداً مثالياً برزخياً إن كانت من المتوسطين وتجرداً عقلانياً إن كانت من الكمّل«ش».

٢ . المتجاوزة، ج.

٦ - ٦ (الكافي - ٨: ٢٤١)[1] سهل،عن داود بن مهران، عن علي الميثمي ،عن رجل، عن جويريةبن مسهر قال: اشتددت خلف أميرالمؤمنين (عليه السلام) فقال لي«ياجويرية؛ إنّه لم يهلك هؤلاء (الحمقى) إلّا بخفق النعال خلفهم ماجاء بك»؟ قلت: جئت أسألك عن ثلاث: عن الشّرف، وعن المروّة، وعن العقل، فقال «أمّا الشّرف فمن شرّفه السلطان شرف، وأمّا المروّة فاصلاح المعيشة، وأمّا العقل فمن اتّقى الله عقل» .

بيـــان

«اشتددت» عدوت «والخفق» صوت النعل، أراد بـ(الحمقى) الجهال المتسمين بالعلم يحسبهم الجاهل علماء، و بهلاكهم هلاكهم الأخروي بصدّهم الناس عن أهل العلم وصرفهم إيّاهم عن سبيل الحق. كأن غرضه (عليه السلام) من هذا الكلام إرشاد جويرية لوجوب تعرّف أهل العلم أوّلاً ثم الأخذ منه والمشي خلفه لئلايضلّ عن الهدى، ثم تنبيهه على عرفان قدره (عليه السلام) وشكره على إمكان الوصول اليه وتيسّر الأخذ عنه (عليه السلام).

وأراد بالشرف، الشرف عند الناس وإنّما يكون ذلك بتشريف السلطان، وما كان منه بالعلم وغيره فلايتم أيضاً عند الناس إلّا بذلك. «والمروة»: هي الإنسانية باصطناع المعروف من المرء، تهمز وتشدّد ولايتم إلّا باصلاح المعيشة، إذ بدونه لايتمكن من ذلك. وتفسير العقل بالتقوى يتبين ممّاسبق.

٧ - ٧ (الكافي - ١: ١٠) علي بن محمد، عن سهل، عن عمرو بن عثمان عن. (الفقيه - ٤: ٤١٦)[2] المفضل بن صالح، عن سعدبن طريف، عن الأصبغ بن نباتة عن عليّ (عليه السلام قال: هبط جبرئيل (عليه السلام) على

١. رقم ٣٣١.

٢. رقم ٥٩٠٦

آدم (عليه السلام) فقال: ياآدم إنّي أمرت أن أخيّرك واحدة من ثلاث فاخترها ودع اثنتين. فقال له آدم «ياجبرئيل وماالثلاث»؟ فقال: العقل والحياء والدين. فقال آدم «إنّي قداخترت العقل» فقال جبرئيل للحياء والدين: إنصرفا ودعاه. فقالا: ياجبرئيل؛ إنّا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان قال: فشأنكما وعرج .

بيــان

«علي بن محمد» هذا كأنه أبوالحسن علي‌بن محمدبن ابراهيم‌بن أبان الرازي الكليني[1] المعروف بعلان ثقة عين «فشأنكما» أي أنتما وشأنكما، يعني إن الأمر إليكما في ذلك والغرض من الحديث التنبيه على استلزام العقل للحياء والدين وتبعيتهما له .

٨ ـ ٨ (الكافي ـ ١:١١) محمد، عن ابن عيسى، عن ابن فضال، عن الحسن‌بن الجهم قال: سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: «صديق كل امرىء عقله وعدوه جهله» .

بيــان

لأن الصّديق من أحب للصّديق الخير وأوصله إليه، والعدوّ من أحبّ للعدوّ الشر وأوصله اليه، والعقل والجهل كذلك، بل هما الأصل في ذلك .

٩ ـ ٩ (الكافي ـ ١:١١) عنه، عن احمد، عن ابن فضال، عن الحسن‌بن الجهم قال: قلت لأبي الحسن (عليه السلام): إنّ عندنا قوماً لهم محبة وليست لهم تلك العزيمة يقولون بهذا القول. فقال «ليس أولئك ممّن عاتب الله انّما قال الله: فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الأَبْصارِ» [2].

١ . راجع ج٧ ص٢٠١ مجمع الرجال.
٢ . الحشر/٢.

بيـــان

«لهم محبة» أي للأئمة المعصومين (عليهم السلام)، «وليست لهم تلك العزيمة» أي المعهودة بين الشيعة من الرسوخ في المحبة بحيث يسع معها بذل المهج والأموال والأولاد، «أولي الأبصار» أولي البصائر العقلانية .

١٠ - ١٠ (**الكافي** - ١:١١) القمي عن محمدبن حسان، عن أبي محمد الرازي عن سيف‌بن عميرة، عن اسحاق‌بن عمار قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام) «من كان عاقلاً كان له دين، ومن كان له دين دخل الجنة» .

١١ - ١١ (**الكافي** - ١:١١) العدة، عن البرقي، عن ابن يقطين، عن محمدبن سنان، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إنّما يداقّ [١] الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ماآتاهم من العقول في الدنيا» .

بيـــان

«يداق الله» من الدقة في الحساب أي يناقشهم فيه لماكانت العقول[٢] متفاوتة كمالاً ونقصاً، والتكاليف إنّما تقع على مراتب العقول. فالأقوى عقلاً أشد تكليفاً فيناقش في الحساب يوم القيامة مع أهل الفطانة بمالايناقش به ضعفاء العقول .

١٢ - ١٢ (**الكافي** - ١:١١) علي بن محمد بن عبد الله، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن الديلمي، عن أبيه قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): فلان من عبادته ودينه وفضله. فقال: «كيف عقله؟» قلت: لاأدري. فقال «إنّ الثواب على قدر العقل، إنّ رجلاً من بني إسرائيل كان

١ . ومن جعله «يدافّ» بالفاء من الدفيف بمعنى الدبيب فقدصحف، منه رحمه الله.
٢ . المكتسبة، ق.

يعبد الله في جزيرة من جزائر البحر خضراء نضْرة كثيرة الشجر ظاهرة الماء وإنّ ملكاً من الملائكة مرّ به. فقال: ياربّ أرني ثواب عبدك هذا، فأراه الله ذلك، فاستقلّه الملك فأوحى الله تعالى إليه أن اصحبه فأتاه الملك في صورة إنسيّ فقال له: من أنت؟ قال: أنا رجل عابد بلغني مكانك وعبادتك في هذا المكان فأتيتك لأعبد الله معك فكان معه يومه ذلك.

فلمّا أصبح قال له الملك: إنّ مكانك لنزه ومايصلح إلّا للعبادة. فقال له العابد: إنّ لمكاننا هذا عيباً. فقال له: وماهو؟ قال: ليس لربّنا بهيمة، فلوكان له حمار رعيناه في هذا الموضع، فإنّ هذا الحشيش يضيع، فقال له الملك: ومالربّك حمار فقال: لوكان له حمار ماكان يضيع مثل هذا الحشيش، فأوحى الله تعالى إلى الملك: إنّما أثيبه على قدر عقله».

بيان

علي بن محمد بن عبدالله هذا كأنه ابن اذينة الذي هو منْ مشائخ الكليني، ويحتمل ابن عمران البرقي.

«فلان من عبادته» بحذف الخبر، أي كذا وكذا كما في «عرض المجالس»[1].

«ظاهرة الماء» بالظاء المعجمة، أي ماؤها على وجه الأرض والإهمال كأنه تصحيف[2] «فاستقله الملك» رآه قليلاً بالقياس إلى كثرة عمله وسعيه «بلغني مكانك» أي منزلتك ومكانتك .

١٣ ـ ١٣ (**الكافي ـ ١: ١٢**) الأربعة عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا بلغكم عن رجل حسن حال فانظروا في حسن عقله، فانّما يجازي بعقله» .

١ . أي في أمالي ابن بابويه، ق.
٢ . تصحيف له، ق.

بيـــان

«حسن حال» من طاعة أو مكرمة «فانظروا في حسن عقله» أي لاتحكموا بمجرّد الأعمال والأحوال الظاهرة على حسن عاقبته وصحّة عقيدته وسلامة قلبه من[1] الآفات مالم‌تنظروا أولاً في حسن عقله وكمال جوهره وذاته. فان النتائج والثمرات تابعة للأصول والمبادىء ومراتب الفضل في الأجر والجزاء على حسب درجات العقول في الشرف والبهاء.

١٤-١٤ (الكافي - ١٢:١) محمد، عن احمد، عن السراد، عن عبدالله‌بن سنان قال: ذكرت لأبي عبدالله (عليه السلام) رجلاً مبتلّى بالوضوء والصّلاة وقلت: هو رجل عاقل. فقال أبوعبدالله (عليه السلام) «وأيّ عقل له؟ وهو يطيع الشيطان» فقلت له: وكيف يطيع الشيطان؟ فقال: «سله هذا الذي يأتيه من أيّ شيء هو؟ فإنّه يقول لك من عمل الشيطان» .

بيـــان

«مبتلّى بالوضوء والصلاة» أي بالوسواس في نيتها أو أفعالها أو غير ذلك من شرائطها، وسبب الوسواس: إمّا فساد في العقل، أو جهل بالشرع، لأنّ امتثال أوامر الله تعالى كغيره من الأفعال فيما يتعلّق بالقصد. فمن دخل عليه عالم فقام تعظيماً له فلوقال أنتصب قائماً تعظيماً لدخول هذا الفاضل لأجل فضله مقبلاً عليه بوجهي لعُدّ سفيهاً لأنّ هذه المعاني مخطورة بالبال إجمالاً بل هي الباعثة على تلك الحركة، وذلك كاف في القصد ولايستدعي فكراً فيها وإحضاراً تفصيليّاً لها. وفرق بين حضور الشيء في النفس إجمالاً وبين احضاره فيها تفصيلاً، والنيّة عبارة عن الأوّل دون الثاني .

ثم الوسواس في غير النيّة أشنع وأقبح «يقول لك من عمل الشيطان» هذا قول منه باللسان من غير أن يؤمن به قلبه، إذ لوعرف على وجه البصيرة أن الذي يأتيه من عمل

١ . عن الآفات، ق.

الشيطان لكان رجلاً عاقلاً لاموسوساً، وإنّما يقوله تقليداً واضطراراً حيث لايجد له مستنداً في الشرع ولافي العقل، نظيره ماحكى الله عن الكفّار بقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ[1]

١٥ـ ١٥ (الكافي - ١:١٢) العدّة، عن البرقي، عن بعض أصحابه رفعه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «ماقسّم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل.

ولابعث الله نبيّاً ولارسولاً حتى يستكمل العقل و يكون عقله أفضل من جميع عقول[2] أمّته، ومايضمر النبيّ في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين، ومأدّى العبد فرائض الله حتى عقل عنه، ولابلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم مابلغ العاقل، والعقلاء هم أولوا الألباب الذين قال الله تعالى: وَمايَتَذَكَّرُ إلّا أُولوا الألبابِ[3]».

بيــان

«من شخوص الجاهل» أي خروجه من بلده طلباً للخير والثواب: كجهاد أو حجّ أو تحصيل للعلم أو نحو ذلك. وإنّما كان نوم العاقل وإقامته أفضل من سهر الجاهل وشخوصه، لأن العاقل انّما ينام ليسكن به من حركات التعب ونهضات النصب فيكون ذلك له جماماً على الطاعات وقوة على العباد ت، وكذلك يقيم إذا رأى الإقامة أنفع له في دينه وأعظم أجراً، وإنّما فضيلة الأعمال بالنيّات وروحها التقرّب بها الى الله سبحانه.

وذلك إنّما يتصوّر بعد المعرفة واليقين، والجاهل بمعزل عنها، «ومايضمر النبي في

١ . لقمان: ٢٥ ـ و ـ الزمر: ٣٨

٢ . من عقول جميع ـ خ ل.

٣ . البقرة: ٢٦٩، وآل عمران: ٧، والآية (ومايذّكّر إلّا أولوا الألباب).

نفسه» هو العلوم اللدنيّة التحقيقية النورية التي أخذها عن[١] الله عزّ وجلّ بلاواسطة تعليم بشر، كما قال سبحانه لنبيّنا (صلى الله عليه وآله وسلم) وَعَلَّمَكَ مَالَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً[٢].

«من اجتهاد المجتهدين» من أجر شدّة عبادة العابدين من الجهد بمعنى المشقّة والكلفة، أي ثواب معرفته الموهبيّة فحسب، من دون إضافة ثواب سائر عباداته ومعارفه المكتسبة إليه أفضل من ثواب عباداتهم الشاقة ومكتسباتهم المبذول فيها غاية جهدهم من العلوم النظريّة.

«وماأدّى العبد فرائض الله» أي جميعها أو كما هو حقّ الأداء «حتى عقل عنه» أي أخذ العلم عن الله وفهم حقائق الأشياء من قبله سبحانه بلاوساطة بشر وتقليد أحد كما للأنبياء (عليهم السلام)، أو ببركة متابعة الأنبياء كما للعلماء.

١٦ ــ ١٦ (الكافي - ١:١٣) أبوعبدالله الأشعري، عن بعض أصحابنا رفعه عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام): ياهشام؛ انّ الله تبارك وتعالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: فَبَشِّرْ عِبادِ +الَّذينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذينَ هَديهُمُ اللّهُ وَأُولئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبابِ[٣].

ياهشام، انَّ اللّه تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيّين بالبيان، ودلّهم على ربوبيّته بالأدلة فقال: وَاِلهُكُمْ اِلهٌ واحِدٌ لااِلهَ اِلّا هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحيمُ × إنَّ في خَلْقِ السَّمواتِ وَالأَرضِ وَاخْتِلافِ الَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْفُلْكِ الَّتي تَجْري فِي الْبَحْرِ بِمايَنْفَعُ النّاسَ وَماأَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وَتَصْريفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ[٤].

١ . من، ق.
٢ . النساء/١١٣
٣ . الزمر/١٧ و١٨
٤ . البقرة/١٦٣ و١٦٤

يا هشام؛ قدجعل الله ذلك دليلاً على معرفته بأن لهم مدبّراً، فقال:

وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجومَ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ في ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [١] وقال:

هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّىٰ مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمّىً وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [٢].

وقال: إِنَّ فِي اخْتِلافِ الَّيْلِ وَالنَّهارِ وَما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِن رِزْقٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَتَصْريفِ الرِّياحِ وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [٣]

وقال: يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها قَدْ بَيَّنّا لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [٤].

وقال: ... وَجَنّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَزَرْعٌ وَنَخيلٌ صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوانٍ يُسْقىٰ بِماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [٥]

وقال: وَمِنْ آياتِهِ يُريكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [٦].

وقال: قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاّ بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [٧].

وقال: ... هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ في ما رَزَقْناكُمْ فَأَنْتُمْ فيهِ سَواءٌ تَخافُونَهُمْ كَخيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [٨].

يا هشام: ثم وعظ أهل العقل ورغّبهم في الآخرة فقال: وَمَا الْحَيوٰةُ الدُّنْيا إِلاّ

١. النحل/١٢
٢. غافر/٦٧
٣. الجاثية/٥. والآية هكذا (واختلاف اليل والنهار وماأنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون).
٤. الحديد/١٧
٥. الرعد/٤
٦. الروم/٢٤
٧. الانعام/١٥١
٨. الروم/٢٨

لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدّارُ الآخِرَةُ خَيرٌ لِلّذينَ يَتَّقُونَ اَفَلا تَعْقِلُونَ [١].

يا هشام، ثم خوّف الذين لايعقلون عقابه فقال تعالى: ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرينَ + وإنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحينَ + وَبِالَّيلِ اَفَلا تَعْقِلُونَ [٢]

وقال: إنّا مُنْزِلُونَ عَلىٰ أهْلِ هٰذِهِ القَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ [٣].

وَلَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [٤] ياهشام، إنّ العقل مع العلم فقال: وَتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَما يَعْقِلُها اِلاّ العالِمُونَ [٥].

يا هشام، ثم ذمّ الذين لايعقلون فقال: وَإذا قيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللّٰهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لايَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلايَهْتَدُونَ [٦].

وقال: وَمَثَلُ الَّذينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذي يَنْعِقُ بِما لايَسْمَعُ إلاّ دُعاءً وَنِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لايَعْقِلُونَ [٧].

وقال: وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ [٨] إلَيْكَ اَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كانُوا لايَعْقِلُونَ [٩].

وقال: أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إنْ هُمْ إلاّ كَالأنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبيلاً [١٠].

وقال: لايُقاتِلُونَكُمْ جَميعاً إلاّ في قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَديدٌ تَحْسَبُهُمْ جَميعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتّىٰ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لايَعْقِلُونَ [١١].

وقال: وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتابَ اَفَلا تَعْقِلُونَ [١٢].

١. الأنعام/٣٢
٢. الصافات/١٣٦-١٣٨
٣. العنكبوت/٣٤
٤. العنكبوت/٣٥
٥. العنكبوت/٤٣
٦. البقرة/١٧٠
٧. البقرة/١٧١
٨. وفي الآية: «يستمعون» مكان «يستمع».
٩. يونس/٤٢
١٠. الفرقان/٤٤
١١. الحشر/١٤
١٢. البقرة/٤٤

ياهشام؛ ثم ذمّ اللّه الكثرة فقال: وَاِنْ تُطِعْ اَكْثَرَ مَنْ فِي الْاَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ [١].

وقال: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَايَعْقِلُونَ [٢].

وقال: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمآءِ مآءً فَاَحْيٰا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا لَيَقُولُنَّ اللّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَايَعْقِلُونَ [٣]

ياهشام؛ ثم مدح القلة فقال: ... وَقَلِيلٌ مِنْ عِبٰادِيَ الشَّكُورُ [٤].

وقال: وَقَلِيلٌ مٰاهُمْ [٥].

وقال: وَقٰالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ اِيمٰانَهُ اَتَقْتُلُونَ رَجُلاً اَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّهُ... [٦].

وقال: ... وَمَنْ آمَنَ وَمٰا آمَنَ مَعَهُ اِلاّ قَلِيلٌ [٧].

وقال: ... وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَايَعْلَمُونَ [٨].

١. الأنعام/١١٦
٢. لقمان/٢٥ وفي الآية «لايعلمون» مكان «لايعقلون».
٣. العنكبوت/٦٣. والآية فأحيا به الأرض من بعد موتها.
٤. سبأ/١٣
٥. ص/٢٤
٦. غافر/٢٨
٧. هود/٤٠
٨. في تسع آيات:

١. الأنعام/٣٧
٢. الأعراف/١٣١
٣. الأنفال/٣٤
٤. يونس/٥٥.
٥. القصص/١٣
٦. القصص/٥٧
٧. الزّمر/٤٩
٨. الدخان/٣٩
٩. الطور/٤٧. وكلمة «ولكنّ» في كلّها مشدّدة.

وقال: ... وَأَكْثَرُهُمْ لاَيَعْقِلُونَ [١].

وقال: وَأَكْثَرُهُمْ لاَيَشْعُرُونَ [٢].

ياهشام؛ ثم ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر وحلاّهم بأحسن الحلية [٣].

فقال: يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشآءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْأُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً وَمَايَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبابِ [٤].

وقال: وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَمايَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الأَلْبابِ [٥].

وقال: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لآياتٍ لأُولِى الأَلْبابِ [٦].

وقال: أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمىٰ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ [٧].

وقال: أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَقائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَيَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ [٨].

وقال: كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبابِ [٩].

وقال: وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْهُدىٰ وَأَوْرَثْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ × هُدىً وَذِكْرىٰ لِأُولِى الأَلْبابِ [١٠].

١. المائدة/١٠٣

٢. تكررت كلمتا «لايشعرون» و«مايشعرون» في القرآن الكريم ولكن بهذه الألفاظ ليست في القرآن آية وقال في «المدايا» ليس في المصاحف فإمّا نقل بالمعنى أو قراءة غير مشهورة أو سهو. «ض.ع»

٣. بكسر الحاء.

٤. البقرة/٢٦٩

٥. آل عمران/٧

٦. آل عمران/١٩٠

٧. الرعد/١٩

٨. الزمر/٩

٩. ص/٢٩

١٠. الغافر/٥٤ـ٥٣

وقال: وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ [١].

ياهشام؛ إنّ اللّه يقول في كتابه: إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ [٢] يعني عقل.

وقال: وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ» [٣] قال: «الفهم والعقل».

ياهشام؛ إنّ لقمان قال لابنه: تواضع للحقّ تكن أعقل الناس وإنّ الكيّس لدى الحقّ يسير [٤] يابني إنّ الدنيا بحر عميق قدغرق فيه عالم كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى اللّه، وحشوها الإيمان، وشراعها التوكل، وقيّمها العقل، ودليلها العلم، وسكّانها [٥] الصبر.

ياهشام؛ انّ لكلّ شيء دليلاً، ودليل العقل التفكر، ودليل التفكر الصمت، ولكلّ شيء مطيّة، ومطية العقل التواضع، وكفى بك جهلاً أن تركب مانهيت عنه.

ياهشام؛ مابعث الله أنبيائه ورسله إلى عباده إلّا ليعقلوا عن الله فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر اللّه أحسنهم عقلاً وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

ياهشام؛ إن للّه على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة فأمّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأمّا الباطنة فالعقول.

ياهشام؛ إنّ العاقل الذي لايشغل الحلال شكره، ولايغلب الحرام صبره.

ياهشام؛ من سلّط ثلاثاً على ثلاث فكأنّما أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكره بطول أمله ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنّما أعان هواه على هدم عقله ومن هدم عقله أفسد عليه دينه

١ . الذاريات/٥٥
٢ . ق/٣٧
٣ . لقمان/١٢
٤ . في الكافي المخطوط «م» «اسير» وقال في المرآة وفي بعض النسخ «أسير».
٥ . أي مايحفظ السّفينة عن الانحراف عن السمت، كذا يوجد بهامش ك .

ودنياه.

ياهشام؛ كيف يزكو عند الله عملك وأنت قدشغلت قلبك عن أمر ربك! وأطعت هواك على غلبة عقلك!.

ياهشام؛ الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن اللّه اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها ورغب فيما عند اللّه، وكان اللّه أنسه في الوحشة، وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة ومعزّه من غير عشيرة.

ياهشام؛ نصب[1] الحق لطاعة اللّه، ولانجاة إلّا بالطاعة والطاعة بالعلم والعلم بالتعلّم والتعلم بالعقل يعتقد. ولاعلم إلّا من عالم ربّاني، ومعرفة العلم بالعقل.

ياهشام؛ قليل العمل من العالم مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود.

ياهشام؛ إنّ العاقل رضي بالدّون من الدّنيا مع الحكمة، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم.

ياهشام؛ إنّ العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب، وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض.

ياهشام؛ إنّ العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها فعلم أنّها لا تنال إلّا بالمشقة ونظر إلى الآخرة، فعلم أنّها لا تنال إلّا بالمشقة، فطلب بالمشقة أبقاهما.

ياهشام؛ إنّ العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة، لأنهم علموا أن الدنيا طالبة مطلوبة وأنّ الآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته.

ياهشام؛ من أراد الغناء بلامال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في

١ . نصب إمّا مصدر أو فعل مجهول وقرائته على المعلوم بحذف الفاعل أو المفعول بعيد إنّما نصب الله الحق والدين بارسال الرسل وانزال الكتب ليطاع في أوامره ونواهيه «المرآة» .

الدين، فليتضرع الى الله في مسألته بأن يكمل عقله فمن عقل قنع بمايكفيه، ومن قنع بمايكفيه استغنى، ومن لم يقنع بمايكفيه لم يدرك الغناء أبداً.

ياهشام؛ إنّ الله[تعالى]حكى عن قوم صالحين إنّهم قالوا: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ[1] حين علموا أن القلوب تزيغ[2] وتعود الى عماها ورداها، إنّه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه ولايكون أحد كذلك إلّا من كان قوله لفعله مصدّقاً، وسرّه لعلانيته موافقاً. لأنّ الله تبارك اسمه لم يدلّ على الباطن الخفي من العقل إلّا بظاهر منه وناطق عنه.

ياهشام؛ كان أميرالمؤمنين (عليه السلام) يقول «ماعبد الله بشيء أفضل من العقل، وماتمّ عقل امرىء حتى يكون فيه خصال شتّى: الكفر والشرّ منه مأمونان، والرشد والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف نصيبه من الدنيا القوت، لايشبع من العلم دهره، الذلّ أحب إليه مع الله من العزّ مع غيره، والتواضع أحبّ اليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، و يستقلّ كثير المعروف من نفسه، و يرى الناس كلّهم خيراً منه وأنه شرّهم في نفسه وهو تمام الأمر .

ياهشام؛ إنّ العاقل لايكذب وإن كان فيه هواه.

ياهشام؛ لادين لمن لامروّة له، ولامروّة لمن لاعقل له.

وإنّ أعظم الناس قدراً الذي لايرى الدنيا لنفسه خطراً، أما إنّ أبدانكم ليس لها ثمن إلّا الجنة، فلاتبيعوها بغيرها.

ياهشام؛ إنّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) كان يقول «إنّ من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سئل، و ينطق إذا عجز القوم عن الكلام، و يشير بالرأيّ الذي يكون فيه صلاح أهله فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق.

١ . آل عمران/٨

٢ . الزيغ: الميل عن الحقّ والزيغ: الشك والحول والعدول عن الحقّ «مجمع البحرين».

إنّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال: لايجلس في صدر المجلس إلّا رجل فيه هذه الخصال الثلاث أو واحدة منهنّ، فمن لم يكن فيه شيء منهنّ فجلس فهو أحمق.

وقال الحسن بن علي (عليهما السلام) «اذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها قيل يابن رسول الله ومَن أهلها؟ قال: الذين قصّ اللّه في كتابه وذكرهم فقال: إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ» [1] قال: «هم أولوا العقول».

وقال علي بن الحسين (عليهما السلام): مجالسة الصالحين داعية الى الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاة العدل تمام العزّ واستثمار المال تمام المروّة، وارشاد المستشير قضاء لحق النعمة، وكفّ الأذى من كمال العقل، وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً.

ياهشام؛ إنّ العاقل لايحدّث من يخاف تكذيبه، ولايسأل من يخاف منعه ولايعد مالايقدر عليه، ولايرجو مايعنّف برجائه، ولايتقدم على مايخاف فوته بالعجز عنه».

بيـــان

«أبوعبد اللّه الأشعري» هو الحسين بن محمد وليس في بعض النسخ، بل صُدّر السند ببعض أصحابنا «فيتبعون أحسنه» مثل مايستمعون أنّ اله العالم واحد لاشريك له، وأنّه عالم قادر حكيم، الى غير ذلك من صفات الكمال، ثم يستمعون مايخالف ذلك كلّه فيتبعون الأوّل دون الثاني، لأنّ الأول هو الأحسن عند ذوي البصائر والعقول السليمة.

ومثل مايستمعون أنّ آله العالم أرسل إلى عباده رسولاً ليهديهم إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم.

ثمّ يستمعون أنّه وكّلهم الى عقولهم المتباينة فيتبعون الأول دون الثاني.

[1]. الرعد/١٩

ومثل مايستمعون أن الرسول أوصى إلى معصوم من أهل بيته بأن يخلفه في أمته بعد رحلته.

ثمّ يستمعون أنه أهمل ذلك وترك الأمة في ضلالة وحيرة، فيتبعون الأول دون الثاني إلى غير ذلك من نظائره.

«أكمل للناس الحجج» أي البراهين «بالبيان» أي ببيانه البراهين لهم للرشد والإرشاد، «ودلّهم» جميعاً «لآيات» لدلائل وشواهد «جعل اللّه ذلك» أي التسخير الذي سيذكر «ثم لتبلغوا» أي ثمّ طوراً بعد طور لكي تبلغوا «أشدّكم» أي كمال قوّتكم وأوان عقلكم وتمييزكم «من رزق» عبّر هنا عن الماء بالرزق لأنّه وسيلة إليه.

«صنوان» نخلات أصلها واحد، وفي حديث العباس «عمّ الرجل صنو أبيه».

و«غير صنوان»[1] متفرقات مختلفة الأصول «خوفاً» أرادة خوف أو اخافة من نحو الصاعقة والغيث الضّارّ «وطمعاً» إرادة طمع أو اطماعاً في الغيث النافع «الا تشركوا» لمّاأوجب ترك الشرك والإحسان الى الوالدين فقدحرّم الشرك والإساءة اليهما، لأن ايجاب الشيء نهي عن ضدّه، فيصحّ أن يقع تفصُيلاً لماحرم.

«من إملاق» فقر، أي من خوف الفقر، وصرّح بذكر الخوف في قوله تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ[2].

«ماظهر منها»[3] علانية «ومابطن» سرّاً «لعلّكم تعقلون» فيه اشارة الى أنّ الغرض الأصلي والغاية الذاتية من فعل الواجبات وترك المحرّمات إنّما هوحصول العقل والعاقل بماهوعاقل وأنّ لتكيل القوة العملية مدخلاً في ذلك، كما أنّ لتكميل القوة النظرية مدخلاً، وأنّ أحدهما لايستغني عن الآخر «ممّاملكت أيمانكم» يعني عبيدكم الذين ملكهم طار قابل للنقل والزّوال، وهم أمثالكم في الإنسانية حتى أنّه ليس لكم تصرّف في أرواحهم وآدميّتهم.

١. الصنوان نخلان وثلاث من أصل واحد، فكل واحدة منهن «صنو» كـ«جرو» والجمع «صنوان» و«الصنو» المثل، ومنه حديث ابن عباس «عمّ الرجل صنو أبيه» أي مثله «مجمع البحرين».

٢. الاسراء/٣١

٣. وعن علي بن الحسين (عليهما السلام) «ماظهر» نكاح امرأة الأب و«مابطن» الزّنا، منه رحمه الله...

«من شركاء فيما رزقناكم» من الأموال، يعني انّ الّذي لكم هو في الحقيقة ليس لكم، بل هو لله ومن رزقه، والذي لله هو في الحقيقة له فإذا لم يجز أن يكون لكم شريك من أمثالكم في مالكم من حيث الإسم، فكيف يجوز أن يكون له شريك من مخلوقاته في ماله من حيث الحقيقة!

وقوله «فأنتم فيه سواء» أي هل أنتم ومماليككم في شيء ممّا تملكون أنتم سواء؟ ليس كذلك فلا يكون لله شريك في شيء ممّا يملكه لكن كل شيء فهو لله، فما تدّعون آلهته لا يملكون شيئاً أصلاً، ولا مثقال ذرّة من خردل. وقوله تخافونهم كخيفتكم أنفسكم أي لستم تخافونهم كخيفتكم أنفسكم، إذ ليس لهم عندكم حرمة كحرمة الأحرار.

«ثم دمّرنا الآخرين» أهلكناهم إشارة الى قصة قوم لوط «لتمرّون عليهم» على منازلهم في متاجركم الى الشام، فإنّ سدوم[1-2] التي هي بلدتهم في طريقه «مصبحين» داخلين في الصباح «رجزاً» عذاباً «آية بيّنة» قيل هي حكايتها الشائعة، أو آثار الدّيار الخربة، وفي رواية إنّها بيت نبيّهم «ألفينا» وجدنا، وفي الآية دلالة على وجوب إعمال البصيرة ولو في معرفة من يقلّده.

«لا يعقلون شيئاً» أي من المعقولات، من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإن فهموا كثيراً من أمور الدنيا «ولا يهتدون» أي الى طريق اكتسابه.

«ومثل الذين كفروا» أي مثل داعيهم، أو مثل دعوتهم لأصنامهم أو مثلهم في عبادتهم لها في قلة عقولهم أو في اتباعهم لآبائهم في عدم الفائدة. و«النعق» مأخوذ من نعق الراعي بالغنم إذا صاح بها[3] «صمّ بكمٌ عميٌ» من حيث آذانهم وألسنتهم وأبصارهم العقلانية.

قل الحمد لله المحامد كلّها راجعة إليه لأنّ المنعم الحقيقي هو الله «بل أكثرهم لا يعقلون» أي لا يفهمون ما يقولون وإنّما يقولونه تقليداً. أو لا يفهمون أنّ المحامد لله عزّ وجلّ وذلك لأنّ فهم ذلك موقوف على العلم بتوحيد الأفعال وأن لا مؤثر في الوجود إلّا الله.

١ ـ سدوم، ضبطه في القاموس بالذال المعجمة، ونسب الجوهري الى الغلط في ضبطه بالمهملة، منه رحمه الله.
٢ ـ وسدوم بالفتح: قرية قوم لوط، ومنه «قاضي سدوم» وهو قاض كان في زمن ابراهيم (عليه السلام)، مجمع البحرين.
٣ ـ نعق بغنمه كمنع وضرب نعقاً ونعيقاً، ونعاقاً، ونعقاناً: صاح بها وزجرها والغراب صاح «قاموس».

وهذا علم غامض شريف حرم عنه الأكثرون وورد «الحمد لله ملاء الميزان».

«آمَنْ هُوَقانِتٌ» [1] قائم بمايجب عليه من الطّاعة (إنّما يتذكّر) هذا التفاوت العظيم بين العلماء والجهّال .

«تواضع للحق» أي تواضع مع الناس للحق سبحانه لالغرض آخر، فإنّ من تواضع لله رفعه الله كما ورد في الحديث [2] أو نقول: التواضع للحق هو الإقرار به، والإطاعة له والإنقياد، كما هو مقتضى العقل.

وقال أستادنا طاب ثراه: هو أن لايرى العبد لنفسه وجوداً ولاحولاً ولاقوة إلّا بالحق تعالى وحوله وقوته، فيرى أن لاحول ولاقوة له ولالغيره إلّا بالله.

وفي الحديث النبوي «من تواضع لله رفعه الله» فاذافنى عن نفسه بالموت الإرادي قبل الموت الطبيعي يكون باقياً بالله. قال: وهو المراد بقوله: «تكن أعقل الناس» فإنّ أعقل الناس هم الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل.

«وإنّ الكيس لدى الحق يسير» قال أستادنا قدّس الله سرّه: يعني أن كياسة الإنسان - وهي عقله وفطانته - يسير عند الحق لاقدر له، وإنّما الذي له قدر عند الله هو التواضع والمسكنة والخضوع والإفتقار اليه، فكل علم وكمال لايؤدّي بصاحبه إلى مزيد فقر وحاجة اليه تعالى يصير وبالاً عليه وكان الجهل والنقيصة أولى به، ولذلك قيل غاية مجهود العابدين تصحيح جهة الإمكان والفقر اليه تعالى - انتهى كلامه.

وأراد بالعقل مايسمّى بالعقل الجزئي، وهو فهم الجزئيات.

أقول: ويحتمل أن يكون «الكيس» [3] بالتشديد، والحق إمّا بالمعنى المذكور أو في مقابلة الباطل واليسير بمعنى القليل، والمعنى أن الكيس عند الله أو عند فهم المعارف الحقّة الثابتة الأخروية والعلوم الكليّة الإلٰهية قليل، فإنّ أكثر الأكياس إنّما هم أكياس عند الناس وعند أنفسهم، أو كياستهم مقصورة على فهم الأمور الجزئية الزائلة والأشياء الدنيوية الباطلة، وقديفسّر الحديث بمعانٍ اخر لاقدر لها عند الكيس لدى

١ . أمّن هو قانت آناء الليل: أي مصلّ ساعات الليل، مجمع البحرين.

٢ . البحار ٧٥: ١٢٠

٣ . ربّما يقال: انّ المراد أنّ الكيس اذا ظهر له الحقّ فهو «يسير» أي منقاد له غير صعب ولاعسير، منه رحمه الله.

الحق، و ينبغي أن يفسر الحق في الموضوعين بمعنى واحد .

«بحر عميق» وجه الشبه تغيّرها واستحالتها وإهلاكها والكائنات فيها كالأمواج ومامن صورة فيها إلّا ولابدّ أن تفسد .

وأيضاً الناس يعبرون عليها إلى دار أخرى بسفن أخلاقهم الحسنة والسفينة الناجية هي التقوى المحشوّة بالإيمان .

«وشراع السفينة» بالكسر مايرفع فوقها من ثوب ليدخل فيه الريح فتجريها و«التوكّل» هو الوثوق بالله والإعتماد عليه في كلّ الأمور لاعلى الأسباب وقيّم السفينة ربّانها الذي نسبته إليها نسبة النفس الى البدن. و«سكّانها» بالضم والتشديد: ذنبها لأنّها به تقوم وتسكن .

«لكلّ شيء دليلاً» يوصله الى مطلوبه، فان العقل يصل الى مطلوبه بالتفكر والتفكر يتمّ بالصمت أو الدليل بمعنى العلامة، فانّ علامة كون الإنسان عاقلاً، كونه دائم التفكر في خلق الله، وعلامة التفكر الصمت ألا ترى أنّك عند التفكّر تكون صامتاً؟ «مطيّة» حاملاً يركب عليه في حركته الى غايته التي خلق لها، فانّ المطية الناقة التي تركب مطاها أي ظهرها «ومطية العقل التواضع» أي التذلل والانقياد للأوامر والنواهي والغناء (والفناء ـ خ ل) عن النفس .

قال أستادنا تغمّده الله بغفرانه: تحقيقه أنّ مادة العقل هي «النفس» وكل مادة تستعد لصورة كمالية فإنّما تستعدها لكونها في نفسها خالية من[١] الفعلية والوجود الذي من جنسها وإلّا لم تكن قابلة لها فكذلك النفس مالم تصر موصوفة بصفة التواضع والفقر لم تصر مطية للعقل الذي هو الصورة الكمالية التي بها تصير الأشياء معقولة للإنسان.

«أن تركب مانهيت عنه» لأنّ اشتغال النفس بالمحسوسات يوجب تقيدها وتصورها بصورها الحسية وهي حاجبة لها لامحالة عن المعقولات والحجاب عن المعقولات عين الجهل.

«ليعقلوا عن الله» ليكتسبوا العلوم الدينية عن الله سبحانه بواسطة متابعة الأنبياء

١ ـ عن ـ خ ل.

والرّسل الذين هم أولوا العقول الكاملة فيهتدوا الى الحق و يتوافقوا عليه ولايتّكلوا على عقولهم الجزئية الناقصة المتباينة فيضلوا ويختلفوا .

«فاحسنهم استجابة» لقبول الدعوة وانقياد الرسالة «أحسنهم معرفة بالله» وآياته وكلماته «واعلمهم بأمر الله» بأحكامه وشرائعه أو بأفعاله سبحانه .

«أحسنهم عقلاً» لأن حسن العقل إنّما يكون بالعلم والعمل وقبول العمل إنّما يكون باصابة السّنة وهي إنّما تكون بالعلم بالسنة وهو العلم بأمر الله بالمعنى الأول.

أو نقول: إنّ حسن العقل انّما يكون بتعلم الحكمة، وهي العلم بأفعال الله عزّ وجلّ على ماهي عليه، وهو العلم بأمر الله بالمعنى الثاني .

«بطول أمله» فإنّ طول العمل في الدنيا يمنع التفكر في الأمور الإلهيّة النوريّة، لأنّه يحمل النفس على التفكر في الأمور العاجلة وتحصيل أسبابها الظلمانية، فمن بدّل تفكره في الأنوار الأخروية والباقيات الصالحات بتفكره في الظلمات الدنيوية الناشئة عن طول أمله وحبه للفانيات فقدأظلم نور تفكره بطول أمله .

«بفضول كلامه» لأن للكلام حلاوة ولذة وسكراً، يشغل النفس عن جهة الباطن ويجعل همّها مصروفاً الى تحسين العبارات وتحريك القلوب بالنكات والإشارات، فيمحو به طرائف الحكمة عن قلبه «بشهوات نفسه» لأن حبّ الشيء يعمي و يصم عن ادراك غيره فحبّ الشهوات يعمي القلب و يذهب بنور عبرته «كيف يزكو» يطهر ويخلص و ينمو .

«وأنت قدشغلت» بالأمور الثلاثة المذكورة في الخطاب المتقدم أو ببعضها.

«فمن عقل عن الله» بلغ عقله إلى حدٍّ يأخذ العلم عن الله من غير تعليم بشر في كل أمر أمر.

«اعتزل أهل الدنيا» إذ لم يبق له رغبة في الدنيا وأهلها وإنّما يرغب فيما عند الله من الخيرات الحقيقية والأنوار الإلهية والإشراقات العقلية والإبتهاجات الذوقيّة والتسكينات الروحية.

«كان الله أنسه» مؤنسه إذ موجب الوحشة فقد المألوف وخلو الذات من الفضيلة والله تعالى مألوفه وهو منبع كلّ خير وفضيلة «في العيلة» في الفاقة «نصب الحق» على البناء للمفعول و يعني بالحق دين الحق أي أقيم الدين بإرسال الرسل وإنزال الكتب ليطاع الله في أوامره ونواهيه.

«والطاعة بالعلم» أي العلم بكيفية الطاعة [١] و«التعلم بالعقل يعتقد» على البناء للمفعول أي يذعن و يتعرّف محصوله «ولاعلم» أي بكيفية الطاعة .

«إلّا من عالم ربّاني» أي بالتعلّم منه دون الإجتهاد والرّأي وقدبيّنا ذلك في مقدمة الكتاب.

«ومعرفة العلم بالعقل» أي معرفة كونه علماً صحيحاً وفي بعض النسخ العالم وهو الأظهر.

«قليل العمل من العالم مقبول» لأنّه يؤثر في صفاء قلبه وارتفاع الحجاب عنه مالايؤثر أضعافه في قلوب أهل الهوى والجهل لممارسته العلوم والأفكار المجلية لقلبه والمصيقلة له عن الرّين والغين[٢-٣] المعدة له لاستفاضة النور عليه بسبب قليل من العمل وقسوة قلوب أهل الهوى والجهل وغلظ حجبهم وجرمانيّة نفوسهم و بعدها عن قبول التصفية فلايؤثّر فيها كثير العمل .

«رضى بالدون من الدنيا» وهو قدر البلغة [٤] «مع الدنيا» وإن كانت وافية ولذّتها كاملة.«ربحت تجارتهم» إذ بدلوا أمراً خسيساً فانياً بأمر شريف باقٍ.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام «لوكانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف لاختار العاقل الخزف الباقي على الذهب الفاني»كيف والأمر على العكس من ذلك.

«تركوا فضول الدنيا» وإن كانت مباحة لأنها تمنع عن مزيد الكرامة وكمال

١ ـ الطاعات ـ ك .

٢ ـ في الخبر «انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرّة» وعن الأصمعي انّه سُئل عن هذا الحديث. فقال للسائل: عن قلب مَن يُروي هذا فقال عن قلب النبي فقال: لوكان عن غير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لكنت أفسّره لك ـ «مجمع البحرين».

٣ ـ غين على قلبه مجهولاً غينا: تغشته الشهوة، أو غطى عليه... قاموس.

٤ ـ والبلغة بالضمّ: الكفاية، وهومايكتفي به في العيش ومنه الحديث في الدنيا «فانّها دار بلغة....» «مجمع البحرين».

القرب من الله سبحانه، فكيف الذنوب المورثة لاستحقاق المقت والعقوبة «إن الدنيا طالبة» طالبية الدنيا عبارة عن ايصالها الرزق المقدّر الى من هو فيها ليكونوا فيها الى الأجل المقرر، ومطلوبيتها عبارة عن سعي أبنائها لها ليكونوا على أحسن أحوالها وطالبية الآخرة عبارة عن بلوغ الأجل وحلول الموت لمن هو في الدنيا ليكونوا فيها ومطلوبيتها عبارة عن سعي أبنائها لها ليكونوا على أحسن أحوالها.

ولايخفى أنّ الدنيا طالبة بالمعنى المذكور لأنّ الرزق فيها مقدّر مضمون يصل الى الإنسان لامحالة طلبه أو لا ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[1] وإنّ الآخرة طالبة أيضاً، لأنّ الأجل مقدّر كالرّزق مكتوب ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ القَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[2].

«لاتزغ قلوبنا» الزيغ هو العدول عن الطريق و«رداها» الرّدى: الهلاك. «لم يخف الله من لم يعقل عن الله» أي من لم يأخذ علمه عن الله كالأنبياء والأوصياء وكلّ من اقتبس من أنوارهم، وذلك لأنّ غيرهم إمّا مقلّد محض كالعامي، أو جدليّ ظانّ كالكلامي، وكلّ منهما لم يعرف أنّ الذي يصل اليه يوم القيامة إنّما هو من نتائج أخلاقه وتبعات أعماله التي لا تنفك عنها للعلاقة الذاتية بين الأشياء وأسبابها فلم يخش الله حقّ خشيته

و﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾[3] اهل اليقين والبرهان وأهل الكشف والعيان فإنّهم العارفون بأن الآخرة إنّما تنشأ من الدنيا على الإيجاب واللزوم علماً قطعيّاً من غير تخمين وجزاف فهؤلاء هم الذين عقدت قلوبهم على معرفة ثابتة غير قابلة للزوال.

«ولايكون أحد كذلك» أي عالماً ربّانياً عاقلاً عن الله «إلّا من كان قوله لفعله مصدّقاً» أي لايدلّ قوله على خلاف مايدلّ عليه فعله «إلّا بظاهر منه» كالفعل وناطق عنه كالقول .

«أفضل من العقل» أي أفضل مايتقرب به العبد إلى الله هو تكميل العقل

١. هود/٦.
٢. الأحزاب/١٦.
٣. فاطر/٢٨.

باكتساب العلوم الحقيقية الأخروية والمعارف اليقينية الباقية المأخوذة من الله سبحانه دون غيره من الطّاعات والعبادات البدنية والمالية والنفسية كما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «ياعلي، إذا تقرّب الناس الى خالقهم بأنواع البرّ فتقرّب أنت اليه بالعقل حتى تسبقهم».

«وماتمّ عقل امرء» يحتمل أن يكون من كلام أميرالمؤمنين وأن يكون من كلام أبي الحسن (عليهما السلام) وعلى التقديرين فالمنبع واحد، ذريّة بعضها من بعض.

«الكفر والشرّ منه مأمونان» لازمين كانا أو متعدّيين الكفر في الاعتقاد. والشر في القول والفعل. والكل ينشأ من الجهل المنافي للعقل.

«والرّشد والخير منه مأمولان» كذلك لكونه مهتدياً صالحاً وهادياً للخلق مصلحاً لهم والكلّ ناشٍ من العقل.

«وفضل ماله مبذول» لاستغنائه بالحق عن كل شيء.

«وفضل قوله مكفوف» لمنافاته طرائف الحكمة كما مرّ.

«نصيبه من الدنيا القوت» لأنّ الدنيا فانية داثرة مستعارة لا تأتي بخير.

«لايشبع من العلم دهره» إذ لانهاية له وفيه إشارة الى أنّ العلم غذاء الروح به يتقوّى ويكمل وبه حياته.

«الذلّ أحبّ إليه مع الله من العزّ مع غيره» لعلمه بأنّ العزة لله جميعاً بالذات ولماسواه بالعرض، فالعزيز من أعزّه الله فمن كان مع الله ـ بالفناء عن نفسه كان عزيزاً بعزة الله فضلاً عن كونه عزيزاً باعزازه، ومن كان مع غيره ـ كان ذليلاً مثله.

«والتواضع أحبّ إليه من الشرف» لأنّه أنسب إلى العبودية وأدخل في تصحيح تلك النسبة والتحقق بها.

«يستكثر قليل المعروف من غيره» تخلقاً بأخلاق الله في تضعيفه لحسنات العباد.

«ويستقل كثير المعروف من نفسه» لكرامة نفسه واتصاله بمنبع الجود والخير.

«ويرى الناس كلهم خيراً منه» لحسن ظنه بعباد الله وحمله ماصدر منهم على

المحمل الصحيح لسلامة صدره ولماراىٰ من محاسن ظواهرهم «دون ماخفي من بواطنهم» فيراهم أحسن أحوالاً منه.

«وانّه شرهم في نفسه» لاطلاعه على دقائق عيوب نفسه.

«وهو تمام الأمر» أي رؤية الناس خيراً ونفسه شراً تمام الأمر لأنّها موجبة للاستكانة والتضرّع التامّ إلى الله تعالى والخروج إليه بالفناء عن هذا الوجود المجازي الذي كلّه ذنب وشرّ كما قيل.

وجودك ذنب لايقاس به ذنب وقيل أيضاً.

بيني و بينك إنّي[1] ينازعني فارفع بلطفك إنّي من البين

ويحتمل أن يكون الضمير راجعاً الى الكون الذي في قوله «حتى يكون» فكان المعنى أن ملاك الأمر وتمامه في أن يكون الإنسان كاملاً تام العقل هو كونه متصفاً بمجموع هذه الخصال المذكورة.

كذا أفاد أستادنا (رحمه الله) وأكثر ماكتبناه في شرح هذه الفقرة[2] استفدناه من كلامه.

«لادين لمن لامروّة له[3] ولامروّة لمن لاعقل له» لأنّ من لاعقل له لايكون عارفاً بماينبغي أن يفعله و يليق به ومالاينبغي ولايليق فربّما يترك اللائق و يأتي بمالاينبغي.

ومن كان كذلك، لايكون ذا مروّة ولادين «خطراً» قدراً ومنزلة «أما» حرف تنبيه «أبدانكم ليس لها ثمن إلّا الجنة» أي مايليق أن يكون ثمناً لها شبه استعمال البدن في المكتسبات الباقية ببيعها بها.

قال الأستاد (رحمه الله): وذلك لأنّ الأبدان في التناقص يوماً فيوماً لتوجه النفس منها الى عالم آخر، فان كانت النفس سعيدة كانت غاية سعيه في هذه الدنيا وانقطاع حياته البدنية الى الله سبحانه، والى نعيم الجنة، لكونه على منهج الهداية والإستقامة فكأنه باع بدنه بثمن الجنة معاملة مع الله تعالى، ولهذا خلقه الله عزّ وجلّ.

١ . أي وجودي، ك .
٢ . يعني قوله: «وماتمّ عقل امريء»... الخ، سمع منه. ك .
٣ . المروة: الإنسانية وكمال الرجوليّة من «المرء» وتهمز وتشدد وإنّما لايكون المروة لمن لاعقل له «ق».

وإن كانت شقية كانت غاية سعيه وانقطاع أجله وعمره الى مقارنة الشيطان وعذاب النيران لكونه على طريق الضلالة، فكأنه باع بدنه بثمن الشهوات الفانية واللذات الحيوانية التي ستصير نيرانات محرقة مؤلمة وهي اليوم كامنة مستورة عن حواسّ أهل الدنيا، وستبرز يوم القيامة ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ﴾[1] معاملة مع الشيطان ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾[2].

وقال السيد الداماد (رحمه الله): جعل الجنة ثمن البدن إشارة الى أن ثمن النفس المجردة والأرواح القدسية هو الله سبحانه، والفناء المطلق فيه وفي مشاهدة نور وجهه الكريم وفي إضافة البدن الى ضمير الخطاب دلالة على أن النفس الناطقة التي هي الإنسان حقيقة، جوهر آخر وراء البدن .

«يجيب» إلى آخره يعني يجيب في وقته و يقدر عليه، و ينطق في محله ولايعجز عنه و يعرف مصلحة الأمور ولايضنّ بها. وفيه إشارة الى أن العاقل لايتكلّم إلّا إذا دعته ضرورة الى الكلام لأن مواضع الكلام الضروري تنحصر[3] في هذه الثلاثة إذا كان لمصلحة الغير، والمراد بصدر المجلس إمّا معناه المعروف أو مكان من يراجع الناس إليه لحوائجهم فيستحق أن يعظّموه و يوقّروه .

«هم أولوا العقول» أمّا طلب الحوائج الدينية منهم فظاهر، وأمّا الدنيوية فللذلّ في رفع الحاجة الى الناقص في الدين ولعدم الأمن من حماقته، فربّما يمنعه أو يأتي بما ضرّه أكثر من نفعه.

قال علي بن الحسين (عليهما السلام) [مجالسة الصالحين داعية الى الصلاح][4] في

١ . النازعات/٣٦.

٢ . غافر/٧٨.

٣ . فما أبعد قوماً من المتصوّفة الرسمية القاصرين الذاهلين عن فضيلة الكمال الجمعي الإنساني ومظهرية الأسماء الإلهية، حيث عزلوا عن الناس وانقطعوا الى مكان الخالي زعماً منهم أن ذلك أدخل في طلب الكمال والتوجّه الى عالم الملكوت الأعلى.
بل ربّما ترى كثيراً منهم من الذين نصبوا أنفسهم منزل الإرشاد والتعليم عزلوا القوى الإدراكية وسدّوا أبواب المشاعر جملة ومنعوا الصور الإدراكية التي هي أمثلة الأعيان الخارجية عن ورودها الى تلك المشاعر توهّماً منهم أنّ ذلك هو المعدّ لهم للتوجّه نحو المبدء الفيّاض والممدّ لهم لانتهاج الطريقة المثلى وصوب المقصد الأقصى كلاّ سيعلمون ه ثمّ كلاّ سيعلمون. منه عزّ بهاؤه.

٤ . (مجالسة الصالحين داعية الى الصلاح) هذه الجملة سقطت من الأصل وأكثر النسخ وأوردناها وفقاً لنسخة لك .

كلامه (عليه السلام) هذا ترغيب الى المعاشرة مع الناس، والمؤانسة بهم واستفادة كلّ فضيلة من أهلها وزجر عن الإعتزال والإنقطاع اللّذين هما منبت النفاق ومغرس الوسواس والحرمان عن المشرب الأتمّ المحمدي والمقام المحمود الجمعي، والكاس الأوفى والقِدْح المُعَلّى [1] الموجب لترك كثير من الفضائل والخيرات وفوت السنن الشرعية وآداب الجمعة والجماعات وانسداد أبواب مكارم الأخلاق والحسنات والتعرّي عن حلية الكمالات النفسانية الحاصلة بالسّياسات والتعطّل عن اكتساب العلوم، واستيضاح المبهمات واستكشاف المشكلات وحلّ الشبهات والتبرك بصحبة العلماء وخدمة المشايخ والكبراء للمبتدي والمتوسط، والفوز بسعادة الشيخوخة والتأديب والإصلاح للمنتهي والكامل الى غير ذلك.

كذا أفاد أستادنا (قدس سرّه)، والمراد بآداب العلماء إمّا التأدب بها أو رعاية الآداب معهم.

«واستثمار المال تمام المروّة» وذلك لأنّه به يتمكن من أن يأتي بمايليق به من الإنسانية.

«وكفّ الأذى» سواء كان أذى نفسه أو أذى غيره فيشمل التنزّه عن مساوي الأخلاق كلّها وصاحبه أفضل أصناف البشر لجمعه بين الرئاستين العلمية بقوة البصيرة والعملية بكمال القدرة ولهذا عدّه من كمال العقل.

«وفيه راحة البدن» بدن نفسه و بدن غيره .

«ولايعد مالايقدر عليه» الأظهر فيه التخفيف من الوعد وإن قرىء بالتشديد من الاعداد فعناه لايمهّد أمراً من الأمور حتى يعلم أنه قادر على إتمامه والبلوغ الى غايته.

١ . القداح العشرة كانت معروفة فيا بينهم في الجاهلية والقصّة في ذلك أنّه كان يجتمع العشرة من الرجال فيشترون بعيراً فيا بينهم و ينحرونه و يقتسمونه عشرة أجزاء وكان لهم عشرة قداح لها أسماء وهي: ١ـ الفذّ وله «سهم» ٢ـ التوأم وله «سهمان» ٣ـ الرقيب وله ثلاثة ٤ـ الحلس وله «أربعة» ٥ـ النافس وله «خمسة» ٦ـ المسبل وله ستة. ٧ـ المعلّى وله سبعة وثلاثة لاانصباء لها وهي: ١ـ المنيح ٢ـ السفيح ٣ـ الوغد.
و«القدح» واحد القداح و«المعلّى» وزان «معظّم» له أعلى السهام وأكثرها فصار مثلاً لمن كان سهمه أكثر وأوفى. راجع لغة «زلم» من مجمع البحرين. «ض.ع» .

«ولايرجو مايعنّف برجائه» التعنيف: التوبيخ[١] والتقريع واللّوم أي العاقل لايرجو فوق مايستحقه ولايتطلّع الى مالم يستعدّه ولايتقدّم على مايخاف فوته أي لايفعل فعلاً قبل أوانه مبادراً إليه خوفاً من أن يفوته في وقته بسبب عجزه عنه بل يفوّض أمره الى الله.

ولهذا الحديث ذيل[٢] في غير الكافي نذكره في كتاب الروضة إن شاء الله تعالى.

١٧ - ١٧ (الكافي - ١: ٢٠) علي بن محمد عن سهل رفعه قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام) «العقل غطاء ستير والفضل جمال ظاهر، فاستر خلل خلقك بفضلك، وقاتل هواك بعقلك، تسلم لك المودّة وتظهر لك الحجة».

بيــان

«العقل» أي - النظري[٣] «ستير» ساتر للعيوب الباطنة، وغافر للذنوب الإمكانية أو مستور عن الحواس.

«والفضل» أي الزائد على العقل النظري من حسن الخلق والكرم واللطف والمودة وسائر الأخلاق الحميدة والعلوم المتعلقة بها التي هي كمالات للقوة العملية «جمال ظاهر» لظهور آثارها.

«فاستر خلل خلقك» بضم الخاء: أي فاجبر مساوي أخلاقك «بفضلك» أي بفضائلها وكمالاتها فانّ من الأخلاق الرذيلة مالايمكن إزالته بالكلية لكونه معجوناً في جبلة صاحبه وخلقه بفتح الخاء فالمجبول على صفة الجبن مثلاً لايصير شجاعاً مقداماً في الحروب سيّما إذا تأكّدت في نفسه بالنشو عليها مدة من العمر فغاية سعيه في معالجتها أن يمنعها من (عن - خ) الظهور بمقتضاها ولايمهلها أن يمضي أفعالها ولهذا أمر بالستر[٤].

١ . ويحتمل أن يكون من «العنف» بمعنى الظلم والجور: أي لايرجو مايحتاج بسبب رجائه الى ظلم أحد، منه (رحمه الله تعالى).

٢ . ذيله المذكور هنالك مستخرج من كتاب تحف العقول لأبي محمد الحسن بن علي بن شعبة رضى الله عنه، «عهد».

٣ . النظر، له .

٤ . بالستر لابالازالة. خ ل.

«وقاتل هواك» جهلك وجحودك الحق «بعقلك» بعلمك وحكمتك وادراكك مامن شأنك أن تدركه وتركك الجحود لمالم تدركه بعد، ودفعك العناد واللجاج والإستكبار. وهذا كلّه مقدور لمن سبقت له العناية بالحسنى ولهذا أمر بالمقاتلة.

«تسلم لك» أي بالستر «المودّة» يعني مودّة الناس ومحبتهم لك «وتظهر لك» أي بالمقاتلة.

«الحجة» يعني حجّتك على الناس وفضلك عليهم فيطيعوك في الحقّ و يتبعوك فتفوز بسعادتي الصلاح والاصلاح والرّشاد والإرشاد.

وفي نهج البلاغة هكذا: الحلم غطآء ساتر والعقل حسام باتر[١] فاستر خلل خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك وهو أوضح وفي بعض النسخ «المحبة» بدل الحجة يعني محبتك للناس ويحتمل أن يراد بـ(العقل) مايشمل النظري والعملي جميعاً و بـ(الفضل) مايعده الناس من المحاسن والمحامد، وإن لم يكن كمالاً أخروياً كما في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث قسمة العلم الآتي «وماخلاهن فهو فضل» وقس عليه شرح تمام الحديث.

١٨ ـ ١٨ (الكافي ـ ١: ٢٣) محمد عن احمد عن + ابن فضال +.

(الكافي) جماعة من أصحابنا عن إبن عيسى عن + إبن فضال + عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «ماكلم[٢] رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العباد بكنه عقله قط. وقال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم» .

بيــان

المُراد بالعباد جمهور الناس لاجميعهم لعدم دخول أميرالمؤمنين (عليه السلام) في

١ . القاطع.

٢ . قوله: ماكلم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العباد بكنه عقله: أي بنهاية مايدركه وقوله: أمرنا أن نعلّم الناس على قدر عقولهم: أي بمايكون على قدر يصل اليه عقولهم. رفيع (رحمه الله).

هذا العموم لأنه كان بمنزلة نفسه وصاحب سرّه ونجواه، وفي هذا الحديث دلالة على المنع من بثّ العلوم والحقائق الى غير أهلها.

١٩ - ١٩ (**الكافي** - ١:٢٣) علي بن محمد، عن سهل، عن النوفلي، عن السكوني عن جعفر، عن أبيه قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام) «إنّ قلوب الجهال تستفزّها [١] الأطماع وترتهنها المنى، وتستغلقها الخدائع» [٢].

بيـــان

«تستفزها» تستخفّها وتخرجها من مقرّها فإنّك ترى أحدهم كثيراً ماينزعج من مكانه بطمع فاسد لاأصل له ولاطائل تحته.

«ترتهنها» تقيدها و«المنى» جمع المنية [٣] بمعنى التشهي وارادة مالايتوقّع حصوله من أحاديث النفس وتسويلات الشيطان فانّك تراهم كثيراً يفرحون بالأماني الباطلة والآمال الكاذبة وتطمئن قلوبهم إليها.

«وتستغلقها» تستسخرها وتستعبدها ولهذا يعدهم الشيطان ويمنّيهم ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً﴾ [٤] وفي بعض النسخ باهمال العين أي تربطها بالحبال كالصيد وفي بعضها بالقافين من القلق بمعنى الانزعاج.

٢٠ - ٢٠ (**الكافي** - ١:٢٣) علي، عن أبيه، عن الأشعري، عن الدهقان، عن درست، عن إبراهيم بن عبدالحميد قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام):

١ . قوله: تستفزها الأطماع: أي تستخفّها وتخرجها من مقرّها و«ترتهنها المنى» وهي ارادة مالايتوقّع حصوله أو المراد مايعرض للإنسان من أحاديث النفس وتسويل الشيطان.

٢ . وتستغلقها الخدائع: أي تأخذها وتجعلها الخدائع منزعجة منقطعة عن مكانها وفي بعض النسخ تستعلقها بالعين المهملة قبل اللام والقاف بعدها: أي يربطها بالحبال كما تعلّق الصيد بالحبال وفي بعضها بالغين المعجمة من استغلقني في بيعه أي لم يجعل لي خياراً في ردّه - رفيع (رحمه الله).

٣ . المنية بضم الميم وكسرها وسكون النون، لك .

٤ . النساء/١٢٠.

«أكمل الناس عقلاً أحسنهم خلقاً» [١].

بيـان

وذلك لأنّ حسن الخلق تابع لكمال العقل وكما أن العقل عقلان: مطبوع ومكتسب، فكذلك حسن الخلق فطبوعه تابع لمطبوعه، ومكتسبه تابع لمكتسبه.

٢١ - ٢١ (**الكافي - ١: ٢٣**) علي، عن أبيه، عن أبي هاشم الجعفري قال: كنّا عند الرضا (عليه السلام)، فتذاكرنا العقل والأدب فقال: «ياأبا هاشم؛ العقل حباء [٢] من الله والأدب كلفة، فمن تكلّف الأدب قدر عليه ومن تكلّف العقل لم يزدد بذلك إلّا جهلاً». [٣]

بيـان

لفظة عن أبيه ليست في بعض النسخ ولعلّ إسقاطها سهو من النسّاخ إذ لا(عليّ) في صدر السند يروى عن الجعفري بغير واسطة كذا قيل.

«والحباء» بالكسر العطاء يعني أنّ العقل غريزة من الله موهبية ليس للكسب فيه أثر أمّا مطبوعه فظاهر وأمّا مكتسبه فلأنّ كلّ إنسان ليس له صلاحية اكتساب العقل، بل يختصّ ذلك بمن كان في جبلّته قبوله فالقابلية للاكتساب موهبية.

«والأدب كلفة» أي السيرة العادلة والطريقة الحسنة في المحاورات والمعاشرات

١. قوله: احسنهم خلقاً بالضم و بضمتين الهيئة الحاصلة للنفس بصفاتها و يقال لها «السّجيّة» و يدلّ عليها الآثار والأفعال وقديطلق على الآثار والأفعال الدالة عليها تسمية الدال باسم المدلول - رفيع (رحمه الله).

٢. قوله: العقل حباء من الله تعالى أي عطية منه و«الأدب» هو الطريقة الحسنة في المحاورات والمكاتبات والمعاشرات ومايتعلّق بمعرفتها وملكتها «كلفة» ممّايكتسب و يتحمل بمشقة، وكل ماهذا شأنه يحصل لمن يتكلّفه و يتحمل المشقة في طلبه. فمن تكلّف الأدب قدر عليه ومايكون حصوله للشخص بحسب الخلقة واعطاء من الله سبحانه كالعقل، فلايحصل بتكلّف واحتمال مشقّة.فمن تكلّف العقل لم يقدر عليه ولم يزدد بتكلفه ذاك إلّا جهلاً ولاينافي ذلك القدرة على اكتساب العلم وحصوله باحتمال المشاق في طلبه وظهور فعل القوة العقلية وكماله بحصول العلم - رفيع (رحمه الله).

. قال الفاضل الاسترابادي رحمه الله: يعني العقل غير كسبي ومن أراد أن يكتسب الجهل زاد جهله أي حمقه، فانّه يزعم أنّ له قدرة على الحدس فتظهر منه آثار تضحك منه الثكلى... «الهدايا»

والمكاتبات ومايتعلّق بمعرفتها وتحصيل ملكتها ممّايتكلّفه الإنسان و يتجشّمه[١] ويمكن له تحصيله بالكسب وإن لم يكن في جبلّته.

٢٢ - ٢٢ (الكافي - ١:٢٤) علي، عن أبيه، عن يحيى بن المبارك، عن إبن جبلة عن اسحاق بن عمار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت له جعلت فداك، إنّ لي جاراً كثير الصلاة كثير الصدقة كثير الحجّ لابأس به[٢] قال: فقال «يااسحاق؛ كيف عقله»؟ قال: قلت جعلت فداك ليس له عقل قال: فقال «لايرتفع بذلك منه».

بيان

«لابأس به» أي لايظهر منه عداوة لأهل الدين وشدّة على المؤمنين أو لايطلع منه على معصية «لايرتفع بذلك» أي بسبب أن ليس له عقل وفي بعض النسخ لاينتفع والضميران «المستتر والبارز» يتعاكسان بحسب النسختين في المرجعين العمل والعامل[٣].

٢٣ - ٢٣ (الكافي - ١:٢٤) الحسين بن محمد، عن السياري، عن أبي يعقوب البغدادي قال: قال ابن السكيت[٤] لأبي الحسن (عليه السلام). لماذا بعث الله

١ . جشم الأمر كـ(سمع) جشماً وجشامة: تكلّفه على مشقّة «قاموس».

٢ . قوله: «لابأس به» أي لايظهر منه عداوة لأهل الدين وشدة على المؤمنين أو لايطلع منه على معصية فقال «يااسحاق كيف عقله» أي قوة التميز بين الحق والباطل والإنقياد للحق والإقرار به، فأجابه إسحاق بقوله - ليس له عقل.
فقال عليه السلام لاينتفع بذلك منه» أي لايقع الانتفاع باذكر من كثرة الصلاة والصدقة من غير العاقل وفي بعض النسخ «لايرتفع بذلك» أي لايرتفع ماذكرته من الأعمال بسبب قلة العقل منه، ويحتمل الفعل على البناء للمفعول كالنسخة الأولى والباء في «بذلك» للتعدية والظرف في موضع الحال أي لاترفع الأعمال حال كونها من غير العاقل. رفيع (رحمه الله).

٣ . قوله: العمل والعامل: أي لاينتفع العامل من ذاك العمل، أو لايرتفع العمل من ذلك العامل.

٤ . ابن السكيت بكسر المهملة وتشديد الكاف هو يعقوب بن اسحاق السكيت أبو يوسف من أفاضل الامامية وثقاتهم المذكور في ص٢٧٢ ج٦ مجمع الرجال كان متقدماً عند أبي جعفر الثاني وأبي الحسن (عليهما السلام) وكانا يختصانه به وقتله المتوكّل لأجل تشيعه وقيل إنّ سبب قتله أنّه كان معلماً «للمعتز والمؤيد» ابني «المتوكل» وكان ذات يوم حاضراً عند المتوكل إذ

موسى بن عمران بالعصا و يده البيضاء وآلة السحر [١] وبعث عيسى بآلة الطبّ وبعث محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم وعلى جميع الأنبياء) بالكلام والخطب؟ .

فقال أبوالحسن (عليه السلام) «إنّ الله لمّابعث موسى (عليه السلام) كان الغالب على أهل عصره السّحر فأتاهم من عند الله بمالم يكن في وسعهم مثله ومـاأبطل به سحرهم وأثبت به الحجة عليهم وإن الله بعث عيسى (عليه السلام) في وقت قدظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطبّ فأتاهم من عند الله بمالم يكن عندهم مثله وبما أحيا لهم الموتى وأبرء الأكمه والأبرص بإذن الله وأثبت به الحجة عليهم وإن الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام» وأظنه [٢] قال ـ والشعر ـ فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ماأبطل به قولهم وأثبت به الحجة عليهم» قال: فقال ابن السكيت : تالله مارأيت مثلك قط، فما الحجة على الخلق اليوم ؟ [٣]

أقبلا فقال له المتوكّل يايعقوب أيّهما أحبّ إليك ولداي هذان أو الحسن والحسين؟ فقال: «والله إن قنبراً غلام علي بن أبي طالب (عليه السلام) خير منهما ومن أبيهما». فقال المتوكّل: سلّوا لسانه من قفاه فسلّوا فمات. رضي الله عنه «ض.ع».

١ ـ قوله: «آلة السحر» السحر مالطف ودقّ و يكون السحر بآلة دائماً أو غالباً فللآلة تعلق به بخلاف المعجزة حيث لاحاجة فيها الى الآلة ولذلك الاختصاص أضاف الآلة الى السحر وعطف الآلة على العصا من عطف العام على الخاص وقوله «و بعث عيسى بآلة الطبّ» اطلاق الآلة هنا إمّا بتبعية اطلاقها في السحر أو باستعمالها فيما يترتب عليه الفعل أو أراد بها الصنعة مجازاً. رفيع ـ (رحمه الله) . قال في المدايا «آلة السحر أي مايبطل به السحر «ض.ع» .

٢ ـ لفظة «أظنه» هي قول الراوي.

٣ ـ قوله: «فالحجة على الخلق اليوم» أي كان الحجّة على الخلق في صدق الرسل معجزاتهم فالحجة عليهم اليوم في صدق من يجب اتباعه وتفترض طاعته حيث لايعرف بالمعجزة الظاهرة فقال (عليه السلام) «العقل يعرف به الصادق على الله...» فإنّ بعد نزول الكتاب وانضباط الآثار الثابتة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يعرف بالعقل الصادق على الله عن الكاذب عليه فإن الصادق على الله عالم بالكتاب راع له متمسك بالسّنة حافظ لها، والكاذب على الله تارك للكتاب غير عالم به مخالف للسنة بقوله وفعله. رفيع (رحمه الله).
وهذا الوجه في التفسير أقرب ممّاذكره المصنف، لأنّ الاحتجاج باعجاز القرآن لايتوقف على العلم بدقائق البلاغة بل يحصل لنا من تتبع القرآن والتواريخ عجزهم عن معارضة القرآن، ولوفي سورة ولوأتوا به لأشتهر وذاع واستغنوا عن الحرب والمعارضة بالسيف ولم يعهد عجز جميع الناس عن معارضة قليل من الكلام والشعر، بل ربّما أتى الشاعر الأضعف والمتكلّم الأنقص بقطعة من الكلام والشعر أحسن من مثل إمرءالقيس والنابغة وأفصح الخطباء. «ش».

قال: فقال (عليه السلام) «العقل تعرف به الصادق على الله فتصدّقه والكاذب على اللّه فتكذّبه»[١] قال: فقال ابن السكيت: هذا واللّه هو الجواب.

بيـان:

قيل يعني «بأبي الحسن» الهادي (عليه السلام) وفي الاحتجاج صرح بأنّه الرضا بتقييده به (عليه السلام) وكذلك فعله في العيون و«السحر» مالطف مأخذه ودقّ وخفي سببه وتُخيل على غير حقيقته.

والمراد بآلتي السّحر والطبّ مايناسب آلتيهما وإلّا فليس ذلك سحراً ولاذاك طبّاً بل هما ممّا يبطل السحر والطبّ، والمعنى أنهم (عليهم السلام) إنّما أتوا بالغالب على أهل العصر لأنّه أقوى وأتمّ في اثبات المقصود. حيث عرفوا نهاية المقدور لهم فيه، فإذا جاوزه حصل لهم العلم بأنّه ليس من فعل أشباههم بخلاف غيره فإنّه ربّما يتوهّم أنّهم لوتناولوه وسعوا فيه بلغوا مبلغه.

«الزّمانات» الآفات الواردة على بعض الأعضاء فيمنعها عن الحركة كالفالج واللقوة وربما يطلق المزمن على مرض طال زمانه و«الزّمِن» على من طال مرضه. «اليوم» أي هذا الزمان الذي ليس الغالب على الخلق غريزة الفصاحة حتى يعرفوا حجيّة القرآن.

«العقل» فيه تنبيه على ترقّي الإستعدادات وتلطف القرائح في هذه الأمّة حتى استغنوا بعقولهم عن مشاهدة المعجزات المحسوسة فإن الإيمان بالمعجزة دين اللّئام ومنهج العوام. وأهل البصيرة لايقنعون إلّا بانشراح الصدر بنور اليقين. أَفَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلْاِسْلامِ فَهُوَ عَلىٰ نُورٍمِنْ رَبِّهِ[٢]. «تعرف به الصادق على الله» بعلمه بكتاب الله ومراعاته له وتمسّكه بالسّنّة وحفظه لها «والكاذب على الله» بجهله بالكتاب وتركه له ومخالفته السنة وعدم مبالاته بها قال في الاحتجاج: وقدضمن الرضا (صلوات الله عليه) في كلامه هذا ان

١ . يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه. كذا في المرآة والمخطوطين من الكافي.
٢ . الزمر/٢٢.

العالم لايخلو في زمان التكليف من صادق من قبل الله يلتجي المكلّف إليه في ماشتبه عليه من أمر الشريعة صاحب دلالة تدلّ على صدقه عليه تعالى يتوصّل المكلّف الى معرفته بالعقل ولولاه لماعرف الصادق من الكاذب فهو حجة الله على الخلق أوّلاً.

٢٤ - ٢٤ (الكافي - ١:٢٥) علي بن محمد، عن سهل، عن محمدبن سليمان عن علي بن إبراهيم، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «حجة الله [١] على العباد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والحجة فيما بين العباد و بين الله العقل».

بيـــان:

يعني مايقطع به عذرهم في تركهم لمابه يتوصّلون الى سعادتهم وفيه نجاتهم هو النبيّ بعد تصديقهم بالله سبحانه ومايقطع به عذرهم في تركهم لمعرفة الله سبحانه والتصديق به قبل ذلك هو العقل ولماكانت الحجة في الأوّل موصلة لهم الى شيء آخر غير الله أعني سعادتهم وكانوا معتقدين لالهيته سبحانه أضاف الحجة الى الله تعالى وأورد لفظة «على» ولماكانت في الثانية موصلة لهم إليه تعالى وكانوا غير معتقدين بعد لالهيته وهي قدتكون حجة لهم [٢] وقدتكون حجّة عليهم لاختلاف مراتب عقولهم قال فيما بينهم و بين الله.

١ . قوله: «حجة الله على العباد...» الحجة الموصلة للعباد الى السعادة والنجاة بعد الإعتقاد بآلهيته تعالى هو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والحجة فيما بين العباد و بين الله تعالى الموصلة للعباد الى معرفة الله تعالى والتصديق به هو العقل ويحتمل أن يكون المراد أنّ حجة الله على العباد أي مايقطع به عذرهم فيبكتهم* اللطف بهم بارسال النبي والمتوسط في الإيصال الى معرفة الله تعالى ومعرفة الرسول والطريق الى المعرفة بين العباد و بين الله هو العقل و يناسب هذا ايراد لفظة «على» أوّلاً وتركها ثانياً رفيع (رحمه الله).

*. بكته: ضربه بالسيف والعصا واستقبله بمايكره كـ«بكّته» والتبكيت: التقريع والغلبة بالحجة، قاموس.

٢ . يعني أنّ هذه الحجة قديكون لهم على الله في تركهم كمال المعرفة وتحصيل البصيرة وانشراح الصدربنور اليقين اذ ليس لهم القوة العقلية التي يمكنهم بها العروج الى درجة العرفان والإرتقاء الى مدارج الايقان، وقديكون حجة لله عليهم، وذلك إذا كان لهم تلك القوة وصلاحية اكتساب غوامض المعارف الإلٰهية لكنهم لم يستعملوها ولم يخرجوها من حد القوة الى الفعل لانغمارها في تعلقات الجسمانية والشهوات الدنياوية. (عهد) (رحمه الله).

وقال أستادنا (رحمه الله) ماحصّله: إنّ الناس إمّا أهل بصيرة وإمّا أهل حجاب والحجة لله عليهم: إمّا ظاهرة، وإمّا باطنة، و يكفي لأهل الحجاب الحجة الظاهرة إذ لاباطن لهم، لأنّهم عميان القلوب لايبصرون بباطنهم شيئاً،لهم قلوب لايفقهون بها فالحجة عليهم هو النبيّ مع معجزته وهي الحجة الظاهرة، وأمّا أهل البصيرة فالحجة الظاهرة عليهم هو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والباطنة هو العقل المكتسب ممّا استفادوا من النبي .

أقول: هذا تحقيق حسن إلّا أن إرادته من الحديث بعيدة قال: والحجتان لأهل البصيرة حجتان لهم على أنفسهم كما أنهما حجتان لله عليهم.

٢٥ - ٢٥ (الكافي - ١:٢٥) الاثنان، عن الوشاء[١]، عن المثنى الحناط، عن قتيبة الأعشى، عن ابن أبي يعفور، عن مولى لبني شيبان، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال «اذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها (به - خ) عقولهم، وكملت به أحلامهم» .

بيـان:

«قام» أي بالأمر ظهر وخرج.

«قائمنا» وهو المهدي الموعود صاحب الزمان (صلوات الله عليه).

«وضع الله يده»[٢] أنزل رحمته وأكمل نعمته، أو عبر باليد عن واسطة جوده وفيضه والمراد بها إمّا القائم (عليه السلام) أو العقل الذي هو أوّل ماخلق الله عن يمين عرشه أو ملك من ملائكة قدسه ونور من أنوار عظمته.

١ . وهو الحسن بن علي بن زياد البجلي الكوفي الخزاز (المعجمات) و يعرف بالوشاء و يقال له «إبن بنت الياس الصيرفي» وهو الذي يروي كتاب المثنى الحناط راجع ص١٢٨ ج٣ مجمع الرجال «ض.ع».

٢ . قوله: «وضع الله يده» وضع اليد كناية عن انزال الرحمة والتقوية باكمال النعمة. وقوله: «فجمع به عقولهم» يحتمل وجهين: أحدهما أنه يجعل عقولهم مجتمعين على الاقرار بالحق، فلايقع بينهم اختلاف و يتفقون على التصديق والآخر أنه يجمع عقل كلّ واحد منهم، و يكون جمعه باعتبار مطاوعة القوى النفسانية للعقل. فلايتفرّق لتفرقها: «وكملت أحلامهم» تأسيس على الأول وتأكيد على الثاني - رفيع (رحمه الله).

«رؤوس العباد» نفوسهم الناطقة وعقولهم الهيولانية، وعبّر عنها بالرأس لأنّها أرفع شيء من أجزائهم الباطنة والظاهرة.

«فجمع بها» بواسطة تلك اليد بالتعليم والإلهام وإفاضة النور التام.

«عقولهم» فعلموا ذواتهم وعرفوا نفوسهم واستكملوا بالعلم والحال ورجعوا الى معدنهم الأصلي وعادوا من مقام التفرقة والكثرة إلى مقام الجمعية والوحدة، وأبوا من الفصل إلى الوصل، وأنابوا من الفرع الى الأصل.

و«الحلم» بالكسر: العقل والجملتان متقاربتان في المعنى، وهاهنا أسرار لطيفة لايحتملها الأفهام ولارخصة في إفشائها للأنام.

٢٦ - ٢٦ (الكافي - ١:٢٥) العدّة، عن أحمد مرسلاً قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام) «دعامة الإنسان: العقل والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم وبالعقل يكمل وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره فإذا كان تأييد عقله [١] من النور كان عالماً حافظاً ذاكراً فطناً فهماً فعلم بذلك «كيف» و«لم» و«حيث» وعرف مَن نصحه ومَن غشّه فإذا عرف ذلك عرف مجراه وموصوله ومفصوله وأخلص [٢] الوحدانية لله والإقرار بالطّاعة .

فإذا فعل ذلك كان مستدركاً لمافات وواردأ على ماهو آت و يعرف ماهو فيه ولأيّ شيء هو هاهنا، ومن أين يأتيه، وإلى ماهو صائر، وذلك كله من تأييد العقل».

بيـان:

«الدعامة»: العماد ومايعتمد عليه والأصل الذي ينشأ منه الفروع والأحوال.

١ . قوله: فإذا كان تأييد عقله: أي إذا كان تقوية عقله أي الحالة التي للنفس بالإتصال والإرتباط بالجوهر المفارق المخلوق أولاً من النور أي ذلك المخلوق الأول الذي ذكر سابقاً أنّه خلقه من نوره وذلك التأييد بإشراقه عليها ولعلّ المراد أنه إذا كان عقله متقوياً بذلك الاشراق كان جامعاً لهذه الصفات بكمالها ولولم يتعلم وإذا كان غير متأيد به كان له بعضها أو بعض المراتب منها و يبلغ بالتعلّم والإكتساب الى الكمال المتيسر له، رفيع (رحمه الله).

٢ . أي علم أنّه الواحد الحقيقي الذي لاجزء له في الخارج ولافي العقل ولافي الوهم وصفاته عين ذاته «المرآة».

«ومبصره» من أبصره إذا جعله ذا بصيرة.

«من النور» أي نور البصيرة العلمية أو أوّل المخلوقات الذي خلقه الله من نوره وذلك التأييد بكمال إشراقه عليها.

«كيف» أي صفته المستقرّة فيه.

و«لم» أي سبب وجوده.

و«حيث» أي جهته وسمته أو مرتبته ومقامه.

«مجراه» مسلكه أمستقيم أم معوجّ والى سمت المطلوب أو معدول عنه.

و«موصوله ومفصوله» مايصل إليه ومايفصل عنه.

«مستدركاً لمافات» أي مستدركاً لمافرّط في جنب الله بالتوبة والتلافي.

«على ماهو آت» من الموت والبعث ومابعدهما قبل أن يرد ذلك عليه.

«يعرف ماهو فيه» أي حقيقة هذه النشأة.

«ولأي شيء» أي العلة التي بها هبط إلى هذا المنزل الأدنى.

«ومن أين يأتيه» أي من أيّ مرتبة وعالم يأتي هو هذا العالم الذي هو فيه اليوم أو من أين يأتيه مايأتيه.

«وإلى ماهو صائر» والى أيّ مقام ومصير سيرجع من هذا العالم أشار بذلك الى العلم بأحوال المبدأ والمعاد ومابينهما والنظر اليها حقّ النظر والاعتبار بها حقّ الاعتبار على طبق ماروي عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) حيث قال: «رحم الله امرءً أعدّ لنفسه واستعدّ لرمسه وعلم من أين. وفي أين. وإلى أين»؟

والرمس: القبر.

٢٧ - ٢٧ (الكافي - ١:٢٥) علي بن محمد، عن سهل، عن اسماعيل بن مهران عن بعض رجاله، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «العقل دليل المؤمن» [1].

1. قال في الهداية: أي العقل المؤيد من عند الله هادي المؤمن... ثم قال: قال برهان الفضلاء: يعني هاديه الى الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال السيد السند أميرحسن القائني رحمه الله: يعني لاإيمان لمن لم يعرف الإمام الحق «ض.ع».

٢٨ - ٢٨ (الكافي - ١:٢٥) الاثنان، عن الوشاء، عن حماد بن عثمان، عن السري بن خالد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ياعلي؛ لافقر أشدّ من الجهل، ولامال أعود من العقل».

بيـــان:

«أعود» أنفع من العائدة وهي المنفعة والعطف، والوجه فيه أن الرّجل ينال بالعقل من المنافع والخيرات والحظوظ مالاينال بالمال، و بالجهل يفوته من ذلك مالا يفوته بالفقر، وأيضاً بالعقل يمكن الوصول الى المال و بالمال لايمكن الوصول إلى العقل.

٢٩ - ٢٩ (الكافي - ١:٢٦) العدّة، عن احمد، عن النهدي، عن الحسين بن خالد عن اسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): الرجل آتيه وأكلّمه ببعض كلامي فيعرفه كلّه، ومنهم من آتيه فأكلمه بالكلام فيستوفي كلامي كلّه ثم يرده عليّ كما كلّمته، ومنهم من آتيه فاكلّمه بالكلام فيقول: أعد عليّ فقال: «يا اسحاق؛ وماتدري لم هذا»؟

قلت: لا قال «الذي تكلّمه ببعض كلامك فيعرفه كلّه فذلك من عجنت نطفته[1] بعقله، وأمّا الذي تكلّمه فيستوفي كلامك ثم يجيبك على كلامك فذاك الذي ركّب عقله فيه في بطن أُمّه، وأمّا الذي تكلّمه بالكلام فيقول: أعد عليّ فذاك الذي ركّب عقله فيه بعدما كبر فهو يقول لك أعد عليّ».

١ . قوله: «من عجنت نطفته بعقله» أي خلقت النفس المتعلقة ببدنه المناسبة له على هيئة كاملة تناسب العقل فمتد ارتباطها به و يقوى اشراقه عليها و يتصل به، ثم قال (عليه السلام) وأما الذي تكلمه بالكلام فيستوفي كلامك ثم يجيبك» أي يكلمك بكلام على طبق كلامك «فذلك الذي ركب عقله فيه في بطن أمه» أي حصل لنفسه ذلك الإرتباط واستحكم فيه بالاشراق بعد التعلق بالبدن بالقابلية الحاصلة لها باعتباره منضمة الى مالها في نفسها.
ثم قال أمّا الذي تكلمه بالكلام فيقول: أعد عليّ فذاك الذي ركب عقله فيه بعدما كبر أي استحكم فيه ذلك الارتباط بعد استعمال الحواس وحصول البديهيّات والمبادىء فالثالث يكون للثاني على الوجه الأتم مع زيادة وماهو يكون للأول على الوجه الأكمل مع زيادة رفيع. (رحمه الله).

بيـــان:

«ثم يردّه عليّ كما كلّمته» أي يردّه كما سمعه حافظاً لألفاظه ومعانيه.

«عـجـنـت نـطـفـتـه بعقله» أي عجنت مادة بدنه بأثر نور العقل منذ كانت نطفة للطافتها وقربها من الاعتدال.

«ركّـب عـقـلـه فـيـه» أي أثّر العقل «في بطن أمّه» لتوسط مادة بدنه في اللطافة والكثافة والاعتدال والخروج عنه.

«بـعـدمـا كبر» لـكثافة مادة بدنه و بُعدها عن الاعتدال المانع من قبول أثر العقل على قرب.

٣٠ ـ ٣٠ **(الكـافي ـ ١:٢٦)** العـدّة، عـن احمـد، عـن بـعـض من رفعه، عن أبي عـبـدالله (عـلـيـه الـسـلام) قال «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا رأيتم الرجل كثير الصلاة كثير الصوم فلا تباهوا به [١] حتى تنظروا كيف عقله»؟.

بيـــان:

المباهات: المفاخرة.

٣١ ــ ٣١ **(الـكافي ـ ١:٢٦)** بعض أصحابنا رفعه، عن مفضل بن عمر، عن أبي عـبدالله (عليه السلام) قال «يامفضل، لايفلح من لا يعقل ولايعقل من لايعلـم وسـوف يـنجب من يفهم، و يظفر من يحلم، والعلم جُنّة، والصدق عزّ، والجهل ذلّ، والفهم مجد، والجود نجح، وحسن الخلق مجلبة للمودة، والعالم بزمانه لاتهجم عـلـيـه اللـوابـس والحزم مساءة الظن و بين المرء والحكمة نعمة العالم [٢] والجاهل

١ ـ قوله: لا تبـاهوا يحتمل أن يكون من «بهاء» مهموز اللام مخفف «لاتباهئوا» أي لا تؤانسوا به حتى تنظروا كيف عقله فإنّه لافخر بمن ليس معه عقل فإنّ كلّ حسن مستور بقبح الجهل يضمحل معه ومؤانسة غير العاقل غير مرضي عند العقل. رفيع.

٢ ـ وقال السيد السند أميرحسن القايني رحمه الله: أفاد شيخنا الشيخ محمد الحائري سبط الشهيد الثاني رحمها الله ـ اضافة النعمة الى العالم بيانيّة، يعني بين المرء والحكمة وجود العالم نعمة لأنّه يرتبط بينهما بالتعليم والترغيب.

وقال الشيخ بهاءالملّة والدين رحمه الله: و بين المرء والحكمة نعمة مبتداء وخبر، والنعمة بمعنى مايتنعّم به وقوله «العالم والجاهل شقي بينهما» كلام آخر مبتداء وخبر «الهدايا».

شقي بينهما والله وليّ من عرفه، وعدوّ من تكلفه، والعاقل غفور والجاهل ختور، وإن شئت أن تكرم فـ(لِنْ) وإن شئت أن تهان فـ(اخشن) .

ومن كرم أصله لأن قلبه، ومن خشن عنصره غلظ كبده، ومن فرّط تورّط، ومن خاف العاقبة تثبت عن التوغل فيما لايعلم، ومن هجم على أمر بغير علم جدع أنف نفسه، ومن لم يعلم لم يفهم، ومن لم يفهم لم يسلم، ومن لم يسلم لم يكرم، ومن لم يكرم يهضم، ومن يهضم كان ألوم، ومن كان كذلك كان أحرى أن يندم» .

بيــان:

«الفلاح» الفوز بالمطلوب والنجاة والبقاء والمراد بالعقل المنفّي: العقل المكتسب و«النجابة» الكرامة في الذات «والحلم» الأناة و«الجنة» بالضمّ: السترة والوقاية «والجد» الكرم و«النجح» بالضمّ: الظفر بالحوائج والمطالب «والمجلبة» بكسر الميم[1] اسم الآلة ويحتمل المصدر و«العالم بزمانه» أي بأطوار زمانه وعادات أبناء دهره «لاتهجم عليه اللوابس» لايقع في الشبهات والأغاليط بل يكون ذا حزم واحتياط.

«والحزم مساءة الظنّ» الحزم إحكام الأمر وضبطه والأخذ بالثقة والمساءة، مصدر ميمي والمراد بمساءة الظنّ التجويز العقلي الذي يقع بها الإحتياط لا اعتقاد الفساد أو القول بالسوء[2] رجماً بالغيب فإنّه مذموم بل ينبغي أن يكون الإنسان حسن الظنّ بالخلائق، ولا منافاة بين الأمرين.

«و بين المرء والحكمة نعمة العالم»[3] بفتح النون يعني أنّ الموصل للمرء إلى الحكمة تنعم العالم بعلمه فإنّه إذا رآه المرء انبعثت نفسه الى تحصيل الحكمة أو إضافة النعمة بالكسر بيانية أي العالم الذي هو نعمة من الله سبحانه يوصل المرء إلى الحكمة بتعليمه له إيّاها.

١ . بفتح الميم، ق. وهذا هو الصحيح كما أشار اليه «معيار اللغة» وقال: ومنه حسن الخلق مجلبة للمودّة «ض.ع».

٢ . أو القول بالظنّ، مكان، القول بالسوء، ق.

٣ . يعني الواسطة المصلح الموجب للمواصلة بين المرء وماهو العلم حقّاً إنّما هو التشيع ومعرفة الإمام فجرى (عليه السلام) في التعبير عن التشيع بـ«النعمة» على نسق القرآن ونظير قوله تبارك وتعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي» المائدة/٣ كثير في الكتاب الكريم ووجه اضافتها الى العالم بمعنى الإمام ظاهر. كذا في «الهدايا». «ض.ع».

«والجاهل شقي بينهما» أي له شقاوة حاصلة من بين المرء والحكمة أو المتعلم والعالم وذلك لأنّه لايزال يتعب نفسه إمّا بالحسد أو الحسرة على الفوت أو السعي في التحصيل مع عدم القابلية للفهم.

وقال أستادنا صدرالمحقّقين (طاب ثراه): لعلّ المراد به أنّ الرجل الحكيم من لدن عقله وتمييزه الى بلوغه حدّ الحكمة يتنعّم بنعمة العلم ونعيم العلماء فإنّه لايزال في نعمة من أغذية العلوم، وفواكه المعارف فإنّ معرفة الحضرة الإلهية لروضة فيها عين جارية وأشجار مثمرة قطوفها دانية، بل جنة عرضها كعرض السماء والأرض، والجاهل بين مبدأ أمره ومنتهى عمره في شقاوة عريضة وأمل طويل ومعيشة ضنك وضيق صدر وظلمة قلب الى قيام ساعته وكشف غطائه، وفي الآخرة عذاب شديد.

«وليّ من عرفه» الولي: القريب والمحبّ والمعرفة تسلتزم القرب والودّ.

«وعدوّ من تكلفه» أي العرفان والمتكلّف بالعرفان المتصنع المرائي به هو أخبث ذاتاً وأشدّ بعاداً عن الحقّ من الجاهل المحض، إذ النفاق أسوء من الكفر.

«والعاقل غفور» لقربه من منبع الرحمة والمغفرة.

«والجاهل ختور» غدار كثير الغدر لقربه من معدن المكر والخديعة وفي بعض النسخ بالمثلثة من الخثورة وهي نقيض الرقة.

«ومن خشن عنصره» أصله ونسبه وطينته «غلظ كبده» لأن الأبدان تابعة للأرواح وهي معادن كمعادن الذهب والفضة، عبّر بالكبد عن القوى البدنية لأنه مناطها ومنبعها، وإنّما عدل عن القلب الى الكبد تنبيهاً على أن الجاهل لاقلب له، فإنّ القلب يطلق على محل المعرفة والإيمان قال الله سبحانه: إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ[١].

« و من فرّط تورّط» أي من قصر في طلب الخير والنجاة وقع في ورطة الشرّ والهلاك.

و«التوغل» الدخول في الشيء و«الجدع» بالجيم والمهملتين قطع الأنف وهو

١. سورة ق/٣٧.

كناية عن الخزي والذلّ.

«ومن لم يعلم لم يفهم» أي من لم يكن عالماً بشيء لم يميز الحق من الباطل فيه فلم يسلم من ارتكاب الباطل و«المضم»: الكسر والظلم وفي بعض النسخ «تهضّم» من باب التفعل وهو أوفق بنظائره لدلالته على المضي وحاصل آخر الحديث إنّ من لم يكن من أهل العلم والمعرفة كان من أهل اللؤم والعيب فهو أحرى الناس بالحسرة والندامة.

٣٢ - ٣٢ (الكافي - ١: ٢٧) محمد رفعه قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام) «من استحكمت لي فيه خصلة من خصال الخير احتملته عليها واغتفرت فقد ماسواها ولاأغتفر فقد عقل ولادين لأنّ مفارقة الدين مفارقة الأمن فلايتهنّأ بحياة مع مخافة وفقد العقل فقد الحياة ولايقاس إلّا بالأموات».

بيان

«استحكمت لي» أثبتت في نفسه بحيث يصير خُلقاً له وملكة راسخة فيه.

«خصلة» واحدة أيّة خصلة كانت «من خصال الخير» من جنود العقل الخمسة والسبعين التي مرّ ذكرها كالفهم أو السخاء أو حسن الخلق مثلاً.

«احتملته عليها» قبلته ورحمته على تلك الخصلة في الدنيا وشفعت له ولاأدعه يعذّب بالنار في الآخرة.

«واغتفرت فقد ماسواها» إلّا فقد العقل والدين، فإنّ فقد شيء منهما غير مغتفر أصلاً ولوتحقّق معه ألف حسنة، لأنّ أحدهما بمنزلة الأمن الذي بدونه لايتهنأ بالحياة والآخر بمنزلة الحياة التي من فقدها فهومن الأموات، وذلك لأنّ من لادين له فهولايزال في مخافة[١] أن تنزل به نقمة من الله، ومن لاعقل له فهو لايزال يتعاطى ماضرّه أقرب من نفعه فحياته كـ«لاحياة»، ولايقاس إلّا بالأموات.

١. لكونه على غير يقين ومعرفة من أمره كما هو شأن أهل الكفر والعصيان، ك.

٣٣ ـ ٣٣ (الكافي ـ ١:٢٧) علي، عن موسى بن ابراهيم المحاربي، عن الحسن بن موسى، عن موسى بن عبدالله، عن ميمون بن علي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «قال أميرالمؤمنين (عليه السلام) إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله» .

بيان:

«أعجاب المرء بنفسه» استعظامه نفسه بمايرى فيه من الكمال علماً كان أو عملاً أو وجدان مال أو جاهٍ أو غير ذلك مع نسيان اضافته الى الله تعالى، ومنشأه قلة بصيرته وقصور علمه بحال نفسه من عجزه واضطراره وذُلّه بين يدي ربّه، وإبهام عاقبته الى غير ذلك.

٣٤ ـ ٣٤ (الكافي ـ ١:٢٨) علي بن محمد، عن البرقي، عن أبيه، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «ليس بين الإيمان والكفر إلّا قلّة العقل» قيل: وكيف ذاك يابن رسول الله قال «إنّ العبد يرفع رغبته الى مخلوق فلو أخلص نيّته لله لأتاه [١] الذي يريد في أسرع من ذلك».

بيان:

«إلّا قلة العقل» وذلك لأنّ الايمان والكفر عبارتان عن نور العقل وظلمة الجهل «إنّ العبد» هذا مثل ضربه (عليه السلام) لتفهيم السائل ومعناه أنّ قلة العقل تحمل صاحبها على أن يرفع حاجته الى مخلوق و يعرض عن الله سبحانه وذلك هو الشرك الذي هو من أنواع الكفر وفيه تنبيه على أنه كلّما وقع من العبد من زلّة أو معصية أو كفر فذلك من قلة عقله، فلوأخلص نيّته لله بأن علم وآمن بأن لاموثر في الوجود

١. لاتاه الله «المرآة والكافي المخطوط م».

ولامعطي للجود إلّا الله سبحانه لم يرفع حاجته إلى مخلوق بل رفعها إلى الله وحده فانجح في أسرع من ذلك.

٣٥ ـ ٣٥ (الكافي ـ ١:٢٨) العدّة، عن سهل، عن الدهقان، عن أحمدبن عمر الحلبي [١]، عن يحيى بن عمران، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال كان أميرالمؤمنين (عليه السلام) يقول بالعقل استخرج غور الحكمة [٢] و بالحكمة استخرج غور العقل، وبحسن السياسة يكون الأدب الصالح» قال وكان يقول «التفكّر حياة قلب البصير كما يمشي الماشي في الظلمات بالنور بحسن التخلص وقلة التربّص» .

بيــان:

«بالعقل» أي باستعمال العقل النظري والعملي معاً.

«استخرج[٣] غور الحكمة» أي غوامض المعارف الحكمية والعلوم الالهية.

«و بالحكمة استخرج غور العقل» [٤] أي بادراك الحقائق العقلية وتحصيل المعارف الحكمية استخرج النفس من حدّ القوة الى الفعل ومن حدّ النقص إلى الكمال في باب العقل والمعقول وفي التأدّب بالآداب الصالحة والتخلق بالأخلاق الحميدة فتصير عقلاً

١ . أحمدبن عمربن أبي شعبة الحلبي، ثقة، روى عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) وعن أبيه (عليه السلام) من قبل، وهو إبن عمّ عبيدالله وعبدالأعلى وعمران ومحمد الحلبيّين روى أبوهم عن أبي عبدالله (عليه السلام)، وكانوا ثقات. انظر ص١٣١ ج١ من مجمع الرجال. «ض.ع».

٢ . على صيغة الماضي المجهول ويحتمل الأمر والمضارع المتكلّم، كذا في هامش ك .

٣ . قوله: «بالعقل استخرج غور الحكمة» أي قعر الحكمة والبالغ منها نهاية الخفاء و«الحكمة» العلوم الحقّة والمعارف اليقينيّة التي يدركها العقل فالوصول الى أخفائها وحقيقة بواطنها بالعقل. رفيع (رحمه الله).

ونعم مااستفاد من الكلام فإن المراد من «الحكمة» لوكان مايستفاد من السماع تعبداً لاستوى فيه العاقل والبليد بل «الحكمة» مايختص بالعاقل و يستخرج هو دون غيره دقائقها فهي غير مايستفاد بالسماع. «ش».

٤ . قوله: «بالحكمة» استخرج غور العقل أي نهاية مافي قوته من الوصول الى العلوم والمعارف فإنّ بالعلم والمعرفة يعرف نهاية مرتبة العقل، أو يظهر نهاية مرتبته و يبلغ كماله، «وبحسن السياسة يكون الأدب الصالح» أي بحسن التأديب يحصل الأدب الصالح رفيع (رحمه الله). ونقل كلام المحشى في مرآة العقول أيضاً.

كاملاً بالفعل، وهو المراد من غور العقل يعني غايته وكماله الأقصى.

والحاصل أنّ كلّ مرتبة من العقل يقتضي استعداد الوصول الى مرتبة من الحكمة اذا حصلت للنفس تجعلها مستعدة لفيضان مرتبة أخرى فوقها من العقل و بالعكس وهكذا يتدرجان في الاشتداد والازدياد الى أن يبلغا الى الغاية القصوى والدرجة العليا فبكل منهما يقع الوصول الى غور الآخر وغايته.

«بحسن السياسة» أي باستعمال العقل العملي وتهذيب الأخلاق سواء كان السائس من خارج كالسلطان أو من داخل كحسن تدبير النفس.

«التفكر حياة قلب البصير» [1] إشارة الى كيفية استخراج الحكمة والسير في عالم الملكوت وشبه التفكر في ظلمات النفس بالنور في ظلمات الأرض ضرباً للمثل.

«بحسن التخلّص» أي من الورطات.

«وقلة التربّص» أي بسرعة الوصول الى المطلوب.

١. قوله: «التفكر حياة قلب البصير» أي قلب البصير الفهم يصير حيّاً عالماً عارفاً بالتفكر وهو الحركة النفسانية في المقدمات الموصلة الى المطلوب فالفهم يمشي و يتحرّك بتفكره في حال جهله بالمطلوب الى المطلوب بحسن التخلص والنجاة من الوقوع في الباطل، كما يمشي الماشي في الظلمات بالنور.

وقوله: «بحسن التخلص» يحتمل تعلقه بـ«المشبه» وبـ«المشبه به» و«بهما» و يعلم الاشتراك على الأولين بالتشبيه. رفيع ـ(رحمه الله).

-٢-

باب فرض طلب العلم والحث عليه

٣٦ - ١ (الكافي - ١:٣٠) علي عن أبيه، عن الحسن بن أبي الحسين الفارسي عن عبد الرحمان بن زيد، عن أبيه [١] عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا إنّ الله يحبّ بغاة العلم» .

بيـــان:

العلم الذي طلبه فريضة على كل مسلم: هو العلم الذي يستكمل به الإنسان بحسب نشأته الأخروية ويحتاج اليه في معرفة نفسه ومعرفة ربه ومعرفة أنبيائه ورسله وحججه وآياته واليوم الآخر، ومعرفة العمل بمايسعده و يقرّبه الى الله تعالى وبمايشقيه و يبعده عنه جلّ وعزّ.

ويختلف مراتب هذا العلم حسب اختلاف استعدادات أفراد الناس واختلاف

١ . قال في الكافي بعد ذكر هذا الحديث: بهذا الإسناد وفي حديث آخر قال قال أبوعبدالله (عليه السلام) «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألاوان الله يحبّ بغاة العلم وهوبعينه حديث أول الباب ولذا لم نعده - منه (رحمه الله).

حالات شخص واحد بحسب استكمالاته يوماً فيوماً، فكلّما حصّل الإنسان مرتبة من العلم وجب عليه تحصيل مرتبة أخرى فوقها إلى ما لانهاية له بحسب طاقته وحوصلته.

ولهذا قيل لأعلم الخلائق قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً[1] وقيل وقت الطلب «من المهد إلى اللّحد» هذا أقوم ماقيل فيه، و«بغاة العلم»: طلاّبه جمع «باغ» كهداة جمع «هاد» وباغ العلم عرفاً من يكون اشتغاله به دائماً بحيث يعرف به و يعدّ ذلك من أحواله كما هو ظاهر.

٣٧ - ٢ (الكافي - ١: ٣٠) محمّد عن محمّدبن الحسين عن محمّدبن عبدالله، عن عيسى بن عبدالله العُمَري عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «طلب العلم فريضة» .

٣٨ - ٣ (الكافي - ١: ٣٠) العدّة عن البرقي عن يعقوب بن يزيد عن أبي عبدالله رجل من أصحابنا رفعه قال قال أبوعبدالله (عليه السلام): «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طلب العلم فريضة» .

٣٩ - ٤ (الكافي - ١: ٣٠) عليّ، عن العبيدي، عن يونس، عن بعض أصحابه قال سُئل أبوالحسن (عليه السلام) هل يسع النّاس ترك المسألة عمّا يحتاجون اليه؟ فقال «لا».

بيان

«عمّا يحتاجون إليه» أي في أمور دينهم، فالجواب[2] على المسؤول إن كان عالماً به وإلّا فالحوالة على العالم.

١ . طه/١١٤.
٢ . فالجواب متعين، ق.

٤٠ ــ ٥ (الكافي ـ ١: ٣٠) علي بن محمد وغيره، عن «سهل» «ومحمد، عن ابن عيسى» جميعاً، عن السّراد، عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة، عن أبي اسحاق السبيعي،[1] عمن حدثه قال: سمعت أميرالمؤمنين (عليه السلام) يقول «أيّها الناس إعلموا أنّ كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإنّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال إنّ المال مقسوم مضمون لكم قدقسّمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون عند أهله وقدأمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه» .

بيان:

«مقسوم» اشارة الى قوله سبحانه: نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَيٰوةِ الدُّنْيَا[2] «مضمون لكم» إشارة الى قوله عزّ وجلّ: وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللّٰهِ رِزْقُهَا[3] «عند أهله» وهم علماء أهل البيت الذين هم أوصياء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلفاء الله في أرضه وحججه على خلقه ثمّ من أخذ عنهم واستفاد من محكمات كلامهم من غير تصرّف فيه.

٤١ ـ ٦ (الكافي ـ ١: ٣١) علي بن محمد بن عبدالله، عن البرقي [4]، عن عثمان عن علي بن أبي حمزة قال سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «تفقّهوا في الدين فإنّه من لم يتفقّه منكم في الدين فهو أعرابي إنّ الله يقول في كتابه: ... لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» [5] .

١ . قيل: السبيعي، بضم المهملة وفتح الباء الموحدة و«سبيع» اسم أبي بطن من «همدان» وفي «الايضاح» السبيعي بفتح السين المهملة وكسر الباء المنقطة تحتها نقطة واسكان الياء والعين المهملة. «ض.ع» .

٢ . الزخرف/٣٢.

٣ . هود/٦.

٤ . البرقي نسبة إلى برقارود وهي قرية بـ«قم» كما استظهر المامقاني من كلام النجاشي راجع ج١/٨٣ تنقيح المقال «ض.ع».

٥ . التوبة/١٢٢.

بيـــان:

«تـفـقّـهـوا في الـدين» حصّلوا لأنفسكم البصيرة في علم الدين والفقه أكثر مـايـستـعـمـل في الـقـرآن والحديث يكون بهذا المعنى، والفقيه هوصاحب هذه البصيرة، وعلم الدين هو العلم الأخروي الكمالي الذي أشرنا اليه آنفاً و يدخل فـيـه مـعـرفة آفات النفوس ومفسدات الأعمال والإحاطة بحقارة الدنيا والتطلّع الى نـعيم الآخـرة واسـتـيـلاء الخوف على الـقـلـب كمايدلّ عليه قوله سبحانه: وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ[1] ومعرفة مهمات الحلال والحرام وشرائع الأحكام على ماجاء به الـنبي (صلى الله عـلـيـه وآلـه وسـلـم) و بلّغ عنه أهل البيت (عليهم السلام) في محكمـاتـهـم دون مـايستنبط من المتشابهات و يستكثر به المسائل والتفريعات كما اصطلح عليه القوم اليوم.

«أعـرابي» عامّي جاهل بأمر الدين بفتح الهمزة منسوب الى الأعراب وهم سكـان الـبـوادي الـذي لايـدخـلون الأمصار إلّا لحاجة دنيو يةٍ و يكونون جهلة لايـعـرفون مناهج الشريعة والدين قال الله تعالى: ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَاأَنْزَلَ اللهُ[2] و يقابله «المهاجر» وهو الذي هجر وطنه وفارقه لأجل اكتساب البصيرة في الدين وتعلّم الفقه واليقين.

٤٢ - ٧ (الـكـافي - ١: ٣١) الحسين بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن القاسم بن الـربـيـع، عـن مـفـضـل بـن عـمر قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «عـلـيـكـم بـالـتفقّه في دين الله ولا تكونوا أعراباً [3] فإنّه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يزكّ له عملاً» .

١ . التوبة/١٢٢.

٢ . التوبة/٩٧.

٣ . قوله: «ولا تكونوا أعراباً» أي كالاعراب في عدم التفقه فقدذمّ الله تعالى بقوله: «الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألايعلموا حدود ماأنزل الله» و بيّن وجوب التفقه في الدين وأكده بقوله: «فإنّه من لم يتفقّه في دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيامة ولم يزكّ له عملاً» وتفصيل المقام أنه (عليه السلام) بيّن وجوب التفقّه بوجوه:

الأول: إنّ عدم التفقه جدير بمن هو أشدّ كفراً ونفاقاً ومن اختاره يكون كمن آثر الكفر والنفاق. ←

بيـــان:

«لم ينظر الله اليه» يعني بعين اللطف والعناية لأنّ قلبه مظلم فلايصلح لأن يقع موضع نظر الله سبحانه.

و«الـنـظـر» يـكنّى بـه عـن الرحمة والعطوفة والإختيار كما يكنّى بتركه عن الغضب والمقت والكراهة.

«ولم يـزكّ لـه عـمـلاً» لأنّ الـعامل من غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لايزداده كثرة السّير الّا بُعداً .

٤٣ - ٨ (**الـكـافي - ١:٣١**) الـنيسابوريان، عن إبن أبي عمير، عن جميل بن درّاج عـن أبـان بن تغلب، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «لوددت أنّ أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقّهوا» .

بيـــان:

السّياط[١] جمع سوط وهو مايجلد به.

٤٤ - ٩ (**الكافي - ١:٣١**) علي بن محمد، عن سهل، عن محمد بن عيسى، عمّن رواه، عـن أبي عـبدالله (عـلـيـه السلام) قال: قال له رجل جعلت فداك رجل عـرف هـذا الأمـر لـزم بـيته ولم يتعرّف [٢] إلى أحد من إخوانه قال فقال «كيف يتفقّه هذا في دينه؟» .

←

والثاني: ان من لم يتفقّه في دين الله لم ينظر [الله] اليه يوم القيامة ولم يزكّ له عملاً أي لا تشملهم رحمته ولايثابون على أعمالهم لأنّ أعـمـالهـم لم تـكـن على وجه الإنـقـياد والإطاعة لله والاطاعة والانقياد إنّما يتصوّر فيا يعلم فيه الأمر والنهي ومن لم يتفقّه لم يـعلم وكلّما لايكون على وجه الاطاعة والانقياد لم يكن عبادة له، ومن لم يعبد الله لم يكن محسناً ولم ينل رحمة الله تعالى ولم يكن مثاباً بعمله.

الثـالـث: مـا اسـتـدل بـه في الحـديث الـسابق على هذا الحديث بقوله: إنّ الله يقول في كتابه: «ليتفقّهوا في الدين» فأوجب الخروج للتفقه، ولو لم يكن التفقه واجباً لم يكن الخروج له واجباً - رفيع (رحمه الله).

١ - قلبت واوه ياء لكسر ماقبلها، منه «عهد» ك .

٢ - يقال تعرف فلان إذا تقرّب اليه بحيث يعرفه، ك ، ولم يتعرف أي لم يتقرّب، ك ج.

بيان:

المراد بهذا الأمر التشيّع ومعرفة حجيّة أهل البيت (عليهم السلام) وفي الحديث دلالة على أن اعتزال العامي الجاهل بأمر الدين لاخير له بل هو حرام لاستلزامه فوت الفريضة التي هي التعلم والتفقّه.

٤٥ - ١٠ **(الكافي - ١:٣٢)** الاثنان، عن الوشّاء، عن حمادبن عثمان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فقّهه في الدين» .

٤٦ - ١١ **(الكافي - ١:٣٣)** القمي، عن محمدبن حسان، عن إدريس بن الحسن، عن أبي إسحاق الكندي، عن بشير الدّهان قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام) «لاخير فيمن لايتفقّه من أصحابنا يابشير؛ إنّ الرجل [١] منهم إذا لم يستغن بفقهه احتاج إليهم فاذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لايعلم» .

مرجع ضماير الجمع، العامة سوى الأول، فانّ مرجعه الأصحاب.

٤٧ - ١٢ **(الكافي - ٨:٢٤٢)**[٢] العدّة، عن البرقي، عن بعض أصحابنا، عن محمدبن الهيثم، عن زيدبن الحسن قال سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «من كانت له حقيقة ثابتة لم يقم على شبهة هامدة حتى يعلم منتهى الغاية و يطلب الحادث من الناطق عن الوارث بأيّ شيء جهلتم ماأنكرتم و بأيّ شيء عرفتم ماأبصرتم إن كنتم مؤمنين» .

١ . «منكم» كذا في الكافي المخطوط.
٢ . رقم ٣٢٣.

بيـــان:

«الهمود» السكون والتسكين يعني من كان له قدم راسخ في الدّين وهمّة عالية في طلب اليقين لم يصبر على الوقوع في شبهة دينية ساكنة فيه أو مسكنة له دون أن يطلب الخروج منها والتخلّص عنها حتى يعلم منتهى غاية كلّ شيء وذلك بأن يكتسب العلم الجديد الذي يميط عن قلبه كلّ شبهة ممّن ينطق عن الوارث للكتب المنزلة والعلوم الإلٰهية من النبيّين والمصطفين.

وهل جهلتم ماجهلتم إلّا بوقوفكم على الشبهة الساكنة ورضاكم بالجهل اللازم وتركـكم لطلب العلم من أهله وهل عرفتم ماعرفتم إن كنتم من أهل البصيرة والإيمان إلّا بأخذكم العلم من أهله وتعلّمكم من العالم به فماالذي يثبّطكم عن ذلك وفي هذا الحديث حثّ وكيد وترغيب شديد، على التفقّه في الدّين واستزادة اليقين ويحتمل أن يكون في الحديث اشارة الى وجوب معرفة الإمام وأريد «بالحادث» الإمام الذي يكون بعد الناطق عن الوارث.

٤٨ ـ ١٣ (الكـافي ـ ١:٣٢) النيسابوريان، عن حمادبن عيسى، عن ربعي، عن رجل، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال «الكمال كلّ الكمال: التفقّه في الدّين، والصبر على النائبة وتقدير المعيشة».

بيـــان:

«النائبة» المصيبة و«تقدير المعيشة» تعديلها وتقويمها بحيث لايميل الى طرفي الإسراف والتقتير[١] كما قال الله سبحانه: وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوَاماً[٢].

١ ـ اقتر وقتر عليهم أي ضيق في النفقة، قاموس.
٢ ـ الفرقان/٦٧.

وفي بعض ألفاظ هذه الرواية «وحسن تقدير المعيشة» كما يأتي في كتاب «المعايش» ولعمري إنّ التكاليف الشاقة منحصرة في هذه الثلاث

٤٩ - ١٤ **(الكافي - ١:٣٣)** علي بن محمد، عن سهل، عن النوفلي، عن السكوني عن أبي عبدالله (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لاخير في العيش إلّا لرجلين عالم مطاع أو مستمع واع»

بيــــان:

العيش: الحياة و«الواعي» الحافظ والجامع.

-٣-

باب صفة العلم[1]

٥٠ - ١ (الكافي - ٣٢:١) محمد بن الحسن وعلي بن محمد، عن سهل، عن محمد بن عيسى، عن الدهقان، عن درست، عن ابراهيم بن عبدالحميد، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال: «دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المسجد فاذا جماعة قد أطافوا برجل فقال «ماهذا؟» فقيل علاّمة، فقال «وما العلاّمة»؟

فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وآيّام الجاهلية والأشعار والعربية قال فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «ذاك علم لايضرّ من جهله ولاينفع من علمه» ثم قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «انّما العلم ثلاثة[2] آية محكمة[3] أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة، وماخلاهنّ فهو فضل».

١ . يعني انّ العلم المحثوث عليه ماهو؟ وماصفته؟ منه رحمه الله ك .

٢ . قال السيد الداماد (قدس سرّه) علم الآية المحكمة هو العلم النظري الذي فيه المعرفة بالله سبحانه وبحقائق مخلوقاته ومصنوعاته وبأنبيائه ورسله وبحقيقة الأمر في البدو منه والعود اليه وهذا هو الفقه الأكبر وعلم الفريضة العادلة هو علم الشرعي الذي فيه المعرفة بالشرائع والسنن والقواعد والأحكام في الحلال والحرام وهذا هو الفقه الأصغر وعلم السنّة القائمة هو علم تهذيب الأخلاق وتكميل آداب السفر إلى الله والسير إليه وتعرف المنازل والمقامات والتبصرة بمافيها من المهلكات والمنجيات.

٣ . قوله: آية محكمة... إنّما العلم أي الحقيق بأن يُعد علماً هو المحتاج إليه والمنتفع به في الدين والدنيا وهو ثلاثة أقسام: العلم بآية محكمة من الكتاب بمعرفة مافيها من المعارف والأحكام والآية المحكمة هي التي لم تكن منسوخة ولامحتاجة إلى التأويل ←

بيـــان:

«علاّمة» أي كثير العلم والتاء فيه للمبالغة.

«لايضرّمن جـهـلـه» تنبّههم على أنّه ليس بعلم في الحقيقة إذ العلم في الحقيقة هو الـذي يضرّجـهـلـه في المعاد و ينفع اقتناؤه يوم التناد، لاالذي يستحسنه العوام و يكون مصيدة للحطام، ثمّ بيّن لهم العلم النافع المحثوث عليه في الشرع وحصره في ثلاثة

وكـأنّ الآيـة المحكمـة إشـارة إلى أصـول العقائد فإنّ براهينها الآيات المحكمات من الـعـالَم أو مـن الـقـرآن وفي القرآن في غير موضع إنّ في ذلِكَ لآيات أو «لآية» حيث يذكر دلائل المبدء والمعاد والفريضة[1] العادلة إشارة الى علوم الأخلاق التي محاسنها من جنود الـعـقـل ومـسـاويها مـن جـنود الجهل فانّ التحلّي بالأول والتخلّي عن الثاني فريضة وعدالتها كناية عن توسطها بين طرفي الإفراط والتفريط والسنة القائمة إشارة إلى شرائع الأحـكـام ومـسائل الحلال والحرام وانحصار العلوم الدينيّة في هذه الثلاثة معلوم وهي التي جمعها هذا الكتاب وهي مطابقة على النشآت الثلاث الإنسانية فالأول على عقله والـثـاني على نـفـسـه والثالث على بدنه، بل على العوالم الثلاثة الوجودية التي هي عالم العقل والخيال والحسّ فهو فضل زايد لاحاجة إليه أو فضيلة ولكنه ليس بذاك .

والعلم بفريضة عادلة والمراد بالفريضة ماأوجبه الله تعالى بخصوصه سواء علم وجوبه بالمحكمات من الآيات أو بطريق اخر أو الـفـريـضـة: الـواجـب مطلقاً، والمراد بالعادلة القائمة، أي الباقية الغير المنسوخة وقيل الفريضة العادلة المعدّلة على السهام المذكورة في الكتاب والسنة وقيل مااتّفق عليه المسلمون وماذكرناه أقرب، والعلم بسنة قائمة.

والمراد بالسنة الطريقة أي مايكون ثبوته من جهة الطريقة التي سنّها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

واذا قـوبـلـت بـالـفـريـضـة يراد بها مالايكون فريضة فكل من هذه العلوم يغاير الآخرين ولذا ثلّث القسمة فلايضرّ اجتماع بـعـضـهـا مع بعض في الجملة ولاحاجة الى تخصيص الأول بالمعارف الأصولية بقرينة المقابلة كما ظنّ و يندرج فيها المعارف الأصـولـيـة والـمـسـائـل الـفـروعية سوآء وجب الفعل أو الترك ويحتمل أن يكون المراد من العلم بآية محكمة الاطلاع على الآية وفـهـمـهـا ومـن الـعلم بالفريضة العادلة ماهومن المعارف الأصولية و يكون العادلة حينئذ بمعنى القائمة في النفوس المستقيمة ومن العلم بالسنة القائمة، العلم بالشرعيات كلّها والأول يغاير الآخرين وإن كان قديوصل اليها كالعلم بالدليل يغاير العلم بالمدلول وإن كان موصلاً إليه. رفيع ـ (رحمه الله).

١ . وفي النهاية الاثيرية فسّر «الفريضة» بـ«الميراث» و«العادلة» بـ«تعديل السهام» قال: ويحتمل أنه يريد انّها مستنبطة من الكتاب والسنّة فتكون هذه الفريضة تعدل بماأخذ عنهما منه (رحمه الله).

٥١ ـ ٢ (الكافي ـ ١:٥٠) علي، عن أبيه عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن سفيان بن عيينة قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «وجدت علم الناس كلّه في أربع، أولها أن تعرف ربّك[1] والثاني أن تعرف ماصنع بك والثالث أن تعرف ماأراد منك والرابع أن تعرف مايخرجك من دينك» .

بيـان:

في أربع لأن الغاية فيه إمّا مجرّد العلم أو العمل بموجبه والأول إمّا متعلق بأحوال المبدأ أو المعاد، والثاني إمّا المطلوب فيه اقتناء فضيلة أو اجتناب رذيلة فهذه أربعة أقسام:

«أن تعرف ربّك» اشارة الى القسم الأول و يندرج فيه معرفة ذات الله ووحدانيته ومعرفة صفاته العليا وأسمائه الحسنى ومعرفة آثاره وأفعاله وقضائه وقدره وعدله وحكمته.

«ماصنع بك» إشارة الى معرفة النفس وأحوالها ومقاماتها ومعرفة ماتعود إليه وتنشأ منه وكيفية نشوء الآخرة من الدنيا ومعرفة الموت والبعث والصراط والحساب والميزان والثواب والعقاب والجنة والنار فإنّ جميع هذه الأمور ممّاصنعه الله بالنفس الانسانية وفيها ومنها وليس شيء منها خارجاً عن ذات النفس.

«ماأراد منك» إشارة إلى معرفة الفضائل النفسانية ليمكن اكتسابها وهي

١ . قوله: «أولها أن تعرف» أي علم الناس بمايحتاجون الى معرفته و ينتفعون به منحصر في اربع: أوّلها أي أوّل المعارف الأربع أو أوّل أقسامها حيث عرف انقسامها بالأقسام أن تعرف ربّك بكونه موجوداً أزلياً أبدياً واحداً أحداً عالماً قادراً و بسائر صفات ذاته وصفات فعله معرفة يقينيّة فيا يمكن منها تحصيل اليقين فيه.
والثاني من الأقسام معرفتك بماصنع بك من اعطاء العقل والحواس والقدرة واللطف بارسال الرسل وانزال الكتب وسائر نعمه العظام، والثالث معرفتك بماأراد منك طلب فعله أو الكف عنه وبما أراد من طريق معرفته وأخذه من المأخذ المعلومة بالعقل أو النقل.
والرابع أن تعرف مايخرجك من دينك كاتباع الطواغيت والأخذ من غير المأخذ وانكار الضروري من الدين ـ رفيع ـ (رحمه الله).

الأخلاق الحسنة والملكات الحميدة التي هي من جنود العقل كالعلم والكرم والعفّة والصبر والشكر والتوكل والرضا ومايجري مجراها و يندرج فيها العلم بالأوامر ومايتعلق بها من المعاملات التي يؤتى بها.

«مايخرجك من دينك» إشارة إلى معرفة الرذائل النفسانية ليمكن اجتنابها وهي الأخلاق السيّئة والملكات المذمومة التي هي من جنود الجهل كاعدام تلك الفضائل أو أضدادها و يندرج فيها العلم بالنواهي ومايتعلّق بها من المعاملات التي ينتهي عنها والقسمان الأولان من هذه الأربعة يندرجان في الأول من الثلاثة المذكورة في الخبر السابق والآخران يقتسمان الآخرين فالخبران متوافقان.

٥٢ - ٣ (الكافي - ١: ٤٩) الاثنان، عن محمدبن جمهور، عن التيمي عمّن ذكره عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «من حفظ من أحاديثنا أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة عالماً فقيهاً».

بيــان:

هذا الحديث مشهور مستفيض بين الخاصة والعامة بل قال بعضهم بتواتره وقدرواه أصحابنا بطرق كثيرة مع اختلاف في اللفظ، فنها مارواه الصدوق[١] باسناده عن الكاظم (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «من حفظ على أمّتي أربعين حديثاً ممّايحتاجون إليه في أمر دينهم بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً» وفي رواية أخرى «كنت له شفيعاً يوم القيامة»[٢] وكأنّ «على» بمعنى اللام أي لأجلهم أو يكون لتضمين معنى الشفقة ونحوها وفي الرّواية الأخرى «من» مكان «على» وحفظ الحديث ضبطه وفهم معانيه وروايته وحراسته عن الاندراس سواء كان عن ظهر القلب أو بالكتابة[٣].

١. خصال ص٥٤١ حديث ١٥
٢. خصال ص٥٤١ حديث ١٦
٣. بالكتابة أو النقل عن الناس ولومن كتاب وحافظ الخ، توجد هذه الزيادة في سائر النسخ.

وحافظ اللفظ فقط من دون فهم المعنى مأجور مرحوم لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «رحم الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها فربّ حامل فقه ليس بفقيه ورُبَّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه» إلّا أنّ دخوله في هذا الحديث بعيد لأنه ليس بفقيه ولا عالم فكيف يُبعث فقيهاً عالماً وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام) لها مزيد اختصاص وشرف ليس في غيرها ممّا روته العامة ولاسيّما روايات العامة لا اعتماد عليها لكثرة كذبهم فيها لأغراضهم الفاسدة ولهذا قال من أحاديثنا ولابدّ من المغايرة بين أفراد هذا العدد في المعنى والمضمون دون اللفظ فقط وأن تكون من الأمور الدينية كما هو المصرّح به في بعضها أعني العلوم الثلاثة التي ذكرناها آنفاً ولعلّ الوجه في تعيين عدد الأربعين أنّ اكتساب هذا المقدار من العلم يورث في القلب غالباً ملكة علمية وبصيرة نوريّة يقتدر بها على استحضار غيرها من المعلومات فيبعث في زمرة الفقهاء والعلماء أو أنّ مجامع العلوم الثلاثة ورؤوس مسائلها تؤول إلى ذلك.

كما يدلّ عليه مارواه الصدوق (رحمه الله) في «الخصال»[١] في هذا المعنى عن علي بن احمد بن موسى الدقاق والحسين بن إبراهيم بن هشام المكتب ومحمد بن احمد السناني (رضي الله عنهم) قالوا: حدثنا موسى بن عمران النخعي عن عمه الحسين بن يزيد عن اسماعيل بن الفضل الهاشمي واسماعيل بن أبي زياد جميعاً عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي (عليهم السلام).

قال: «إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فيما كان أوصى به ان قال له ياعلي: من حفظ من أمتي أربعين حديثاً يطلب بذلك وجه الله عزّ وجلّ والدار الآخرة حشره الله يوم القيامة مع النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً فقال علي (عليه السلام): يارسول الله ماهذه الأحاديث؟ فقال:

أن تؤمن بالله وحده لاشريك له وتعبده ولا تعبد غيره .

١. خصال ٥٤٣ حديث ١٩

وتقيم الصّلاة بوضوء سابغ في مواقيتها ولا تؤخرها فان في تأخيرها من غير علّة غضب الرّب عزّ وجلّ .

وتؤدّي الزكاة وتصوم شهر رمضان .

وتحجّ البيت إذا كان لك مال وكنت مستطيعاً وأن لا تعقّ والديك .

ولا تأكل مال اليتيم ظلماً ولا تأكل الرّبا ولا تشرب الخمر ولاشيئاً من الأشربة المسكرة .

وأن لا تزني ولا تلوط ولا تمشي بالنّميمة .

ولاتحلف بالله كاذباً ولا تسرق .

ولا تشهد شهادة الزّور لأحد قريباً كان أو بعيداً وأن تقبل الحقّ ممّن جاء به صغيراً كان أو كبيراً .

وأن لا تركن إلى ظالم وإن كان حميماً قريباً وأن لا تعمل بالهوى .

ولا تقذف المحصنة ولا ترآئي فان أيسر الرّياء شرك بالله عزّ وجلّ .

وأن لا تقول لقصير ياقصير ولالطويل ياطويل تريد بذلك عيبه .

وأن لا تسخر من خلق الله وأن تصبر على البلاء والمصيبة .

وأن تشكر نعم الله الّتي أنعم الله بها عليك وأن لا تأمن عقاب الله على ذنب تصيبه وأن لا تقنط من رحمة الله .

وأن تتوب الى الله عزّ وجلّ من ذنوبك فإنّ التّائب من ذنوبه كمن لاذنب له .

وأن لا تصرّ على الذّنوب مع الاستغفار فتكون كالمستهزىء بالله وآياته ورسله .

وأن تعلم أنّ ماأصابك لم يكن ليخطئك وإنّ ماأخطأك لم يكن ليصيبك وأن لا تطلب سخط الخالق برضا المخلوقين .

وأن لا تؤثر الدّنيا على الآخرة وأن تؤثر الآخرة على الدّنيا لأن الدّنيا فانية والآخرة باقية وأن لا تبخل على إخوانك ممّاتقدر عليه .

وأن تكون سريرتك كعلانيّتك وأن لا تكون علانيّتك حسنة وسريرتك قبيحة فان فعلت ذلك كنت من المنافقين .

وأن لا تكذب ولاتخالط الكذّابين وأن لا تغضب إذا سمعت حقّاً وأن تؤدّب

نفسك وأهلك وولدك وجيرانك على حسب الطّاقة .

وأن تعمل بماعلمت ولا تعاملنّ أحداً من خلق الله عزّ وجلّ إلّا بالحقّ .

وأن تكون سهلاً للقريب والبعيد وأن لا تكون جبّاراً عنيداً .

وأن تكثر من التّسبيح والتّقديس والتّهليل والدّعاء وذكر الموت ومابعده من القيامة والجنّة والنّار .

وأن تكثر من قراءة القرآن وتعمل بمافيه.

وأن تستغنم البرّ والكرامة بالمؤمنين والمؤمنات ولا تملّ من فعل الخير.

وأن تنظر إلى مالا ترضى فعله لنفسك فلا تفعله بأحد من المؤمنين ولا تثقل على أحد.

وأن لا تمنّ على أحد إذا أنعمت عليه.

وأن تكون الدّنيا عندك سجناً حتى يجعل الله لك جنّته.

فهذه أربعون حديثاً من استقام عليها[1] وحفظها عنّي من أمتي دخل الجنّة برحمة الله وكان من أفضل النّاس وأحبّهم إلى الله عزّ وجلّ بعد النّبيّين والصديقين، وحشره الله يوم القيامة مع النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقاً. وعلى هذا الحديث يكون المراد بالحفظ «العمل» كما ظهر من سياقه.

٥٣ ـ ٤ (الكافي ـ ١:٤٨) علي بن محمّد، عن سهل، عن الأشعري، عن القداح عن أبي عبدالله، عن آبائه (عليهم السلام) قال: جاء رجل الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: يارسول الله: ماالعلم؟ فقال: «الانصات» قال: ثم مه؟ قال: «الاستماع» قال: ثم مه؟ قال: «الحفظ» قال: ثمّ مه؟ قال: «العمل به» قال: ثمّ مه يارسول الله. قال: «نشره» .

١ ـ لاينافي هذا المعنى لفظة «على» على ماوقع في بعض الروايات لأن المداومة على الأعمال المستلزمة لاقتداء الغير هي أبلغ وجوه الابلاغ، منه عزّ بهاؤه.

بيــان:

تعريف العلم بهذه الأمور من باب تعريف الشيء بعلاماته وأسبابه وغاياته فعلامة حصول العلم في أحد كونه متّصفاً بهذه الصفات وسبب حدوثه الإنصات والإستماع من المعلّم خارجيّاً كان أو داخليّاً بالأذن الحسّي، أو الأذن العقلي كما للأنبياء والأولياء وسبب بقائه حفظه والعمل بموجبه وغايته المتفرّعة عليه في الدّنيا العمل به ونشره وأمّا غايته الذاتية فالتقرّب إلى الله تعالى .

- ٤ -

باب فضل العلماء

٥٤ - ١ (الكافي - ١:٣٢) محمد، عن ابن عيسى، عن البرقي، عن أبي البختري عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «إنّ العلماء ورثة الأنبياء وذاك أنّ الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنّما أورثوا أحاديث من أحاديثهم فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظّاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه فإنّ فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين [1] وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» .

١ . قوله: «تحريف الغالين..» ناظر الى ماروي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) «يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» أي العدول الذين ذكرهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «فينا أهل البيت» والمراد بكلّ خلف كلّ قرن من القرون بعد رسول‌الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمراد بـ«العدول» الملازمون للطريقة الفضلى التي هي المتوسط بين الافراط والتفريط.
و«التحريف» صرف الكلام عن وجهه و«الغالين» المجاوزين الحدّ و«الانتحال» أن يدعي لنفسه مالغيره كأن يدّعي الآية والحديث الوارد في غيره أنه فيه و«المبطلين» الذين جاؤوا بالباطل وقرروه وذهبوا بالحقّ وضيّعوا الحق وأخفوه و«تأويل الجاهلين» تنزيلهم الكلام على غير الظاهر وتبيين مرجعه وهذا إنّما يجوز و يصحّ من العالم بل الراسخ في العلم رفيع (رحمه الله).

بيان:

ورثة الأنبياء يعني ورثتهم من غذاء الروح لأنّهم أولادهم الروحانيون الذين ينتسبون إليهم من جهة أرواحهم المتغذية بالعلم المستفاد منهم (عليهم السلام) كما أن من كان من نسلهم ورثتهم من غذاء الجسم لأنهم أولادهم الجسمانيون الذين ينتسبون إليهم من جهة أجسادهم المتغذية بالغذاء الجسماني حظّاً وافراً كثيراً لأنّ قليل العلم خير ممّاطلعت عليه الشمس.

«فانظروا» يعني لمّاثبت أن العلم ميراث الأنبياء فلابدّ أن يكون مأخوذاً عن الأنبياء (عليهم السلام)وعن أهل بيت النبوة الذين هم مستودع أسرارهم وفيهم أصل شجرة علمهم دون غيرهم فانّ المجاوزين عن الوسط الحق يحرّفون الكلم عن مواضعه بحسب أهوائهم والمبطلون يدّعون لأنفسهم العلم و يلبسون الحقّ بالباطل لفساد أغراضهم.

والجاهلون يأوّلون المتشابهات على غير معانيها المقصودة منها لزيغ قلوبهم فيشتبه بسبب ذلك طريق التعلم على طلبة العلم وفي أهل بيت النبي (صلوات الله عليه وعليهم) في كلّ خلف بعد سلف أمّة وسط، لهم الاستقامة في طريق الحق من غير غلوّ ولا تقصير ولازيغ ولاتحريف، يعني الإمام المعصوم وخواص شيعته الأمناء على أسراره الحافظين لعلمه الضابطين لأحاديثه.

فإنّ الأرض لاتخلو منهم أبداً وهم لايزالون ينفون عن العلم تحريف الغالين وتلبيس المبطلين وتأويل الجاهلين فخذوا علمكم عنهم دون غيرهم لتكونوا ورثة الأنبياء وهذا الحديث ناظر إلى ماروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه[1] قال:

«يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وتفسير-للعدول[2] الوارد فيه».

١ . دعائم الاسلام- ١:٨١ حديث ١٥٩

٢ . العدول، ف.

و«الخلف» بالتحريك والسكون كلّ من يجيء بعد مَن مضى، إلّا أنّه بالتحريك في «الخير» و بالتسكين في «الشرّ» يقال خلَف صدق وخَلْف شرّ.

٥٥ ـ ٢ (الكافي ـ ١:٣٣) محمد، عن ابن عيسى، عن محمد بن سنان، عن اسماعيل بن جابر، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «العلماء» أُمناء و«الأتقياء» حصون و«الأوصياء» سادة.

٥٦ ـ ٣ (الكافي ـ ١:٣٣) وفي رواية أخرى: العلماء «منار» والأتقياء «حصون» والأوصياء «سادة».

بيـان:

أمنـاء: أي أمنـاء الله في أرضه لأنّهم حملة كتابه، وحفظة أسراره، وخزنة حكمته «حصون» أي للشريعة لأنّ بالتقوى يدفع فساد المفسدين فإنّ مواظبة أهل التقوى على فعل الطاعات وترك المنكرات تؤثر تأثيراً عظيماً في قلوب الناس فلايجترؤون على هتك حرمة الشريعة وهدم حصونها أو للأمة لأنّ بهم و بتقواهم يدفع العذاب عن غيرهم.

«سادة» أي رؤساء لأنّهم يعظمون وتطاع أوامرهم ونواهيهم وليس لأحد الخروج من طاعتهم وأيضاً لأنهم أجلّ العلماء وأعظمهم والعلماء سادات الناس لأنّهم في رتبة الإنسانية وحقيقة الآدمية وهي العقل والتميز والروية والنطق، فهم أعظمهم وأكملهم والأفضل من الأفضل أولى بأن يكون أفضل وأجلّ، فالأوصياء أولى بأن يكونوا سادة الخلائق أجمعين ماخلا النبيّين والمرسلين.

«منار» لأنّ بهم يعرف معالم دين الله وسبيل طاعته وطريق رضوانه والمنار جمع «منارة» وهي موضع النور وعلم الطريق.

٥٧ ـ ٤ (الـكـافي ـ ١:٣٣) الـثـلاثـة ومحـمـد، عن احمد، عن ابن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد» [١].

بيــان:

وذلـك لأنّ بـالعلم حياة النشأة العقلية والتحلّي بالفضائل النفسانية والتخلّي عن الأخـلاق الـرديّـة و بـه تـرى حـقايق الأشياء كما هي و به تعرف الشرائع من الأوامر والـنـواهـي وهـو أصـل كـلّ سـعـادة وخير، ودفع كلّ شقاوة وشرّ وهو غاية كلّ سعي وحـركـة، ونهاية كـلّ عـمل وطاعة، و به يصير الحيوان البشري ملكاً مقرباً، والجوهر الظلماني نوراً عقلياً، والأعمى بصيراً، والضالّ مهديّاً هادياً، والسفلي علو يّاً والمسجون في سجين صائراً في عليّين.

وهـذه الـنـسـبـة أيضاً أي نسبة السبعين ألف إلى الواحد إنّما تكون متحقّقة لأجل مـا في العبادة من رائحة العلم إذ معرفة الكيفية معتبرة فيها وإلّا فلانسبة بين العلم ومجرّد العمل بلامعرفة.

٥٨ ـ ٥ (الـكـافي ـ ١:٣٣) الحـسين بن محمد، عن أحمد بن اسحاق، عن سعدان بن مـسـلـم، عـن ابن عمار قال قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): رجل راو ية لحـديـثـكـم يبثّ ذلك في الناس و يشدده في قلوبهم وقلوب شيعتكم ولعلّ عابداً مـن شيعتكم ليست له هذه الرواية أيّهما أفضل؟ قال «الراو ية لحديثنا يشدّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد» [٢].

١ . قال برهان الفضلاء: يعني من سبعين ألف عابد لايصل نفع علمه إلّا إلى نفسه «الهدايا».

٢ . قوله: «أفضل من ألف عابد» فإن قيل لم قال في هذا الحديث من ألف عابد وفي الحديث السابق من سبعين ألف عابد؟ قلنا للتفاوت بين العلم ورواية الحديث فإن الراوي حافظ الكلام ناقل له ولايلزم أن يكون عالماً فإنه لاينافي روايته جهله بالمراد ممّا يرو يه وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه ... فبيّن (عليه السلام) التفاوت بين العالم المنتفع بعلمه والعابد بأنه أفضل من ←

بيـــان:

«راو يـة» أي كـثير الـروايـة، والتاء فيه للمبالغة كما في العلاّمة والنّسابة و«بثّ الحـديـث»: نشره واظهاره و«الشدّ» القوة أي يقوى بسبب بثّ الحديث عقيدة قلوبهم و يـزداد بـذلـك ايمانهم ومحبتهم وفي بعض النسخ بالمهملة من التسديد بمعنى التقويم وانّما فضّـل الـعالم على السبعين ألف والراوي على الألف لأنّ الراوي لايعتبر فيه أن يكون عالماً فربّ حامل فقه ليس بفقيه.

وإنّما كـان أفـضـل مـن الـعـابد لأنّه وسيلة لحصول العلم واستفادة المعرفة واليقين لـنفسه ولغيره بخلاف العابد فانّه لايتعدّى خيره ولوتعدّى بالاقتداء صار وسيلة للعمل دون العلم وفرقان مابين الوسيلتين كما بين أصليهما.

٥٩ - ٦ (الـفـقـيـه - ٣٩٨:٤)[1] المعلّى بن محمد، عن احمدبن محمدبن عبدالله، عن عـمـرو بن زياد، عن مدرك بن عبدالرحمان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «إذا كـان يـوم الـقـيـامـة جمع الله عزّ وجـلّ الـناس في صعيد واحد و وضعت الموازين فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء».

بيـــان:

قـدبيّـنـا كـيـفـيـة هـذه الموازنة ومعنى «الموازين» في رسالتنا الموسومة بـ«ميزان الـقـيـامـة» والسرّ في رجـحـان مـداد العلماء على دماء الشهداء أن الأول وسيلة لحفظ الأديـان عـن الـكـفـر والضلال الموجبين للخلود في النار والحرمان الدائم عن النعيم مع الأبـرار والـثاني وسيلة لحفظ الأبدان والأموال عن القتل والنهب في هذه الدار وأين ذا من ذاك ؟.

←

سبعين ألف عابد والتفاوت بين «راوية» و«العابد» بأنه أفضل من ألف عابد فيفهم منها أن العالم المنتفع بعلمه أفضل من سبعين راوية للحديث يشدّ به قلوب الشيعة. رفيع (رحمه الله).

١. رقم ٥٨٥٣.

٦٠ـ٧ (الفقيه ـ ٤ : ٤٢٠)[1] قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «أللهم ارحم خلفائي، قيل يارسول الله، ومَن خلفاؤك ؟ قال: الذين يأتون بعدي و يروون حديثي وسنتي» .

- ٥ -
باب فقد العلماء

١ - ٦١ (الكافي - ١:٣٨) العدة، عن البرقي، عن عثمان، عن الخزاز[1].

(**الكافي**) محمد، عن احمد، عن السراد، عن الخزاز[2]، عن سليمان بن خالد عن (**الفقيه** - ١:١٨٦ رقم ٥٥٩) أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «**مامن أحد يموت من المؤمنين أحب إلى إبليس من موت فقيه**» .

بيـــان:

وذلـك لأن شأن الفقيه إفادة العلم وتعليم الحق وإرشاد السبيل والحثّ على الطاعة والـزّجـر عـن المعصية وشأن إبليس إلقاء الشك والوسوسة في النفوس واراءة الباطل في صـورة الحـقّ والإضلال والحثّ على المعاصي، فاذا كان منه على طرف الضدّ فلامحالة أحـبّ فـقـده ولـيـس مـوت سائر المؤمنين عنده بهذه المنزلة وليس في الفقيه لفظة «من المؤمنين» .

١ . ٢. الخزاز - خ ل وهو ابراهيم بن عثمان المذكور بالمعجمات في ج١ ص٥٩ او ابن عيسى على قول المذكور في ج١ ص٦١ من مجمع الرجال وهو المكنى بـ«أبي أيوب» وهو ثقة صاحب أصل.
وقد أشار إلى هذه الرواية في جامع الرواة ج١ ص٣٧٨ حيث قال: عنه أبو أيوب الخزاز مرتين في باب فقد العلماء» «ض.ع».

٦٢ - ٢ (**الكافي - ١:٣٨**) الثلاثة، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «إذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الإسلام ثلمة لايسدّها شيء» .

بيــان:

الثلمة: الخلل في الحائط ونحوه، شبّه الإسلام بمدينة والعلماء بمنزلة الحصن لها.

٦٣ - ٣ (**الكافي - ١:٣٨**) محمد، عن احمد، عن السّراد، عن علي بن أبي حمزة قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) يقول: «إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة و بقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها، وأبواب السماء التي كان يصعد [1] فيها بأعماله وثلم في الاسلام ثلمة لايسدّها شيء لأنّ المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها» .

٦٤ - ٤ (**الكافي - ٣:٢٥٤**) سهل وعلي، عن أبيه جميعاً، عن السراد، عن ابن رئاب، قال سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول الحديث بدون لفظة «الفقهاء» .

٦٥ - ٥ (**الفقيه - ١:١٣٩**)[2] قال الصادق (عليه السلام): «اذا مات المؤمن بكت عليه بقاع الأرض التي كان يعبد الله عزّ وجلّ فيها والباب الذي كان يصعد منه عمله وموضع سجوده» .

بيــان:

سبب بكاء الملائكة والأرض والسماء على المؤمن أنّ المقصد الأقصى من خلق

١ . على صيغة المجهول والظرف الثاني قائم مقام الفاعل - كذا في هامش ك . ٢ . رقم ٣٨١.

العالِم إنّما هو الإيمان الحقيقي المنبعث عن العلم والعبادة ووجود المؤمن العالم فيه، فاذا فقد المؤمن العالم عن العالَم أو نقص من أفراده ساء حال العالَم (بالفتح) لامحالة وحال أجزائه سيّما مايتعلّق منه بالمؤمن نفسه من الملائكة التي كانت مسرورة بحفظه وخدماته والبقاع التي كانت معمورة بحركاته وسكناته وأبواب السماء التي كانت مفتوحة لصعود أعماله وحسناته.

٦٦ ـ ٦ (الكافي ـ ١:٣٨) علي بن محمد، عن سهل، عن إبن أسباط، عن عمّه عن داودبن فرقد قال:

قال أبوعبدالله (عليه السلام) «إنّ أبي كان يقول: إنّ الله تعالى لايقبض العلم بعدما يهبطه ولكن يموت العالم فيذهب بمايعلم فتليهم الجفاة [١] فيضلّون و يضلّون ولاخير في شيء ليس له أصل» .

بيان:

إنّما لايقبض العلم بعد إهباطه لأن العلم إذا حصل في نفس العالم صار صورة ذاته فلايقبل الزوال عنه «فتليهم» من الولاية بالكسر وهي الإمارة والسلطنة وفي بعض النسخ فتأمهم من الإمامة «والجفاة» أهل النفوس الغليظة والقلوب القاسية الغير القابلة لاكتساب العلم فضلاً عن أن تكون عالمة، جمع الجافي من الجفاء وهو الغلظ في المعاشرة والخرق في المعاملة وترك الرفق واللين ولما كان بناء الولاية والسياسة على العلم فلاخير في ولاية لاعلم لصاحبها.

٦٧ ـ ٧ (الكافي ـ ١:٣٨) العدّة، عن احمد، عن محمدبن علي عمّن ذكره، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال «كان علي بن الحسين (عليهما السلام)

١ . أي تتصرف في أمورهم من الولاية بالكسر وهي الأمارة والجفاة البُعداء عن الآداب الحسنة وأهل النفوس الغليظة والقلوب القاسية التي ليست قابلة لاكتساب العلم والكمال. «المرآة».

يقول: انه يسخى نفسي في سرعة الموت والقتل فينا قول الله تعالى: أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِن أَطْرَافِهَا [١] وهو ذهاب العلماء» .

بيــان:

يعني مفاد هذه الآية يجعل نفسي سخية في سرعة الموت أو القتل فينا أهل البيت فتجود نفسي بهذه الحياة اشتياقاً إلى لقاء الله تعالى لأنّ المراد من نقصان الأرض من أطرافها وهي نهاياتها ذهاب العلماء ومصيرهم إلى الله سبحانه ولقائه والآية دلّت على أن المتولي لتوفي نفوسهم وقبض أرواحهم هو «الله» سبحانه بنفسه.

وإنّما عبّر عن العلماء بنهايات الأرض لأنَّ غاية الحركات الأرضية ونهاية الكمالات المترتبة عليها من لدن حصول المعادن منها، ثم النباتات، ثم الحيوانات إلى الوصول الى الدرجة الإنسانية ومافوقها، إنّما هو وجود العلم والعلماء، فالأرض والأرضيات بهم تنتهي إلى سماء العلم والعقل فهم بمنزلة نهاياتها.

وأيضاً فانّهم وسائط بين أهل الأرض وأهل السماء فكأنّهم أطراف الأرض وأكناف السماء وقال في «الغريبين» أطراف الأرض الأشراف والعلماء، الواحد «طَرَفٌ» و يقال طرْف أيضاً يعني بالتسكين وعلى هذا فلاحاجة إلى التأويل.

٦٨ ـ ٨ (**الفقيه** ـ ١٨٦:١) [٢] سُئل يعني «الصادق (عليه السلام) عن قول الله تعالى: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا [٣] فقال «فقد العلماء» .

١. ٣. الرعد/٤١.
٢. رقم ٥٦٠.

-٦-

باب اصناف النّاس

٦٩ - ١ (الكافي - ١:٣٣) علي بن محمد، عن سهل ومحمد، عن ابن عيسى جميعاً عن السراد، عن الشحام [١] عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة، عن أبي إسحاق السّبيعي عمّن حدثه ممّن يوثق به قال سمعت أميرالمؤمنين (عليه السلام) يقول «إن الناس آلوا [٢] بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى ثلاثة: آلوا إلى عالم على هدىً من الله قد أغناه الله بما علم عن علم غيره، وجاهل مدّع للعلم لا علم له معجب بما عنده قد فتنته الدنيا وفتن غيره، ومتعلّم من عالم على سبيل هدىً من الله ونجاة ثم هلك من ادّعى وخاب من افترى» .

١ . هو زيد بن يونس المكنى بـ«أبي أسامة» وأبو اسحاق السبيعي، اسمه عمرو بن عبدالله عامي تابعي ضعفوه، وقالوا خلط في آخر عمره لبس في المذكورين من رجال الأسناد مجهول وانّما وصفه المجلسي (رحمه الله) بالمجهولية باعتبار من روى عنه أبواسحاق. «ض».

٢ . قال السيّد السّند أميرحسن القايني رحمه الله: لم يذكر المتعلّم من جاهل مدّع إمّا لكونه كالمعدوم أو لكونهما غثاءً كما في التالي وهما في النار أو للظهور.

وقال برهان الفضلاء «آلوا» بالهمزة والألف وضمّ اللاّم من باب نصَرَ يعني صاروا هكذا الى يوم القيام و«المعجب» على اسم المفعول من الافعال «الى عالم» يعني أميرالمؤمنين وأحدعشر من ولده صلوات الله عليهم «ثمّ هلك من ادّعى» تعريض على الأول وخاب من افترى على الثاني. «الهدايا».

بيــان:

«آلوا» رجعوا وصاروا «على هدىً» تمثيل لتمكنه من الهدى واستقراره عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه «من الله» أي أخذ هداه وعلمه من لدنه على وجه الإلهام والإلقاء في الرّوع كالأئمة (عليهم السلام) ومن يحذو حذوهم «معجب بما عنده» من ظواهر الأقوال وصور الأحاديث أو المجادلات الكلامية أو المغالطات الفلسفية أو الخيالات التصوفيّة أو الخطابات الشعرية التي تجلب بها نفوس العوام كأعداء الأئمة وحسدتهم ومن يسير بسيرة أولئك من أهل أي مذهب كان «قدفتنته» أضلته وأوقعته في فتنة الجاه والمال وحبّ الرئاسة.

«وفتن غيره» أضلّ غيره وأوقعه فيماوقع فيه من المهالك لاستحسانه ماراىٰ منه بسبب اشتهاره بالعلم في الظاهر وإن كان باطنه مفلساً عن حقيقة العلم والحال.

«على سبيل هدىً» على طريقة سالك إليه وإن لم يكن بالفعل عليه كشيعة الأئمة المقتبسين من أنوارهم فإن قيل وأين الجاهل الغافل الذي ليس بمتعلم ولاضالّ، قلنا: المقسم مَن له قوة الارتقاء الى ملكوت السماء والذين أدركوا الخدمة والصحبة وشاهدوا الوحي والآيات دون أهل الضّرر والزمانات فإنّهم بمعزل عن ذلك.

«هلك من ادّعى» أي القسم الثاني لأنّ الحياة الأخروية إنّما تكون للعالم بالفعل وللمتعلّم بالقوّة وأمّا الجاهل المدّعي فقد أبطل استعداده لها فهو هالك خائب.

٧٠ - ٢ (**الكافي - ١: ٣٤**) الإثنان، عن الوشّاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة سالم بن مكرم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «الناس ثلاثة: عالم ومتعلم وغثاء» .

بيــان:

الغثاء: بضمّ المعجمة والثاء المثلثة والمدّ مايحمله السيل من الزبد والوسخ أريد به أراذل الناس وسقطهم، والمراد بالعالم العالم بالعلم اللّدني و بالمتعلم من أخذ عنه كما

مرّ مراراً .

٧١ ـ ٣ (الكافي ـ ١:٣٤) محمد، عن عبدالله بن محمد، عن علي بن الحكم، عن العلاء، عن محمد، عن الثمالي قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السلام) «أغد عالماً أو متعلّماً، أو أحبّ أهل العلم ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم» .

بيان:

«أغد» صر وأصبح، وأصله من «الغدو» بالضم بمعنى سير أول النهار نقيض «الرّواح» وفيه دلالة على أن غير الأئمة (عليهم السلام) يجوز أنْ يصير عالماً علماً لدنّياً فإنه المراد بالعلم دون حفظ الأقوال وحمل الأسفار «ببغضهم» بعدواتهم حسداً لهم وإهمال العين كما ظنّ تصحيف.

٧٢ ـ ٤ (الكافي ـ ١:٣٤) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن جميل، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال سمعته يقول «يغدو الناس على ثلاثة أصناف: عالم ومتعلم وغثاء فنحن العلماء وشيعتنا المتعلّمون وسائر الناس غثاء» .

-٧-

باب ثواب العالم والمتعلّم

٧٣ - ١ (الكافي - ١:٣٤) محمد بن الحسن وعلي بن محمد، عن سهل ومحمد، عن أحمد جيعاً، عن الأشعري، عن القداح وعلي، عن أبيه، عن حمادبن عيسى، عن القداح، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله [1] به طريقاً إلى الجنّة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به وإنه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت [2] في البحر وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر وإن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا

١ . قوله: «يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً» الجملة صفة أو حال، والضمير فيها للطريق أو للسلوك والطريق الى الشيء إمّا الدخول فيه أوطيّه يوصل اليه ومن طرق العلم «الفكرة» ومنها الأخذ من العالم ابتداءً أو بواسطة أو وسائط ويحتمل أن يكون المراد بـ«الطريق» معناه المتعارف و بسلوكه أن يسير فيه للوصول الى العالم والأخذ منه أو للوصول الى موضع يتيسر له فيه تحصيل العلم.

وقوله «سلك الله به سبيلاً الى الجنة» أي أدخله الله طريقاً يوصل سلوكه الى الجنة.

وقوله «ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم» وضع الأجنحة حطها وخفضها وهو هيأة تواضع الطائر وتواضع الملك عبارة عن التعظيم أو الفعل على وفق مطلوب من يتواضع له وإعانته «رضاً به» أي لأنّه يرتضيه أو لارضائه. رفيع (رحمه الله).

وروى هذا الحديث أبو داود في السنن عن أبي الدرداء«ش».

٢ . قال برهان الفضلاء: لايخفى أنّ استغفار الحيتان لطالب العلم كالذي صدر من الهدهد والنمل عند سليمان عليه السلام بانطاق الله تعالى إيّاهما، والمراد أنّ بركات طلبة العلم يصل إلى غير المكلّفين أيضاً «الهدايا».

ديناراً ولادرهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظّ وافر» .

بيـــان:

انّما يـسلـك به طريقاً إلى الجنة لأنّ العلم هو بعينه نعيم أهل الجنة وهو الذي يصير «هناك» لصاحبه شراباً وفاكهة وظلاً.

روى في «بصائر الدرجات» [١] باسناده عن نصر بن قابوس قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجلّ وظلٍّ مَمْدُودٍ* ومآءٍ مَسْكُوبٍ* وَفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ* لامَقْطُوعَةٍ وَلامَمْنُوعَةٍ [٢] قال «يانصر، إنه والله ليس حيث يذهب الناس، إنّما هو العالم ومايخرج منه» قال بعض العلماء: لوعلم الملوك مانحن فيه من لذّة العلم لحاربونا بالسيوف وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً [٣] و يأتي حديث آخر في هذا المعنى إنشاء الله .

«والملائكة» هي الجواهر القدسية الغائبة عن الأبصار «وأجنحتها» هي قواها العلمية والعملية التي بها تترق وتتنزل، وطالب العلم بتفكره في المعقولات وانتقاله من معقول إلى معقول حتى ينتهي إلى معرفة الله وصفاته كأنه يطأ أجنحة الملائكة بقدم عقله أو أنّه إذا أدرك المعقولات وأحاط بها علماً فكأن الملائكة نزلت عن سماء ملكوتها ومقامها عنده وخضعت له و بالجملة وضع أجنحتها كناية عن خضوعها له.

«والإستغفار» طلب الستر للذنب وطالب العلم يطلب ستر ذنب جهله الذي هو رئيس جنود هي المعاصي بنور العلم و يشركه في هذا الطلب كل من في السماء والأرض ومابينهما لأن عقله وفهمه وادراكه لايقوم إلّا ببدنه و بدنه لايقوم إلّا بالغذاء والغذاء لايقوم إلّا بالأرض والسماء والغيم والهواء وغير ذلك. إذ العالم كلّه كالشخص الواحد، يرتبط البعض منه بالبعض فالكلّ مستغفر له.

وإنّما مثل نور العابد بنور النجوم لأنه لايتعدى نفسه، إذ لايبصر بنوره شيء

١ . بصائر ص ٥٠٥ حديث ٣

٢ . الواقعة/ ٣٠-٣٣

٣ . الإسراء/ ٢١

بخلاف القمر ليلة البدر وتمثيل نور العالم بنور القمر يشعر بأنّه أراد به من لم يكن علمه لدنيّاً لأن نور القمر مستفاد من الشمس فمن كان علمه لدنياً كالأنبياء والأولياء ففضله على العابد كفضل الشمس على النجوم المستفاد نورها من الله تعالى بلا توسّط شيء آخر من نوعها أو جنسها.

٧٤ ـ ٢ **(الكافي ـ ١:٣٥)** محمد، عن احمد، عن السراد، عن جميل بن صالح، عن محمد، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إنّ الذي يعلّم العلم منكم له أجر مثلا [١] أجر المتعلم وله الفضل عليه فتعلموا العلم من حملة العلم وعلّموه إخوانكم كما علّمكموه العلماء» .

بيان:

«منكم» أي من الشيعة وكذا المراد باخوانكم «مثلا أجر المتعلم» أحدهما لتعلّمه السابق والآخر لتعليمه اللاحق، أو كلاهما للتعليم فحسب «وله الفضل عليه» لأنه المعطي والمفيض وفي قوله «من حملة العلم» [٢] إشارة إلى أنّ للعلم أهلاً ولابدّ للمتعلّم أن يتعلّم منهم دون غيرهم، وقدمرّ في هذا حديث و يأتي باب آخر لبيان ذلك إنشاء الله تعالى.

٧٥ ـ ٣ **(الكافي ـ ١:٣٥)** علي، عن البرقي، عن علي بن الحكم، عن علي، عن أبي بصير قال سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «من علّم خيراً فله مثل أجر من عمل به» قلت: فان علّمه غيره يجري ذلك له؟ قال: «إن علّمه الناس كلّهم جرى له» قلت: فان مات؟ قال «وإن مات» [٣].

١ . مثل أجر المتعلم، خ ل والظاهر ان هذا هو الصحيح كما في نسخ الكافي وشروحه و«الهدايا» والترديد وقع بعد الألف والنسخ التي تاريخها قبل الألف ليس فيها اختلاف «ض،ع».

٢ . وقال الفاضل الاسترابادي رحمه الله: فتعلّموا العلم من حملة العلم يعني خذوا العلم من أصحاب العصمة بواسطة أو بدونها وعلّموا إخوانكم من غير تصرّف فيه «الهدايا».

٣ . وفي «الهدايا» بعد تحقيق له في المقام نقل عن السيد الباقر ثالث المعلمين: «وإن مات» أي وإن مات ذلك وانقرض واندرس ولم يبق ولم يوجد من يتعلّمه ومن يعمل به «ض.ع».

بيــان:

«فان علّمه غيره» يعني إن علّمه المتعلم ثالثاً أيجري للأول أجر عمل الثالث به أو يجري للأول أجر تعليم الثاني كما يجري له أجر عمله؟ قال «إن علّمه الناس كلهم» يعني ولو بوسائط، والفعلان من الجريان بالراء المهملة لامن الاجزاء بالزاي ولاالحاء المهملة كما ظن «وان مات» أي ذلك المعلّم، لاالخير كما ظنّ[1].

٧٦ ـ ٤ **(الكافي ـ ١:٣٥)** بهذا الاسناد، عن محمدبن عبدالحميد، عن العلاء، عن الحذّاء، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال «من علّم باب هدىً فله مثل أجر من عمل به ولاينقص أولئك من أجورهم شيئاً، ومن علّم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به ولاينقص أولئك من أوزارهم شيئاً» .

٧٧ ـ ٥ **(الكافي ـ ١:٣٥)** الحسين بن محمد، عن علي بن محمدبن سعد رفعه، عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال «لو يعلم الناس مافي طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج [2] وخوض اللجج ان الله تعالى أوحى إلى دانيال إنّ أمقت عبيدي إليّ الجاهل المستخف بحق أهل العلم التارك للإقتداء بهم وإن أحبّ عبيدي إليّ التقي الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء [3] التابع للحلماء القائل عن الحكماء» .

بيــان:

«السفك» الإراقة وربما يخصّ بالدم و«المهج»: جمع مهجة وهي دم القلب

١ ـ الظانّ هو السيد الداماد قدس سرّه.

٢ ـ المراد بـ«سفك المهج» التعرض للمخوفات التي يسفك فيها الدماء «عهد» ك .

٣ ـ قال الفاضل الاسترابادي رحمه الله: «اللازم للعلماء» هذه الصفات الثلاث اشارة إلى الأنبياء والأوصياء عليهم السلام. «الهدايا».

و«الخوض» الدخول في الماء و«اللجج» جمع لجّة وهي معظم الماء و«المقت» البغض «والحليم» العاقل من الحلم بمعنى العقل «والحكيم» العالم بالعلوم النظرية والعملية العامل بعلمه، قابل التقي بالجاهل لأن التقوى من آثار كمال العقل المقابل للجهل والمراد بطالب الثواب الجزيل العامل بمايوصله اليه «وملازمة العلماء» كثرة مجالستهم ومصاحبتهم «ومتابعة العقلاء» سلوك طريقتهم والقول عن الحكماء الرواية عنهم ولو بوسائط.

٧٨ - ٦ **(الكافي - ٨:٢٤٧)**[١] **محمدبن سالم بن أبي سلمة، عن أحمدبن الريان، عن أبيه، عن جميل بن درّاج، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «لو يعلم الناس مافي فضل معرفة الله تعالى مامدّوا أعينهم إلى مامُتّع به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم أقلّ عندهم ممايطأونه بأرجلهم ولنُعّموا بمعرفة الله تعالى وتلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله، إنّ معرفة الله تعالى، أنس من كلّ وحشة، وصاحب من كلّ وحدة ونور من كلّ ظلمة وقوة من كلّ ضعف، وشفاء من كلّ سقم» .**

ثمّ قال «قدكان قبلكم قوم يُقتلون و يُحرقون و يُنشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برُحبها، فمايردّهم عمّا هم عليه شيء ممّاهم فيه من غير تَرة وتَرُوا مَنْ فَعَل[٢] ذلك بهم، ولاأذىً بمانقموا منهم - إلّا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد[٣] فسلوا ربّكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم».

بيــان:

«الزهرة» البهجة والنضارة «والرحب» الاتّساع و«الترة» الحقد «بمانقموا منهم»: بماأنكروا منهم والمستثنى منه محذوف أي وماسبب ذلك إلّا أن يؤمنوا أو الاستثناء منقطع أي من غير ترة ولاأذىً إلّا زيادة الإيمان.

١. رقم ٣٤٧.

٢. مفعول لـ«وتروا»، لـ.

٣. إشارة إلى الآية الكريمة في سورة البروج/٨

٧٩ - ٧ (الكافي - ١: ٣٥) علي، عن أبيه عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن حفص بن غياث، قال قال لي أبو عبدالله (عليه السلام) «من تعلّم العلم وعمل به وعلّم لله دُعي في ملكوت السماوات عظيماً [1] فقيل: تعلّم لله وعمل لله وعلّم لله» .

بيـان:

«علّم» بتشديد اللام وقوله لله متعلق بكل من الأفعال الثلاثة و«دُعي» أي سُمّي و«ملكوت كل شيء» باطنه المتصرف فيه المالك لأمره بإذن الله ولكل موجود في هذا العالم الحسّي الشهادي ملكوت روحاني غيبي، نسبتها إليه نسبة الروح إلى البدن وملكوت الأعلى أشرف من ملكوت الأسفل، فمن دُعي في ملكوت السماء عظيماً كان في ملكوت الأرض أعظم وأشرف ومقامه أعلى، فاذا كان حال العلم العملي هذا، فاظنّك بحال العلم الذي هو المقصود بالذات.

١ . قوله: «دعي في ملكوت السماوات» الملكوت مبالغة الملك أي أعلى مراتبه الجامعة لتوابع الملك ولوازمه من كثرة الجنود والأتباع المسخرين القائمين بأمر الملك المطيعين له وكثرة آيات العظمة والجلالة فيطلق و يراد به عزّ الملك وسلطانه و يطلق و يراد به آيات العظمة والجلالة وآثار المُلك والسلطنة و يطلق و يراد به جنود المسخرين والمراد بملكوت السماوات إمّا الآيات كما قيل أي سمّي في الآيات السماوية وهي أعظم الآيات الظاهرة وتسميه أهلها وهم الملائكة والأرواح العلوية «عظيماً» أو المراد الجنود السماوية وهم الملائكة والأرواح أي يسمّى بينهم «عظيماً» رفيع - (رحمه الله).

-٨-

باب صفة العلماء

٨٠ - ١ (الكافي - ١:٣٦) محمد، عن ابن عيسى عن السرّاد، عن ابن وهب قال سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «اطلبوا العلم وتزيّنوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا [١] لمن تعلّمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبّارين فيذهب باطلكم بحقّكم» [٢].

بيان:

«الجبّار» المتكبّر نبّه على أنّ التكبّر للعبد باطل ممحق للعلم مزيل له، هذا إذا كان عالماً بأمر الله ولم يكن عالماً بالله إذ كون العبد عالماً بالله ينافي كونه متكبراً، قال الله تعالى [٣]«الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمت ظهره» [٤] فمن عرف الله بكبريائه وعظمته تواضع لعباد الله فالتكبّر على الخلق من العالم دليل جهله وأنّه إنّما حفظ الأقوال من غير بصيرة فيها.

١ . قيل: التواضع للمتعلّم إنّما يلزم في أوان إشتغاله بالطلب وأمّا للمعلّم فعند الطلب و بعده وفيه تأمل - منه دام عزّه.
٢ . قوله: «فيذهب باطلكم بحقكم» أي تكبركم بعلمكم فلايبق العلم عندكم، أو يذهب تكبركم بفضلكم وشرفكم، أو فضلكم وثوابكم رفيع - (رحمه الله).
٣ . ارشاد الديلمي ص١٨٩ ومجموعه ورام ١:١٩٨
٤ . قصمت الشيء قصماً من باب ضرب كسّرته حتى يُبين وفي الدعاء قصمه الله: أي أهانه مجمع البحرين.

٨١ ـ ٢ (الكافي ـ ١: ٣٦) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن حمادبن عثمان عن الحارث بن المغيرة النصري، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله تعالى إنّما يخشى اللّهَ من عبادِهِ العُلَمٰؤُا[1] قال يعني بالعلماء من صدّق فعله قوله ومن لم يصدّق فعله قوله، فليس بعالم» [2].

بيـان:

وذلك لأن تركه العمل بعلمه دليل على أنّه ليس بمستيقن في علمه وأنّ العلم عنده مستعار ومستودع وسيسلب عنه.

٨٢ ـ ٣ (الكافي ـ ٨: ١٦٦)[3] «علي،عن أبيه والعدّة، عن سهل»، عن يعقوب بن يزيد، عن اسماعيل بن قتيبة، عن حفص بن عمر، عن إسماعيل بن محمد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «إنّ الله تعالى يقول: إنّي لست كل كلام الحكمة أتقبل، إنّما أتقبل هواه وهمّه، فإن كان هواه وهمّه في رضاي جعلت همّه تقديساً وتسبيحاً» .

بيـان:

البارز في «هواه وهمه» راجع إلى المتكلم بالحكمة المستفاد من «كلام الحكمة» يعني إنّما أتقبل من كلام المتكلم بالحكمة ما كان هواه وهمّه من التكلّم به «رضاي» لاظهار الفضيلة والترفع في القبيلة وما كان من هذا القبيل.

٨٣ ـ ٤ (الكافي ـ ١: ٣٦) العدّة، عن البرقي، عن اسماعيل بن مهران، عن أبي

١. فاطر/٢٨

٢. قال السيد الأجلّ النائيني رحمه الله: المراد بمن صدّق قوله فعله من يكون ذا علم ومعرفة ثابتة مستقرّة في قلبه استقراراً لايغلبه معه هواه والمعرفة الثابتة المستقرة كما تدعو الى القول والإقرار باللسان، تدعو الى الفعل والعمل بالأركان فيكون فعله مصدقاً لقوله «الهدايا».

٣. رقم ١٨٠.

سعيد القماط، عن الحلبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): ألاأخبركم بالفقيه حقّ الفقيه[1] من لم يقنّط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخّص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره، ألالاخير في علم ليس فيه تفهّم، ألالاخير في قراءة ليس فيها تدبّر ألالاخير في عبادة ليس فيها تفكّر» .

٨٤ ـ ٥ (الكافي ـ ١:٣٦) وفي رواية أخرى: ألالاخير في علم ليس فيه تفهّم ألالاخير في قراءة ليس فيها تدبّر ألالاخير في عبادة لافقه فيها ألالاخير في نسك لاورع فيه [2].

بيـان:

«حق الفقيه»[3]: إمّا بدل من الفقيه أو مبتدأ أو منصوب بتقدير أعني يعني أن الفقيه حقيقة ليس إلّا من يكون عالماً بالمراد من الوعد والوعيد جميعاً عارفاً بالمقصود من الأوامر والنواهي جملة بملاحظة بعضها الى بعض وإنّما عرف الفقيه بهذه العلامات السلبية لأن أكثر من يسمّى عند الجمهور بهذا الاسم في كلّ زمان يكون موصوفاً بأضدادها فكأنّه (عليه السلام) عرّض بالعلماء السوء والفقهاء الزور وقدأبطل بكلّ

١ . قوله «ألاأخبركم بالفقيه حقّ الفقيه...» المراد انّ الفقيه حقيقة ليس إلّا من هو عالم بالمراد بماورد في الوعد والوعيد والعفو بملاحظة بعضها مع الآخر ومن يقتصر على ملاحظة البعض دون الباقي فيؤديه الى أن يقنط الناس من رحمة الله أو يؤمنهم من عذاب الله أو يرخص لهم في معاصي الله فبمجرّد علمه بالمسائل الفرعية الشرعية لايكون فقيهاً وكذا حقيقة الفقيه لايكون إلّا لمن أخذ بكتاب الله وتفكر فيه ولم يرغب عنه إلى غيره فإن التارك لكتاب الله لايكون فقيهاً وإن كان حافظاً للأحاديث ضابطاً لها فإن معرفة الأحاديث وفهمها لايتمّ إلّا بمعرفة كتاب الله تعالى والتفكّر فيه وأما من يترك التفكّر في كتاب الله ثم قاس على الأحاديث فعدوله عن الحق أكثر رفيع (رحمه الله).

٢ . قوله «لاورع فيه» الورع في الأصل الكفّ عن المحارم ثم استعمل للكفّ عن التسرّع الى تناول علائق الدنيا حسب مايليق بالمتورّع فمنه واجب وهو الكفّ عن المحرمات وهو ورع العامة، ومنه ندب وهو الوقوف عند الشبهات وهو ورع الأوساط ومنه فضيلة وهو الاقتصار على الضروريات وهو ورع الكاملين والمراد به هنا الأول ويحتمل الثاني فإنه مع فقده لايكون خير يعتد به، رفيع ـ (رحمه الله).

٣ . الحق: خلاف الباطل، أو بمعنى الحقيق أي الجدير بأن يسمّى فقيهاً، ك .

علامة مذهباً من المذاهب الباطلة أو أكثر في الأصول والفروع فبالأولى أبطل مذهب المعتزلة القائلة بايجاب الوعيد وتخليد صاحب الكبيرة في النار.

ومذهب الخوارج المضيقين في التكاليف الشرعيّة، و بالثانية مذهب المرجئة ومن يجري مجراهم من المغترين بالشفاعة وصحة الاعتقاد و بالثالثة مذهب الحنابلة والأشاعرة ومن يشبههم كأكثر المتصوفة و بالرابعة مذهب المتفلسفة الذين أعرضوا عن القرآن وأهله، وحاولوا اكتساب العلم والعرفان من كتب قدماء الفلاسفة ومذهب الحنفيّة الذين عملوا بالقياس وتركوا القرآن والعلم الذي ليس فيه تفهّم كالعلم الظنّي والتقليدي، ومجرّد حفظ الأقوال والروايات فانّها ليست بعلم في الحقيقة والعبادة والنسك متقاربتان ولعلّه يعتبر في النسك التجرد لها و«الورع» اجتناب المحارم.

٨٥ - ٦ (**الكافي - ١:٧٠**) بهذا الأسناد، عن القماط، عن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر (عليه السلام)، إنّه سئل عن مسألة فأجاب فيها قال: فقال الرجل إنّ الفقهاء لايقولون هذا فقال «ياويحك؛ وهل رأيت فقيهاً قط! إنّ الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة، المتمسك بسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) » .

بيـان:

«و يح» كلمة رحمة وإنما جعل هذه الصفات الثلاث علامة للفقيه الحقيقي لأنّ الأولين دليل على معرفته بالله واليوم الآخر والأخيرة دليل على معرفته بالأخلاق السنيّة النبويّة والشرائع المصطفوية وهي تمام معنى الفقه.

٨٦ - ٧ (**الكافي - ١:٣٦**) محمد عن ابن عيسى والنيسابوريان جميعاً عن صفوان عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: «إنّ من علامات الفقه الحلم

والصمت» .[١]

٨٧ - ٨ (الكافي - ١:٣٦) احمد [٢] بن عبدالله، عن البرقي، عن بعض أصحابه رفعه قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام) «لايكون السفه والغرّة في قلب العالم» .

بيـان:

«السفه» الخفّة والطيش ضدّ الحلم، والغِرّة بالغين المعجمة والراء المهملة الغفلة عن لوازم الشيء، وقلة الفطنة للشرّ الّذي تحته وترك البحث والتفتيش عنه.

٨٨ - ٩ (الكافي - ١:٣٧) بهذا الأسناد، عن محمدبن خالد، عن محمدبن سنان رفعه قال: قال عيسى بن مريم (عليهما السلام) «يامعشر الحواريين لي إليكم حاجة إقضوها لي» قالوا قُضيت حاجتك ياروح الله، فقام فغسل أقدامهم فقالوا كنّا نحن أحقّ بهذا ياروح الله. فقال «إن أحقّ الناس بالخدمة العالم إنّما تواضعت هكذا لكيماتتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم» ثم قال عيسى (عليه السلام) «بالتواضع تُعمر الحكمة لابالتكبّر وكذلك في السهل يُنبت الزرع لافي الجبل» .

بيـان:

«الحواريون» خلصان الأنبياء الذين أخلصوا ونقوا من كلّ عيب، وإنّما أتوا

١ . قال برهان الفضلاء سلمه الله: الحلم يعني العفو والصفح عمن لاأدب له والصمت يعني كفّ اللسان عمّا لاعلم به وعن التكلّم بماعلم في غير موضعه «الهدايا».

٢ . قال الفاضل الاسترابادي رحمه الله: إنّ احمدبن عبدالله في سند هذا الحديث هو أحمدبن عبداللهبن بنت احمدبن محمد البرقي بقرينة مافي «الفهرست» والظاهر أنه المراد من المذكور في العدّة والمراد بالعالم هنا الامام عليه السلام، قاله في «الهدايا» وأحمدبن عبدالله هذا هو المذكور في ج١ ص١٤١ مجمع الرجال تبعاً في ترجمة جده أحمدبن محمدبن خالد البرقي وأشار الى هذه الرواية جامع الرواة ج١ ص٦٤ «ض.ع».

بصيغة المجهول في «قضيت» رعاية للأدب وفي بعض النسخ «قبّل» بدل «غسل» وفعله (عليه السلام) غاية مايكون في التواضع حيث أراد غسل الأقدام أو تقبيلها، ثم جعل ذلك مطلوباً له وسمّاه حاجة، ثم استأذن فيه، ثم صنع بمن دونه وتلامذته وتابعيه، ثم قال إنّه أحق بذلك.

وقد ذكر لفعله غايتين: متعدية ولازمة ومثّل لإحداهما كما هوعادة الأنبياء (عليهم السلام) والسر فيه أن اختيار المسكنة والضعة يوجب نيل الشرف والرفعة ولهذا ورد «من تواضع لله رفعه الله تعالى» ولاسيّما لمن استعدّ لذلك.

٨٩ - ١٠ (الكافي - ١:٣٧) علي، عن أبيه، عن علي بن معبد، عمّن ذكره، عن ابن وهب، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «كان أميرالمؤمنين (عليه السلام) يقول: ياطالب العلم إنّ للعالم ثلاث علامات: العلم والحلم، والصمت وللمتكلّف ثلاث علامات: ينازع مَن فوقه بالمعصية و يظلم من دونه بالغلبة و يظاهر الظلمة» .

بيان:

«المظاهرة» المعاونة والنصر.

٩٠ - ١١ (الكافي - ١:٤٩) عليّ رفعه إلى أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم بأعيانهم [1] وصفاتهم: صنف يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل، فصاحب الجهل والمراء مؤذ ممار متعرض للمقال في أندية الرجال [2] بتذاكر العلم وصفة الحلم

١ . قوله «فاعرفهم بأعيانهم» أي بخواصهم وأفعالهم المخصوصة بهم أو بالشاهد والحاضر من أفعالهم - رفيع (رحمه الله) وأورده في مرآة العقول أيضاً.

٢ . قوله: في أندية الرجال» النادي: مجتمع القوم ومجلسهم و يقال لأهل المجلس أيضاً و«الندي» بمعناه ويجيء الجمع على «أندية» و«أنداء» إمّا لأخذه من «الندي» والاكتفاء به أو لكونه الأصل المأخوذ منه النادي فلوحظ الأصل عند بناء الجمع من النادي وقيل «الانداء» جمع «النادي» وقدظنّ في الأندية كونها جمعه أيضاً. رفيع - (رحمه الله).

قدتسربل [١] بالخشوع وتخلا [٢] من الورع فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو خِبّ وملق يستطيل على مثله من أشباهه، و يتواضع للأغنياء من دونه فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم فأعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قدتحنك في بُرنسه وقام الليل في حِندسه يعمل ويخشى [٣] وجلاً داعياً مشفقاً مقبلاً على شأنه عارفاً بأهل زمانه مستوحشاً من أوثق إخوانه فشدّ الله من هذا أركانه، وأعطاه يوم القيامة أمانه».

وحدثني [٤] به محمدبن محمود أبوعبدالله القزويني عن عدّة من أصحابنا منهم: جعفربن احمد (محمد خ ل) [٥] الصيقل بقزوين عن أحمدبن عيسى العلوي عن عبادبن صهيب البصري عن أبي عبدالله (عليه السلام) .

١ . قوله: «قدتسربل بالخشوع» السّربال بكسر السين المهملة «القميص» أو «الدرع» أو كلّ مايلبس وقدتسربل به أي تلبّس وجعله لباساً والمراد بالتسربل بالخشوع إظهاره الخشوع والتواضع والسكون والتذلل «والتخلي من الورع» والتقوى واجتناب المحرم عليه من الايذاء. والممارة ومخالفة قوله فعله. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . تخلى، ق. وكذلك في الكافي المطبوع والمخطوط «خ» و«المدايا» وشرحي المولى صالح والمولى خليل وهذا هو الصحيح. «ض.ع».

٣ . قوله: «يعمل ويخشى» أي يعمل بما كلّف به ويخشى الله مع كونه عاملاً ويخاف أن لايكون عمله على خلوص يليق بعبادته أو أن لايديه له. وجلاً خائفاً من سوء عقابه داعياً طالباً منه سبحانه التوفيق للاهتداء بالهداية والثبات على الايمان ونيل السعادة الأبدية من مغفرته وعفوه مشفقاً من الانتهاء الى الضلال والشقاء وسوء العاقبة مقبلاً على شأنه وإصلاح حاله حذراً ممّا يشفق منه عارفاً بأهل زمانه فلاينخدع مستوحشاً من أوثق إخوانه لمايعرفه من أهل زمانه.

ولمّا ذكر حال هذا الصنف وفعله بيّن مايترتب عليه وقال «فشدّ الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه» أي أصلح حاله في الدنيا بافاضة المعرفة وإكمال العقل وتمكنه من إعمال العلم والعمل على وفقه وحاله في الآخرة باعطاء الأمان فجزاه الله على طبق ماكان يطلب العلم له من حسن الحال في الدنيا والآخرة ولمّا كان المطلوب للصنفين الأولين الدنيا لاغير ذكر مجازاتهم بضدّ مطلوبهما في الدنيا وسكت عن حالهما في الآخرة حيث لم يكن من مطالبهما ولمّا كان الصنف الثالث مطلوبه الدنيا والآخرة ذكر مجازاته على وفق مطلوبه فيهما. رفيع (ره الله).

٤ . قال السيد الداماد أنار الله برهانه: المأخوذ من الشيوخ أن «حدثني» و«حدثنا» أعلى رتبة من «أخبرني» و«أخبرنا» فحدثني ماسمعته من لفظ الشيخ وحدي و«حدثنا» ماسمعته في السامعين و«أخبرني» ماقرأته عليه بنفسي و«أخبرنا» ماقرىء عليه وأنّا شاهد سامع قال ولايجوز إبدال شيء منها بغيره. «عهد».

٥ . احمد ـ خ ل. راجع ص٥٧ ج١ جامع الرواة. «ض.ع» .

بيــان:

أريد بالجهل هنا مثل الأنفة والغضب والشتم ونحوها الذي يصدر من أهل الجاهلية وفي الحديث «ولكن استجهله الحمية» أي حملته على الجهل و«المراء» المجادلة والاعتراض على كلام الغير من غير غرض ديني.

و«الاستطالة» العلوّ والترفّع و«الختل» بالمعجمة والمثنّاة الفوقانية: الخدعة وكأنه أراد بـ(الفقه) المعرفة وبـ(العقل) التخلّق بالأخلاق الحسنة «موذ ممار» لخبث باطنه وقدرته على التكلم.

«متعرض للمقال» لأن غرضه اظهار التفوّق والغلبة و«الأندية» جمع النادي وهو مجلس القوم ومتحدّثهم ماداموا فيه مجتمعين فاذا تفرّقوا فليس بنادٍ و«التسربل» تفعلل من السربال وهو القميص، أي أظهر الخشوع بالتشبه بالخاشعين والتزيّي بزيّهم مع خلوّه منه، لخلّوه ـ من[1] الورع اللازم له «فدقّ الله» دعاء عليه أو خبر عمّا سيلحقه وكذا نظائره.

و«الخيشوم» أقصى الأنف و«الحيزوم» بالمهملة والزاي وسط الصدر و«الخِبّ» بالكسر الخدعة والجربزة و«الملق» الودّ واللطف الشديد، ورجل «ملق» يعطي بلسانه ماليس في قلبه «فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم» يعني يأكل من مطعوماتهم، ويعطيهم من دينه فوق مايأخذ من مالهم فلاجرم يحطم دينه ويهدم إيمانه ويقينه أو أنّه يحلّ لهم بفتواه مايشتهون ويحطم دينه بمايدهن فيدهنون، ثم دعا عليه بالاستئصال بحيث لم يبق له خبر ولاأثر «عمي عايه الخبر» أي خفي تجوز من عمي البصر وأنّها دعا على الصنفين للحوق ضررهما على العلماء المحقّين أكثر من ضرر الكفّار المتمردين.

«ذو كآبة» سوء حال وانكسار قلب لكثرة خوفه من أمر الآخرة وخشيته لله عزّ وجلّ ولمايرى من مقاساة الزمان وشدائد الدوران، وجفاء الأقران ونفاق الإخوان وترفع الجهلة والأراذل ورثاثة حال الأفاضل والأماثل.

١. عن، ج.

و«التحنّك» إدارة العمامة ونحوها تحت الحنك و«البرنس» بضمّ الموحدة والنون والمهملتين: قلنسوة طويلة كان النسّاك يلبسونها في صدر الإسلام.

وقيل كل ثوب رأسه منه ملتزق به درّاعة كانت أو جبّة أو غيرهما و«الحندس» الليل الشديد الظلمة «يعمل ويخشى» بخلاف الصنفين الآخرين حيث لايعملون و يأمنون «وجلاً، داعياً، مشفقاً» أي خائفاً من عذاب القيامة متضرّعاً الى الله تعالى في طلب المغفرة، حذراً من سوء العاقبة.

«مقبلاً على شأنه» لإصلاح نفسه وتهذيب باطنه بخلاف الآخرين المقبلين على الناس وقد أهملا أمر أنفسهما واصلاح بواطنهما وقد تلطخت بالرذائل والآثام واعتلّت بالأمراض المهلكة والأسقام «عارفاً بأهل زمانه» أي بأحوال نفوسهم وأغراض بواطنهم لماشاهد من أفعالهم وأقوالهم.

وفي الحديث [1] «اتّقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» مستوحشاً من أوثق إخوانه لعرفانه بحاله «فشد الله» دعاء له بالتثبت على العلم واليقين وإحكام أركان الإيمان والدين وإعطاء الأمن له والأمان يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

٩١ ـــ ١٢ (الكافي - ١:٤٩) علي، عن أبيه، عن محمد بن يحيى، عن طلحة بن زيد قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «إنّ رواة الكتاب كثير وإنّ رعاته قليل وكم من مستنصح للحديث مستغشّ للكتاب فالعلماء يحزنهم ترك [2] الرعاية والجهلاء يحزنهم حفظ الرواية فراع يرعى [3] حياته وراع يرعى هلكته فعند ذلك اختلف الراعيان وتغاير الفريقان» .

١ . امالي الطوسي ١:٣٠٠

٢ . وقال الفاضل الاسترابادي رحمه الله: فالعلماء يحزنهم ترك الرعاية والجهّال يحزنهم حفظ الرواية في الباب الآخر من «السرائر» عن طلحة بن زيد قال قال أبوعبدالله عليه السلام العلماء يحزنهم الدراية والجهال يحزنهم الرّواية. ثم قال: أقول قوله «ترك الرعاية» في كثير من النسخ هكذا ولم يظهر لي معنى صحيحاً يوافق آخر الحديث و يوافق ماعتدنا من استعمال العرب و يوافق الحديث المنقول في آخر «السّرائر» ويمكن أن يقال «الترك» من الأضداد كما صرّح به في القاموس أو يقال هنا تصحيف والصحيح «بذل الرعاية» بالباء والذال المعجمة واللاّم «المدأيا».

٣ . قوله: «فراع يرعى حياته» ونجاته وحسن عاقبته وهو حسن التدبر والتفكّر في الكتاب والعمل بمافيه وراع وهو الجاهل يرعى ويحفظ مافيه هلاكه وسوء عاقبته وهو رواية الكتاب بلا تدبر فيه وعمل بمافيه. رفيع (رحمه الله).

بيـان:

كـأن المراد بـالحديث «والله ثم قائله أعلم» أن الحافظين للقرآن المجيد بتصحيح ألفاظه وتجويد قراءته وصون حروفه عن اللحن والغلط كثير ورعاته بتفهمه وتدبر معانيه واستكشاف حقائقه واستعلام ماأريد به من أهله ثم استعمال ذلك كلّه على حسب مايقتضيه قليل وكم من مستنصح للحديث برعاية فهم معانيه والتدبر فيه والعمل بمايقتضيه مستغشّ للقرآن بترك استعمال ذلك كلّه فيه لقصور فهمه عن إدراكه ونيله.

فالعلماء يحزنهم ترك رعاية القرآن و يغمّهم عدم فهمهم له وفقد العمل به وعدم اقتدارهم على ذلك، والجهال يهمّهم حفظ روايته و يغمّهم عدم قدرتهم عليه لمايزعمونه كمالاً وفوزاً ويحتمل أن يكون المراد بالعلماء أهل بيت النبوة (سلام الله عليهم). ومن يحذو حذوهم ممّن تعلّم منهم و يكون المراد أنّهم (عليهم السلام) يحزنهم ترك رعاية القرآن من التاركين لها الحافظين للحروف فانّهم لوراعوه لاهتدوا به وأقرّوا بالحقّ والجهال وهم الذين لم ينتفعوا من القرآن بشيء لارواية ولادراية يحزنهم حفظ الرواية من الحافظين لها التاركين للرعاية لمارأوا أنفسهم قاصرين عن رتبة أولئك. ويحسبون أنّهم على شيء وأنّهم مهتدون فتغبطهم نفوسهم.

و يؤيّد هذا المعنى مايأتي في الروضة من هذا الكتاب من قول أبي جعفر (عليه السلام) في رسالته الى سعد الخير وكان من نبذهم الكتاب ان أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولايرعونه والجهال يعجبهم حفظهم للرواية والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية فانّ في قوله (عليه السلام) يعجبهم هناك بدل «يحزنهم» هنا دلالة على ماقلناه.

ويحتمل أن يكون المراد بالجهال هناك الحافظين للحروف فانّهم جهال في الحقيقة ولايجوز ارادته هاهنا لأنّه لايلائم الحزن إلّا أن يقال ان حفظ الرواية من دون رعاية يؤدّي الى حزنهم في العاقبة وفيه بُعدٌ.

«فراع يرعى حياته» وهو الذي يريد بذلك وجه الله عزّ وجلّ والدار الآخرة عالماً

كان أو جاهلاً «وراع يرعى هلكته»، وهو الذي يريد به الدنيا والمباهاة به «فعند ذلك» أي عند النظر إلى قلوبهم وضمائرهم والاطلاع على نيّاتهم وسرائرهم اختلفا وتغايرا بعد أن يكونا متّحدين بحسب الظاهر في الاهتمام به.

وإنّما ينكشف ذلك بحيث يراه الناس جميعاً في الآخرة و يوم تبلى السرائر، يومئذ يتفرقون فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ[1].

٩٢ ـ ١٣ (الكافي ـ ١:٤٨) العدة، عن أحمد، عن نوح بن شعيب النيسابوري عن الدهقان، عن درست، عن عروة بن أخي شعيب العقرقوفي، عن شعيب عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «كان أميرالمؤمنين (عليه السلام) يقول: ياطالب العلم؛ إنّ العلم ذو فضائل كثيرة فرأسه «التواضع» وعينه «البراءة من الحسد» وأذنه «الفهم» ولسانه «الصدق» وحفظه «الفحص» وقلبه «حسن النيّة» وعقله «معرفة الأشياء والأمور» و يده «الرحمة» ورجله «زيارة العلماء» وهمته «السلامة» وحكمته «الورع» ومستقره «النجاة» وقائده «العافية» ومركبه «الوفاء» وسلاحه «لين الكلمة» وسيفه «الرضا» وقوسه «المداراة» وجيشه «مجاورة [2] العلماء» وماله «الأدب» وذخيرته «اجتناب الذنوب» وزاده «المعروف» ومأواه «الموادعة» ودليله «الهدى» ورفيقه «محبة الأخيار» .

بيان:

شبّه العلم بشخص كامل فاضل روحاني له أعضاء وقوى ومستقر وقائد ومركب وسلاح وغير ذلك كلّها روحانية معنوية فاستعار هذه الألفاظ لتلك الفضائل [ترشيحاً أو تمثيلا] كلّ لمايشابهه أو يناسبه فجعل الرأس «للتواضع» لأنّ الأصل

١ . سورة الشورى/آية ٧

٢ . في بعض النسخ بالحاء المهملة. أي محاورتهم ومكالمتهم. «ك».

والمبدأ في تحصيل العلم التواضع والمذلة وترك العلوّ، والعين «للبراءة من الحسد» لأن الحسد يصير غشاوة على بصر الحاسد، فلايرى العلم عند أهله لينتفع بعلمه.

و«الأذن» للفهم لأنه غايتها وعلى هذا القياس ونبّه بذلك على أنّه من اجتمعت فيه هذه الفضائل والحسنات، فهو العالم بالحقيقة ومن اتّصف بأضدادها فهو جاهل ومابين المنزلتين مراتب ومنازل، ومآل كلّ إلى ماهو الغالب عليه من المحاسن والمساوي و«الموادعة» المصالحة والسكون.

٩٣ - ١٤ **(الكافي - ١:٤٨)** محمد، عن ابن عيسى، عن البزنطي، عن حمادبن عثمان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، نعم وزير الايمان العلم، ونعم وزير العلم الحلم، ونعم وزير الحلم الرفق، ونعم وزير الرفق الصبر» .

بيـــان:

أريد بالوزير «المعين»[1] أو شبّه الايمان وأخواته بالسلطان[2].

١ ـ فحينئذ يكون من «الموازرة» وهي المعاونة.

٢ ـ وعلى هذا يكون من «الوزر» لأنه يتحمل عن السلطان أوزاره ومن «الوزر» لأنه يعتصم برأيه و يستعينه في أموره.

-٩-

باب حق[٣] العالم

٩٤ ـ ١ (الكافي -١:٣٧) علي بن محمد بن عبدالله، عن أحمد، عن محمد بن خالد، عن الجعفري عمّن ذكره، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «كان أميرالمؤمنين (عليه السلام) يقول: إنّ من حقّ العالم[١] أن لا تكثر عليه السؤال ولا تأخذ بثوبه وإذا دخلت عليه وعنده قوم فسلّم عليهم جميعاً وخصّه بالتحيّة دونهم واجلس بين يديه ولاتجلس خلفه ولا تغمز بعينك ولا تشر بيدك ولا تكثر من قول قال فلان وقال فلان خلافاً لقوله ولا تضجر بطول صحبته فانّما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها متى يسقط عليك منها شيء والعالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله إن شاء الله تعالى» .

بيــان:

لعل المراد بالجلوس بين يديه جلوسه بحيث لايحوجه الى الإلتفات حين الخطاب وبالخلف مايقابله «والغمز بالعين» الاشارة بها وحذف المفعول لعله للتعميم أي سواء

١ . قال برهان الفضلاء: إنّ من حقّ العالم أي العالم بالمسائل الدينية «ولا تأخذ بثوبه» أي عند ارادته النهوض عن المجلس التماساً لتوقفه ساعةً أخرى وخصّه بالتحية دونهم. أي لا تثن عنده غيره بمثل ثنائه فضلاً عن الأزيد «الهدايا».

تغمز وتشير إليه أو إلى غيره في حضوره لأنّ ذلك ينافي التعظيم والحرمة و«العالم أعظم أجراً» لتعدّي نفعه بالنسبة الى الصّائم القائم وأشمليته بالقياس الى الغازي.

-١٠-

باب مجالسة العُلماء وصحبتهم

٩٥ - ١ (الكافي - ١:٣٩) علي، عن العبيدي، عن يونس رفعه قال قال لقمان لإبنه «يابني؛ اختر المجالس على عينك[١] فان رأيت قوماً يذكرون الله تعالى فاجلس معهم فان تكن عالماً نفعك علمك وإن تكن جاهلاً علّموك ولعلّ الله أن يظلهم[٢] برحمته فتعمّك معهم.

وإذا رأيت قوماً لايذكرون الله تعالى فلاتجلس معهم فإن تكن عالماً لم ينفعك علمك وإن كنت جاهلاً يزيدوك جهلاً ولعلّ الله ان يظلهم بعقوبة فتعمّك معهم»

بيان:

«على عينك» أي على بصيرة منك ومعرفة لك بها «يذكرون الله» يتذاكرون بالعلم و يذكرون محامد الله والمعارف الآلهية «نفعك علمك» بزيادة التمرّن والرسوخ بالإفادة والاستفادة «يظلهم برحمته» يقبل عليهم و يدنو منهم و يلقي عليهم ظلّ رحمته و يستر ذنوبهم بغفرانه.

١ . قال الفاضل القزويني «على عينك» أي بالجدّ والبصيرة واليقين يقال: صنعته على عيني: أي بجدّ و يقين (عهد) ك .

٢ . يقال اظله أمر كذا اذا غشيه أو دنا منه كأنه القى عليه ظله فالباء للتعدية (عهد) ك .

٩٦ - ٢ (الكافي ١ :٣٩) علي، عن أبيه ومحمد، عن إبن عيسى جميعاً، عن السراد، عن درست، عن إبراهيم بن عبدالحميد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال «محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابي» .

بيان:

«الزرابي» قيل هي بسط عراض فاخرة وقيل هي الطنافس التي بها خمل رقيق وقيل هي النمارق جمع زربية مثلثة الزاي مشددة الياء المثناة من تحت بعد الباء الموحدة «والنمرقة» الوسادة.

٩٧ - ٣ (الكافي - ١ :٣٩) العدة، عن البرقي، عن شريف بن سابق، عن الفضل بن أبي قرة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت الحواريون لعيسى يا روح الله؛ من نجالس؟ قال من يذكّركم الله رؤيته و يزيد في علمكم منطقه و يرغّبكم في الآخرة عمله» .

بيان:

الصفات المذكورة هي صفات العالم العامل بعلمه ليس إلّا.

٩٨ - ٤ (الكافي - ١ :٣٩) النيسابوريان، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن حازم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة» .

بيان:

المراد بأهل الدين هم العلماء العارفون بأركانه العاملون بأحكامه.

۹۹ ـ ٥ (الفقيه ـ ٤٠٩:٤)[1] قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «بادروا الى رياض الجنّة، قالوا يارسول الله ومارياض الجنة؟ قال حلق الذكر» .

بيـان:

أريد بحلق الذكر مجالس العلم كما يستفاد من حديث أول الباب وغيره من الأخبار.

۱۰۰ ـ ٦ (الكافي ـ ۳۹:۱) علي، عن أبيه، عن القاسم بن محمد الاصبهاني، عن المنقري، عن سفيان بن عيينة، عن مسعر بن كدام قال سمعت أباجعفر (عليه السلام) يقول «لمجلس أجلسه إلى من أثق به أوثق في نفسي من عمل سنة» .

بيـان:

مسعر بكسر الميم وربّما يفتح والمهملات وفتح العين شيخ السفيانين «الثوري وابن عيينه» و«كدام»، بكسر الكاف والمهملة والمجلس إمّا مصدر[2] وإمّا إسم مكان بتقدير «في»[3] و«إلى» إمّا بمعنى «مع» وإمّا بتضمين «القرب» ونحوه وفي بعض النسخ المجلس معرفاً بدون التأكيد و يأتي في آخر باب فرض طاعة الأئمة من كتاب الحجة حديث يناسب هذا الباب.

۱. رقم ٥٨٨٨.
۲. فالضمير المنصوب في موضع المفعول المطلق، ك .
۳. أي في ضميره لافيه كما ظنّ بعض القاصرين ثم اعترض على كلامه ادام الله أيام افاداته (عهد) ك .

-١١-
باب سؤال العلماء وتذاكر العلم

١٠١ - ١ (الكافي - ١:٤٠) الثلاثة، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن مجدور أصابته جنابة فغسلوه فمات قال «قتلوه ألا سألوا فإنّ دواء العيّ السؤال» .

بيـــان:

«المجدور» مَن به الجدري وهو بفتحتين وبضم الجيم داء معروف وانّما قتلوه لأنّه كان فرضه التيمم فمن غسله أو أفتى بغسله فهو ضامن ودخول ألا المشددة على الماضي للتوبيخ واللوم على ترك الفعل والعيّ بكسر المهملة والتشديد الجهل وعدم الاهتداء لوجه المراد والعجز عنه وهو داء نفساني يبقى بعد خراب البدن في النفس وعلاجه في العلوم الظاهرة السؤال وفي الأسرار الإلهية مع التضرّع الى الله والابتهال وفي كتاب الطهارة شفاء العيّ كما يأتي وأمّا آفة العي كما نقله بعض الأعلام[1] وتكلف في شرحه فلم نجده في شيء من النسخ.

١ . هو شيخنا البهائي العاملي قال (رحمه الله) في «الحبل المتين» العي بالمهملة يحتمل أن يكون صفة مشبهة من عيّ إذا عجز ولم يهتد الى العلم بالشيء والمعنى أن الجاهل ربّما يتابى عن السؤال ويرتفع عنه و يعده آفة ويحتمل أن يكون مصدراً والمعنى أن السؤال آفة العي فكما أن الآفة تفنى الشيء وتذهبه كذلك السؤال يذهب العي (عهد) له .

١٠٢ ـ ٢ (الكافي ـ ١:٤٠) محمد، عن ابن عيسى، عن ابن حماد، عن حريز، عن زرارة، ومحمد والعجلي قالوا: قال أبوعبدالله (عليه السلام) لحمران بن أعين في شيء سأله «انّما يهلك الناس لأنّهم لايسألون» .[1]

بيــان:

أراد بالهلاك، الهلاك الأخروي فإنّ الجهل مهلك في الآخرة ولاسيّما إذا لم يشعر صاحبه به.

١٠٣ ـ ٣ (الكافي ـ ١:٤٠) علي بن محمد، عن سهل، عن الأشعري، عن القداح، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال «إنّ هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسألة» [2]

١٠٤ ـ ٤ (الكافي ـ ١:٤٠) الأربعة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) مثله .

بيــان:

هذا العلم أي الذي يحتاج اليه الناس وكلّفوا بطلبه.

١٠٥ ـ ٥ (الكافي ـ ١:٤٠) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن مؤمن الطاق عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «لايسع الناس حتى يسألوا و يتفقّهوا و يعرفوا إمامهم و يسعهم أن يأخذوا بمايقول وإن كانت تقيّة» .

١ . يعني عن الحجة المعصوم العاقل عن الله أو عن الثقة العاقل عن العاقل عن الله ابتداءً او بالواسطة الموصوفة والخبرة على مدّعي الكشف بالرياضة قال برهان الفضلاء يعني لأنهم لايسألون عن العالم بالمسائل الدينية و يتبعون الظنّ «الهدايا».

٢ . أي العلم الذي لايحصل لأحد من الرعية إلّا بالأخذ عن الحجّة المعصوم المحصور عدده في الأولين والآخرين والتنوين في «قفل» للتعظيم «الهدايا».

بيــان:

أي يسع الناس و يكفيهم أن يأخذوا بقول إمامهم وإن كانت أقوال إمامهم تقيّة ولايسعهم ولايكفيهم أن يأخذوا بمالم يتفقّهوا فيه، ولم يتعرّفوه عن إمامهم، وإن وافق الحق الصريح الذي لا تقيّة فيه، كذا قيل.

١٠٦ ـ ٦ **(الكافي ـ ١:٤٠)** علي، عن العبيدي، عن يونس عمّن ذكره، عن ابي عبدالله (عليه السلام) قال «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أف لرجل لايفرّغ [١] نفسه في كل جمعة لأمر دينه فيتعاهده [٢] و يسأل عن دينه» .

١٠٧ ـ ٧ (الكافي ـ ١:٤٠) وفي رواية أخرى لكلّ مسلم.

بيــان:

«أف» كلمة ضجر والمراد بالجمعة إمّا اليوم المعهود وإمّا الأسبوع بتقدير يوماً والأول أقرب لأنّه مجمع الناس ولغنائه عن التقدير و يعني بالتفريغ لأمر الدين ترك شواغل الدنيا ومكاسب المعيشة لتحصيل العلم والتعاهد إمّا لذلك اليوم أو لأمر الدين وهو تجديد العهد به، وطلب مايفقده منه والمحافظة عليه.

١٠٨ ـ ٨ **(الكافي ـ ١: ٤)** الثلاثة، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنّ الله تعالى يقول: تذاكر العالم بين عبادي ممّا تحيي عليه القلوب الميّتة إذا هم انتهوا فيه إلى أمري» .

١ ـ من «التفريغ» أو «الافراغ» يقال: فرغته تفريغاً وأفرغته «عهد» ك .

٢ ـ جواب للنفي أو عطف على المنفي «عهد».

بيــان:

في بعض النسخ «العلم» بدل العالم والمعنى أنّ مذاكرة العلم بين العباد سبب احياء قلوبهم الميتة بشرط أن يكون اقتباسه من مشكاة النبوة لامن آرائهم وعقولهم.

١٠٩ ـ ٩ **(الكافي ـ ١:٤١)** محمد، عن ابن عيسى، عن محمدبن سنان، عن أبي الجارود قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول «رحم الله عبداً أحيا العلم» [١] قال قلت وماإحياؤه؟ قال «أن يذاكر به أهل الدين وأهل الورع» .

بيــان:

إنّما قيد أهل تذاكر العلم بأن يكونوا من أهل الدين وأهل الورع حتى يكون تذاكرهم إحياء للعلم لأن العلم المحيى إنّما هوعلم الدين وطهارة القلب بالورع والتقوى شرط لحصوله كما قال سبحانه وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ [٢].

١١٠ ـ ١٠ **(الكافي ـ ١:٤١)** محمد، عن أحمد، عن الحجال، عن بعض أصحابه رفعه قال «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا فإنّ الحديث جلاء للقلوب إنّ القلوب لترين كما يرين السيف جلاؤه الحديث» .[٣]

بيــان:

أراد بالتذاكر والتحدّث مذاكرة العلوم الدينية و«الرّين» الطبع والدنس و يأتي

١ . قال برهان الفضلاء يعني قال عليه السلام احياء العلم بمعنى إنمائه هوالمذاكرة به مع الذين نظرهم في الآخرة والمتورعين من الذنوب لئلاّ ينسى فيحفظ و يكثرالعلماء «الهدايا».

٢ . البقرة/٢٨٢.

٣ . في الكافي المطبوع جلاؤها الحديث وقال في بعض النسخ جلاؤه الحديد ولكن في المخطوط «خ» جلاؤه الحديد وجعل الحديث على نسخة.

خبر آخر في هذا المعنى في باب تذاكر الإخوان من كتاب «الايمان والكفر» إن شاء الله تعالى.

١١١ - ١١ (الكافي - ١:٤١) العدّة، عن البرقي، عن أبيه، عن فضالة، عن عمر بن أبان، عن منصور الصيقل قال: سمعت أباجعفر (عليه السلام) يقول «تذاكر العلم دراسة والدراسة صلاة حسنة».

بيـــان:

«الدراسة» القراءة مع تعهد وتفهم قال ابن الأثير[1] في الحديث تدارسوا القرآن أي اقرأوه وتعهدوه لئلا تنسوه وإنّما كانت صلاة حسنة لاشتمالها على ذكر الله سبحانه الذي هو روح الصلاة وغايتها كما قال الله سبحانه أَقِمِ الصَّلٰوةَ لِذِكْرِي[2] وربما يقرأ بكسر الصاد وسكون اللام و يفسر بالصلة.

١ . نهاية ابن اثير ٢:١١٣
٢ . طه/١٤

-١٢-
باب بذل العلم

١١٢ - ١ (الكافي - ١:٤١) محمد، عن ابن عيسى، عن ابن بزيع، عن منصور بن حازم، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «قرأت في كتاب علي (عليه السلام) ان الله تعالى لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهال لأن العلم [1] كان قبل الجهل »

١ . قوله: «لأن العلم كان قبل الجهل» هذا كلام عجيب لايليق صدوره إلّا عن أهل العصمة (عليهم السلام) قال الرفيع، هذا دليل على سبق أخذ العهد على العالم ببذل العلم للجاهل على أخذ العهد على الجاهل بطلب العلم أو بيان لصحته ويمكن أن يقرر بحمل القبلية على القبلية الزمانية أو بتنزيلها على القبلية بالرتبة والشرف اما الأول فبأن يقال العلم قبل الجهل حيث كان خلق الجاهل من العباد بعد وجود العالم كالقلم واللوح وسائر الملائكة المقربين وكخليفة الله في أرضه آدم (عليه السلام) بالنسبة الى أولاده.
فيصح كون الأمر بالطلب بعد الأمر ببذل العلم أو يكون الأمر ببذل العلم سابقاً حيث يأمر بماتقتضيه حكمته البالغة وبماهو الأصلح عند وجود من يستحق أن يخاطب به ولأن من لم يسبق الجهل على علمه يعلم باطلاع منه سبحانه حسن أن يبذل العلم ومطلوبيته له تعالى فيعلم كونه مطلوباً منه البذل وهذا أخذ العهد ببذل العلم.
وأمّا الثاني فبأن يقال العلم أشرف من الجهل والعالم أقرب الى جنابه سبحانه في الرتبة ولايصل العهد منه سبحانه الى الجاهل إلّا بواسطة العالم و يعلم العالم من ذلك أن عليه البذل عند الطلب أو يقال من جملة علمه وجوب بذل العلم عند الطلب. «ش».

بيــان:

انّما علّل تقدّم العهد على العالم على العهد على الجاهل بتقدم العلم على الجهل لاستلزام تقدم العلم تقدّم العالم وتقدم العالم تقدم العهد عليه وانما كان العلم قبل الجهل مع انه يكتسبه الجاهل بعد جهله لوجوه: منها إنّ الله سبحانه قبل كلّ شيء والعلم عين ذاته فطبيعة العلم متقدمة على الجهل .

ومنها: أنّ العلماء كالملائكة وآدم واللوح والقلم لهم التقدم على الجهّال من أولاد آدم .

ومنها: أنّ العلم غاية الخلق كما قال سبحانه وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ [1] وثمرة العبادة المعرفة والغاية متقدمة على ذي الغاية لأنّها سبب له ومنها: أنّ الجهل عدم العلم والأعدام إنّما تعرف بملكاتها وتتبعها، فالعلم متقدم على الجهل بالحقيقة والماهية .

ومنها: أنه أشرف فله التقدم بالشرف والرتبة.

١١٣ - ٢ (الكافي - ١:٤١) العدّة، عن البرقي، عن أبيه، عن ابن المغيرة ومحمدبن سنان، عن طلحةبن زيد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في هذه الآية وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ [2] قال: «ليكن الناس عندك في العلم سواء» .

بيــان:

«تصعيرالخدّ»إمالته تكبّراً ومعنى الآية لا تعرض عن الناس تكبّراً ومعنى الحديث أن العالم إذا التفت إلى بعض تلامذته دون بعض أو استنكف[3] عن تعليم البعض أو نصحه فكأنّه مال بوجهه عنه، أو تكبر، و يؤيد هذا التأويل صدور الخطاب من

١ . الذاريات/٥٦.

٢ . لقمان/١٨.

٣ . واستنكف، ق.

لقمان الحكيم إلى ابنه وأصحابه[۱] لم يكونوا إلّا طلاّب العلوم، فكأنّه نصحه أن يسوّي بينهم في الإفادة والإرشاد.

۱۱۴ - ۳ (**الكافي - ۱:۴۱**) بهذا الاسناد، عن أبيه، عن احمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال «زكاة العلم ان تعلّمه عباد الله» .

۱۱۵ - ٤ (**الكافي - ۱:٤۲**) علي، عن العبيدي، عن يونس عمن ذكره، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «قام عيسى بن مريم (عليهما السلام) خطيباً في بني إسرائيل فقال: يابني إسرائيل، لاتحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم» .

بيـان:

المراد بالجهال من لاعقل لهم يعبدون به الرّحمان و يكتسبون به الجنان و بأهل الحكمة من يقابلهم وأنشد في هذا المعنى.

«فمن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم»

۱۱٦ - ٥ (**الكافي - ۸:۳٤٥**)[۲] العدّة، عن سهل، عن الدّهقان، عن عبدالله بن القاسم، عن التميمي، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «كان المسيح (عليه السلام) يقول: إنّ التارك شفاء المجروح من جرحه شريك لجارحه لامحالة وذلك أنّ الجارح أراد فساد المجروح والتارك لاشفائه لم يشأ صلاحه وإذا لم يشأ صلاحه فقد شاء فساده اضطراراً فكذلك لاتحدّثوا بالحكمة غير أهلها فتجهلوا ولا تمنعوها أهلها فتأثموا وليكن أحدكم بمنزلة الطبيب

۱. الضمير في أصحابه راجع الى ابنه يعني ابن لقمان. «ض.ع».
۲. رقم ٥٤٥.

المداوي، إن رأىٰ موضعاً لدوائه وإلّا أمسك» .

١١٧ - ٦ (التهذيب - ٦:٢٢٥)[١] ابن محبوب، عن علي بن السندي، عن أبيه قال: سألت أباالحسن (عليه السلام) عن الرجل يأتيه من يسأله عن المسألة فيتخوّف إن هو أفتى بها أن يشنع عليه يسكت عنه أو يفتيه بالحق أو يفتيه بمالا يتخوّف علىٰ نفسه؟ قال «السكوت عنه أعظم أجراً وأفضل» .

١١٨ - ٧ (التهذيب - ٦:٢٢٥)[٢] عنه، عن العباس بن معروف، عن ابن المغيرة عن معاذ الهراء وكان أبو عبدالله (عليه السلام) يسمّيه النحوي قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) إنّي أجلس في المسجد فيأتيني الرجل فإذا عرفت أنه يخالفكم أخبرته بقول غيركم وإذا كان ممّن لا ادري أخبرته بقولكم وقول غيركم فيختار لنفسه، وإذا كان ممّن يقول بقولكم أخبرته بقولكم فقال «رحمك الله هكذا فاصنع» .

١ . رقم ٥٣٨ .
٢ . رقم ٥٣٩ .

-١٣-

باب النّهي عن القول بغير علم

١١٩ - ١ (الكافي - ١:٤٢) محمد، عن ابن عيسى [١] وأخيه بنان، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن مفضل [٢] بن مزيد قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام) «أنهاك عن خصلتين فيهما هلك الرجال أنهاك أن تدين الله [٣] بالباطل وتفتي الناس بمالا تعلم» .

بيـــان:

«تـدين الله بـالباطل» أي تتخذ الباطل ديناً بينك و بين الله تعبد به الله عزّ وجلّ

١ . قـولـه «محـمـد عـن ابن عيسى» وأخيه بنان. وفي الكافي محمد بن يحيى عن أحمد وعبدالله ابني محمد بن عيسى ولامخالفة بينهما فإن بنان وعبدالله رجل واحد هو أخو أحمد بن محمد بن عيسى و بنان لقب لعبدالله(ش).
قـال في «المـدايا» بنـان كغراب بتقديم المفردة على النون:ابن محمد بن عيسى أخو أحمد بن محمد بن عيسى وقيل هو كشداد وقيـل كـسحاب والأوّل أكثر وأشهر. انتهى وضبطه المامقاني بضمّ الباء الموحدة وفتح النون قبل الألف ونون اخرى بعدها. «ض.ع» .

٢ . هو أخي شعيب والمذكور في ج٦ ص١٣٣ مجمع الرجال وفي اسم أبيه ترديد بين مزيد ومرثد و يزيد «ض.ع» .

٣ . قـولـه «أن تدين الله بالباطل» أي أن تعبد الله بما هو مأخوذ لامن جهة كان يجب الأخذ منها سوآء كان من العقائد والمعارف أو مـن الأعـمـال فـعـلاً أو تـركـاً والجـهـة المأخوذ منهـا في الـعقائد الأصولية البراهين والأدلة العقلية وقد يتمسك في بعضها بالسمعيات وفي المسائل الفروعية الكتاب والسنة المنقولة المنتهية الى الحجة ولغير العارف القوي على استنباط مقاصدهما على منهاج الاستقامة والسداد العارف بها فيأخذ بقوله وفتياه، رفيع (رحمه الله).

والباطل ومالا تعلم يشملان كلّ مالايؤخذ عن الله سبحانه أو أولي العلم من الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) سواء حصل بالدلائل الكلامية، أو القياس أو الاجتهاد أو غير ذلك من الإستدلال بالمتشابهات والظنّيات إذ لاعلم إلّا مايؤخذ عن أهله كما يأتي فمن العلوم مالايؤخذ إلّا عن الله سبحانه ببركة متابعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي الأسرار الإلٰهية، ومنها مالايؤخذ إلّا عن النبي وأوصيائه (عليهم السلام) وهي العلوم الشرعية.

١٢٠ - ٢ **(الكافي - ١:٤٢)** عليّ، عن العبيدي، عن يونس، عن البجلي قال: قال لي أبوعبدالله (عليه السلام) «إيّاك وخصلتين ففيهما هلك من هلك إيّاك أن تفتي الناس برأيك[1] أو تدين بمالا تعلم» .

بيان:
الرأي أعمّ من القياس والإجتهاد المتعارف بين متأخري فقهائنااليوم‌كما يسمّونه به.

١٢١ - ٣ **(الكافي - ١:٤٢ و٧:٤٠٩)** محمد عن .

(التهذيب - ٦:٢٢٣)[2]ابن عيسى، عن السراد، عن ابن رئاب، عن الحذاء عن أبي جعفر (عليه السلام) قال «من أفتى الناس بغيرعلم ولاهدى [3] من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه» [4] .

١ . قوله «برأيك» أي لابالأخذ من الكتاب والسنة على مناهجه وقوله «أو تدين بمالا تعلم» أن تعبد الله بمالا تعلم ثبوته بالبراهين والأدلة العقلية أو بالكتاب والسنة والأدلة السمعية.
ويحتمل أن يكون من «دان به» أي اتخذه ديناً أي إياك أن تتخذ مالا تعلم ديناً وأن يكون «تديّن» من باب التفعل، أي تتخذ الدين متلبساً بالقول فيه بمالا تعلم والدين اسم لجميع مايتعبد الله به والملّة، رفيع (رحمه الله) ونقله المجلسي (رحمه الله) في المرآة بعين العبارة.

٢ . رقم ٥٣١.

٣. هكذا أورده في كتاب القضاء باثبات لفظة «من الله» بعد قوله «هدى» واما في هذا الموضع من الكافي فليست بمثبته - منه (رحمه الله).

٤ . الفتيا بالضم والفتوى بالفتح: ماأفتى به الفقيه «مجمع البحرين».

بيـــان:

المـراد بـ«الـعلم» مايستفاد من الأنوار الإلٰهية والإلهامات الكشفيّة كما هو للأئمة (عـليهم الـسـلام) و بـ«الهـدى» مـايـسمع من أهل بيت النبوة كما هو لنا و«بملائكة الـرحمة» الهادون لنفوس الأخيار الى مقاماتهم في درجات الجنان و«بملائكة العذاب» السائقون لنفوس الأشرار إلى منازلهم في دركات الجحيم والنيران.

١٢٢ ـ ٤ (**الكافي ـ ١:٤٢**) العدّة، عن البرقي، عن الوشّاء،عن أبان، عن زيادبن أبي رجـاء، عـن أبي جـعفر (عليه السلام) قال: «ماعلمتم فقولوا[1] ومالم تعلموا فقولوا (الله أعـلـم) إنَّ الـرجـل لـيـنـتـزع الآيـة مـن الـقرآن يخرّ فيها أبعد مابين السماء والأرض» .

بيـــان:

«مـاعـلـمتم» أي بـالـنـور الإلهي المقذوف في قلوبكم، أوبالسماع من أهل بيت الـنبوة «ومالم تعلموا» أي بأحدى الوجهين «وانتزاع الآية من القرآن» استخراجها منه لـلاستـدلال بها على المقصود و«الخرور» السقوط «فيها»[2] أي في تفسيرها على حذف المضاف ونسخة «يحرّفهـا» كأنّها تصحيف.

١٢٣ ـ ٥ (**الـكـافي ـ ١:٤٢**) النيسابوريان، عن حمادبن عيسى، عن ربعي، عن

١ . قوله: «ماعلمتم فقولوا» يدلّ على تصدّي أصحابهم للفتيا وكونهم مجتهدين مستنبطين للأحكام من القرآن والسنة قال رفيع الدين: هذا خطاب مع العلماء من شيعته وأصحابه وهم العالمون بكثير من المسائل أو أكثرها بالفعل أو بالقوة القريبة من الفعل باطلاع على مآخذها وطريق الأخذ منها سابق على الخروج الى الفعل فيظنّ بهم العلم بمايسأله السائل.(ش).
وقوله «إنّ الرجل لينتزع الآية» أي يقلعها و يفصلها منه و يأخذها ليبيّنها و يفسّرها وقوله «يخرّ فيها إلى آخره» إمّا حال عن الضمير في ينتزع أو خبر بعد خبر والمعنى يقع في الآية أي في تفسيرها ساقطاً على ماهو بعيد عن المراد، بينها أبعد ممّا بين السماء والأرض. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . ويحتمل أن يكون «في» بمعنى الباء كقوله «عذبت امرءة في هرّة» والمراد الخرور في جهنّم فانّه أكثر ضرراً من الخرور مابين السماء والأرض و«أبعد» منصوب على الظرفية أي مسافة أبعد (عهد) ك .

محمد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «للعالم إذا سُئل عن شيء وهو لايعلمه أن يقول ـ الله أعلم ـ وليس لغير العالم أن يقول ذلك» .

بيـان:

وذلك لأن مقتضى صيغة التفضيل أن يكون للمفضّل عليه شركة فيما فيه الفضل وليس للجاهل ذلك وأمّا العالم فلمّا كان له نصيب من جنس العلم صحّ له هذا القول وإن كان حكمه حكم الجاهل فيما سُئل عنه.

١٢٤ ـ ٦ (الكافي ـ ١ :٤٢) عليّ، عن البرقي، عن حماد، عن حريز، عن محمد عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «إذاسُئل الرجل منكم عمّالايعلم فليقل «لاأدري» ولايقل «الله أعلم» فيوقع في قلب صاحبه شكّاً وإذا قال المسؤول «لاأدري» فلايتّهمه السائل .

بيـان:

«شكّاً» أي في عدم علمه، فيتّهمه بالعلم قيل: لاأدري نصف العلم وكأنه إشارة الى أن المتعلّق بكلّ مسألة علمان علم بها وعلم بأنّه يعلمها أو لايعلمها و«لاأدري» أحد العلمين وورد «العلم ثلاثة: كتاب ناطق وسنّة قائمة ولاأدري» وعلى هذا فهو ثلث العلم».

١٢٥ ـ ٧ (الكافي ـ ١ :٤٣) الثلاثة، عن يونس، عن أبي يعقوب واسحاق بن عبدالله، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «انّ الله تعالى خصّ عباده بآيتين من كتابه أن لايقولوا حتى يعلموا ولايردوا مالم يعلموا وقال تعالى أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لاَيَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ [1] ـ وقال ـ بَلْ كَذَّبُوا

١ . الأعراف/١٦٩

بِمٰا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِه وَلَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ»[١].

بيــان:

«خصّ عباده» قيل يعني عباده الذين هم من أهل الكتاب والكلام كأنّ من سواهم ليسوا مضافاً اليه بالعبودية «بآيتين» أي مضمونها وإلّا فالآيات في ذلك فوق اثنتين كقوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ [٢]؛ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمٰا أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكٰافِرُونَ [٣] فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ [٤] فَأُولٰئِكَ هُمُ الظّٰالِمُونَ [٥] الى غير ذلك.

«ولايردّوا مالم يعلموا» يعني لايكذبوا به بل يكلوا علمه إلى قائله فان التصديق بالشيء كما هو محتاج إلى تصوره إثباتاً، فكذلك هو مفتقر إليه نفياً وهذا في غاية الظهور ولكن أكثر الناس لايعلمون.

١٢٦ ـ ٨ **(الكافي ـ ١:٤٣)** الاثنان، عن إبن أسباط، عن جعفر بن سماعة عن غير واحد، عن أبان، عن زرارة قال: سألت أباجعفر (عليه السلام) ماحق الله على العباد؟ قال «أن يقولوا مايعلمون و يقفوا عند مالايعلمون».

بيــان:

«ماحق الله على العباد» أي فيما آتاهم من العلم وأخذ عليهم من الميثاق وإلّا فحقوقه جلّ وعزّ عليهم كثيرة.

١. يونس/٣٩
٢. الأنعام/٢١
٣. المائدة/٤٤
٤. المائدة/٤٧
٥. المائدة/٤٥

١٢٧ - ٩ **(الكافي - ١:٥٠)** الثلاثة، عن هشام بن سالم قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) ما حق الله على خلقه؟ فقال «أن يقولوا مايعلمون و يكفّوا عمّالايعلمون فاذا فعلوا ذلك فقد أدّوا [١] إلى الله (تعالى) حقّه» .

١٢٨ - ١٠ **(الكافي - ١:٥٠)** محمد، عن ابن عيسى، عن علي بن النعمان، عن ابن مسكان، عن داود بن فرقد، عن أبي سعيد الزهري، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال «الوقوف عند الشبهة خير من الإقتحام في الهلكة وتركك حديثاً لم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحصه» .

بيان:

الاقتحام في الشيء رمي النفس فيه من غير روية و«الإحصاء» العدّ والحفظ والإحاطة بالشيء (والمعنى أنّ تركك رواية حديث قدأحصيته فلم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحط به) فإذا تردّد الأمر بين أن تترك حديثاً قدرويته ولم تحط به ولم تحفظه على وجهه ولم تكن على يقين ومعرفة بأنه كما هو عندك و بين أن تروية فالأولى أن لا ترويه»[٢].

لأنّ في رواية الحديث منفعة وفي رواية ماليس بحديث على أنّه حديث مفسدة ودفع المفسدة أهم وأولى من جلب المنفعة وفي «نهج البلاغة» من وصايا أميرالمؤمنين لابنه الحسن (عليهما السلام) «ودع القول فيما لا تعرف، والخطاب فيما لا تكلف وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته فان الكفّ عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال».

١ . قوله «فقد أدّوا الى الله تعالى حقه وذلك لأنّه إذا قال بماعلمه قولاً يدلّ على إقراره ولايكذّبه بفعله وكفّ عمّا لايعلمه هداه الله إلى علم مابعده وهكذا حتى يؤدّي الى أداء حقوقه. رفيع ــ (رحمه الله).

٢ . والمعنى انّه اذا تردّد الأمر بين أن تترك حديثاً قدرويته فلم ترو و بين أن تروي حديثاً لم تحط به ولم تحفظ على وجهه ولم تكن على يقين ومعرفة بانّه كما هو عندك فالأولى أن لا ترويه.هذه الجملة توجد في «ق» مكان الجملة التي أوردناها بين الهلالين.

۱۲۹ - ۱۱ (الكافي - ۱:۵۰) محمد، عن احمد، عن ابن فضال، عن ابن بكير عن حمزة الطيّار أنه عرض على أبي عبدالله (عليه السلام) بعض خطب أبيه حتى إذا بلغ موضعاً منها قال له «كفّ واسكت» ثم قال أبوعبدالله (عليه السلام) «لايسعكم فيما ينزل بكم ممّا لا تعلمون إلّا الكفّ عنه والتثبت والرّد إلى الأئمة الهدى حتى يحكموكم [1] فيه على القصد ويجلوا عنكم فيه العمى و يعرفوكم فيه الحق .

قال الله تعالى: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ [2].

بيـــان:

«يحكموكم» يقال حكمت وحكّمت وأحكمت بمعنى رددت، قاله الأزهري، وفي بعض النسخ «يحملوكم» وكما أن في القرآن محكماً ومتشابهاً ولايعلم تأويل متشابهه إلّا الله والراسخون في العلم، كذلك في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) محكم ومتشابه ولايعلم تأويل متشابهها إلّا أهله وليس لسائر الناس أن يتكلموا فيه بآرائهم ولهذا منع (عليه السلام) عن ذلك وأمر بالكفّ والتثبت أي التوقف والرّد إلى أهله و«القصد» من الأمور المعتدل الذي لايميل الى أحد طرفي الأفراط والتفريط و«الجلا» الكشف و«أهل الذكر» هم (عليهم السلام) و«الذكر» هو القرآن كما يأتي في أحاديثهم (عليهم السلام).

۱۳۰ - ۱۲ (الكافي - ۱:٤۳) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن داودبن فرقد عمن حدثه، عن ابن شبرمة قال: ماذكرت حديثاً سمعته عن جعفربن محمد (عليهما السلام) إلّا كاد أن ينصدع (يتصدّع -خ) قلبي قال: «حدثني أبي عن

۱ . قوله «حتى يحكّموكم على القصد» القصد: استقامة الطريق أو الوسط بين الطرفين وهوالعدل والطريق المستقيم و«يجلوا» أي يذهبوا عنكم فيه العمى و«العمى» ذهاب البصر و يستعمل لذهاب بصر العقل فيراد به الجهل. رفيع — (رحمه الله).

۲ . النحل/٤۳ - و- الأنبياء/۷

جدّي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ابن شبرمة وأقسم بالله ماكذب أبوه على جدّه ولاجدّه على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من عمل بالمقاييس [١] فقدهلك وأهلك ومن أفتى الناس [٢] وهو لايعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقدهلك وأهلك».

بيـان:

«ابن شبرمة» هو عبدالله بن شبرمة[٣] الضبي الكوفي بفتح المعجمة وربما بكسر وسكون الموحدة وضمّ الراء كان قاضياً لأبي جعفر المنصور على سواد الكوفة و«الإنصداع» الإنشقاق و«التصدّع» التفرّق و«المقياس» مايقدّر به الشيء على مثال والمراد هنا ماجعلوه معيارَ إلحاقِ فرعٍ بأصلٍ من معنى مشترك بأن يثبت حكم في جزئي لثبوته في جزئي اخر لمعنى مشترك بينهما وهو أصل من أصول كثير من العامة يستعملونه في علومهم و«المحكم» مالايحتمل غير المعنى المقصود منه و«المتشابه» مايحتمله ومن لم يفرق بينهما فربما يفتي بالمتشابه ولايعلم بتشابهه كمانرى من كثير[٤] من أهل الإجتهاد.

١٣١ ـ ١٣ (الكافي ـ ٧:٤٠٩) (التهذيب ـ ٦:٢٢٣)[٥] الثلاثة، عن البجلي

١ . قوله «بالمقاييس» المقياس مايقدر به الشيء على مثال والمراد به ماجعلوه معيار إلحاق الفرع بالأصل من الاشتراك في المظنون عليته للحكم وعدم الفارق والمراد من العمل به اتخاذه دليلاً شرعياً معولاً عليه.
واستعماله في استخراج الحكم الشرعي والقول بموجبه ومقتضاه بعد جعله دليلاً شرعياً فانّ العمل بالدليل الاستدلال به والتعويل عليه والقول بمدلوله لدلالته عليه.
وقوله «فقد هلك وأهلك» أي بضلالته في العمل وإضلاله من تبعه واقتفى أثره رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . قوله «ومن أفتى الناس» أي بمايأخذ عن الكتاب والسنة وهو لايعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقدهلك وأهلك وفيه دلالة على أنّه كما يجوز للمفتي أن يقول كذا فهمت من الكتاب أو السنة يجوز له أن يقول اذا سُئل عن الحكم كذا حكم الله أي في ظنّي وأنه يجب عليك أن تعمل كذا. رفيع ـ (رحمه الله).

٣ . شُبْرُم كقنفذ وزبرج حبّ شبيه بالحِمّص ومن الرجال القصير والبخيل «الهدايا».

٤ . من أهل الاجتهاد. ك . ق.

٥ . رقم ٥٣٠.

قال: كان أبوعبدالله (عليه السلام) قاعداً في حلقة ربيعة الرأي فجاء أعرابي فسأل ربيعة عن مسألة فأجابه فلمّا سكت قال له الأعرابي: أهو في عنقك؟ فسكت عنه ربيعة ولم يردّ عليه شيئاً فأعاد المسألة عليه فأجابه بمثل ذلك فقال له الأعرابي: أهو في عنقك؟ فسكت ربيعة فقال أبوعبدالله (عليه السلام) «هو في عنقه قال أو لم يقل كل مُفْتٍ ضامن».

١٣٢ ــ ١٤ (التهذيب ــ ٦:٢٩٥)[1] سعد، عن محمدبن الحسين، عن جعفر بن بشير، عن حماد، عن عاصم قال: حدثني مولى لسلمان عن عبيدة السلماني قال: سمعت علياً (عليه السلام) يقول «ياأيّها الناس، اتّقوا الله ولا تفتوا الناس بمالا تعلمون فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قدقال قولاً آل منه إلى غيره وقدقال قولاً من وضعه غير موضعه كذب عليه فقام عبيدة وعلقمة والأسود وأناس منهم، فقالوا: ياأميرالمؤمنين فمانصنع بماقدخُبّرنا به في المصحف؟ قال «يُسئل عن ذلك علماء آل محمد (عليهم السلام)».

١٣٣ ــ ١٥ (الفقيه ــ ٤:٧٥)[2] خطب أميرالمؤمنين (عليه السلام) الناس فقال «انّ الله تعالى حدّ حدوداً فلا تعتدوها وفرض فرائض فلا تنقضوها[3] وسكت عن أشياء لم يسكت عنها نسياناً لها فلا تتكلفوها رحمة من الله لكم فاقبلوها»، ثم قال علي (عليه السلام) «حلال بيّن وحرام بيّن وشبهات بين ذلك فمن ترك مااشتبه عليه من الإثم فهو لمااستبان له أترك والمعاصي حمى الله عزّ وجلّ فمن يرتع حولها يوشك أن يدخلها».

١. رقم ٨٢٣
٢. رقم ٥١٤٩.
٣. فلا تنقصوها، كذا في (يه) المطبوع وكذلك في نسخة مخطوطة نفيسة (من خزانة كتبي) بالصاد المهملة «ض،ع».

بيـان:

«فلا تتكلفوها» معناه أن مالم يصل إليكم من التكاليف ولم يثبت في الشرع فليس عليكم فيه شيء فلا تتكلفوه على أنفسكم فانّه رحمة من الله لكم وفي هذا قيل اسكتوا عمّا سكت الله عنه.

ـ ١٤ ـ

باب من عمل بغير علم

١٣٤ ـ ١ (الكافي ـ ١: ٤٣) العدة، عن البرقي، عن أبيه، عن
(الفقيه ـ ٤: ٤٠١ رقم ٥٨٦٤) محمد بن سنان، عن طلحة بن زيد قال، سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا تزيده سرعة السير.

الفقيه ـ من الطريق ش[١] إلّا بعداً».

بيـــان:

«على غير بصيرة» أي غير معرفة بدينه وبما يعمله وقد بيّنا طريق المعرفة غير مرة وفي بعض النسخ «كثرة السير» بدل «سرعة السير».

١٣٥ ـ ٢ (الكافي ـ ١: ٤٤) محمد، عن أحمد، عن ابن فضال عمّن رواه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

١. ش: رمز لاشتراك الكتابين في الألفاظ التي تأتي بعدها «ض،ع».

«من عمل على غير علم كان مايفسد أكثر[١] ممّايصلح».

بيـان:

هذا الحديث مثل سابقه في المعنى والسرّ فيهما أنّ إصلاح القلب وتطهيره بالعبادات الجسمانية وتصفية النفس وتهذيبها بالأعمال البدنيّة ليست مقصودة بالذات، لأنّها كالأعدام للملكات، والعدم لايكون مطلوباً إلّا بالعرض إنّما المطلوب أن ينكشف له المعارف الحقيقية من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لكلّ انسان بحسب عقله وفهمه على تفاوت مراتبهم في ذلك.

ولا تنكشف هذه المعارف إلّا بأن يقع ذلك الإصلاح والتطهير على وجهه مأخوذاً عن صاحب الشرع (صلوات الله عليه) مع اعتقاد صحيح ولو بالسماع منه فمن اقتصر في سلوكه على مجرد العمل والرياضة والمجاهدة من غير بصيرة ولامعرفة، فالتصفية تصير وبالاً عليه إذ تتحرّك النفس بالخواطر الوهميّة وتستولي عليه الوساوس النفسانية فيشوش القلب حيث لم يتقدم له رياضة النفس بالعلوم الحقّة والأفكار الصحيحة ولم يأخذ كيفية العبادة عن صاحب الشرع وخلفائه (صلوات الله عليهم).

فيتشبّث بالقلب خيالات فاسدة وتصورات باطلة وأوهام كاذبة وربّما يتخيّل في ذات الله وصفاته اعتقادات فاسدة من باب الكفر والزندقة وفي زعمه أنّها صحيحة حقّة نعوذ بالله منه وربّما يقتدي به غيره، فيتعدّى شرّه و يصير من الجاهلين المتنسكين القاصمين للظهر، ثمّ مع ذلك قلّما يخلو من اعجاب بنفسه وافتخار بعمله واغترار بعبادته ونظر إلى سائر الناس بعين الإحتقار والإزدراء.

وربّما يتشحّن[٢] باطنه بأمراض نفسانية وهو غافل عنها غير ملتفت إلى معالجتها وإزالتها وربّما يظنّ الرذايل فضائل والعيوب كمالات، فيكون ممّن أخبر الله تعالى عنهم بقوله سبحانه: **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا**

١ . قوله «كان مايفسد أكثر ممّا يصلح» أي كان الفساد في عمله الذي لم يكن من علم أكثر من الصلاح فيه. وكلّما كان الفساد فيه أكثر من الصلاح كان قبيحاً غير مطلوب للحكيم ـ رفيع (رحمه الله).

٢ . شحن السفينة: ملأها ـ قاموس.

وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً [١].

١٣٦ ــ ٣ (الكافي ــ ١:٤٤) عنه، عن ابن عيسى، عن محمدبن سنان، عن ابن مسكان، عن الصيقل قال سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «لايقبل الله عملاً إلّا بمعرفة ولامعرفة إلّا بعمل فن عرف دلّته المعرفة [٢] على العمل ومن لم يعمل فلامعرفة له ألا إنّ الإيمان بعضه من بعض».

بيـان:

«ولامعرفة» لا، لنفي الجنس وليس للعطف كما قديظنّ [٣] وتحقيق المقام أنّ كلّ معرفة تثمر حالاً وصفاءً في النفس وكلّ حال يحمل صاحبه على عمل وطاعة وكلّ طاعة تثمر حالاً آخر وصفاءً غير الأول وهو يثمر معرفة أخرى سوى الأولى وهكذا يتكامل إيمان المرء بالمعرفة والطّاعة حتى بلغ الغاية وخلص من التعب والمشقة واستقرّ في مقام الأمن والراحة واصلاً إلى عين اليقين.

وقد ضربنا لذلك مثلاً في مقدمة الكتاب فن لامعرفة له بالله واليوم الآخر فكيف يعبده؟ أم كيف ينوي التقرّب اليه أو يخضع له أو يشتاق لقائه؟ مع أن هذه كلّها هي روح العبادة وقوامها ومن لاعبادة له ولارياضة شرعية كيف يُصَفّي نفسه و يُرِق

١. الكهف/١٠٣ ـ ١٠٤.

٢. قوله «فن عرف دلته...» تفصيل وتبيين لماذكر قبله إجمالاً والمراد أنّ المعرفة من شأنها الدلالة والايصال إلى العمل والعمل من آثارها المترتبة عليها، ومن لم يترتب أثر المعرفة على مافيه و يظنّه معرفة فإمّا لعدم كونه معرفة في ذاته (أي جهلاً مركبا) أو لعدم كونه معرفة له أي ثابتة مؤكدة الثبوت له ظاهرة فيه غالبة على أضدادها فالحالة الحاصلة في الشخص من اجتماع ماللقلب والقوة العقلية وماللقوى الخيالية والوهمية وماللقوى الشهوانية والغضبية لاكمالية ولامعدودة معرفة كالمركب من المسك والقاذورات لايشم منه إلّا المركب من كيفيتها، وهو النتن لاالطيب.
فلايقال لرائحة المسك المخلوطة بنتن القاذورات عند الاختلاط عُرْف وريح طيبه ولايكون مستعمل المسك على هذا النحو مستعملاً للطيب كذا المعرفة المنغمرة في الأهواء والمنى والجهات الداعية الى الشرّ والفساد لايكون معرفة ولايكون صاحبها على هذا النحو سالكاً طريق النجاة بل الحالة المركبة من جميع هذه الأمور أقوى في الايصال إلى الضلال والهلاك. رفيع ـ (رحمه الله).

٣. لأن معناه حينئذ ولايقبل الله معرفة إلّا بعمل ومفاده أن المعرفة بدون العمل متحققة لكنها غيرمقبولة وفيه مافيه اذ العمل هو السبب في انشراح الصدر بنور المعرفة فلايتحقق بدونه حتى يكون مقبولة أو غير مقبولة (عهد) رحمه الله.

قلبه و يطهّر باطنه مع ان هذه كلّها هي شرائط فيضان نور العلم عليه، والايمان إن أريد به نفس المعرفة فمعناه أنّ كلّ مرتبة منه أعلى تحصل من مرتبة أخرى سابقة عليها دونها في الكمال والقوة بوسيلة العمل، وإن أريد مجموع العلم والعمل فمعناه أنّ كلاً من جزئيه يحصل من الآخر كما بيّنّاه.

-١٥-

باب استعمال العلم

١٣٧ ــ ١ (الكافي ــ ١:٤٤) محمد، عن ابن عيسى، عن حمادبن عيسى، عن ابن أُذينة، عن أبان‌بن أبي عياش، عن سليم‌بن قيس الهلالي قال: سمعت أميرالمؤمنين (عليه السلام) يحدّث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انّه قال في كلام له:

«العلماء رجلان رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك وإنّ أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه وإنّ أشدّ أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله تعالى فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الله الجنة، وأدخل الداعي النار بترك علمه [1] واتباعه الهوى وطول الأمل، أمّا أتباع الهوى فيصدّ عن الحقّ وطول الأمل ينسي الآخرة».

بيـان:

هذا التقسيم إنّما هو للعلماء الذين علمهم مقصور ـ على ما [2] يتعلّق بالعمل كالعالم

١ . عمله ـ خ ل.
٢ . بما. ق.

بالشريعة وكالعالم بالأخلاق دون الذين علمهم مقصود لذاته كالعالم بالمبدأ والمعاد فانّه لايكون غالباً إلّا ناجياً وإذا وقع منه زلة أو ذنب تذكّر لربّه وتاب وتضرّع إليه وأناب.

وإنّما كان عذاب العالم أشدّ لأنّ نفسه أقوى ومعرفته بقبح ماصدر منه أتمّ، فتأذيه بالمؤلم لامحالة أشدّ وتحسره أدوم كما أن ثوابه مع العمل أكثر وأعظم «فيصد عن الحقّ» أي يحجب القلب عن فهم المعارف لأنّه يضادّ العلم والمعرفة كما قيل (حبّك الشيء يعمي و يصمّ) «ينسي الآخرة» وذلك لأنّه يوجب تسويف العمل لها فينجرّ إلى محوها عن الذكر.

١٣٨ ــ ٢ (الكافي ــ ١:٤٤) محمد، عن أحمد، عن محمد بن سنان، عن اسماعيل بن جابر، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «العلم مقرون [١] إلى العمل فمن علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف [٢] بالعمل فان أجابه وإلّا ارتحل عنه».

بيان:

وذلك لأنّ كلاً منهما يستدعي الآخر و يتقوى به كما عرفت و«الهتف» الصوت والدعا وهُتافه به استدعاؤه له وارتحاله عنه نسيانه وانمحاؤه عنه.

١ ـ قوله «العلم مقرون إلى العمل» أي قرن العلم مع العمل في كتاب الله وكلامه كقوله تعالى. «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» وعلّق المعرفة والنجاة عليهما قوله «فمن علم عمل ومن عمل علم» أمر في صورة الخبر أي يجب أن يكون العلم مع العمل بعده، والعمل مع العلم قبله.

٢ ـ قوله و«العلم يهتف بالعمل» أي يصيح و يدعو صاحبه بالعمل على طبقه فإن أجابه وعمل استقرّ فيه وتمكّن وإلّا إرتحل عنه بدخول الشك والشبهة عليه ولوإلى ساعة الإرتحال من دار الدنيا ويحتمل أن يكون المراد بمقرونية العلم مع العمل عدم افتراق الكامل من العلم عن العمل بحسب مراتب كماله وعدم افتراق بقاء العلم واستكماله عن العمل على وفق العلم فقوله «من علم عمل» أي علماً كاملاً معتبراً مقبولاً باقياً و«من عمل علم» أي أبقى علمه واستكمل تفصيل لماأجمل قبله وقوله «يهتف بالعمل» أي مطلقاً فان أجابه وعمل قوي واستقرّ وتمكّن في قلبه وإلّا ضعف وزال عن قلبه. رفيع ـ (رحمه الله).

١٣٩ ــ ٣ (الكافي ــ ١: ٤٤) العدّة، عن البرقي، عن القاساني، عمن ذكره، عن عبدالله بن القاسم الجعفري، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصّفا» .

بيـــان:

«الصفا» بالقصر جمع «الصفاة» وهي الحجر الصّلد الذي لاينبت شبه العلم والموعظة بماء المطر وعدم تأثيره وثباته في القلوب بعدم استقرار المطر في الحجر الأملس قيل: السرّ في عدم تأثير الموعظة إذا صدر ممن لايتصف بمقتضاها ان الكلام ينتهي من المخاطب إلى مثل مايبتديء من المتكلم فان ابتدأ من قلب المتكلم إنتهى إلى قلب المخاطب وتمكن منه وإن ابتدأ من لسانه دون مشاركة القلب إنتهى الى ظاهر السمع فحسب فتأثير الروحاني في الروحاني والجسماني في الجسمانيّ.

١٤٠ ــ ٤ (الكافي ــ ١: ٤٤) علي، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن علي بن هاشم بن البريد، عن أبيه قال: جاء رجل إلى علي بن الحسين (عليهما السلام) فسأله عن مسائل فأجاب ثمّ عاد ليسأل عن مثلها فقال علي بن الحسين (عليهما السلام) «مكتوب في الإنجيل لا تطلبوا علم مالا تعلمون ولمّاتعملوا بماعلمتم [1] فإن العلم إذا لم يُعمَل به لم يزدد صاحبه إلّا كفراً ولم يزدد من الله إلّا بعداً».

بيـــان:

الواو في «ولمّاتعملوا» للحالية أي لا تسألوا عن المجهول والحال انّكم لم تعملوا بعد بالمعلوم وانّها لم يزدد صاحبه إلّا كفراً و بعداً، لأنّ العلم المتعلّق بالعمل حجاب عن

١ . والأولى ماعُلّمتم على مالم يسمّ فاعله من التفعيل لمالايخفى ولم يزدد الثاني بمنزلة التعليل للأوّل والتمادي في كفر المعصية قد ينجر الى الكفر كفر الارتداد «الهدايا».

الحق واشتغال بماسواه وصدّ عن الرجوع إلى جانب القدس ونسيان للآخرة وإنّما الضرورة دعت إليه فلمّا لم يستعمل في الضرورة واهتم به لابقصد العمل بقي و باله عليه، إذ يتشعب منه آثار رديّة وتنبعث منه عادات ممرضة للنفس مميتة للقلب و يصير حجّة عليه.

١٤١ ــ ٥ (الكافي ــ ١:٤٥) محمد، عن ابن عيسى، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت له بم يعرف الناجي؟ قال «من كان فعله لقوله موافقاً فاثبت له الشهادة [1] ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فانما ذلك مستودع».

بيــان:

«فاثبت» إما بصيغة الماضي المجهول أو المعلوم أو المستقبل أو الأمر وفي بعض النسخ فأنما له الشهادة وأريد بالشهادة (الشهادة بالنجاة كما يأتي التصريح به في باب المستودع والمعار من كتاب الايمان والكفر)«فانما ذلك مستودع» أي ايمانه غير مثبت في قلبه [2] بل يزول بأدنى شبهة فهو في مشيئة الله إن شاء تمّمه له، وإن شاء سلبه عنه

١ . قوله: «فاثبت له الشهادة» (أو انما له الشهادة) وفي بعض النسخ بالباء الموحدة قبل المنقوطة بنقطتين* وسيذكر هذا الحديث في باب علامة المعار مع زيادة في أوله الى أن قال فأتت له فلايبعد أن يكون هنا أيضاً فأتت بتائين كما في ثمة أما على النسخة الأولى (انما له الشهادة) فمعناه من كان فعله لقوله موافقاً أي لمايعتقده،المرادمن القول الكلام الحاكي عن اعتقاده فانما له الشهادة أي شهادة الشاهد بالنجاة فدلّ بأداة الحصر على انحصار الشهادة له مؤكدة بتقديم الظرف ومن لم يكن فعله لقوله ومعتقده موافقاً فانما ذلك مستودع أي اعتقاده كالوديعة عنده أو المراد بالشهادة عدم غيبة المعرفة عن قلبه وحفظه لها فيحصل النجاة بها.

وأمّا على النسخة الثانية فأبت له الشهادة أي فقطع له الشهادة أي حضور الاعتقاد وحفظها عن الزوال والسلب عنه أو المراد فقطع له شهادة شاهد النجاة بحفظ معرفته عن السلب والزوال.

وأمّا على موافقة مافي الحديث المنقول ثمّة فأتت له الشهادة بالنجاة أي فجاءت وحصلت له شهادة شاهد النجاة وهو موافقة الفعل للقول والاعتقاد. رفيع ـ (رحمه الله).

* على هذا فالعبارة «فابت له الشهادة وفي نسخة المخطوط من الكافي المقروءة على والد شيخنا البهائي(قده) فأبتّ له الشهادة ثمّ كتب في الهامش (أي انشر له الشهادة بالخير) وجعل في الهامش أيضاً «فاثبت» و«فانّما ثابت» على نسخة مكان «فأبتّ له الشهادة. «ض.ع» .

٢. بين الهلالين في «ق» هكذا: انما شهادته بايمانه أو شهادتك بايمانه وذلك إشارة إلى الإيمان أي إيمانه غير مثبت في قلبه.

وكأنّه إليها أشير بقوله عزّ وجلّ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ [١].

١٤٢ ـــ ٦ (الكافي ـــ ١:٤٥) العدّة، عن البرقي، عن أبيه رفعه قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام في كلام له خطب به على المنبر «أيها النّاس إذا علمتم فاعملوا بماعلمتم لعلّكم تهتدون إنّ العالم العامل بغيره [٢] كالجاهل الحائر الذي لايستفيق عن جهله بل قدرأيت انّ الحجّة عليه أعظم والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه منها على هذا الجاهل المتحيّر في جهله، وكلاهما حائر بائر لا ترتابوا [٣] فتشكّوا ولا تشكّوا فتكفروا ولا ترخّصوا لأنفسكم فتدهنوا ولا تدهنوا في الحق فتَخْسِروا. وانّ من الحق أن تفقهوا ومن الفقه ان لا تغتروا وإنّ أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه، وأغشّكم لنفسه أعصاكم لربه، ومن يطع الله يأمن و يستبشر ومن يعص الله يخب و يندم».

بيــان:

في قوله «لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» تنبيه على أن العمل بمقتضى العلم يؤدّي إلى الإهتداء بهدي الله وهو «من ـ خ» نور اليقين الذي هو غاية كل سعي وقدبيّنا كيفية ذلك وفي قوله «لايستفيق عن جهله» اشعار بأن الجهل كالسكر أو المرض، فإن الاستفاقة بمعنى الخلاص من أحدهما قوله «والحسرة أدوم» مبتدأ وخبر ويحتمل أن يكون عطفاً على

١ . الأنعام/٩٨.

٢ . العامل بغيره أي بغير العلم أو بغير ماعلم وجوب العمل به من الأعمال والباء «صلة» وقوله «كالجاهل الحائر الذي لايستفيق...» الحائر: هو الذي لايهتدي لجهة أمره والاستفاقة: الرّجوع، إلى ماشغل عنه وشاع في الرجوع عن السّقم إلى الصحة وقوله «بائر» البائر: الهالك. رفيع (رحمه الله).

٣ . قوله «لا ترتابوا فتشكّوا...» حقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه حديث الحسن بن أميرالمؤمنين عليهما السلام «دع مايريبك الى مالايريبك، فانّ الشك ريبة والصّدق طمأنينة والإرتياب الوصول إلى الريبة والوقوع فيها وليس «الرّيب» في هذا الحديث مستعملاً في «الشك» أو «التهمة» أو غيرهما من لوازم معناه الأصلي والمراد، لا توقعوا أنفسكم في القلق والاضطراب بالتوغّل في الشبهات أو بمعارضة العلم في مقتضاه من العمل فينتهي أمركم إلى أن تشكّوا في المعلوم والمتيقّن لكم وقوله «ولا تشكوا» أي لا توقعوا أنفسكم في الشكّ واحذروا من طريانه على العلم «فتكفروا» أي يوصلكم الى الكفر و ينتهي إلى الشكّ فيما يكون الشك فيه كفراً ـ (رفيع ـ رحمه الله) ونقله المجلسي (رحمه الله) أيضاً «ش».

قوله «الحجة عليه أعظم» و يكون قوله «على هذا العالم» بدلاً من عليه والضمير في «منها» راجعاً الى الحجة والحسرة جميعاً باعتبار كل واحدة منها والأول أولى لاستغنائه عن هذا التكلّف في الضمير وإنّما كانت الحسرة عليه أدوم لأنه بالعلم يدرك درجات العاملين بعلمهم في القرب فيشتد [1] حسرته وندامته بخلاف الجاهل.

وكلاهما «حائر بائر» يقال رجل حائر بائر إذا لم يتّجه بشيء [2] ولايأتمر رشداً ولايطيع مرشداً «لا ترتابوا» أي لا تمكنوا الريب والشك من قلوبكم بل ادفعوا عن أنفسكم كيلا تعتادوا به فتصيروا من أهل الشك والوسواس، فتكونوا من الكافرين فانّ مَن غلب عليه الشك والوسواس يصير من أهل الكفر هذا في باب العلم.

«ولا ترخّصوا لأنفسكم» أي إعزموا على الطاعات وترك المعاصي ولا تساهلوا في ارتكاب الشهوات فتقعوا في المداهنة في أمر الدين والمساهلة في باب الحقّ واليقين فتكونوا من الخاسرين وهذا في باب العمل «وانّ من الحقّ أن تفقهوا» أي وإن من الحقّ اللازم عليكم أوّلاً أن تفقهوا في الدين وتعلّموا الحلال والحرام والخير والشرّ ثمّ اعملوا بما فقهتم «ومن الفقه ان لا تغتروا» بعلمكم ولابعملكم فان الغرور من المهلكات والمغرور بالعلم والطاعة أدون حالاً من الجاهل والعاصي.

و«الغش» خلاف النصيحة «يأمن» أي من العقوبات و«يستبشر» أي بالمثوبات وفي بعض النسخ و يسترشد «يخب» [3] من الدرجات العلى من الخيبة و«يندم» أي على تفويت الفرصة وتضييع العمر.

١٤٣ - ٧ (الكافي ــ ١:٤٥) العدة، عن البرقي، عن أبيه، عمن ذكره، عن محمد بن عبدالرحمان بن أبي ليلى، عن أبيه قال سمعت أباجعفر (عليه السلام)

١ . فيشد، ك .
٢ . لشيء، ج، ق، ك .
٣ . أي من الدرجات، ج. ك .

يقول: «إذا سمعتم العلم فاستعملوه [1] وليتسع [2] قلوبكم فان العلم إذا كثر في قلب رجل لايحتمله قدّر الشيطان عليه فاذا خاصمكم الشيطان فاَقبلوا عليه بماتعرفون فان كيد الشيطان كان ضعيفاً» فقلت ومالذي نعرفه؟ قال «خاصموا بماظهر لكم من قدرة الله تعالى».

بيـــان:

يعني ينبغي أن يكون اهتمامكم بالعمل لابكثرة السماع والحفظ وأن لا تكثروا من العلم إلى حد تضيق قلوبكم عن احتماله و يضعف عن الإحاطة به وذلك إنّما يكون بترك العمل لأنّ العالم إذا عمل بعلمه لايضيق قلبه عن احتمال العلم وإن كثر ثم القلب إذا ضاق عن قبول الحق وضعف يستولي عليه الشيطان بالوسواس والإغواء ولما كان لقائل أن يقول فبماذا نخاصم الشيطان إذا كانت كثرة العلم هي سبب اقتداره علينا واستيلاؤه على قلوبنا؟ قال: «فَإِذا خَاصَمَكم الشيطان فأَقبلوا عليه بماتعرفون» يعني أدنى المعرفة يكفي لدفع كيده لأن كيده كان ضعيفاً أشار به إلى قول الله عزّ وجلّ: إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً [3].

١ . قوله «اذا سمعتم العلم فاستعملوه» والمراد بالعلم المذعن به، لانفس التصديق والاذعان فان التصديق والعلم يطلق على المعلوم المذعن به والمقصود انّه بعد حصول العلم ينبغي الإشتغال بأعماله والعمل على وفقه عن طلب علم آخر قبل إعماله واحفظوا وار بطوه بالعمل لتكونوا عاملين وحافظين للعلم من الزوال.
وقوله: «وليتسع قلوبكم» أي يجب أن يتّسع قلوبكم لماعلمتم والمراد إنّه يجب أن يكون طلبكم للعلم على قدر تتسعه قلوبكم ولا تستكثروا منه فان العلم إذا كثر في قلب رجل لايحتمله ولايكون قلبه متّسعاً له قادراً على ضبطه قدر الشيطان عليه بتلبيس الشبهات حتى يتشكّك فيا علمه و يترك العمل به وقوله «فاذا خاصمكم الشيطان فاقبلوا عليه بماتعرفون» تنبيه على دفع مايتوهم من أن القناعة من العلم بمايتسعه القلب يؤدي الى العجز عن مخاصمة الشيطان والاستكثار منه من أسباب القوة على معارضته ودفعه وجوابه أن الاقبال على الشيطان بماتعرفون من العقائد المعتبرة في أصل الايمان يكفي في دفعه فان كيد الشيطان كان ضعيفاً.
والمراد بقوله «خاصموه بماظهر لكم من قدرة الله تعالى» خاصموه بآثار قدرته الدالة على ألوهيّته وتوحيده الظاهرة لكم في أنفسكم وفي العالم و بآثار قدرته الظاهرة في الرسول وعلى يده الدالة على رسالته و بآثار قدرته الظاهرة في الوصي من فطانته وعلمه وصلاحه بعد تنصيص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على عينه أو صفاته (عليه السلام) رفيع ـ (رحمه الله).
٢ . ولتتسع أي، ج، ق، لك .
٣. النساء/٧٦.

ثمّ نبّه على أدنى المعرفة الكافية لدفع مخاصمته بأنّها هي معرفة ماظهر من قدرة الله تعالى على كلّ شيء فانه يوجب قدرته على إنشاء النشأة الآخرة وإثابة المطيع وتعذيب العاصي فانّ بهذه المعرفة تنبعث النفس على فعل الطاعات وترك السيئآت، ثم كلّما ازداد عملاً وسعياً ازداد بصيرة و يقيناً.

-١٦-

باب المستأكل بعلمه والمباهي به[1]

١٤٤ - ١ (**الكافي** ــ ١:٤٦) محمد، عن ابن عيسى وعلي، عن أبيه جميعاً، عن حماد.

(**التهذيب** ــ ٦:٣٢٨)[2] الحسين، عن حماد، عن ابن أذينة، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس قال سمعت أميرالمؤمنين (عليه السلام) يقول: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): منهومان[3] لايشبعان طالب دنيا وطالب علم فمن اقتصر من الدنيا على ما أحلّ الله له سلم ومن تناولها من غير حلّها هلك إلّا أن يتوب أو يراجع [4] ومن أخذ العلم من أهله وعمل بعلمه نجا ومن أراد به الدنيا فهي حظه» .

١ . هكذا العنوان في الكافي والمراد به من يتخذ علمه رأس مال يأكل منه و يتوسّع به في معاشه يقال، فلان يستأكل الضعفاء أي يأخذ أموالهم والمأكل «المكسب» فلان ذو أكل: أي ذو حظّ من الدنيا برزق واسع. منه أدام الله أيّامه «عهد».

٢ ـ رقم ٩٠٦

٣ . نهم كـ«علم» وعلى صيغة المجهول نها فهو نهم، نهيم، منهوم (عهد) (رحمه الله)، ك .

٤ . لعلّ المراد بالتوبة مايكون في حقّ الله و«بالمراجعة» مايكون في حقّ الناس. (عهد) ك .

بيـــان:

«النهـمة» بالفتح إفراط الشهوة وبلوغ الهمة في الشيء وقدنهم بكذا فهومنهوم أي مولع به حريص عليه وليس في الحديث دلالة على أنّ الحرص في تحصيل العلم والإكثار منه مذموم وإن المراد به غيرعلم الآخرة كما ظنّ بل المراد من صدره أن من خاصية الدنيا والعلم ان من ذاق طعمهما لم يشبع منها بل يحرص عليهما، ثم بيّن الممدوح من ذلك والمذموم منه فذكر أنّ من اقتصر على الحلال من الدنيا فهو ناج أكثر منه أو أقلّ ومن تناولها من غير حلّها فهو هالك أكثر منها أو أقلّ وكذلك من أخذ العلم من أهله وعمل به فهو ناج أكثر من تحصيله أو أقل ومن أراد به الدنيا فليس له في الآخرة نصيب أكثر منه أو أقل فليس حظه منه سوى الدنيا.

١٤٥ ــ ٢ (الكافي ــ ١:٤٦) الاثنان، عن الوشّاء،عن احمدبن عائذ، عن أبي خديجة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ومن أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة» .

١٤٦ ــ ٣ (الكافي ــ ١:٤٦) علي، عن أبيه، عن القاسم بن محمد الاصبهاني عن المنقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب».

١٤٧ ــ ٤ (الكافي ــ ١:٤٦) بهذا الاسناد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «إذا رأيتم العالم محبّاً لدنياه فاتهموه على دينكم فانّ كلّ محبّ لشيء يحوط ما أحبّ» وقال (عليه السلام) «أوحى الله تعالى إلى داود (عليه السلام): لاتجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا [1] فيصدك عن طريق محبتي فإنّ أولئك

١ . قوله «عالماً مفتوناً بالدنيا» أي لاتجعل المفتون بالدنيا المعجب بها بين الله وبينك وسيلة إلى حصول معرفة الله ومعرفة دينه ←

قطاع طريق عبادي المريدين إنّ أدنى ماأنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم».

بيان:

«فاتهموه» أي اعتقدوه متهماً في قوله وفعله صوناً على دينكم فانّه ليس على حقيقة في علمه وذلك لأنّ حبّ الدين وحبّ الدنيا لايجتمعان في قلب واحد و«الحوط» و«الحياطة» الحفظ والصيانة والتوفر على مصالح الشيء والذب عنه «لاتجعل بيني وبينك عالماً» أي لاتجعله وسيلة الى التقرّب إليّ بالاستفادة منه والإسترشاد«فيصدك»فيمنعك لماقلنا من عدم اجتماع الحبين والمناجاة المنزوع حلاوتها من قلبه تشمل مايكون منها باللسان على نحو الخطاب والدعاء ومايكون بالعقل من الإلهامات العلمية والكمالات الروحية التي كان قابلاً لها في أوائل فطرته قبل فساد قريحته.

١٤٨ ـ ٥ (الكافي ـ ١:٤٦) الأربعة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الفقهاء أُمناء الرُسل مالم يدخلوا في الدنيا» قيل يارسول الله ـ ومادخولهم في الدنيا؟.

قال: «اتباع السلطان [1] فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم».

وشريعته التي شرعها الله لعباده فيصدك ويمنعك من طريق محبتي بالترغيب الى الدنيا وتهييج الشهوة إلى طلبها وتشديد محبتها في القلب.

وقوله «فانّهم قطاع طريق..» لأنهم يميلون الناس من الرغبة إلى الله وإلى الآخرة إلى الرغبة في الدنيا وأسبابها، أو لأنهم باراءتهم للناس أنهم علماء أمالوا الناس من طلب العالم الرباني إلى الرجوع إليهم والأخذ عنهم فاضلّوهم عن السبيل اليه. رفيع ـ (رحمه الله).

١ ـ قوله «اتباع السلطان» وهو اتخاذ طريقته قدوة واستحسان ماحسّنه واستقباح ماقبّحه والاهتمام بفعل مايرتضيه وترك ماينكره، فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم أي فاحذروهم محافظة على دينكم ولا تراجعوهم للسؤال عن المعارف الإلهية والمسائل الدينيّة. رفيع ـ (رحمه الله).

بيــان:

أمناء الرُسل لأنّهم مستودعوا علومهم و«اتباع السلطان» يشمل قبول الولاية منهم على القضاء ونحوه والخلطة بهم والمعاشرة معهم اختياراً ورضىً به.

١٤٩ ـ ٦ (الكافي ـ ١:٤٧) النيسابوريان [١]، عن حمادبن عيسى، عن ربعي عمن حدثه، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال «مَن طلب العلم ليباهي [٢] به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه فليتبوّ [٣] مقعده من النار إنّ الرئاسة لا تصلح إلّا لأهلها». [٤]

بيــان:

في بعض النسخ «حريز» بدل «ربعي» وكأنه الأصح وكلاهما ثقة و«المباهاة»

١ . قوله «النيسابوريان» يعني محمدبن اسماعيل عن الفضل بن شاذان ومحمدبن اسماعيل هذا هو تلميذ الفضل وهو الملقب «بندفر» كما حقّقه المحقّق الداماد في «الرواشح السماوية» وزعم بعض الناس أنه محمدبن اسماعيل البرمكي والأول هو الصحيح واعلم أنه ليس في هذا الباب حديث صحيح من جهة السند إلّا أن الإعتماد على المعنى لصحة مضامينه عقلاً واجماعاً «ش».

٢ . قوله: «ليباهي به العلماء» المباهاة مفاعلة من البهاء ومعناه المغالبة في الحسن أي فيما يعدّ من المفاخر والمحاسن و«المماراة» المجادلة والمنازعة والمراد أن من طلب العلم لتحصيل الرئاسة ومن وجوهها التي تناسب طلب العلم المفاخرة وادعاء الغلبة به وذلك مع العلماء لايصل إلى النزاع والجدال حيث لايمارون لعلمهم بقبحه فيسلم له المفاخرة وأدعاء الغلبة ومع الجهال المتلبسين بلباسهم يورث النزاع والجدال وإذا كانت الرئاسة مطلوبة له يماري ويجادل ليظهر غلبته عليهم ومنها صرف وجوه الناس إليه من العالم الرباني فيحصل له الرئاسة بمراجعة الناس فيما ينبغي المراجعة فيه إلى من هو من أهل الرئاسة ولاينتقل الذهن الى وجه آخر من الرئاسة يناسب طلب العلم ولايؤول إلى ماذكر. رفيع ـ (رحمه الله) وأورده في مرآة العقول بتغيير يسير.

٣ . قوله «فليتبوّ مقعده من النار» أي فينزل مكانه ومقره من النار أوفليتخذ مقرّه ومكانه من النار وقوله «إن الرئاسة لا تصلح إلّا لأهلها» دليل لماقبله وأهل الرئاسة مَن أوجب الله على عباده المراجعة إليه والأخذ عنه والتسليم لأمره وتحمّلها بالنسبة إليهم من التكاليف الشاقة حيث لايريدونها لماعرفوه بعقولهم الكاملة ومعارفهم الربانية من الفضل في تركها وعدم إرادتها فهم يفعلون فعل الرؤساء في زيّ الفقراء ولايزدادون بفعلهم ورئاستهم إلّا كسر أنفسهم كما في دعاء بعضهم (عليهم السلام) «اللهم لاتجعل لي عزّاً ظاهراً إلّا وجعلت لي ذلّة باطنة عند نفسي بقدرها» ـ رفيع (رحمه الله).

٤ . والمراد بالرئاسة هنا الامارة في الدين و بأهلها حجج الله المعصومون المنصوصون فتعريض على أئمة الضلالة «الهدايا».

المفاخرة و«المماراة» المجادلة و يتبوّ من كذا أي يتّخذه منزلاً ومقعده نُصب على المفعول له أي لمنزله أو نصبه على المفعول به و«من النار» متعلّق به أي فليحلّ مقعدَه من النار وليقم والمعنى أنّ مَن طلب العلم لغرض من الأغراض النفسانية التي تدور غالباً على أحد هذه الأمور فهو من أهل النار، ونبّه (عليه السلام) على خطر أمر الرئاسة وعظم آفتها بأنّها لا تصلح إلّا لأهلها. وهم الكاملون في قوّتي العلم والعمل من الأنبياء والأوصياء ومن يحذو حذوهم من النفوس القدسيّة المنزّهة عن الميل إلى الدنيا ومافيها.

روى الصدوق (رحمه الله) في كتاب معاني الأخبار[1] باسناده عن عبدالسلام بن صالح الهروي قال: سمعت أباالحسن الرضا (عليه السلام) يقول: «رحم الله عبداً أحيى أمرنا» فقلت له وكيف يحيي أمركم؟ قال: «يتعلّم علومنا و يعلّمها الناس فان الناس لوعلموا محاسن كلامنا لا تّبعونا» قال: فقلت له يابن رسول الله فقد روي لنا عن أبي عبدالله (عليه السلام) إنّه قال: «من تعلّم علماً ليماري به السفهاء أو يباهي به العلماء أو ليقبل بوجوه الناس إليه فهو في النار» فقال (عليه السلام) «صدق جدّي أفتدري من السفهاء؟» فقلت لا يابن رسول الله قال: «هم قصاص مخالفينا وتدري من العلماء»؟ فقلت لا يابن رسول الله قال «هم علماء آل محمد (عليهم السلام) الذين فرض الله طاعتهم وأوجب مودتهم» ثم قال «أوتدري مامعنى قوله أو ليقبل بوجوه الناس إليه؟» قلت: لا قال «يعني بذلك والله ادعاء الامامة بغير حقّها ومن فعل ذلك فهو في النار».

و باسناده عن حمزةبن حمران قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «من استأكل بعلمه افتقر» فقلت له جعلت فداك إن في شيعتك ومواليك قوماً يتحملون علومكم و يبثونها في شيعتكم ولايعدمون على ذلك منهم البرّ والإحسان والصلة والإكرام فقال (عليه السلام) «ليس أولئك المستأكلين، إنّما المستأكل بعلمه الذي يفتي بغيرعلم ولاهدى من الله عزّ وجلّ ليبطل به الحقوق طمعاً في حطام الدنيا».

١ـ معاني الاخبار ص ١٨٠

-١٧-

باب لزوم الحجة على العالم وتشديد الأمر عليه

١٥٠ - ١ (الكافي - ٤٧:١) علي، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال «ياحفص؛ يغفر للجاهل [١] سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد».

بيان:

وذلك لأن الإدراك كلّما كان أقوى كانت اللذة أتمّ والألم أكثر وأشد والعالم إدراكه لقبح الذنب أقوى من الجاهل لأنّ معرفة العالم إنّما تكون على بصيرة بخلاف الجاهل فإنّه إنّما يعرف الشيء تقليداً والمغفرة عبارة عن الستر والإخفاء وإنّما يستر على

١ . قوله «يغفر للجاهل...» للجهل بالحكم مراتب: احديها جهل المكلف بالحكم الشرعي مطلقاً بأن لايعلم بالأخذ عن العالم تقليداً ولابالاخذ عن أدلتها التفصيلية ولايعلم مايترتب عليه من الفضل والثواب، وعلى تركه من الخذلان والعقاب وثانيها عدم العلم به من أدلتها، وعدم العلم بمايترتّب عليه وعلى تركه مع العلم التقليدي به وثالثها عدم العلم بمايترتّب عليه مع العلم به من الأدلة وإن انتبر التقليد والاستدلال بالنظر الى العلم بمايترتّب عليه فعلاً وتركاً زادت المراتب وكلّ مرتبة من الجهل جهل بالنسبة الى مافوقها ومافوقها علم بالنسبة إليه .
ثمّ الجاهل والعالم في كلامه (عليه السلام) يحتمل الجاهل على الاطلاق الذي لايقال له العالم أصلاً والعالم على الإطلاق الذي لايطلق عليه الجاهل أصلاً ويحتمل الجاهل والعالم الاضافيين فالأمر شديد على كلّ عالم بالنسبة إلى من هو جاهل بالنظر إليه. رفيع - (رحمه الله).

من كان الأمر عليه مستوراً أو مشتبهاً غير واضح وهو الجاهل دون العالم إلّا أن يكون على بصيرة العالم غشاوة من هوى.

١٥١ ـ ٢ **(الكافي ـ ١:٤٧)** بهذا الاسناد قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام): «قال عيسى بن مريم و يل للعلماء السوء [١] كيف تلظى عليهم النار».

بيان:

«تلظى» تتلهب وتضطرم وذلك لحسرتهم على ماصدر منهم حين كونهم بصراء بقبحه.

١٥٢ ـ ٣ **(الكافي ـ ١:٤٧)** الخمسة، عن جميل بن دراج قال سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «إذا بلغت النفس هاهنا [٢] ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ لم يكن للعالم توبة» ثم قرأ إِنَّمَا التَّوبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ [٣] بِجَهالَةٍ [٤].

١ . قوله «و يل للعلماء السوء» يقال ساءه سَوءً ورجلٌ سَوْء ورجل السَوء بفتح السين والاضافة و يقال علماء السوء بالاضافة فانّ من يظهر منه السوء كأنّه لايعرف إلّاالسوء فأضيف الصفة الى السوء معرفة كالضارب الرجل أو غير معرفة ثمّ لماأراد التعبير عن الصفة المضافة إلى معمولها وتعريفها قال العلماء السوء وليس السوء في مثل هذا الوضع صفة بل مضاف إليه لكن الاضافة هاهنا في معنى التوصيف أي المضاف موصوف بماأضيف إليه والمشتق منه محمول على المضاف كما قيل رجل سوء وامرأة سوء وقوله كيف تلظى أي تتلهب وتشتعل وتمدّ لهبها عليهم النار. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . قوله «وإذا بلغت النفس هاهنا» المراد ببلوغ النفس إلى الحلق قطع التعلق عن الأعضاء والانتهاء في قطع التعلّق إلى حوالي الحلق من الصدر والرأس وهو آخر ساعة من الحياة الدنيوية وقوله «ليس للعالم توبة» أي من يعلم الأدلة ومايترتّب على العمل فعلاً وتركاً تضييقاً وتشديداً للأمر عليه وقوله «ثم قرأ إنّما التوبة» تمسّك فيما قاله بكتاب الله سبحانه حيث حكم بانحصار استحقاق قبول التوبة للجاهلين والجاهل هنا مقابل العالم بالمعنى الذي ذكرناه وحمل الآية على انحصار قبول التوبة عند الخروج من الدنيا للجاهل لدلالة الأدلة على قبول التوبة لغير الجاهل قبله. رفيع ـ (رحمه الله).

٣. السوء: بالفتح مصدر و بالضم إسم منه (عهد) (ره) ك .

٤ . النساء/١٧.

بيـــان:

«الـنـفـس» بسكون الفاء «الروح» قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ [1] يعني روح المشرف على الموت وبلوغ الروح الحلق هو الزمان المتصل بزمان الاحتضار ومعاينة الغيب أعني قُبَيل حدّ المعاينة وهو آخر وقت قبول توبة الجاهل [2].

وأما عند المعاينة ومابعدها فلا تأثير للتوبة أصلاً لامن الجاهل ولامن العالم لحصول اليأس التام من الحياة وسقوط التكليف وهو منصوص عليه في القرآن والأخبار كما سيأتي ولعلّ السبب في عدم قبول التوبة من العالم في ذلك الوقت مامرّ من أن إدراكه لقبح الذنب أقوى فلايليق به أن يؤخر التوبة إلى ذلك الوقت ولحصول يأسه من الحياة بامارات الموت بخلاف الجاهل فانّه لاييأس إلّا بعد المعاينة.

قال بعض المفسرين ومن لطف الله بالعباد أن أمر قابض الأرواح بالابتداء في نزعها من أصابع الرجلين ثم يصعد شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى الصدر ثم ينتهي الى الحلق ليتمكن في هذه المهلة من الإقبال بالقلب على الله تعالى والوصية والتوبة مالم يعاين والإستحلال وذكر الله سبحانه فيخرج روحه وذكر الله على لسانه فيرجى بذلك حسن خاتمته رزقنا الله ذلك بمنّه «انّما التوبة على الله» أي قبول التوبة [3] الذي أوجبه الله على نفسه بمقتضى وعده.

والتوبة هي الرجوع والإنابة فاذا نسبت إلى الله تعالى تعدّت بـ«على» وإذا نسبت إلى العبد تعدت بـ«إلى» ولعلّ الأول لتضمين معنى الإشفاق والعطف ومعنى التوبة من العبد رجوعه الى الله بالطاعة والإنقياد بعدما عصى وعتا ومعنى التوبة من الله رجوعه بالعطف على عبده بالهامه التوبة أولاً ثم قبوله إياها منه آخراً فلله توبتان

١. في الاصل: حتى اذا بلغت الحلقوم وصحّحناه وفقاًللقرآن الكريم. الواقعة/٨٣

٢. المعبر عنه في القرآن المجيد بقوله سبحانه: «ثمّ يتوبون من قريب» أي قريب من زمان الموت بدليل قوله: «حتى إذا حضر أحدهم الموت» كذا في التفاسير، هذه الزيادة توجد في، ق.

٣. قال في التفسير الكبير: انه سبحانه وعد قبول التوبة من المؤمنين وإذا وعد الله بشيء وكان الخلف في وعده محالاً كان ذلك تشبيهاً بالواجب فبهذا التأويل صحّ اطلاق كلمة «على» وبهذا ظهر الفرق بين قوله «انّما التوبة على الله» وبين قوله «يتوب الله عليهم» (عهد) ك .

وللعبد [١] واحدة بينهما قال الله تعالى: «ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا» [٢] أي ألهمهم التوبة ليرجعوا ثم إذا رجعوا قبل توبتهم لأنّه هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ فالتوبة في قوله سبحانه: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ [٣] من «تاب عليه» اذا قبل توبته إلّا أنّ «على» هذه ليست هي «على» في قولهم: تاب عليه «بجهالة» أي متلبسين بها سفهاً فان ارتكاب الذنب والمعصية سفه وجهل، ولهذا قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته وأما قوله سبحانه «ثم يتوبون من قريب» فيعني به من قبل أن يشرب في قلوبهم حبه فتطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع.

وأما الحصر المدلول عليه بلفظة «انّما» فلاينافي قبولها ممن أخّرها إلى قبيل المعاينة كما ورد في الأخبار لأن وجوب القبول [٤] غير التفضل به.

١٥٣ ـ ٤ (الكافي ـ ١:٤٧) محمد، عن ابن عيسى، عن الحسين، عن النضر عن يحيى الحلبي، عن أبي سعيد المكاري، عن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله تعالى: فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ [٥] وَالْغَاوُنَ [٦] قال «هم قوم [٧] وصفوا عدلاً بألسنتهم ثمّ خالفوا إلى غيره».

١ . توبة واحدة، ج، ق.

٢ . التوبة/١١٨ في الأصل: ثم تاب الله عليهم وصححناه وفقاً للقرآن الكريم «ض.ع».

٣ . النساء/١٧

٤ . قوله: «لان وجوب القبول غير التفضل به» يشعر بأن القبول قديكون باستحقاق وقديكون بتفضل وهذا غير معهود في مذهبنا ولامنقول من غيرنا ونقل المجلسي (رحمه الله) عبارة المصنف بعينها وقال كذا قيل مشعراً بتردد فيه، ثم إن ماذكره هنا يخالف نصّ القرآن الكريم لأن الحصر في «انّما» بالنسبة إلى مافي آية بعدها «وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تبت الآن ولاالذين يموتون وهم كفّار» وتخصيص ذلك بالعالم كما في الحاشية وفي نصّ هذا الحديث وفي اول كلام المصنف أقرب ممّاذكره في آخره من الفرق بين وجوب القبول والتفضل. «ش».

٥ . الضمير للذين عبدهم الغاون من دون الله و«هم» تأكيد «عهد» ك .

٦ . الشعراء/٩٤

٧ . قوله «هم قوم وصفوا» أي الغاون «قوم وصفوا عدلاً» أي حقاً ثابتاً مستقراً من العقائد والمذهب وذكروه بالحقيّة بألسنتهم ثمّ خالفوه إلى غيره. رفيع (رحمه الله).

بيــان:

«كبّه على وجهه» صرعه فأكبّ عكس سائر اللّغات و«الكبكبة» تكرير ـالكبّ ـ جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى و«الغيّ» الضلال «عدلاً» صفة عدالة «ثمّ خالفوا» أي لم يعملوا بموجبه معرضين عنه إلى غيره فغوت وضلّت مقلدتهم بمارأوا منهم من هذا الصنيع الشنيع وفي بعض النّسخ ـخالفوه ـ مع العائد.

-١٨-
باب انه لاعلم الا ما يؤخذ عن اهله [١]

١٥٤ ــ ١ (الكافي ــ ١: ٤٩) العدّة، عن البرقي، عن أبيه عمن ذكره، عن الشحام، عن أبي جعفر (عليه السلام) [٢] في قول الله تعالى: فَلْيَنْظُرِ الإنسانُ إِلىٰ طَعامِهِ [٣] قال قلت ماطعامه؟ قال «علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه» .

بيــان:

لم يرد (عليه السلام) أنّ الآية نزلت في العلم خاصة دون طعام البدن كيف وهو الذي قال لبعض أصحابه حيث سأله عن آية فخصّ تنزيلها ثمّ عمّم تأويلها، ثم قال «ولا تكونن ممن يقول للشيء أنه في شيء واحد» وسيأتي الحديث باسناده ولما كان تفسير الآية ظاهراً لم يتعرض له وإنّما تعرض لتأويلها بل التحقيق أنّ كلا المعنيين مراد من اللفظ باطلاق واحد فإنّ الطعام يشمل طعام البدن وطعام الروح جميعاً.

كما أن الإنسان يشمل البدن والروح معاً فلا تأويل، بل كلا المعنيين تفسير بل هما معنى واحد بلا تعدّد وبيانه أن المراد أنّ الإنسان كما أنه مأمور بأن ينظر إلى غذائه

١ . هذا العنوان من خواص الوافي ـ منه دام عزّه.
٢ . أبي عبدالله (عليه السلام) «خ.ل» ك .
٣ . سورة عبس/ آية ٢٤.

الجسماني ليعلم أنه نزل من السماء من عند الله سبحانه بأن صبّ الله الماء صبّاً، ثم شقّ الأرض شقّاً إلى آخر الآيات [١] فكذلك مأمور بأن ينظر الى غذائه الروحانيّ الذي هو العلم ليعلم أنّه نزل من السماء من عند الله عزّ وجلّ بأن صبّ الله أمطار الوحي إلى أرض النبوّة وشجرة الرّسالة و ينبوع الحكمة فاخرج منها حبوب الحقائق وفواكه المعارف لتغتذي بها أرواح القابلين للتربية فقوله (عليه السلام) «علمه الذي يأخذه عمن يأخذه» أي ينبغي له أن يأخذ علمه عن أهل بيت النبوة الذين هم مهابط الوحي و ينابيع الحكمة الآخذين علومهم عن الله سبحانه حتى يصلح أن يصير غذاء لروحه دون غيرهم ممن لارابطة بينه وبين الله سبحانه من حيث الوحي والإلهام وقدبيّنا في مقدمة الكتاب أنّ العلم قسمان:

تحقيقي وتقليدي وان كليها مستفاد من النبوة وأنّ مالايستفاد من النبوة فليس بعلم حقيقة لأنه إمّا حفظ أقاو يل رجال ليس في أقوالهم حجّة وإمّا آلة جدال لامدخل لها في الحجة وليس شيء منها من الله عزّ وجلّ بل من الشيطان فلايصلح غذاء للروح والايمان .

١٥٥ ــ ٢ (الكافي ــ ١:٥١) الاثنان، عن الوشاء،عن ابان، عن عبدالله بن سليمان قال: سمعت أباجعفر (عليه السلام) يقول وعنده رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعمى وهويقول: إن الحسن البصري يزعم أن الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم أهل النار. فقال أبوجعفر (عليه السلام) «فهلك إذن مؤمن [٢] آل فرعون مازال العلم مكتوماً منذ بعث الله تعالى نوحاً فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله مايوجد العلم إلّا هاهنا».

١. إشارة الى آيات سورة عبس/ آية ٢٥ ـ ٢٦ «أنّا صببنا الماء صبّاً، ثم شققنا الأرض شقّاً».

٢ . قوله: «فهلك إذن مؤمن آل فرعون» بكتمانه إيمانه ومعرفته بالله والحاصل أنّه كيف يكون الكتمان قبيحاً موجباً للعقاب وكان المؤمنون يكتمونه تقية كمؤمن آل فرعون وفي العلوم الحقيقية الفائضة من المبدء على أولى العزم مالايتّق فيه عامة الناس ولايجوز إظهارها بينهم ومازال هذا العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً.

وكأنّ مطلوب الحسن من ادعائه ذلك إظهار أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن له علم سوى مااشتهر بين الناس وفي أيديهم من أحاديثه ولم يكن عند أميرالمؤمنين (عليه السلام) علم سوى ماهو المشهور وتكذيب من يدعي أن عنده

←

بيــان:

لمالم يكن عند الحسن من العلوم الحقيقية شيء لم يدر أنّ من العلم مايجب كتمانه كما أن منه مايحرم كتمانه بل زبدة العلم في الحقيقة ليس إلّا مايكتم كما قاله سيدالعابدين (عليه السلام):

إنّي لأكتم من علمي جواهره　　كيلايرى الحقّ ذو جهل فيفتتنا

وإليه الإشارة بقوله (عليه السلام): «فوالله مايوجد العلم إلّا هاهنا» يعني أن ماهو الحقيق بأن يسمّى علماً ليس إلّا ماهو المخزون عندنا.

١٥٦ ــ ٣ (الكافي ــ ١:٥٠) محمدبن الحسن، عن سهل، عن ابن سنان، عن محمدبن مروان العجلي، عن علي بن حنظلة قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «إعرفوا منازل الناس على قدر روايتهم عنّا».

بيــان:

يعني على مقدار روايتهم عنّا كثرة وقلة ويحتمل أن يكون المراد على رتبة روايتهم عنّا دقّة ولطافة، فالأعلى من روى سرّاً مخزوناً دقيقاً ومعنى مكنوناً لطيفاً والأدنى من روى كلاماً مبتذلاً وقولاً مشهوراً وفيما بينهما درجات».

علم من علوم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غير ما في أيدي الناس فأبطل (عليه السلام) قوله ورده بأنّ الكتمان عند التقية أو الحكمة المقتضية له طريقة مستمرة منذ زمن نوح (عليه السلام) إلى الآن «فليذهب الحسن» الذي يزعم انحصار العلم فيما في أيدي الناس «يميناً وشمالاً» أي الى كلّ جانب ليطلبه من الناس فإنّه لايوجد عندهم أكثر علوم المعارف والشرائع .

«فوالله لايوجد العلم إلّا هاهنا» أي عند أهل البيت الذي ائتمنهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على علومه وهي عندهم مكتومة ـ رفيع (رحمه الله).

-١٩-

باب رواية الحديث

١٥٧ ــ ١ (**الكافي** ــ ١:٥١) الثلاثة، عن بزرج، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[1] قال «هوالرجل[2] يسمع الحديث فيحدث به كما سمعه لايزيد فيه ولاينقص منه».

بيــان:

هذا أحد معاني هذه الآية وقدمضى لها معنىً آخر في حديث هشام الطويل ولعلّ لها معاني أُخر غيرهما كثيرة فإنّ القرآن ذو وجوه كما ورد في الخبر.

١٥٨ ــ ٢ (**الكافي** ــ ١:٥١) محمد، عن محمدبن الحسين، عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن محمد قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) أسمع الحديث

١ . الزمر/١٨.

٢ . قوله «هوالرجل يسمع الحديث» أي المستمع للقول المتبع أحسنه هوالرجل يسمع الحديث ويحفظه فيحدث به و يرو يه كما سمعه بلازيادة ونقصان فالاتباع عبارة عن السلوك بقول راو يه مسلك ماسمعه وحدثه به غيره اقتفاء لأثره والاحتذاء به حذاه بلازيادة ونقصان. رفيع رحمه الله.

منك فأزيد وأنقص قال: «إن كنت تريد معانيه [١] فلابأس».

١٥٩ - ٣ (الكافي - ١:٥١) عنه، عن محمد بن الحسين، عن ابن سنان، عن داودبن فرقد قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) إنّي أسمع الكلام منك فاريد أن أرويه كما سمعته منك فلايجيء قال «فتتعمد ذلك»؟ قلت: لا، فقال «تريد المعاني»؟ فقلت: نعم قال: «فلابأس».

بيان:

يعني تتعمد ترك حفظ الألفاظ بعدم المبالاة - بحفظها (بضبطها، خ.ل) أو إنّك نسيّ وفي بعض النسخ بحذف إحدى التائين كما يكون في نظائره وفي الخبرين دلالة صريحة على جواز نقل الحديث بالمعنى كما هو الحقّ عند أهل التحقيق وإن كان نقله بألفاظه أحسن كما تبيّن من الخبر السابق.

١٦٠ - ٤ (الكافي - ١:٥١) عنه، عن ابن عيسى عن الحسين، عن القاسم بن محمد، عن علي، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): الحديث أسمعه منك أرويه عن أبيك، أو أسمعه من أبيك أرويه عنك؟ قال: «سواء إلّا أنك ترويه عن أبي أحبّ إليّ» وقال أبوعبدالله (عليه السلام) لجميل [٢] «ماسمعت منّي فاروه عن أبي».

١ - قوله: «إن كنت تريد معانيه...» المراد السؤال عن جواز الزيادة والنقصان فيا يسمع من الحديث عند روايته فأجاب بقوله «إن كنت تريد معناه» أي تقصد وتطلب بالزيادة والنقصان افادة معانيه أو إن كنت تقصد معانيه فلاتختل بالزيادة والنقصان فلابأس بأن تزيد وتنقص. رفيع - (رحمه الله).

٢ - قوله: «وقال أبوعبدالله لجميل» هذا من كلام أبي بصير ويحتمل أن يكون ابتداء ذكر حديث آخر عن الكليني (رحمه الله) بترك الاسناد وقوله «ماسمعته منّي فاروه عن أبي» أي ماأحدثك به هو ممّا سمعته من أبي وأرويه عنه فاروه عنه بوساطتي وإن لم تذكر الواسطة. رفيع (رحمه الله).

بيـــان:

إنّما كـان سـواء لأن عـلـومـهـم كلّها من معدن واحد وعين واحدة كما صرّح به في الخبر الآتي بـل ذواتهـم مـن نور واحد، كما ورد في كثيرمن الأخبار وفي بعضها «خلقنا واحـد، وعلمنا واحد، وفضلنا واحد، وكلّنا واحد عند الله» وفي رواية أخرى: «ونحن شـيء واحـد» وأمّـا أحـبية الرواية عن الأب فلعل الوجه فيه التّقية فإنّ ذلك أبعد من الشهـرة والإنكـار، وأيضاً فـإنّ قـول الماضـي أقرب إلى الـقبول مـن قول الشـاهد عـند الجماهير لأنّه أبعد من أن يحسد ويبغض.

وقيـل فـيه وجه آخر وهو أنّ علوّ السند وقرب الأسناد من الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسـلـم) ممّـا لـه رجـحـان عند الناس في قبول الرواية وخصوصاً فيما يختلف فيه الأحـكام، وفيه وجه آخر وهو أنّ من الواقفية من توقف على الأب فلايكون قول الإبن حـجّـة عليه فيما يناقض رأيه بخلاف العكس إذ القائل بإمامة الإبن قائل بإمامة الأب من دون العكس كليّاً.

١٦١ ـ ٥ **(الـكـافي ـ ١: ٥٣)** علي بـن مـحـمـد، عن سهل، عن أحمدبن محمد، عن عـمر بن عبدالعزيز، عن هشام بن سالم وحمادبن [1] عثمان (عيسى خ ـ ل) وغيره قالوا: سمعنا أباعبدالله (عليه السلام) يقول:

«حـديثي حـديـث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحـسين وحـديـث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أميرالمؤمنين وحـديـث أمـيرالمـؤمنين (عـلـيه السلام) حديث رسولّ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قول الله تعالى» .

١ . بـن عثمان، ك ثم ذكر في الهامش «عيسى خ.ل» هذا ولكن حمادبن عيسى، هو غريق الجحفة جليل القدر وحمادبن عثمان أيضاً ثقة جليل القدر فلايضرّ بالسند أصلاً، راجع ص٢٢٧ ـ ٢٢٩ مجمع الرجال. «ض.ع».

بيـــان:

قد سبق وجه الإتحاد وسنؤكّده في كتاب الحجة.

١٦٢ ــ ٦ (الـكـافي ــ ١:٥١) محمد، عن أحمد ومحمدبن الحسين، عن السرّاد عن عبدالله بن سنان قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) يجيئني [1] القوم فيسمعون منّي حديثكم فاضجر ولااقوى قال «فاقرأ عليهم من أوله حديثاً ومن وسطه حديثاً ومن آخره حديثاً».

بيـان:

«الضّجر» القلق من الغمّ والسّأمة والمعنى أن الحديث إذا كان متعدداً وضعفت عن قرائته وعجزت جاز أن تقرأ عليهم من أول الكتاب حديثاً ومن وسطه آخر ومن آخره آخر أو المعنىٰ أنّ الحديث الواحد إذا كان طويلاً فاقرأ عليهم كلاماً مفيداً بالاستقلال من أوّله وآخر من وسطه وآخر من آخره يعني اذا اشتمل الحديث الواحد على جمل متعددة يكون كل منها مستقلة بالإفادة، كحديث هشام الطويل الذي مضى ذكره في الباب الأول.

وأمّا إذا ارتبط بعض أجزاء الحديث ببعض فلايجوز فيه الاقتصار على نقل البعض، إذ ليس كلّ من تلك الأجزاء بحديث، بل بعض منه،قيل ولعلّ الوجه في تخصيص الأول والوسط والآخر أنّ الجمل المتقاربة تكون في أكثر الأمر من نوع واحد فليست الفائدة فيها كما التي تكون في الجمل المتباعدة إذ الكلام فيها ينتقل من نوع الى

١ . قوله: «يجيئني القوم...» أي يجيئني القوم لسماع حديثكم منّي فاقوم بقضاء حاجتهم و يسمعون منّي حديثكم ولاأقوى على مايريدون من سماع كلّ ماروّيته من حديثكم منّي وأضجر لعدم الاتيان برادهم، فقال (عليه السلام) في جوابه «فاقرأ عليهم من أوله» أي أول كتاب الحديث حديثاً ومن وسطه حديثاً، ومن آخره حديثاً» والمعنى أنّه إذا لم تقو على القيام بمرادهم وهو السّماع على الوجه الكامل فاكتف بمايحصل لهم فضل السماع في الجملة وليقنعوا بمابه يجوز العمل والنقل من الاجازة واعطاء الكتاب وغيره كما ورد في الأخبار والأحاديث. رفيع ـ (رحمه الله).

نوع يباينه فالفائدة فيها لامحالة أكثر لاحتوائها على فنون مختلفة من الأحكام كلّ منها نوع برأسه.

١٦٣ ــ ٧ (الكافي ــ ١:٥٢) عنه بإسناده، عن أحمد بن عمر الحَلاّل قال: قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام) الرجل من أصحابنا يعطيني الكتاب ولا يقول إروه عنّي يجوز لي أن أرويه عنه؟ قال: فقال «إذا علمت أنّ الكتاب له فاروه عنه» [1]

بيــان:

الحلاّل بالمهملة وتشديد اللام مَن يبيع الحَلّ [2] وهو دهن السّمسم.

١٦٤ ــ ٨ (الكافي ــ ١:٥٢) الأربعة وعلي، عن البرقي، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «قال أمير المؤمنين (عليه السلام): إذا حدّثتم بحديث فاسندوه إلى الذي حدثكم فإن كان حقّاً فلكم وإن كان كذباً فعليه».

١٦٥ ــ ٩ (الكافي ــ ١:٥٢) العدّة، عن البرقي عن محمد بن علي رفعه قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام) «إيّاكم والكذب المفترع» [3] قيل له وما الكذب المفترع؟ قال: «أن يحدّثك الرجل بالحديث فتتركه وترويه عن الذي لم يحدّثك به».

١ . قال رفيع الدين: أي اعطاء الكتاب الحديث ممّن يعلم أنه من مروياته ومسموعاته كاف في رواية الكتاب عنه أو المراد أن العلم بان الكتاب له ومن مروياته كاف للرواية سواء كان مع اعطاء الكتاب أم لا لكن لا يقال اخبرني بل يقول روى وأمثاله انتهى كلام الرفيع ـ (رحمه الله).

٢ . الحَلّ يعني: الشيرج. كما أورده مجمع الرجال عن (ضا) و(جش) في ج١ ص١٣٢ وفي «الهدايا» قال: الحلاّل بياع الحلّ. بفتح المهملة وتشديد اللام... ثم قال والحديث من مواضع الرخصة في اعتبار الأذن فحوى ثم قال قال برهان الفضلاء سلمه الله تعالى «إذا علمت أنّ الكتاب له» أي أنّه روايته عن الامام بلا واسطة أو بواسطة ولا يخفى ان في هذا الحديث دلالة على أنّه لا اعتبار بقول من اعتبر الاجازة والرخصة في نقل الكتاب بمجرّد العلم بأنّ مصنّفه فلان «ض.ع».

٣ . قوله: «إيّاكم والكذب المفترع» يقال افترع البكر افتضّها والمفترع إمّا اسم الفاعل أي المزيل لبكارة البكر أو اسم مفعول

←

بيـان:

«إفترع البكر» اقتضّها [١] ووصف الكذب بـ«المفترع» كناية عن ابتداعه وأنه ممّا لم يقله أحد كذا قيل [٢] وقيل بل هو من «الفرع» بمعنى «العلو» فإن فرع كل شيء أعلاه فكأنّ هذا المحدث يريد أن يجعل حديثه مفترعاً أي مرتفعاً فيسنده إلى الأعلى بحذف الواسطة ليوهم علوّ السند كما إذا حدّثه زرارة عن أبي عبدالله (عليه السلام) فيقول قال أبو عبدالله (عليهم السلام) كذا.

وأمّا إذا قال حدثني أبو عبدالله (عليه السلام) فهو كذب صريح أقول: التفسيران لايخلوان من تكلّف والصواب أن يقال الافتراع بمعنى «التفرع» فإنه فرّع قوله على صدق الراوي بأن قال في نفسه إذا رواه الفرع عن الأصل، فقد قاله الأصل فيجوز لي ان أسنده الى الأصل فأسنده إليه وإنّما كان كذباً لأنّه غير جازم بصدوره عن الأصل ولعلّ الفرع قد كذب عليه أو سهى في نسبته إليه ولابدّ له من تجويز ذلك فلا يحصل له الجزم به فهو كاذب في قوله وإن قدرنا أن الأصل قد قاله كما أن المنافقين كانوا كاذبين في شهادتهم بالرسالة لأنّهم كانوا غير جازمين به وإنّما كان كذباً مفترعاً لأنّه فرع على كذب مقدر ولعله لم يكن كذباً فهو ليس بكذب صريح بل هو كذب مفترع كما أنّه صدق مفترع.

أو نقول سمى مفترعاً لأنه ذو فرع فأصله الكذب وافتراعه الافتراء على من لم يحدثه ومن ضبط «المقترع» بالقاف من «الاقتراع» بمعنى الاختيار [٣] فلعله صحف

←

أي ما أزيل بكارته وعلى الأول معناه الكذب الذي يترتّب عليه ما لم يكن قبله من إزالة المانع من العمل بالخبر وهو حال الراوي إذا لم يكن بحيث يجوز العمل بخبره أو وصف له بصفة فاعله فإنه مفترع به حيث لم يشاركه غيره في خصوصه.
وعلى الثاني معناه الكذب الذي سبقكم به غيركم و يكون اشارة الى وقوع هذا القسم من الكذب من السابقين من رواة الحديث. رفيع ـ (رحمه الله).

١ . وفي بعض النسخ افتضها بالفاء وكلاهما بمعنى «ض.ع».

٢ . القائل الفاضل القزويني.

٣ . قال السيد الداماد المقترع بالقاف (من الاقتراع بمعنى الاختيار) لم يقل ماقال الفاضل القزويني وجعله من المصحفات (عهد) رحمه الله. ك ـ ونقله «الهديا» أيضاً «ض.ع».

وفي بعض النسخ «عن الذي [١] حدثك عنه» مكان «الذي لم يحدثك به» وفي آخر «عن غير الذي [٢] حدثك به».

١٦٦ ــ ١٠ (الكافي ــ ١: ٥٢) محمد، عن ابن عيسى، عن البزنطي، عن جميل بن دراج قال قال أبوعبدالله (عليه السلام) «اعربوا حديثنا [٣] فإنّا قوم فصحاء».

بيــان:

أي لا تلحنوا في إعراب الكلمات بل أعطوا حقّها من الإعراب والتبيين حين التكلم به فإن كلامنا فصيح فاذا لحنتم فيه اختلت فصاحته ويحتمل أن يراد إعرابه حين الكتابة بأن يكتب الحروف بحيث لايشتبه بعضها ببعض أو يجعل عليها مايسمّى اليوم إعراباً عند الناس إلّا أنّ الأول أظهر وأقرب إلى طريقة السلف.

١ . أي عن الشيخ الذي حدثك ذلك الرجل روايته عنه م.ح.ق.

٢ . أي عن غير ذلك الرجل حدثك بذلك الحديث، م.ح.ق.

٣. قوله: «اعربوا حديثنا...» الإعراب الإبانة والايضاح والمراد اظهار الحروف وابانتها بحيث لايشتبه بمقارباتها واظهار حركاتها وسكناتها بحيث لايوجب اشتباهاً أي حدثوا به كما حدثناكم به فإنّا قوم فصحاء ونتكلّم بمالايكون فيه اشتباه في الحروف أو الحركات ولانلحن في القول لحناً في الحروف أوفي الحركة. رفيع ـ (رحمه الله).

-٢٠-

باب فضل الكتاب والتمسّك بالكتب

١٦٧ ــ ١ (**الكافي ــ ١:٥٢**) علي بن محمدبن عبدالله، عن أحمد، عن أبي أيوب المدني، عن إبن أبي‌عمير، عن حسين الاحمسي ، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «القلب يتّكل على الكتابة».

بيــان:

الإتـكـال الإعتماد يعني إذا كـتبتم الحديث الذي سمعتموه جُمعت قلوبكم واطمأنت نفوسكم لتمكنكم حينئذ من الرجوع إلى الكتاب إذا نسيتم وفيه حثّ على كتابة الحديث.

١٦٨ - ٢ (**الكافي - ١:٥٢**) الاثنان، عن الوشاء،عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «اكتبوا فانكم لاتحفظون حتى تكتبوا» .

١٦٩ - ٣ (**الكافي - ١:٥٢**) محمد، عن ابن عيسى، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن عبيدبن زرارة قال قال: أبوعبدالله (عليه السلام) «احتفظوا

بكتبكم فانكم سوف تحتاجون إليها».

١٧٠ ـ ٤ (الكافي ـ ١:٥٢) العدّة، عن البرقي، عن بعض أصحابه، عن أبي سعيد الخيبري،[1] عن المفضل بن عمر قال: قال لي أبوعبدالله (عليه السلام) «اكتب وبثّ علمك في إخوانك فان متّ فأورث كتبك بنيك فانه يأتي على الناس زمان هرج لايأنسون فيه إلّا بكتبهم».

بيان:

«البثّ» النشر، أي أنشر علمك فيهم بواسطة الكتاب ويحتمل أن يكون مطلوباً برأسه و«الهرج» الفتنة والاختلاط، والمراد به هاهنا فقد أهل العلم ومن يؤنس به منهم أو فقد تميّزهم عن غيرهم لتسلط امراء الجور وتشبه الجهلة والأراذل بصورة العلماء والأكياس في الزّي والمنطق واللباس.

١٧١ ـ ٥ (الكافي ـ ١:٥٣) العدّة، عن أحمد، عن محمد بن الحسن بن أبي خالد شَيْنُوله قال: قلت لأبي جعفر الثاني (عليه السلام) جعلت فداك إنّ مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهما السلام) وكانت التقيّة شديدة فكتموا كتبهم فلم يرووا عنهم، فلمّا ماتوا صارت الكتب إلينا فقال «حدّثوا [بها] فانّها حق».

١ ـ وفي بعض النسخ مكان أبي سعيد «أبي معبد» بفتح الميم والباء الموحدة وسكون المهملة بينهما ولعله الذي يروي عن العامة أيضاً. منه دام عزّه.

بيــــان:

في بعض النسخ لم تُرو [١] على صيغة المجهول والتأنيث وفي هذه الأخبار كلها دلالة على صحة الاعتماد على الكتب والعمل بما فيها من الأحكام إن كانت صحيحة.

١ . زعم السيد الداماد: الأصح الأصوب الأقوم «فلم تُرَوَّ» عنهم بفتح الواو المشددة والراء المفتوحة على صيغة المجهول من المضارع المجهول، وفي طائفة من النسخ «فلم يرووا» من «روى يروى رواية»، وواو الجمع في الفعل «للمشايخ» والضمير البارز في «عنهم» للأئمة (عليهم السلام) ثم قال وأمّا «فلم ترّو» بصيغة المتكلّم مع الغير من الرواية فمن تصحيفات المصحفين مهد أيّده الله.

-٢١-

باب التقليد[١]

١٧٢ - ١ (الكافي - ١:٥٣) العدّة، عن البرقي، عن عبدالله بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت له اِتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ [٢] أَرْباباً مِن دُونِ اللهِ فقال «أما والله مادعوهم الى عبادة أنفسهم ولودعوهم ماأجابوهم ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لايشعرون».

١ . سيأتي في باب وجوه الشرك من أبواب تفسير الكفر والشرك وفي باب كسب المعيشة من أبواب المكاسب مايناسب هذا الباب إن شاء الله تعالى،منه (رحمه الله).

٢ . قوله: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم...» أي سألته عن معنى هذه الآية وقوله: «ولودعوهم ماأجابوهم» أي على وفق دعونهم كما في «أجيبت دعوتكما»

وقوله: «لكن أحلّوا لهم حراماً..» أي على وفق أهوائهم وميلهم الى استرضاء أهل الدنيا أو إلى أن لايظنّ بهم أنهم لايعلمون «فعبدوهم» أي فقبلوا منهم وسلموا وجوب الاطاعة لهم فيا يقولونه وهو المراد بعبادتهم فإن الإطاعة والانقياد للأوامر والنواهي من حيث هو أمر ونهي لأحد لالأنّه ممّاأوجبه الله سبحانه عبادة له وخصوصاً فيا علم أنّه يخالف فيه أمر الله أو المراد بعبادتهم إيّاهم نفياً واثباتاً فعل العبادات كالصلاة لهم كما في حديث آخر الباب من التصريح بنفي العبادات لهم مستشعراً فعبدوهم بالقبول منهم والطاعة لهم من حيث لايشعرون أنه عبادة وذلك لعدم تفكّرهم ومساهلتهم في أمر دينهم أو المراد أن أفعالهم وعباداتهم خصوصاً فيمايخالف حكم الله عبادة لهم. رفيع - (رحمه الله).

بيـــان:

هذا الخبر أورده مرّة أخرى في باب الشرك عن العدّة عن البرقي عن أبيه عن عبدالله بن يحيى والظاهر أنّ ابن يحيى هذا هو الكاهلي و«الأحبار» العلماء و«الرهبان» العباد ومعنى الحديث انّ من أطاع أحداً فيما يأمره به خلاف ماأمر الله تعالى به فقداتّخذه ربّاً وعبده من حيث لايشعر وممّا يدلّ على ذلك من القرآن المجيد قوله سبحانه أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰيهُ [1] وقوله عزّ وجلّ: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَاتَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ [2] وذلك لأن العبادة عبارة عن الطاعة والانقياد وفي هذا الحديث دلالة واضحة على عدم جواز تقليد المجتهدين في الأحكام بآرائهم كما هو الشائع الذائع الى اليوم حتى بين أصحابنا فضلاً عن العامة وليت شعري كيف يجيبون عن ذلك إلّا من أفتى بمحكمات القرآن والحديث فانّ اتباع قوله حينئذ ليس بتقليد له، بل تقليد لمن فرض الله طاعته وحكم بحكم الله عزّ وجلّ.

١٧٣ ــ ٢ (**الكافي** ــ ١:٥٣) النيسابوريّان، عن حمادبن عيسى، عن ربعي عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله تعالى: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللّٰهِ [3] فقال «والله ماصاموالهم ولاصلّوالهم ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فاتبعوهم» .

١٧٤ ــ ٣ (**الكافي** ــ ١:٥٣) علي بن محمد، عن سهل، عن ابراهيم بن محمد الهمداني، عن محمدبن عبيدة قال: قال لي أبوالحسن (عليه السلام) «يامحمد؛ أنتم أشد تقليداً [4] أم المرجئة»؟ قال قلت قلدنا وقلّدوا فقال: «لم أسألك عن

١ . الجاثية/٢٣.
٢ . يس/٦٠.
٣ . التوبة/٣١.
٤ . قوله: «أنتم أشد تقليداً أم المرجئة» كان الشائع في سابق الزمان التعبير بالقدريّة والمرجئة عمّن يضاهي المعبر عنه في هذه ←

هذا» فلم يكن عندي جواب أكثر من الجواب الأول، فقال أبوالحسن (عليه السلام) «إن المرجئة نصبت رجلاً لم تفرض طاعته وقلّدوه [1] وأنتم نصبتم رجلاً وفرضتم طاعته ثم لم تقلدوه فهم أشد منكم تقليداً».

بيــان:

المرجئة قد تطلق في مقابلة الشيعة من الارجاء بمعنى التأخير لتأخيرهم علياً (عليه السلام) عن درجته وكأنّه المراد هنا وقد تطلق في مقابلة الوعيدية إمّا من الارجاء بمعنى التأخير لأنهم يؤخرون العمل عن النيّة والقصد، وإمّا بمعنى إعطاء الرجاء لأنّهم يعتقدون أن لا يضرّ مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة والسبب في شدة تقليدهم لأئمتهم وجدّهم في ذلك أكثر من تقليد أصحابنا لأئمة الحقّ مع أن أئمتهم ←

الأعصار بالمعتزلة والأشاعرة في أصول الاعتقادات كما فيما روى عن ابن عباس أنه أمرني رسول الله أن أبرأ من خمسة من الناكثين وهم أصحاب الجمل ومن القاسطين وهم أصحاب الشّام ومن الخوارج وهم أهل النهروان ومن القدرية وهم الذين ضاهوا النصارى في دينهم قالوا لاقدر ومن المرجئة الذين ضاهوا اليهود في دينهم .. رفيع ـ (رحمه الله) .

المرجئة قوم كانوا في صدر الإسلام قائلين بأنه لايضرّ مع الايمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة وكان مذهبهم نظير بعض العوام في عصرنا أن الأصل طهارة القلب ولا تأثير لأعمال الجوارح أو أن ولاية أهل البيت يكفي من كلّ شيء.

وكانوا يؤخرون العمل عن النيّة أي يحكون بتأخره رتبة والارجاء التأخير وكانوا يرجحون جانب الرجاء و يعدون المغفرة لكل عاص ولايخفى أنهم كانوا طائفة خاصة لهم عقائد امتازوا بها عن سائر المسلمين وكان الأكثرون يتبرؤون منهم.

فتفسير المرجئة بالذين يؤخّرون علياً (عليه السلام) الى الرابع غير صحيح وإن ورد في كتاب الملل والنحل للشهرستاني وكأن من أبدع الاصطلاح الأخير أراد تبرئة كثير من أعاظمهم حيث عُدّوا من المرجئة كأبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وأبي حنيفة وإبراهيم التيمي ومسعر بن كدام على مافي المعارف لابن قتيبة.

والظاهر من المحشي رفيع الدين (رحمه الله) أن المرجئة هم الأشاعرة، والقدرية هم المعتزلة أو انّهم مثلهم في أهم مسائلهم وهو الجبر والاختيار، فالمرجئة جبريون «كالأشاعرة» والقدرية مفوضون «كالمعتزلة» و يؤيده مافي سنن الترمذي عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «صنفان من أُمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: «المرجئة والقدريّة» ولكن عدوا من المرجئة جماعة من القدرية وجماعة ممّن يتبرأ من المعتزلة والأشاعرة كليهما كبشر المريسي فالحق أن هذه الفرق متداخلة. «ش».

١ . قوله: «وقلّدوه وأنتم نصبتم رجلاً وفرضتم طاعته ثم لم تقلّدوه...» المراد بالتقليد الانقياد والاطاعة في الأوامر والنواهي وقوله «ان المرجئة نصبت رجلاً» أي عيّنوه وأقاموه من عند أنفسهم لامارتهم وامامتهم من غير أن يكون معيّناً من عند الله وعند رسوله كالخلفاء في ذلك العصر وقوله «لم تفرض طاعته» أي من عند الله أصلاً في الواقع ولابخصوصه باعتقادهم وقلدوه وانقادوا لأوامره ونواهيه وأطاعوه وأنتم نصبتم رجلاً وعيّنتموه للإمامة وقلتم بامامته وفرضتم طاعته أي حكمتم بوجوب طاعته من عند الله ثمّ لم تقلدوه ولم تطيعوه حق الإطاعة فهم أشدّ منكم تقليداً من حيث تقليدهم وعدم تقليدكم ومن حيث أن تقليدهم لإمامهم لإطاعته وتقليدكم لإمامكم لإطاعة الله لالمحض اطاعته. رفيع ـ (رحمه الله).

يدعونهم إلى اعتقادات فاسدة وأئمتنا (عليهم السلام) يدعوننا إلى الحق إنّهم يدعونهم إلى الدّعة والراحة وأئمتنا (عليهم السلام) يدعوننا إلى التكليف والمشقة،فتقليدهم أهون على طباعهم.

١٧٥ ـــ ٤ (**الكافي ـــ ١:٧**) قال العالم (عليه السلام): «من دخل في الايمان بعلم، ثبت فيه ونفعه ايمانه ومن دخل فيه بغير علم، خرج منه كما دخل فيه».

١٧٦ ـــ ٥ (**الكافي ـــ ١:٧**) وقال (عليه السلام) «من أخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيّه صلوات الله عليه زالت الجبال قبل أن يزول، ومن أخذ دينه من أفواه الرجال ردّته الرجال».

١٧٧ ـــ ٦ (**الكافي ـــ ١:٧**) وقال (عليه السلام) «من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكب[١] الفتن».

-٢٢-

باب البدع والراى والمقاييس[1]

١٧٨ ـــ ١ (الكافي ـــ ١:٥٤) الاثنان، عن الوشاء والعدّة، عن احمد، عن ابن فضال جميعاً، عن عاصم بن حميد، عن محمد، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: خطب أميرالمؤمنين الناس فقال: «أيّها الناس إنّما بدؤ وقوع الفتن [2] أهواء تتبع وأحكام تُبتدع يخالف فيها كتاب الله يتولّى فيها رجال رجالاً فلوأنّ الباطل خلص لم يخف على ذي حجى ولوأن الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى».

١ ـ قال الفاضل الاسترابادي رحمه الله في شرح العنوان بخطه: البدعة حكم ينسب إلى الله تعالى لم يكن مجاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم. «الهدايا».
وقال في مجمع البحرين: بدعة بالكسر فالسكون: الحدث في الدين وماليس له أصل في كتاب ولاسنة وإنّما سمّيت بدعة لأنّ قائلها ابتدعها عن نفسه ومنه الحديث «من توضأ ثلاثاً فقدأبدع»... ثم قال قال بعض شرّاح الحديث: البدعة بدعتان بدعة هدى و بدعة ضلال فاكان في خلاف ماأمر الله به ورسوله فهو في حيّز الذمّ والانكار وما كان تحت عموم ماندب الله اليه وحضّ عليه أو رسوله فهو في حيّز المدح ومالم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة.. الى آخر كلامه والفرق بين البدعة والرأى والقياس سيجيء في محل آخر إنشاء الله تعالى «ض.ع».
٢ ـ قوله: «انّما بدو وقوع الفتن...» البدء إمّا بمعنى الأول أو بمعنى الإبتداء «والفتنة» الامتحان والاختبار،ثمّ كثُر استعماله بمعنى الضلال والكفر والقتال و«الأهواء» جمع هوى وهوى بالقصر الحبّ المفرط في الخير والشرّ وارادة النفس والمعنى ان أوّل الفتن أهواء والوقوع مقحم او أول وقوعها وقوع الأهواء وابتداء وقوع الفتن منها أو منشأ وقوع الفتن ومبدئها أهواء وقوله «يخالف فيها كتاب الله» توضيح و بيان لقوله تبتدع وقوله «يتولى فيها رجال رجالاً» يقال تولاه اذا اتخذه ولياً و يصحّ هنا
←

بيـــان:

«التولي» الا تباع و«الحِجى» بكسر المهملة ثم الجيم المفتوحة العقل و«الضغث» القـبـضة من الحشيش المختلط رطبه باليابس أو «الحزمة» [١] منه وممّا أشبهه، وهو هنا استعارة.

و«الاستحواذ» الغلبة والمعنى ظاهر.

١٧٩ ــ ٢ (الكـافي ــ ١:٥٤) الاثنان عن محمدبن جمهور العمّي [٢] يرفعه قال: قـال رسـول الله (صلى الله عـلـيـه وآله وسلم) «اذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله».

١٨٠ ــ ٣ (الكـافي ــ ١:٥٤) الاثـنـان عـن مـحـمـدبن جمهور رفعه قال [٣] [قال رسـول الله (صلى الله عـلـيـه وآله وسلم)] «من أتى ذا بدعة [٤] فعظمه فانّما يسعى في هدم الإسلام».

←

حمل الولي على الحبيب والناصر والأولى بالتصرّف.

وقـوله «فلوأنّ الباطل خلص لم يخف على ذي حجى» تفصيل لما ذكره من بدء وقوع الفتن والأهواء المتبعة والأحكام المبتدعة بـأنّـهـا أوقـعـت الضلال بخلطها ومزجها بالحقّ والافتتان باجتماعها فانّ الباطل الخالص لايخفى بطلانه على ذي حجى أي ذي عـقل وفطانة والحقّ الخالص واحد لايكون به ضلال ولااختلاف ولكن يؤخذ من هذا الباطل «ضغث» أي قبضة ومن هـذا الحـق ضـغـث «فـيـمزجان فيجيئان معاً» أي مقارنين فيحصل الاشتباه فهنالك أي عند الاشتباه «استحوذ» أي غلب الـشـيطان على أوليائه أي محبّيه واتباعه و«نجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى» أي في مشيّته وقدره وقضائه. رفيع ـ (رحمه الله).

١ ـ الحزمة بالحاء المضمومة والزاي الساكنة (عهد) (رحمه الله.

٢ ـ محـمدبـن جمـهور الـعـمـى بـالعين المهملة والميم المشددة منسوب إلى عمّ بتشديد الميم من «تميم» كما في ايضاح الاشتباه وهو المذكور في ج٥ ص١٨٤ مجمع الرجال ـ «ض،ع».

٣ ـ المرفـوع إلـيـه في هـذه المرفـوعـة سقـط مـن الـوافي والـكـافي فيا رأيناه وأدخلناه وفقاً للمرآة و«الهدايا» وشرح المولى خليل ـ «ض.ع».

٤ ـ قـولـه: «مـن أتى ذا بـدعـة ...» أي لكونه ذا بدعة اولا للتقية فانّما يسعى في هدم الاسلام لأنّ تعظيمه ممّايقويه في ترويج بدعته ورواج البدعة ابطال للشريعة وادخال لماليس من الدين فيه. رفيع (رحمه الله) .

١٨١ ـــ ٤ (الفقيه ـــ ٣: ٥٧٢ رقم ٤٩٥٧) قال علي (عليه السّلام) «من مشى الى صاحب بدعه فقد سعى في هدم الاسلام».[١]

١٨٢ ـــ ٥ (الكافي ـــ ٢:٣٧٥) محمد، عن محمدبن الحسين، عن البزنطي، عن داودبن سرحان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا رأيتم أهل البدع والريب [٢] من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة و باهتوهم حتى لايطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ولايتعلّمون من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات و يرفع لكم به الدرجات».

بيــان:

«والقول فيهم» يعني بمايشينهم و«الوقيعة» الغيبة «باهتوهم» أي جادلوهم واسكتوهم وأقطعوا الكلام عليهم.

١٨٣ ـــ ٦ (الكافي ـــ ١:٥٤) الاثنان، عن محمدبن جمهور رفعه قال «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبى الله لصاحب البدعة بالتوبة» قيل يارسول الله وكيف ذلك؟ قال: «إنّه قداشرب قلبه حبّها» [٣].

بيــان:

«أُشرب قلبُه» بصيغة المجهول، أي خالطه ومنه قوله تعالى: وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ

١ . من مشى الى صاحب بدعة فوقّره فقدسعى في هدم الاسلام كذا في الفقيه رقم٤٩٥٧ «ض.ع».

٢ . في شرح المولى خليل والكافي المطبوع والمخطوطات فيمارأيناها (الريب والبدع) «ض.ع».

٣ . قوله: «قد اشرب قلبه حبّها...» أي لايوفق صاحب البدعة للتوبة لأنه خالط حبّها قلبه فيعمى بصيرته عن ادراك قبحه وفساده وبطلانه فلاينلم على فعله ولايهتدي الى معرفة الطريق المستقيم. رفيع ـ (رحمه الله).

العِجلَ[1] وانّما أُشرب قلبه حبّها لاعتقادها الراسخ بها الحاصل له من تزيين الشيطان إياها لديه آناً فآناً وتسويل نفسه الأمارة لها عنده يوماً فيوماً وبهذا تتميز البدعة عن المعاصي الاخر فإنّ مالم يعتقد شرعيته منها فليس ببدعة.

١٨٤ ـ ٧ (الكافي ـ ١:٥٤) محمد، عن ابن عيسى، عن السّراد، عن ابن وهب قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إنّ عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الايمان ولياً من أهل بيتي موكّلاً به يذبّ عنه ينطق بالهام من الله و يعلن الحقّ و ينوّره و يردّ كيد الكائدين يعبر عن الضعفاء، فاعتبروا ياأولي الأبصار وتوكّلوا على الله».

بيـان:

«الذبّ» الطرد والدفع «يعبر عن الضعفاء» أي يكون لساناً لهم معبراً عنهم مايدفع تلك البدعة قوله «فاعتبروا» يحتمل أن يكون من كلام الصادق (عليه السلام).

١٨٥ ـ ٨ (الكافي ـ ١:٥٤) محمد، عن بعض أصحابه وعلي، عن الا ثنين، عن أبي عبدالله (عليه السلام) وعلي عن أبيه عن السّراد رفعه عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) إنّه قال: «إنّ من أبغض الخلق الى الله تعالى لرجلين رجل وكله الله تعالى الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشعوف بكلام بدعة قدلهج بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حياته و بعد موته حمّال خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلاً في جهال الناس غان [2] باغباش الفتنة قدسمّاه أشباه الناس عالماً ولم يغن فيه

١ . سورة البقرة/٩٣.

٢ . «غان» بالغين المعجمة والنون المنونة بالكسر بعد الألف واما «عان» من عنى بالكسر عنا: أي تعب فمن التصحيفات. م.ح.ق.

في نهج البلاغة «غاد» بالمعجمة والدال المهملة أخيراً وفسّر بـ«الساعي» (عهد) ك .

يوماً سالماً، بكر فاستكثر ماقلّ منه خير ممّا كثر حتى إذا ارتوى من آجن وأكثر من غير طائل جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ماالتبس على غيره وإن خالف قاضياً سبقه، لم يأمن ان ينقض حكمه مَن يأتي بعده كفعله بمن كان قبله وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيألها حشواً من رأيه ثمّ قطع (به -خ).

فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لايدري أصاب أم أخطأ لايحسب العلم في شيء ممّا أنكر ولايرى أنّ وراء مابلغ فيه مذهباً إن قاس شيئاً بشيء لم يكذب نظره وإن أظلم عليه أمر اكتتم به لمايعلم من جهل نفسه يكنّ[1] الصواب لكيلايقال له لايعلم ثم- جسر فقضى فهو مفاتيح عشوات[2] ركّاب شبهات خبّاط جهالات لايعتذر ممّالايعلم فيسلم ولايعضّ في العلم بضرس قاطع فيغنم يذرى الروايات ذرو الريح الهشيم تبكي منه المواريث وتصرخ منه الدماء، يستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال لامليء باصدار ماعليه ورد، ولاهو أهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق» .

بيـان:

كأنّ الرجل الأول هو المبتدع في الأصول، والثاني هو المبتدع في الفروع كما قاله ابن أبي الحديد[3] وإنّما صارا من أبغض الخلايق لأن شرّهما متعدّ ولأنه شرّ في الدين

١ . أي لايرجع عمّاأخطأ أولاً إن ظهر له الحق والصواب ثانياً بل يكتمه ويخفيه لكيلايقال له «لايعلم» أو الصواب عبارة عن اعترافه بجهله (عهد) ك .

٢ . قوله: «هو مفتاح عشوات» العشوة بفتح العين وسكون الشين أن يركب أمراً على غير بيان وهذا ناظر إلى قوله «ان قاس شيئاً بشيء لم يكذب نظره» قوله «ركاب شبهات» ناظر الى قوله «وإن أظلم عليه أمره» وقوله «خباط جهالات» ناظر الى قوله «ثمّ جسر فقضى» وقوله «لايعتذر ممّالايعلم» أي من الحكم أو الفتيا، بمالايعلم ناظر إلى الفقرة الأخيرة. رفيع ـ رحمه الله.
وقوله: «لايعض في العلم بضرس قاطع فيغنم» ناظر الى الثانية وقوله: «يُذرى الروايات...» ناظر إلى الأولى وكذلك «تبكي منه المواريث» ناظر الى الثالثة.
وقوله: «لامليء باصدار ماعليه ورد »ناظر الى الثانية وقوله «ولاهو أهل لمافيه فرط» أي سبق وتقدم،ناظر الى الأولى. رفيع ـ (رحمه الله).

٣ . حيث قال في شرح نهج البلاغة: إن قيل بينوا الفرق بين الرجلين الذين أحدهما رجل وكله الله إلى نفسه والآخر رجل قمش جهلاً فانّهما في الظاهر واحد. قيل أمّا الرجل الأول فهو الضال في أصول العقائد كالمشبهة والمجبرة ونحوهما ألا تراه كيف قال ←

ولأنه يبقى بعدهما عن قصد السبيل أي السبيل العدل المستقيم المستوي و«المشعوف» بالمعجمة والمهملة وبها قرىء قوله تعالى: قَدْشَغَفَهَا حُبّاً [١] وعلى الأول معناه دخل حبّ كلام البدعة شغاف قلبه أي حجابه حتى وصل إلى فؤاده.

وعلى الثاني غلبه حبّه وأحرقه فان الشعف بالمهملة شدة الحبّ وإحراقه القلب واللهَجَ بالشيء محركة، الولوع فيه والحرص عليه عن هَدْيِ من كان قبله بفتح الهاء وكسرها وسكون المهملة أي عن سيرته وطريقته يقال هَدى هَدْيَ فلان أي سار بسيرته وعمل بطريقته ويحتمل ضمّ الهاء وفتح الدال المقابل للضّلال «والقمش» الجمع ومنه القماش أي المجموع «غان باغباش الفتنة» بالغين المعجمة والنون من غنى بالكسر أقام وعاش أي مقيم في ظلماتها أسيرها و«أشباه الناس» كناية عن العوام والجهال لخلوهم عن معنى الانسانية وحقيقتها «ولم يغن فيه يوماً سالماً» لم يلبث في العلم يوماً تاماً ولم يعش «بكر» من البكور وهو ادراك أول الوقت يعني إنّه وإن لم يصرف يوماً في طلب العلم ولكن خرج من أول الصباح في كسب الدنيا ومتاعها وشهواتها أو في كسب الجهالات التي زعمته الجهال علماً وأحدهما هو المعنى بقوله «ماقلّ منه خير ممّا كثر».

وفي نهج البلاغة: فاستكثر من جمع ماقلّ وهو أوضح و«الارتواء» من الشراب كالشبع من الطعام و«الآجن» الماء المتغير الطعم واللون أو الريح شبّه علمه الباطل بالماء المتعفن و«أكثر» في بعض النسخ «اكتثر» وفي بعضها «اكتنز» من الكنز بمعنى الجمع و يقال هذا الأمر لاطائل فيه إذا لم يكن فيه غنى ومزية وفي الكلام لفّ ونشر، ان جعلنا بكوره في الدنيا فقوله «قمش» إلى «سالماً» إشارة إلى علمه وقوله «بكر» إلى «كثر إلى دنياه».

متعوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة وهذا يشعر بماقلناه من انّ مراده به المتكلّم في أصول الدين وهو ضال عن الحق.

ولهذا قال: إنه فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله مضل لمن يجيء بعده وأمّا الرجل الثاني فهو المتفقّه في فروع الشرعيات وليس بأهل لذلك كفقهاء السوء ألا تراه كيف قال: «جلس بين الناس قاضياً» وقال أيضاً تصرخ في جور قضائه الدّماء وتبكي منه المواريث» «عهد» غفر له.

١. سورة يوسف/ آية ٣٠ - قدشغفها حبّاً: أي أصاب حبّه شغاف قلبها كما تقول كبده والشغاف ككتاب «غلاف القلب» وهي جلده دونه كالحجاب و يقال هو حبّة القلب وهي علقة سوداء في صميمه... مجمع البحرين.

وقوله «حتى اذا ارتوى» ناظر إلى الأول وقوله «أكثر» إلى الثاني «ثم قطع» أي جزم «لبس الشبهات» إمّا بفتح اللام بمعنى الاختلاط وأصله اختلاط الظلام وإمّا بالضمّ بمعنى الإلباس وفي بعض النسخ المشتبهات «في مثل غزل العنكبوت» في عجزه عن التخلّص عنها كالذباب الواقع فيه وفي وهنه وعدم ابتنائه على أصل ثابت «ثمّ جسر» أي اجترأ .

و«العشوة» مثلثة العين الظلمة والأمر الملتبس و«الخبط» الضرب على غير استواء يقال خبط الرجل اذا طرح نفسه حيث كان ولايتوقى شيئاً «ولايعض في العلم بضرس قاطع» كناية عن قصور حظّه في باب العلم تشبيهاً للعلم بالطعام لأنّه غذاء الروح ولكلال قوته النظرية بضرس غير قاطع للغذاء و«ذرته الريح» وأذرته تذروه وتذريه إذا سفته وأطارته وأذراؤه للروايات ، تصفحها وقراءتها وسردها ودرسها مع عدم فهمها و«الملىء» بالهمزة الثقة «الغنى» أي ليس له من العلم والثقة قدر مايمكنه أن يصدر عنه انحلال ماورد عليه من الاشكالات والشبهات «فرط» سبق وتقدم وزاد في نهج البلاغة إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالاً ويموتون ضلالاً ليس فيهم سلعة أبْوَر من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته ولاأنفق سلعة وأغلى ثمناً من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه ولاعندهم أنكر من المعروف ولاأعرف من المنكر.

١٨٦ ــ ٩ (**الكافي ــ ١:٥٦**) علي، عن أبيه والنيسابوريان رفعه، عن أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهما السلام) قالا «كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة سبيلها إلى النار».

١٨٧ ــ ١٠ (**الكافي ــ ١:٥٦**) العدّة، عن ابن عيسى، عن علي بن الحكم، عن عمر بن أبان الكلبي، عن عبدالرحيم القصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كل بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار».

١٨٨ ـــ ١١ (الكافي ـــ ١:٥٦) محمدبن أبي عبدالله رفعه، عن يونس بن عبدالرّحمن قال: قلت لأبي الحسن الأول (عليه السلام) بما أوحّد الله فقال «يايونس؛ لا تكوننّ مبتدعاً، من نظر برأيه هلك ومن ترك أهل بيت نبيّه [1] ضلّ ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر».

بيــان:

بما أوحّد الله؟ يعني بما استدلّ على التوحيد كأنّه يريد الدلائل الكلامية، فنهاه عن غير السمع وهذا صريح فيما قدّمناه من أنّه لاعلم إلّا مايؤخذ عن أهله.

١٨٩ ـــ ١٢ (الكافي ـــ ١:٥٦) الاثنان، عن الوشاء، عن ابان، عن أبي شيبة الخراساني قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «ان أصحاب المقائيس [2] طلبوا العلم بالمقائيس فلم تزدهم المقائيس من الحقّ إلّا بعداً وإنّ دين الله لايصاب بالمقاييس ».

١٩٠ ـــ ١٣ (الكافي ـــ ١:٥٦) الثلاثة، عن محمدبن حكيم قال: قلت لأبي الحسن موسى (عليه السلام): جعلت فداك فُقِّهنا في الدين [3] وأغنانا الله بكم

١ . قوله: «ومن ترك أهل بيت نبيّه ضلّ» أي من تركهم ولم يأخذ عنهم أوّلاً أو بواسطة أو وسائط لم يتمكّن من الوصول الى الحقّ في المعارف والأحكام حيث ترك السبيل إليها وهو الأخذ عنهم (عليهم السلام) فاحتاج إلى الرجوع الى القياس والرأي وربّما يؤدي ضلاله الى ترك الكتاب وقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك عند معرفته من الكتاب وجوب الرجوع إليهم ومن مثل قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):
«إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي» فيكون بتركهم تاركاً لما علم ثبوته من الكتاب وقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). مدّعياً جواز الترك لهما بالآراء ويجوز ترك كتاب الله وقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرأي كافر فنبّه عليه السلام بقوله «ومن ترك كتاب الله وقول نبيّه كفر». رفيع (رحمه الله).

٢ . قوله: «أصحاب المقاييس طلبوا العلم» أي بالمسائل الشرعية لما لم يكن القياس من سبيل السلوك إليها لم تزدهم المقائيس إلّا بعداً من الحقّ، وذلك لترجيح القياس على الخبر الواحد، أو جعله معارضاً للخبر أو مرجحاً للضعيف على القوي من الاخبار. رفيع ـ (رحمه الله).

٣ . قوله: «فقهنا في الدين» من «فقه» ككرم أي صار فقيهاً والفعل معلوم أو من باب التفعيل والفعل مجهول. وقوله «مايسأل ←

عن الناس حتى أنّ الجماعة منّا لنكون في المجلس مايسأل رجل صاحبه تحضره المسألة ويحضره جوابها فيما منّ الله علينا بكم، فربّما ورد علينا الشيء لم يأتنا فيه عنك ولاعن آبائك شيء [1] فنظرنا إلى أحسن مايحضرنا وأوفق الأشياء لماجاءنا عنكم فنأخذ به؟ فقال «هيهات هيهات في ذلك والله هلك من هلك يابن حكيم» ثم قال «لعن الله أباحنيفة كان يقول: قال علي وقلت» قال محمد بن حكيم لهشام بن الحكم: والله ماأردت إلّا أن يرخّص لي في القياس.

بيــان:

«ما» في «مايسأل» نافية أي لايحتاج الى السؤال لأنّها تحضره مع جوابها ويحتمل أن تكون زائدة أو موصولة بتقدير العائد، أعني عنه وربّما يوجد في بعض النسخ «إلّا ويحضره» وعلى هذا فلاإشكال.

«قال عليّ وقلت» يعني «وقلت خلاف قوله» أراد أنّه كان يرى في المسألة رأياً وأنا رأيت فيها رأياً آخر بخلافه وأنّه كان مجتهداً وأنا أيضاً مجتهد مثله قال الزمخشري في «ربيع الأبرار» قال يوسف بن اسباط ردّ أبوحنيفة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعمائة حديث وأكثر، قيل مثل ماذا؟ قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «للفرس سهمان وللرجل سهم» قال أبوحنيفة لاأجعل سهم بهيمة أكثر من سهم المؤمن وأشعر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه البدن وقال أبوحنيفة

←

رجل صاحبه» الجملة حال من فاعل لتكون وهو ضمير الجماعة. رفيع ـ (رحمه الله) ومعنى كلّ مايسأله صاحبه يحضره جواب مسألة ويجد فيها نصّاً. «ش».

١ . قوله: «فنظرنا إلى أحسن...» لعلّ المراد بالأحسن مالايكون فيه تقية ولايلحقه تغير وهو الأصل.
وقوله «أوفق الأشياء لماجاءنا عنكم» أي في الجواب عمّاورد علينا قياساً على ماجاءنا عنكم فنأخذ به ونقول في الجواب
وقوله «هيهات هيهات» تأكيد في بعده عن المسلك المستقيم وإصابة الحق.
وقوله «في ذلك» أي في الأخذ بالقياس هلك من هلك من العاملين بالقياس.
وقوله «قال علي وقلت أنا» ظاهره انّه كان يقول «قال علي» يعني قياساً وقلت قياساً وافقه أو خالفه فأخذ بالقياس وظنّ بعلي (عليه السلام) ذلك، ويحتمل أن يكون مراده مخالفته بالقياس لقول علي (عليه السلام) ولوكان روايته لظنّه بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انّه كان يقول بالقياس وترجيح قياسه على قياسه (صلى الله عليه وآله وسلم) أو لترجيح قياسه على رواية علي (عليه السلام) لكنه بعيد لاشتماله على ضلال وطغيان فيه قلّمايرتكبه و يظهره مسلم. رفيع ـ (رحمه الله).

الاشعار مُثلة وقال (صلى الله عليه وآله) «البيّعان بالخيار مالم يتفرقا» وقال أبوحنيفة إذا وجب البيع فلاخيار وكان (عليه السلام) يقرع بين نسائه إذا أراد سفراً وأقرع أصحابه وقال أبوحنيفة: القرعة قمار.

١٩١ ــ ١٤ (الكافي ــ ١:٥٧) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن سماعة عن أبي الحسن موسى (عليه السلام). قال: قلت أصلحك الله إنّا نجتمع فنتذاكر ماعندنا فلايرد علينا شيء، إلّا وعندنا فيه شيء مستطر [١] وذلك ممّاأنعم الله به علينابكم، ثمّ يرد علينا الشيء الصغير ليس عندنا فيه شيء فينظر بعضنا إلى بعض وعندنا مايشبهه فنقيس على أحسنه؟.

فقال: «مالكم وللقياس إنّما هلك من هلك من قبلكم بالقياس».

ثمّ قال «إذا جاءكم ماتعلمون فقولوا به وإن جاءكم مالا تعلمون فها» وأهوى بيده إلى «فيه» ثم قال «لعن الله أباحنيفة كان يقول: «قال علي» وقلت «أنا» و«قالت الصحابة» و«قلت» ثم قال «أكنت تجلس إليه؟» فقلت «لا» ولكن هذا كلامه فقلت: أصلحك الله أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس بمايكتفون به في عهده؟ قال «نعم [٢] ومايحتاجون إليه الى يوم القيامة» فقلت: فضاع من ذلك شيء؟ فقال: «لاهو عند أهله».

١ . اي مكتوب.

٢ . قوله: «قال نعم ومايحتاجون إليه:..» أي نعم بمايكتفون به في عهده وبمايحتاجون إليه إلى القيامة من الأحكام الشرعية تصديق ذلك قوله تعالى «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي» وقوله تعالى: «ياأيها الرسول بلّغ ماأُنزل إليك من ربّك» فهو سبحانه لماأكمل الدين بين لنبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم) جميع الأحكام الشرعية وأنزلها إليه ولمّاأمره بتبليغ ماأنزل إليه بلّغ بنفسه ماأمكن تبليغه الى من أمكن تبليغه وحمّل بعضاً ليبلغ إلى آخرين.
فلم يبق حكم من أحكام الله إلّا وقدأتى به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمته. وقوله «هو عند أهله» أي عند من حمّله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك وهو أهل للتحمل والتبليغ وأهل ماحمّل يعني أميرالمؤمنين (عليه السلام) وأوصيائه تصديق ذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «انّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي».
وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «أنا مدينة العلم وعلي بابها» رفيع ـ (رحمه الله).

بيــان:

«هـا» حـرف تـنـبـيـه «وأهـوى بيده إلى فيه» يعني أشار بوضع اليد إلى الفم إلى السـكـوت مـطـابـقـاً لمـامـرَّ من قوله (عليه السلام) «أن يقولوا مايعلمون و يكفوا عمّا لايعلمـون» ولـم‌يعن به «اسألوا عنّي» كما توهم. [1]

١٩٢ ــ ١٥ (الـكـافي ــ ١:٥٦) مـحـمـد، عن أحمد، عن الوشاء،عن مثنى الحناط عـن أبي‌بـصير قـال قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) ترد علينا أشياء لانعرفها [2] في كتاب ولاسنة فننظر فيها؟ قال «لا، أما إنّك إن أصبت لم تؤجر وإن أخطأت كذبت على الله تعالى».

١٩٣ ــ ١٦ (الكافي ــ ١:٥٧) الـنـيـسـابوريان، عن صفوان، عن البجلي، عن أبـان‌بـن تـغـلـب، عـن أبي عـبـدالله (عليه السلام) قال «إنّ السنة [3] لا تقاس ألا ترى أن المرأة تقضي صومها ولا تقضي صلاتها، ياأبان، إنّ السنة إذا قيست محق الدين» [4].

١ . ممّايؤيد ماتوهم هذا المتوهّم مارواه البرقي في «محاسنه» باسناده عن محمدبن حكيم قال: قال أبوالحسن (عليه السلام) «اذا جاءكـم مـاتـعـلـمـون فـقـولوا وإذا جاءكم مالا تعلمون ـ فها انا» ووضع يده على فيه فقلت: ولم‌ذاك ؟ قال «لأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتى الناس بمااكتفوا به على عهده ومايحتاجون إليه من بعده الى يوم القيامة» (عهد) ك .

٢ في الـوافي والـهدايا (لاتعرفها) ولكن في الكافي المطبوع وشرح المولى خليل (ليس تعرفها)

٣ . قـوله: «فان السنة لا تقاس...» أي لايوصل إليها ولا تعرف بالقياس لمافيها من ضمّ المختلفات في الصفات الظاهرة وتفريق المـتـشـاركـات في الأحـكام الواضحة كما في قضاء صوم الحائض وعدم قضاء صلاتها وإن السنّة إذا قيست وأثبتت بالقياس محق أي محـي وأبـطـل الدين بادخال ماليس منه فيه واخراج مايكون منه عنه والاكثار منها يلزم العمل بالقياس أعاذنا الله من اطاعة ابليس والدخول في الالتباس. رفيع ـ (رحمه الله).

٤ . إن هـذا الخبر صـريـح في بـطـلان ماروته العامة وتلقّاه بعض أصحابنا بالقبول وهو قولهم «من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهـد فـأخطأ فله أجر واحد» إلّا أن يخصص النظر بالقياس والاجتهاد لغيره، ثم لوكانت هذه الرواية صحيحة لوجب حملها على الاجتهاد في مثـل استعلام جهة القبلة أو الاجتهاد في فهم المراد من كلام أهل البيت (عليهم السلام) أو في ردّ الفروع على الأصول المأخوذة عنهم دون استنباط الأحكام الشرعية كما ظنّ ـ منه حفظه الله وأبقاه «عهد».

بيـان:

«المحق» ذهاب الشيء كله حتى لايرى منه أثر وإنّما يمحق الدين بالقياس لأنّ لكل أحد أن يرى بعقله أو هواه مناسبة بين الشيء ومأراد أن يقيسه عليه فيحكم عليه بحكمه ومامن شيء إلّا و بينه و بين شيء آخر مجانسة أو مشاركة في كمّ أو كيف أو نسبة، فاذا قيس بعض الأشياء على بعض في الأحكام صار الحلال حراماً والحرام حلالاً حتى لم يبق شيء من الدين.

١٩٤ ــ ١٧ (الكافي ــ ١:٥٧) العدة، عن أحمد، عن عثمان قال: سألت أباالحسن موسى (عليه السلام) عن القياس فقال: «مالكم وللقياس [1] إنّ الله لايُسئل [2] كيف أحلّ وكيف حرّم».

١٩٥ ــ ١٨ (الكافي ــ ١:٥٧) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن أبان، عن أبي شيبة قال سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «ضلّ علم [3] ابن شبرمة [4]

١ . هنا وفي «الهدايا» والمخطوطين من الكافي مالكم وللقياس وفي الكافي المطبوع و بعض المخطوطات (مالكم والقياس).

٢ . قوله: «انّ الله لايُسئل كيف أحلّ...» أي لايأتي في التحليل والتحريم بما يوافق مدارك عامة العباد من المصالح والحكم حتى لوسئل عنه أجاب بما هو مرغوب مداركهم ومستحسن طبائعهم بل في أحكامه حكم ومصالح لايصل إليها أفهام أكثر الناس من العوام والخواص. رفيع ـ (رحمه الله).

٣ . قوله: «ضلّ علم ابن شبرمة...» المراد بالعلم إمّا المأخوذ من مأخذه من المسائل وإمّا مايظنّ و يراه بأي طريق كان سواء كان مأخوذاً من المآخذ الشرعية أو من الرأي والقياس،والضلال امّا بمعنى الخفاء والغيبوبة حتى لايرى أو بمعنى الضياع والهلاك والفساد مقابل الهدى فان حمل العلم على الأول ناسبه الأول من معاني الضلال لانّه من قلته بالنسبة إلى مافي الجامعة من جميع المسائل مماّلايرى ولايكون له قدر بالنسبة إليه وفي جنبه وإن حمل العلم على الثاني و يشمل جميع ظنونه وآرائه ناسبه أحد الأخيرين من معاني الضلال فانّه ضائع هالك عندما أتى به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو منهاج الهدى لمخالفته إيّاه.

وقوله: «إنّ دين الله لايصاب بالقياس» وذلك لأنّه إذا كان في كلّ مسألة حكماً خاصاً صادراً من الشارع يطابقه مايقاس و يقال فيه بالرأي والتخمين فان الأحكام الواردة في الشريعة أكثرها لايطابق القياس والعلل في الأحكام الشرعية غير منتظمة فقلّمايفارق النظر فيها عن الالتباس. رفيع ـ (رحمه الله).

٤ . شُبْرُمَة كقُنفذة: الستور ومااتثر من الحبل والغزل (على مافي ـ المعيار) وهو المذكور في تهذيب التهذيب ج٥ ص٢٥٠ رقم ٤٣٩ وج١٢ ص٢٩٨ رقم ١٥٢٨ وفيه انه (عبدالله بن شبرمة بن حسان بن منذر الكوفي القاضي كان عفيفاً جازماً عاقلاً شاعراً فقيهاً مات سنة ١٤٤) وكان من رؤساء أصحاب القياس على مافي الهدايا «ض.ع».

عند الجامعة إملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخطّ عليّ (عليه السلام) بيده ، إنّ الجامعة لم تدع لأحد كلاماً فيها علم الحلال والحرام إنّ أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحقّ إلّا بعداً إن دين الله لايصاب بالقياس».

بيـــان:

هو عبدالله بن شبرمة القاضي وكأنه يعمل بالقياس أي ضاع و بطل واضمحلّ علمه في جنب كتاب الجامعة الذي لم يدع لأحد كلاماً إذ ليس من شيء إلّا وهو مثبت فيه وسيأتي وصف ذلك الكتاب في كتاب الحجّة إنشاء الله.

١٩٦ ــ ١٩ (الكافي ــ ١:٥٧) علي، عن الاثنين قال حدّثني جعفر، عن أبيه (عليهما السلام) أنّ عليّاً (صلوات الله عليه) قال «من نصب نفسه للقياس لم يزل [١] دهره في التباس ومن دان الله بالرأي [٢] لم يزل دهره في ارتماس» قال وقال أبوجعفر (عليه السلام) «من أفتى الناس [٣] برأيه فقددان الله بمالايعلم ومن دان الله بمالايعلم فقدضاد الله حيث أحلّ وحرم فيما لايعلم».

١ . قوله: «لم يزل دهره في التباس....» أي من أقام نفسه للعمل بالقياس لم يزل دهره في التباس أي اشتباه وخلط بين الباطل والحق ومن دان الله بالرأي أي أعتقد أنّه من دين الله الواجب مراعاته والعمل بمقتضاه لم يزل دهره في ارتماس أي انغماس في الباطل ودخول فيه بحيث يحيط به أحاطة تامة. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . قيل: الرأي التفكر في مبادىء الأمور والنظر في عواقبها وعلم مايؤل اليه من الخطأ والصواب، والفرق بينه و بين القياس أنّ الرأي أعمّ لتناوله مثل الاستحسان وأصحاب الرّأي عند الفقهاء هم أصحاب القياس والتأويل كأصحاب أبي حنيفة وأبي الحسن الأشعري وهم الذين قالوا نحن بعدما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسعنا أن نأخذ بما اجتمع عليه رأي الناس وعن أبي حنيفة انّه قال: ماجاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فعلى الرأس والعين وماجاء عن الصحابة اخترناه وماكان غير ذالك فهم رجال ونحن رجال. أوردناه ملخصاً من مجمع البحرين «ض.ع».

٣ . قوله: «من أفتى الناس برأيه...» أي بظنونه المأخوذة لامن الأدلة والمآخذ المنتهية الى الشارع بل من الاستحسانات العقلية أو القياسات الفقهية فقددان الله بمالايعلم ومن دان الله بمالايعلم وأدخل في دين الله ماليس منه فقدضاد الله حيث نصب نفسه لأن يحل ويحرم من عندها وجعلها شريكاً لله في وضع الشريعة لعباده. رفيع (رحمه الله).

بيـــان:

كـأنّـه عني بـالارتـمـاس «الانـغـمـاس» في بحر الهوى وظلمات الباطل وفي هذا الحديث دلالة ظاهرة على أن الرأي غير القياس خلاف مافهمه جمهور متأخري فقهائنا من الاتحاد وليس إلّا اجتهاداتهم في استنباط الأحكام عن المتشابهات التي يسمونها أنفسهم رأياً.

١٩٧ ـــ ٢٠ **(الكافي ـ ١:٥٨)** محمد، عن أحمد، عن ابن يقطين، عن الحسين بن ميّاح عن أبيه عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «إنّ إبليس قاس نفسه بآدم فقال: خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ [1] فلوقاس الجوهر [2] الذي خلق الله منه آدم بالنار كان ذلك أكثر نوراً وضياء من النار».

بيـــان:

ميّاح بفتح الميم وتشديد المثناة التحتانية [3] وفي بعض النسخ جناح [4] بالجيم والنون وكأنه جناح بن رزين وأراد بالجوهر الذي خلق الله منه آدم روحه المقدسة الّتي هي أمر من أمر الله عزّ وجلّ وكلمة من كلماته ونور من أنواره التي بها صار آدم مكرّماً مستحِقاً لمسجودية الملائكة وهي نور معنوي عقلاني لانسبة له إلى الأنوار الحسيّة كنور الشمس والقمر فضلاً عن نور النار الذي يضمحل في النهار وآدم في الحقيقة عبارة عنه لاعن الجسد ولما لم يكن لإبليس منه نصيب لم يره من آدم ولم يعرفه وهو يختص بالأنبياء والأولياء وأهل السعادة الكاملة من العلماء.

١ . سورة الأعراف/ آية ١٢ ـ و ـ سورة ص/ آية ٧٦.

٢ . قوله: «فلوقاس الجوهر الذي...» المراد بالجوهر الذي خلق منه آدم النور العقلاني الذي في نفسه وهو أكثر ضياء من النار فانّه به يظهر مالايظهر بالنار كالمعقولات و به يظهر مايظهر بالنار كالمحسوسات. رفيع ـ (رحمه الله).

٣ . ميّاح: مَن يستقي الماء مغترفاً والرجل، هو المذكور في ج٦ ص١٦٤ مجمع الرجال عن «غض» و«جش» وكذا في ج٢ ص٢٨٣ جامع الرّواة «ض.ع».

٤ . والظاهر أنّ جناح تصحيف، يظهر من المواضع «ض.ع».

وأما الأرواح الّتي لسائر أفراد البشر فلإبليس في مثلها مشاركة.

١٩٨ ــ ٢١ (**الكافي ــ ١:٥٨**) علي، عن أبيه، عن أحمدبن عبدالله العقيلي، عن عيسى بن عبدالله القرشي قال: دخل أبوحنيفة على أبي عبدالله (عليه السلام) فقال له «ياأباحنيفة؛ بلغني أنّك تقيس» قال: نعم قال«لا تقس فإنّ أول من قاس إبليس حين قال: خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ [1].

فقاس مابين النار والطين ولوقاس نوريّة آدم بنوريّة النار عرف فضل مابين النورين وصفاء أحدهما على الآخر».

بيــان:

قيل هو أحمد النسابة المحدث بنصيبين وروي عن أبي‌حنيفة أنه قال: جئت إلى حجّام ليحلق رأسي فقال لي، أدن ميامنك واستقبل القبلة وسمّ الله فتعلمت منه ثلاث خصال لم تكن عندي فقلت له: مملوك أنت أم حرّ؟ فقال: مملوك قلت: لمن؟ قال: لجعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) قلت: أشاهد أم غائب؟. قال: شاهد فصرت إلى بابه واستأذنت عليه فحجبني، وجاء قوم من أهل الكوفة فاستأذنوا فأذن لهم فدخلت معهم.

فلمّا صرت عنده قلت له: يابن رسول الله؛ لوأرسلت إلى أهل الكوفة فنهيتهم أن يشتموا أصحاب محمد فانّي تركت بها أكثر من عشرة آلاف يشتمونهم فقال«لايقبلون منّي» فقلت ومن لايقبل منك وأنت ابن رسول الله؟ فقال «أنت أول من لايقبل منّي دخلت داري بغير إذني وجلست بغير أمري وتكلّمت بغير رأيي وقدبلغني أنك تقول بالقياس» قلت نعم أقول:

قال «ويحك يانعمان اوّل منَ قاس الله ابليس حين أُمر بالسجود لآدم (عليه السلام) فأبى وقال خلقتني من نار وخلقته من طين أيّما أكبر يانعمان القتل أوالزنا؟»

[1] ـ سورة الأعراف/١٢ ـ و ـ سورة ص/ آية ٧٦.

قلت: القتل قال «فلم جعل الله في القتل شاهدين وفي الزنا أربعة أينقاس لك هذا؟» قلت: لا، قال «فايّما أكبر البول أو المني؟» قلت البول قال «فلم أمر الله تعالى في البول بالوضوء وفي المني بالغسل؟ أينقاس لك هذا» قلت: لا قال «فأيما أكبر الصلاة أو الصيام؟» قلت: الصلاة، قال «فلِمَ وجب على الحائض أن تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ أينقاس لك هذا؟»

قلت: لا قال «فأيّما أضعف المرأة أو الرجل؟» قلت المرأة قال «فلم جعل الله تعالى في الميراث للرجل سهمين وللمرأة سهم أينقاس لك؟» قلت: لا قال «فبم حكم الله في من سرق عشر دراهم القطع وإذا قطع الرجل يد رجل فعليه ديتها خمسة آلاف درهم اينقاس لك هذا» قلت: لا قال «وقد بلغني انك تقرأ آية من كتاب الله تعالى وهي: لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيم [1] أنه الطعام الطيّب والماء البارد في اليوم الصائف» قلت نعم، قال «لو دعاك رجل وأطعمك طعاماً طيّباً وسقاك ماءً بارداً ثم امتنّ عليك به ما كنت تنسبه إليه؟» قلت: إلى البخل قال «افتبخّل الله تعالى» قلت فما هو؟ قال «حبّنا أهل البيت».

وروى الصدوق في كتاب «علل الشرايع» مايقرب من هذا وفيه طول.

١٩٩ ــ ٢٢ (الكافي ــ ١: ٥٨) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن قتيبة قال: سأل رجل أبا عبدالله (عليه السلام) عن مسألة فأجابه فيها فقال الرجل أرأيت إن كان كذا وكذا [2] ما كان يكون القول فيها، فقال له «مه ماأجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لسنا من أرأيت في شيء».

١ . التكاثر/٨.

٢ . قوله: «أرأيت إن كان كذا وكذا» أي أخبرني عن رأيك في ماينبغي في المسألة هذه وقوله فقال له «مه» أي اكفف فإنا لانقول إلّا ماوصل إلينا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لسنا نقول برأينا. رفيع ـ (رحمه الله). ومانقله المصنف عن كمال الدين بن ميثم البحراني موضع هذا القول كما ينبغي وليس كما يتبادر الى ذهن المبتدي ان مانقله الأئمة (عليهم السلام) وصل اليهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالخصوص. «ش».

بيـان:

كـلـمة «مه» زجر يعني اكفف فان مااجبتك به ليس صادراً عن الرأي والقياس حتى تـقول أرأيت الذي هو سؤال عن الرأي، بل هو عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وليس معنى ذلك مايفهمه الظاهريون أن شأنهم (عليهم السلام) حفظ الأقوال خلفاً عن سلف حتى يكون فضلهم على سائر الناس في قوة الحفظ للمسموعات أو بكثرة المحفوظات بل المراد أنّ نفوسهم القدسية استكملت بنور العلم وقوة المعرفة بسبب اتباع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمجاهدة والعبادة مع زيادة استعداد أصلي وصفاء فطري وطهارة غريزية حتى أحبّهم الله كما قال فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللّهُ [1] ومن أحبّه الله يفيض عليه من لدنه أنواراً علمية وأسراراً عرفانيّة من غير واسطة أمر مباين من سماع أو رواية أو اجتهاد.

بل بأن تصير نفسه كمرآة مجلوة يحاذي بها شطر الحق فينعكس إليها الأمر كما هو عليه قال كمال الدين بن ميثم البحراني في شرح قول أميرالمؤمنين (عليه السلام) انّما هو تعلم من ذي علم ان ذلك اشارة إلى وساطة تعليم الرسول له وهو اعداد نفسه على طول الصحبة بتعليمه وإرشاده الى كيفية السلوك وأسباب التطويع والرياضة حتى استعدّ للانتقاش بالأمور الغيبيّة والإخبار عنها وليس التعليم هو ايجاد العلم وإن كان أمراً قد يلزمه ايجاد العلم فتبين إذاً أنّ تعليم الرسول له لم يكن مجرد توقيف على الصور الجزئية بل إعداد نفسه بالقوانين الكليّة.

ولو كانت الأمور التي تلقّاها عن الرسول صوراً جزئية لم يحتج إلى مثل دعائه في فهمه لها فانّ فهم الصور الجزئية أمر ممكن سهل في حقّ من له أدنى فهم وإنّ مايحتاج إلى الدعاء واعداد الأذهان بأنواع الاعدادات هو الأمور الكليّة العامة للجزئيات وكيفية انشعابها عنها وتفريعها وتفصيلها وأسباب تلك الأمور المعدّة لإدراكها وممّا يؤيّد ذلك قوله (عليه السلام):

١ . آل عمران/٣١.

«علّمني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الف باب من العلم فانفتح لي من كل باب ألف باب وقول الرسول «أعطيت جوامع الكلم وأُعطي عليٌّ جوامع العلم» والمراد بالانفتاح ليس إلّا التفريع وانشعاب القوانين الكليّة عمّا هو أعمّ منها وبجوامع العلم ليس إلّا ضوابطه وقوانينه وفي قوله وأُعطى بالبناء للمفعول دليل ظاهر على انّ المعطي لعليّ جوامع العلم ليس هو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بل الذي أعطاه هو الذي أعطى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جوامع الكلم وهو الحق سبحانه انتهى كلامه وسيأتي في هذا المعنى كلام آخر عند تفسيرنا أنّ في القرآن تبيان كلّ شيء.

٢٠٠ ـ ٢٣ **(الكافي ـ ٧: ٣٦٢) محمد عن (التهذيب ـ ١٠: ١٦٨)**[1] أحمد، عن ابن بزيع، عن حنان بن سدير قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السلام) «سألني ابن شبرمة [2] ماتقول في القسامة في الدم؟ فاجبته بماصنع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال أرأيت لوأنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يصنع هذا كيف كان القول فيه » قال: «فقلت له أمّا ماصنع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد أخبرتك وأمّا مالم يصنع فلاعلم لي به».

٢٠١ ـ ٢٤: **(الكافي ـ ١: ٥٨)** علي عن العبيدي عن يونس عن حريز عن زرارة قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن الحلال والحرام فقال «حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة لايكون غيره ولايجيء غيره» وقال «قال علي (عليه السلام): ماابتدع أحد بدعة إلّا ترك بها سنة» [3]

١ . رقم ٦٦٤.
٢ . مرّ كلامنا في ابن شُبرُمَة ذيل عدد المتسلسل (١٩٥) «ض.ع».
٣ . قوله: «ترك بها سنة...» لأنه لما كان في كلّ مسألة بيان من الشارع وحكم فيها فن قال فيها بمالم يكن في الشرع وابتدع شيئاً، ترك به سنة وحكماً من أحكامه. رفيع ـ (رحمه الله).

بيــان:

يعني أن الأحكام التي بقيت عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد نسخ مانسخ منها مستمرة إلى يوم القيامة، لايعارضها نسخ ولااجتهاد ولايبطله رأي ولاقياس ردّ بذلك على أصحاب الرأي والاجتهاد، فإنّ آرائهم تتغير وكأنّه أشار بنقل كلام أميرالمؤمنين (عليه السلام) -هاهنا- إلى انّ الحكم بالرّأي والعمل به بدعة وانه مستلزم لترك السنة وإنّما كان كلّ بدعة مستلزمة لترك سنة لقيامها مقامها ولأن من طلب مالايعنيه فاته مايعنيه.

٢٠٢ ــ ٢٥ (التهذيب ــ ٢٩٦:٦)[١] سعد، عن احمد بن فضال، عن أبيه، عن أبان، عن أبي مريم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال «قال علي (صلوات الله عليه) لوقضيت بين الرجلين بقضية ثم عادا إليّ من قابل لم أزدهما على القول الأوّل، لأنّ الحقّ لايتغير».

بيــان:

هذا الخبر أيضاً صريح في بطلان الاجتهاد والقول بالرّأي.

٢٠٣ - ٢٦ (الكافي - ٥٩:١) العدة، عن البرقي [٢] عن ابيه مرسلاً قال: قال أبوجعفر (عليه السلام) «لا تتخذوا من دون الله وليجة [٣] فلا تكونوا مؤمنين،

١. رقم ٨٢٥

٢. عن آبيه مرسلاً، ک ، ج. وكذلك في الكافي المخطوط «خ» وفي «م» جعله على نسخة«ض.ع».

٣. قوله: «من دون الله وليجة» وليجة الرجل من يجده معتمداً عليه والمراد هنا المعتمد عليه في أمر الدين ومن يعتمد في أمر الدين وتقرير الشريعة على غير الله يكون متعبداً لغير الله والمتعبد لغير الله لايكون مؤمناً بالله واليوم الآخر وأيضاً فالم يستند الى موجبه الحقيقي الذي لايزول وهو الله سبحانه يزول بزوال مستنده الذي اتخذ وليجة من دون الله وذلك لأنّ كلّ مالم ينته إلى القرآن من السبب والنسب والقرابة والوليجة والبدعة والشبهة منقطع لايبقى ولاينتفع بها في الآخرة فلايبقى الايمان حينئذ لزوال مستنده وموجبه. أو نقول فلايجامع الايمان بالله أي الاعتقاد الثابت بالله واليوم الآخر الاعتماد عليها في أمر الدين. رفيع - (رحمه الله).

فإنّ كل سبب ونسب وقرابة ووليجة وبدعة وشبهة منقطع إلّا ماأثبته القرآن» .

بيــان:

أورد هذا الخبر تارة أخرى في كتاب الروضة بهذا الأسناد بعينه وزاد بعد قوله «منقطع» مضمحل كالغبار الذي يكون على الحجر الصلد إذا أصابه المطر، ووليجة الرجل بطانته ودخيلته وخاصته ومن يعتمد عليه و يفشي إليه سرّه والمعنى لا تتخذوا من دون الله معتمداً تعتمدون عليه فلم تكونوا مؤمنين بالله وآياته إذ المؤمن الحقيقي من لااعتماد ولا توكل له إلّا على الله ولااستعانة له إلّا به ومن استعان بغير الله ذلّ.

وأمّا اعتماد المؤمنين بعضهم على بعض في السرّ والنجوى واتخاذ بعضهم بعضاً وليجة في الدين والدنيا وتعاونهم فيما بينهم على البرّ والتقوى فيرجع إلى الاعتماد على الله سبحانه، لأنّ ارتباط المؤمنين فيما بينهم من جهة الايمان وتحابّهم [١] في الدين إنّما يكون في الله، ولله، ولهذا ورد في القرآن تارة «ولا تتخذوا من دون الله وليجة [٢] وأخرى أَمْ حَسِبْتُمْ اَنْ تُتْرَكُوا وَلَمّا يَعْلَمِ اللّهُ الّذينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ وَلاَرَسُولِهِ وَلاَالْمُؤْمِنينَ وَليجَةً [٣] وكأنه أراد بماأثبته القرآن التمسك بحبل أهل البيت (عليهم السلام).

فان عامة القرآن نزلت فيهم وفي التمسك بهم وهم شريكه وتريكه [٤] ونزيله وعندهم تنزيله وتأويله وهو معهم وهم معه لن يفترقا ولن يختلفا وهما الثقلان اللذان اُمرنا بالتمسك بها والكون معها فهو يثبتهم وهم يثبتونه و يؤيد هذا مارواه في الكافي وسيأتي في محله عن أبي حمزة الثمالي قال:

قال لي أبوعبدالله (عليه السلام) «إياك والرئاسة وإيّاك أن تطأ أعقاب

١ . تحابيهم ـ خ ل.

٢ . لم نجد في المعجم المفهرس كلمة «وليجة» إلّا في موضع واحد (سورة التوبة ١٦) وهي «...ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولاالمؤمنين وليجة...».

٣ . التوبة/١٦.

٤ . تريك بفتح الأول المتروك التّركة والتَرِكَة الشيء المتروك ومنه (تركة الميت) والظاهر انه اشارة الى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «انّي تارك فيكم الثقلين، الى آخره «ض.ع».

الرجال» قال قلت جعلت فداك ؛ أمّا الرئاسة فقدعرفتها وأمّا أن أطأ أعقاب الرجال فما ثلثا(ثلث خ.ل)مافي يدي، إلّا ممّا وطئت [1] أعقاب الرجال فقال «ليس حيث تذهب، إيّاك أن تنصب رجلاً دون الحجّة فتصدقه في كل ماقال» ويحتمل تخصيص الوليجة بالوليجة في الدين أي لا تعتمدوا في دينكم إلّا على الله ولا تأخذوه إلّا من الله من جهة الرسول وأوصيائه (عليهم السلام) وهذا أوفق بالاستثناء كما أن التعميم أوفق بذكر السبب والنسب والقرابة، فان قيل فماوجه ذكر السبب والنسب والقرابة على تقدير تخصيص الوليجة بالوليجة في الدين؟.

قلنا [2] معناه حينئذ لا تقتدوافي دينكم بآبائكم وأقربائكم ولا تكونوا كالذين قالوا إنّا وَجَدْنـا اٰبَآءَنـا عَلىٰ اُمَّةٍ وَاِنّا عَلىٰ اٰثـارِهِمْ مُقْتَدُونَ [3] أو لا تداهنوا في الدين لمسرة أقربائكم.

وحاصل الحديث النهي عن الإعتماد في علوم الدين على غير أهل البيت(عليهم السلام).

٢٠٤ ــ ٢٧ (التهذيب ــ ٦:٢٩٤) [4] محمدبن أحمدعن السياري، عن ابن اسباط قال قلت له يحدث الأمر من أمري لاأجد بُدّاً من معرفته وليس في البلد الذي أنا فيه أحد استفتيه قال فقال «ائت فقيه البلد اذا كان ذلك فاستفته في أمرك فاذا أفتاك بشيء فخذ بخلافه فان الحقّ فيه».

بيـان:

وذلك لأنهم كانوا متعصبين على مخالفة الشيعة حتى قال قائلهم إنّ من السنة التختم باليمين وإنّما نتختم باليسار مخالفة للشيعة وان من السنة تربيع القبور وإنّما نسنمها [5] مخالفة للشيعة إلى غير ذلك كما يتبين لمن تتبع كتبهم وآرائهم.

١ . وطيء العقب كناية عن الاتباع في النعال وتصديق المقال واكتفى في تفسيره باحدهما لاستلزامه الآخر غالباً .منه ـ(رحمه الله).
٢ . قلنا نعم، ك .
٣ . سورة الزخرف/ آية ٢٣.
٤ . رقم ٨٢٠.
٥ سَنَمتُ القبرَ تسنيماً اذا رفعته عن الأرض. مجمع البحرين.

-٢٣-

باب انه ليس شيء ممّا يحتاج اليه النّاس إلاّ وقد جاء فيه كتاب أو سنةٌ

٢٠٥ ــ ١ (الكافي ــ ١:٥٩) محمد، عن ابن عيسى، عن علي بن حديد [١] عن مرازم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «إن الله تعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ماترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد حتى لايستطيع عبد يقول لوكان هذا أنزل في القرآن، ألا [٢] وقدأنزله الله فيه». [٣]

١ . حريز ـ خ ل. كذا في. ج وفي الأصل جعل «جرير» على نسخة والصحيح حديد كما في المتن والمخطوطين من الكافي و«الهدايا» والمرآة وغيرها «ض.ع».

٢ . في الأصل أورد ها مخففاً وجعلها في البيان حرف التنبيه ولكن في النسخ المخطوطة والمطبوعة من الكافي «إلّا» بالتشديد وكسر الهمزة وفي المرآة وشرح المولى صالح قالا وقيل: ألا بفتح الهمزة وتخفيف اللاّم من حروف التنبيه والكلام استيناف لتأكيد ماسبق «ض.ع».

٣ . وقال الفاضل الاسترابادي رحمه الله: اشتهر بين علماء الأصول أنّ المسائل ثلاثة أقسام ـ قسم من ضروريات الدين وقسم من ضروريات المذهب وقسم لاهذا ولاذاك وانّ القسم الثالث هو محل الاجتهاد واشتهر بينهم أنّ في القسم الثالث أقوال أربعة: الأوّل انه خال عن حكم الله والثاني انه غير خال عن حكم الله لكن مانصب الله عليه دليلاً أصلاً لاقطعيّاً ولاظنّياً والثالث ان الله تعالى نصب عليه دليلاً ظنّياً لاقطعيّاً وعلى القول الأوّل كل مجتهد مصيب صرّحوا بذلك وعلى الثاني والثالث للمجتهد المصيب أجران وللمخطيء أجر واحد صرحوا بذلك والقول الرابع انّ في القسم الثالث لله عزّ وجلّ حكماً معيناً ونصب عليه دليلاً قطعياً محفوظاً عند أهله فالمخطيء فيه آثم فاسق كالقسمين الأولين وفي هذا الباب وغيره تصريحات ببطلان المذاهب الثلاثة وتعين المذهب الرابع «الهدايا».

بيــان

جملة «حتى» الثانية لتأكيد الأولى أو للتعليل و«لو» للتمني والاستثناء من مقدر و«ألا» بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف تنبيه قال أستادنا (قدس سرّه) ماملخصه:
إن العلم بالشيء إمّا يستفاد من الحسّ برؤية أو تجربة أو سماع خبر أو شهادة أو اجتهاد أو نحو ذلك ومثل هذا العلم لايكون إلّا متغيراً فاسداً محصوراً متناهياً غير محيط لأنه إنّما يتعلّق بالشيء في زمان وجوده علم وقبل وجوده علم آخر و بعد وجوده علم ثالث وهذا كعلوم أكثر الناس وإمّا يستفاد من مبادئه وأسبابه وغاياته علماً واحداً كليّاً بسيطاً محيطاً على وجه عقلي غير متغير فإنّه مامن شيء إلّا وله سبب ولسببه سبب. وهكذا إلى أن ينتهي إلى مسبب الأسباب وكلّ ما عرف سببه من حيث يقتضيه و يوجبه فلابدّ وأن يعرف ذلك الشيء علماً ضرورياً دائماً فمن عرف الله تعالى بأوصافه الكمالية ونعوته الجلالية وعرف أنه مبدأ كلّ وجود وفاعل كلّ فيض وجود وعرف ملائكته [١] المقربين ثم ملائكته المدبّرين المسخرين للأغراض الكليّة العقلية بالعبادات الدائمة والنسك المستمرة من غير فتور ولغوب الموجبة لأن يترشح عنها صور الكائنات، كلّ ذلك على الترتيب السببي والمسببي فيحيط علمه بكلّ الأمور وأحوالها ولواحقها علماً بريئاً من التغير والشك والغلط فيعلم من الأوائل، الثواني ومن الكليات الجزئيات المترتبة عليها ومن البسايط المركبات و يعلم حقيقة الانسان وأحواله ومايكملها و يزكيها و يسعدها و يصعدها الى عالم القدس ومايدنّسها و يُرديها و يُشقيها ويهويها إلى أسفل السافلين علماً ثابتاً غير قابل للتغيير ولايحتمل لتطرق الريب.

فيعلم الأمور الجزئية من حيث هي دائمة كلية ومن حيث لا كثرة فيه ولا تغير وإن كانت هي كثيرة متغيرة في أنفسها و بقياس بعضها الى بعض وهذا كعلم الله سبحانه بالأشياء وعلم ملائكته المقربين وعلوم الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) بأحوال

١. وعرف ملائكته. ك

الموجودات الماضية والمستقبلة وعلم ما كان وعلم ماسيكون إلى يوم القيامة من هذا القبيل.

فانه علم كلي ثابت غير متجدد بتجدّد المعلومات ولامتكثر بتكثرها ومن عرف كيفية هذا العلم عرف معنى قوله عزّ وجلّ: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ [1] و صدّق بان جميع العلوم والمعاني في القرآن الكريم عرفاناً حقيقياً وتصديقاً يقينياً على بصيرة لاعلى وجه التقليد والسماع ونحوهما إذ مامن أمر من الأمور إلّا وهو مذكور في القرآن إمّا بنفسه أو بمقوماته وأسبابه ومبادئه وغاياته ولايتمكن من فهم آيات القرآن وعجائب أسراره ومايلزمها من الأحكام والعلوم التي لا تتناهى إلّا من كان علمه بالأشياء من هذا القبيل، انتهى كلامه أعلى الله مقامه و ينبه عليه لفظة الأصل في الخبر الآتي.

٢٠٦ ـ ٢ **(الكافي ـ ١: ٦٠)** محمد، عن أحمد، عن ابن فضال، عن ثعلبةبن ميمون عمّن حدثه، عن المعلى بن خنيس قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام) «مامن أمر يختلف فيه إثنان إلّا وله أصل [2] في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال» .

٢٠٧ ـ ٣ **(الكافي ١: ٥٩ و٧: ١٧٥)** علي، عن العبيدي، عن يونس، عن الحسين بن المنذر، عن عمرو بن قيس، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال سمعته يقول «إنّ الله تعالى لم يدع شيئاً يحتاج إليه الأمة إلّا أنزله في كتابه و بيّنه لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعل لكلّ [3] شيء حدّاً وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه وجعل على من تعدّى ذلك الحدّ حدّاً».

١ . النحل/٨٩

٢ . قوله «إلّا وله أصل ...» أي مايمكن معرفته منه ولوبضمّه إلى غيره من الكتاب أو السنّة أو مقدمة عقلية أو حسّية وقوله «ولكن لاتبلغه عقول الرجال» أي أكثرهم بل انّها تبلغه عقول الكمّل منهم أو من هداه الله إليه وخصّه بمزيد فضله رفيع ـ (رحمه الله) .

٣ . قوله: «وجعل لكل شيء حدّاً» أي لكل شيء ممايحتاج اليه العباد حدّاً و ينتهي منتهًى معيّناً لايتجاوزه ولايقصر عنه وقوله «وجعل عليه دليلاً يدل عليه و بينه للناس كالنبي» (صلى الله عليه وآله وسلم) في زمانه والإمام (عليه السلام) في زمانه ←

بيـــان:

مثال ذلك في العبادات أنّه عزّ وجلّ جعل للصوم حدّاً وهو الكفّ عن الأكل والشرب والمباشرة مدة وجعل عليه دليلاً وهو قوله تعالى: فَالْئٰنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ [1] ثمّ جعل على من تعدّى ذلك الحدّ بأن أكل أو شرب أو باشر حَدّاً وهو الكفارة ومثاله في المعاملات أنه سبحانه جعل لثبوت الزنا حدّاً وهو الأربعة شهود وجعل عليه دليلاً وهو قوله تعالى فاستشهدوا عليهنّ أربعة منكُم [2] ثمّ جعل على من تعدّى ذلك الحدّ بأن شهد عليها قبل تمام العدد حدّاً وهو الثمانون جلدة إلى غير ذلك.

٢٠٨ ـــ ٤ (الكافي ـــ ١:٥٩) علي، عن محمد، عن يونس، عن ابان، [3] عن سليمان بن هارون قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «ماخلق الله حلالاً ولاحراماً إلّا وله حدٌّ كحدّ الدّار فاكان من الطريق فهو من الطريق وماكان من الدار فهو من الدار حتى أرش الخدش فما سواه والجلدة ونصف الجلدة».

٢٠٩ ـــ ٥ (**الكافي** ـــ ٧:١٧٥) الاثنان، عن الوشاء،عن أبان، عن سليمان بن ـ أخي أبي حسان [4] العجلي قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) الحديث بأدنى تفاوت.

←

فعلى الناس أن يراجعوا الدليل و يأخذوا عنه أو جعل عليه دليلا من الكتاب قوله «وجعل على من تعدى ذلك الحد حدّاً» أي جعل على من ترك ذلك الحد ولم يقل به ولم يأخذه من دليله ولم يراجعه حدّاً من النكال والعقاب . رفيع ـ (رحمه الله) .

١ ـ البقرة/١٨٧

٢ ـ النساء/١٥

٣ ـ قيل أبان هذا هو أبان بن عبدالملك والقائل أعرف بماقال ـ منه ـ (عهد).

٤ ـ أخي أبي حسان ـ كذا في جميع نسخ الوافي التي مررنا عليها وكذلك في «تنقيح المقال ج٢ ص٥٥ وجامع الرواة ج١ ص ٣٧٥» ولكن في الكافي والمرآة و«الهدايا» سليمان بن أخي حسان وعلى أي حال لعله متحد مع سليمان بن هرون العجلي حيث انه لم يذكر في الأصول الخمسة الرجالية سليمان العجلي في أصحاب الصادقين (عليهما السلام) إلّا

←

بيـــان:

«الخدش» تقشير الجلد بعود ونحوه وأرشه مايجبر نقصه من الديّة و«الجلدة» الضربة بالسوط ونصفها أن يؤخذ بنصف السوط فيضرب ولايخفى أنّ هذه الأخبار صريحة في أنه ليس لأحد التصرف في أحكام الله برأيه وأنّ المتناقضات التي أدّت إليها آراء المجتهدين [١] لايجوز العمل بها لالمن اجتهد ولالمن قلّد وأنّ الحلال حلال دائماً والحرام حرام أبداً ولكلّ منها حدّ معين ودليل معين أبداً.

٢١٠ ــ ٦ (**الكافي** ــ ٥: ٣٠٠) علي، عن أبيه، عن العبيدي، عن يونس والعدة، عن (**التهذيب** ــ ٧: ٢٣١ رقم ١٠١٠) البرقي، عن أبيه، عن يونس، عن عبدالله بن سنان أو ابن مسكان، عن أبي الجارود.

(**الكافي**) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن حماد، عن عبدالله بن سنان عن أبي الجارود قال: قال أبوجعفر (عليه السلام) «اذا حدثتكم بشيء فاسألوني (اين هو ـ خ) [٢] من كتاب الله» ثم قال في بعض حديثه «إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى عن القيل والقال [٣] وفساد المال وكثره السؤال» فقيل له يابن رسول الله أين هذا من كتاب الله؟ قال «إن الله تعالى يقول: **لَاخَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَّجْوَيٰهُم إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ**

←
سليمان بن هارون العجلي الكوفي انظر ص ١٧٠ ج ٣ مجمع الرجال «ض. ع».

١ . قوله «وان المتناقضات التي ادّت اليها» متناقضات المجتهدين مثل متناقضات الاخباريين والكلام فيها كالكلام فيها حرفاً بحرف «ش».

٢ . أين هو من كتاب الله ـ خ، ـ كذا في ج، ف، ق، ك، وفي «المدايا» اين هذا من كتاب الله.

٣ . قوله: «نهى عن القيل والقال» المراد بالقيل والقال نقل الحكايات كما يقال قيل كذا وكذا في نقل التواريخ والقصص وأقوال بعضهم لبعض كما هو الشائع اظهاراً للاطلاع عليها أو اطلاعاً لهم عليها أو جعل قلوبهم مشغولين بحكايته مستأنسين بها لاللتعليم أو التذكير في المسائل العلمية ومايتنفع بها أو للاصلاح فان المطلوب التعليم والتذكير لاالحكاية والمراد بفساد المال ترك إصلاحه أو صرفه في غير مصرفه والمراد بكثرة السؤال السؤال عن الأكثر ممّا يحتاج الية رفيع ـ (رحمه الله).

الناس [١] وقال: وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً [٢] وقال: لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ» [٣].

٢١١ - ٧ (الكافي - ١:٦٠) محمد، عن بعض أصحابه، عن الاثنين، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام) «أيها الناس إنّ الله تعالى أرسل إليكم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنزل عليه الكتاب بالحق وأنتم أميون [٤] عن الكتاب ومن أنزله وعن الرسول ومَن أرسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الأمم وانبساط من الجهل، واعتراض من الفتنة وانتقاض من المبرم وعمى عن الحقّ واعتساف من الجور، وامتحاق من الدين، وتلظى من الحروب على حين اصفرار من رياض جنات الدنيا و يُبس-

١. النساء/١١٤.
٢. النساء/٥.
٣. المائدة/١٠١.
٤. قوله: «وأنتم أمّيون...» يقال لمشركي العرب «اميون» لنسبتهم الى ماعليه أمة العرب وجماعتهم من ترك تعلم الكتابة وجهلهم بالكتاب، ثم غلب فيمن لايكتب وقديقال «الأميّ» منسوب إلى الأم أي من هو باق على حالته الجبليّة التي ولد عليها ولم يكتب و«الفترة» السكون وقلة الاجتهاد والزمان الخالي من الرسول بين الرسولين وقوله «طول هجعة من الأمم» أي طول غفلة و«الهجعة» النوم بالليل عبر بها عن الغفلة بالجهالات وقوله «وانتقاض من المبرم» أي المحكم من الشريعة السابقة وقوله «وامتحاق من الدين» أي بطلان وانمحاء.
وقوله: «على حين اصفرار من رياض...» بدل من قوله «على حين فترة».
وقوله: «قد درست اعلام الهدى» تبيين لماسبق ذكره وتعبير عنها موضحاً ترتب بعضها على بعض فدروس أعلام الهدى... ناظرٌ الى خلو الزمان من الرسول والشريعة القويمة وغفلة الأمم وترتب عليه تهجم الدنيا في وجوه أهلها و«التهجم» مبالغة الهجوم، والهجوم الدخول بلاإذن والمراد بتهجمها ملاقاتها لهم لاعلى وفق مأمولهم ومتمناهم.
والمكفهر من الوجوه: القليل اللحم الغليظ الذي لايستحيي
وقوله: «مزقتم ...» التمزيق: الخرق أو التفريق و«الممزق» كـ«معظم» مصدر كالتمزيق «والموؤدة» البنت المدفونة حيّة وقوله «بينهم» متعلق بالدفن أو «الوأد» بتضمين معنى الشيوع.
وقوله: يختار دونهم طيب العيش، أي يختار لغيرهم طيب العيش ورفاهيته. الدعة وسعة الدنيا وفي بعض النسخ «يحتاز» بالحاء المهملة والزاي أي تجمع وتمسك وراءهم طيب العيش.
وقوله «لايرجون من الله ثواباً...» إشارة الى حالهم من عدم معرفتهم بالعقائد الدينيّة «حيّهم أعمى نجس» أي عديم المعرفة ناقص الحظ و«ميّتهم في النار مبلس» من أبلس اذا يئس وقوله «ولن ينطق لكم» إشارة الى أن الاهتداء بالكتاب موقوف على بيان الحجّة من أهل البيت كما بينه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). رفيع - (رحمه الله).

من [١] اغصانها ـ وانتشار من ورقها و يأس من ثمرها واغورار من ماءها قددُرست اعلام الهدى وظهرت أعلام الردى فالدنيا متهجمة في وجوه أهلها مكفهرّة مدبرة غير مقبلة ثمرتها الفتنة وطعامها الجيفة وشعارها الخوف ودثارها السيف مزقتم كلّ ممزق وقدأعمت عيون أهلها وأظلمت عليها أيامها قدقطعوا أرحامهم وسفكوا دمائهم ودفنوا في التراب المؤودة بينهم من أولادهم يجتاز دونهم طيب العيش ورفاهية خفوض الدنيا لايرجون من الله ثواباً ولايخافون والله منه عقاباً حيّهم أعمى نجس وميتهم في النار مبلس فجاءهم بنسخة مافي الصحف الأولى وتصديق الذي بين يديه وتفصيل الحلال من ريب الحرام ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم اخبركم عنه أنّ فيه علم مامضى وعلم مايأتي الى يوم القيامة وحكم مابينكم و بيان ماأصبحتم فيه تختلفون، فلوسألتموني عنه لعلمتكم» .

بيـــان:

«الأمّي» من لايكتب ولايقرأ ضمنه مايعدى بـ«عن» كالنوم والغفلة ونحوهما و«الفترة» الزمان الذي بين الرسولين «والهجعة» النوم كنى بها عن الغفلة و«الفتنة» الضلال عن سبيل الحق والحيرة و«المبرم» المحكم أشار بانتقاضه إلى زوال ماكان الناس عليه قبلهم من نظام أحوالهم بسبب الشرائع السابقة، و«الاعتساف» الظلم و«الامتحاق» المحو و«التلظى» اشتعال النار قوله «على حين اصفرار» الى قوله «أيامها» استعارات وترشيحات و«اغورار الماء» ذهابه في باطن الأرض و«الدرس» المحو و«الرّدى» الهلاك و«التهجم» التهدم، والظرف إمّا متعلق به أو بمابعده.

و«الاكفهرار» العبوس و«الشعار» مايلي شعر الجسد من الثياب و«الدثار» مافوق الشعار منها و«التمزيق» الخرق و«المؤودة» المدفونة في التراب حيّة من البنات كان إذا ولدت لأحدهم في الجاهلية بنت دفنها في التراب حية «يجتاز دونهم» بالجيم

١ . عن أغصانها ـ خ ل.

والزاي من الاجتياز بمعنى المرور والقطع، من جاز المكان وجاوزه، أراد يزول عنهم و«الخفوض» جمع الخفض وهو الدعة والراحة والسكون.

وفي نسخة يختار بالخاء أي يراد وفي أخرى «طلب العيش» بدل «طيب العيش» و«العمى» كناية عن الجهل و«النجاسة» عن الكفر وفي بعض النسخ بالحاء المهملة المكسورة من النحوسة وهي الشقاوة وربّما يجعل بالباء الموحدة والخاء المعجمة المكسورة من البخس بمعنى نقص الحظ و«الإبلاس» الغمّ والإنكسار والحزن والإياس من رحمة الله ومنه إبليس و«الصحف الأولى» الكتب المنزلة من قبل كالتوراة والانجيل والزّبور وصحف إبراهيم وغيرها وهي المراد بالذي بين يديه وكلّ أمر تقدّم أمراً منتظراً قريباً منه يقال إنه جاء بين يديه.

و«ريب الحرام» شبهته يعني فضلاً عن صريحه «فاستنطقوه» أي استعلموا منه الأخبار والأحكام ثم أشار إلى أن ليس كلّ أحد ممّن ينطق له القرآن إذ لايفهم لسانه إلّا أهل الله خاصة، لعدم الأُذُن الباطني والسمع القلبي لغيرهم. ثمّ بين أنّه لسان الله الناطق عن كتبه للخلق المخبر عن أسرار القرآن فقال«أخبركم عنه» وفي نهج البلاغة: ولكن أخبركم عنه، ونبّه على أن في نفسه القدسية، العلوم التي ذكرها وأشار بايراد كلمة «لو» دون «إذا» الى فقدمن يسأله عن غوامض مقاصد القرآن وأسرار علومه كما دلّ عليه بقوله: إنّ هاهنا لعلوماً جمّة لووجدت لها حملة مشيراً إلى صدره (عليه السلام).

٢١٢ ــ ٨ (الكافي ــ ١:٦١) محمد، عن الصهباني، عن ابن فضال، عن حمادبن عثمان، عن عبدالأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «قد ولدني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنا أعلم كتاب الله وفيه بدو الخلق[1] وماهو كائن الى يوم القيامة وفيه خبر السماء وخبر الأرض

١ . «وفيه بدو الخلق» أي ذكر فيه أول الخلق ومنه بدء الله الخلق والمراد كلّ مااتّصف بالوجود فيما مضى من الخلق و«ماهو كائن» أي مايتصف بالوجود في الحال وفي المستقبل الى يوم القيامة وذكر فيه خبر السماء والأرض أي أحوالهما وذكر فيه خبر الجنّة وخبر النار وخبر ماكان وماهو كائن أي ذكر أحوال ماكان وماهو كائن وهذا من التعميم بعد ذكر الخاص فذكر أوّلاً ←

وخبر الجنة وخبر النار وخبر ما كان وماهو كائن أعلم ذلك كما أنظر إلى كفّي ان الله يقول: فيهِ تِبْيانُ كُلِّ شَيءٍ»[1].

بيـــان:

الولادة المشار إليها تشمل الولادة الجسمانية والروحانية فان علمه يرجع إليه كما أن نسبه يرجع اليه فهو وارث علمه كما هو وارث ماله ولهذا قال وأنا أعلم كتاب الله وفيه كذا وكذا يعني وأنا عالم بذلك كلّه.

۲۱۳ - ۹ **(الكـافي ـــ ۱:٦۱)** العدّة، عن ابن عيسى، عن علي بن النعمان، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم[2] وخبر مابعدكم وفصل مابينكم ونحن نعلمه» .

بيـــان:

معناه ظاهر ويحتمل معنى آخر وهو أن يراد بـ«نبأ ماقبلكم» علم المبدأ من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله و بـ«خبر مابعدكم» علم المعاد من العلم باليوم الآخر وأحواله وأهواله والجنة والنار و بـ«فصل مابينكم» علم الشرائع والأحكام بأن تحمل القبلية والبعدية على الذاتيتين أو مايعمهما والزمانيتين وضمير نعلمه يرجع الى الكتاب أو الى الجميع.

۲۱٤ ـــ ۱۰ **(الكافي ـــ ۱:٦۲)** العدّة، عن البرقي، عن اسماعيل بن مهران، عن

←

اشتمال الكتاب على المخلوقات وذكرها فيه ثم ذكر اشتماله على أخبارها وذكر أحوالها مبتدءً بالعمدة الظاهر منها في الدنيويات أعني السماء والأرض وفي الأُخرويات يعني الجنة والنار ثمّ عمّم بقوله خبر ما كان وماهو كائن. رفيع ـ (رحمه الله).

۱ ـ اشارة الى سورة النحل/۸۹ والآية: وَنَزلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء.

۲ ـ قوله: «وفيه نباء ماقبلكم» الخطاب لهذه الأمة وماقبلهم السابق عليهم من الأمم وغيرهم ومابعدهم يكون بعد انقراضهم الى يوم القيامة «وفصل مابينهم» الحكم في القضايا الشرعية. رفيع ـ (رحمه الله).

سيف بن عميرة، عن أبي المغراء، عن سماعة، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال: قلت له أكلّ شيء في كتاب الله وسنة نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ أو يقولون [1] فيه؟ قال «بل كلّ شيء في كتاب الله وسنة نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم)».

بيـــان:

«أو تقولون فيه» بالخطاب أي تحكمون فيه بماترون.

٢١٥ ــ ١١ **(الكافي ــ ١:٥٩)** علي، عن العبيدي، عن يونس، عن حماد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سمعته يقول «مامن شيء إلّا وفيه كتاب أو سنة».

٢١٦ ــ ١٢ **(الفقيه ــ ٣:١١٢)**[2] علي بن عبدالله . الوراق، عن سعد بن عبدالله عن

(التهذيب ــ ٦:٣١٩)[3] إبن عيسى، عن إبن أبي عمير، عن حماد، عن محمد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال في حديث طويل: «إنّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى بينت للأمة جميع ماتحتاج إليه».

١ . قوله: «أو يقولون فيه» أي أو يقول الناس إن كلّ شيء في كتاب الله وليس كلّ شيء فيه. رفيع ـ (رحمه الله).
٢ . رقم ٣٤٣٢.
٣ . رقم ٨٧٩.

-٢٤-

باب اختلاف الحديث والحكم

٢١٧ ــ ١ (الكافي ــ ١:٦٢) علي، عن أبيه، عن حمادبن عيسى، عن اليماني عن ابان‌بن أبي‌عياش، عن سليم‌بن قيس الهلالي قال قلت لأميرالمؤمنين (عليه السلام): إنّي سمعت من سلمان والمقداد وأبي‌ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله غير مافي أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ماسمعت منهم ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنتم تخالفونهم فيها وتزعمون أنّ ذلك كلّه باطل أفترى الناس يكذبون على رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) متعمدين ويفسرون القرآن بآرائهم؟.

قال: فأقبل (عليه السلام) عليّ فقال «قدسألت فافهم الجواب، إنّ في أيدي الناس [1] حقّاً و باطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعامّاً وخاصّاً

١ . قوله: «إن في أيدي الناس ...» شروع في الجواب وقوله «حقاً و باطلاً» أي من حيث الاعتقاد والرأي و«صدقاً وكذباً» أي من حيث الرواية والنقل وقوله «حفظاً ووهماً» أي محفوظاً عند الراوي متيقناً له أنّه سمعه على ماينقله وموهوما له غير متيقّن الانحفاظ فينقله على مايتوهم أنه سمعه عليه سوآء وافق الحق رجماً بالغيب أو لا وقوله «قد كثرت عَليّ الكِذابَة» الكذابة كالكتابة مصدر أي كثر الكذب علي ويحتمل أن يكون على صيغة المبالغة وقوله «فمن كذب عليّ متعمداً» أي لاعن وهم. رفيع ـ (رحمه الله).

ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً وقد كُذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على عهده حتى قام خطيباً فقال: أيّها الناس قد كثرت عليّ الكذّابة فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار، ثم كُذب عليه من بعده وإنّما أتاكم الحديث من أربعة [١] ليس لهم خامس: رجل منافق يُظهر الايمان متصنع بالإسلام لايتأثم ولايتحرّج أن يكذب على رسول الله متعمداً فلوعلم الناس أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوه ولكنّهم قالوا هذا قد صحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورآه وسمع منه ـ فيأخذون عنه [٢] وهم لا يعرفون حاله وقد أخبر الله [٣] عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال تعالى: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ [٤] ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة ـ الضلالة [٥] والدعاة الى النار بالزور والكذب والبهتان فولّوهم الأعمال وحملوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا وإنّما الناس مع الملوك والدنيا إلّا من عصم [٦] الله فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً لم يحمله على وجهه ووهم فيه ولم يتعمد كذباً فهو في يده يقول به و يعمل به و يرو يه فيقول: أنا سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلوعلم المسلمون أنه وهم

١ . قوله: «إنّما أتاكم الحديث من أربعة...» وجه الضبط أن الراوي إما كاذب أو صادق والكاذب إما ظاهر الصلاح متصنع بالإسلام غير متحرج من الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أخبر سبحانه بوجودهم في عصره (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصفهم بما وصفهم ثم بقوا بعده.
وإمّا متحرج عن الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمداً ولكن يتوهم و يغلط حيث لم يحفظ الحديث على وجهه فيكذب عليه من حيث لايدري.
والصادق إما غير عالم بالناسخ والمنسوخ فيحدّث بالمنسوخ ويقول به. أو عالم بالناسخ والمنسوخ حافظ للحديث على وجهه فلايحدّث إلّا بالناسخ أو بالمنسوخ على أنه منسوخ متروك القول والعمل به بعد أن حفظه على وجهه الذي حدث به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأراد به من العموم والخصوص «والوجه» المراد من الكلام الذي له وجهان. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . واخذوا منه، خ.ل.

٣ . اخبره الله، ق،ج.

٤ . المنافقون/٤

٥ . الضلال ـ خ.ل.

٦ . عصمه الله، ج.

لم يقبلوه ولوعلم هو انه وهم لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لايعلم أو سمعه ينهي عن شيء ثمّ أمر به وهو لايعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، فلوعلم أنه منسوخ لرفضه ولوعلم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسوله لم ينسه بل حفظ ماسمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه ـ وعلم الناسخ والمنسوخ وعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فإنّ أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) [١] مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه قد كان يكون من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الكلام له وجهان كلام عام وكلام خاص مثل القرآن وقال الله تعالى في كتابه: مَاآتيكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَانَهيكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [٢] فيشتبه على

١ . قوله «فإن أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل القرآن» بيان لوجود القسم الثاني والثالث بتحقق الناسخ والمنسوخ في الأحاديث النبوية فيقع نقل المنسوخ والقول به لغير العالم بالناسخ وتحقق العام والخاص والكلام له وجهان فيها فيقع الاشتباه فينقل العام على عمومه و يقال به و يتوهم فيحمل ما له الوجهان على غير المراد فيحدث عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بمافهمه.

ولما انتهى كلامه (عليه السلام) إلى أن الأحاديث كالقرآن في الاشتمال على الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والكلام ذي الوجهين عمم البيان بعده بمايشملها و بين أن ماجاز وقوعه في الحديث جاز وقوعه في القرآن وأبان أن المرجع في بيان الكتاب والمبيّن له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله عزّ وجلّ: ماآتاكم الرسول فخذوه ومانهيكم عنه فانتهوا [٢] ثم بين أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أودع بيان مايحتاج إلى البيان من الكتاب عند أهل بيته بقوله: «فمانزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آية من القرآن..» وكلّ مايحتاج إليه الناس محفوظ عندهم.

ولايسع الناس ترك الأخذ عنهم والاستبداد بآرائهم في الأخذ عن الكتاب بل عليهم أن يراجعوا أهل البيت فيما فيه احتمال تخصيص أو إرادة وجه دون وجه أو وقوع نسخ فبعد المراجعة إليهم إذا علم عدم إرادة وجه آخر يحمل على هذا الوجه وإذا علم عدم وقوع نسخ عمل به وعدّ محكماً وامّا صنيع الجماهير من ترك المراجعة اليهم والاستبداد بآرائهم والاعتماد على ظنونهم وقياساتهم ففيه من الاستهانة بأمر الدين مالاينبغي وخصوصاً بعد الاطلاع على قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «ياأيها الناس انّي تركت فيكم من ⁕ إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي» رفيع ـ رحمه الله.

٢ . الحشر/٧.

⁕ . بل ـ ما ان أخذتم، كما في الروايات في البحار في باب وصيته عند وفاته صلى الله عليه وآله وسلم وغيره من الكتب وسيجيء «ض.ع».

من لم يعرف ولم يدر ماعنى الله به ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وليس كل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يسأله عن الشيء فيفهم وكان منهم من يسأله ولايستفهمه حتى ان كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابي والطاري فيسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى يسمعوا وقد كنت أدخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلّ يوم دخلة وكلّ ليلة دخلة فيخليني فيها أدور معه حيث دار.

وقد علم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري فربّما كان في بيتي يأتيني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر ذلك في بيتي وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلا بي وأقام عنّي نسائه فلايبقى عنده غيري وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم يُقم عنّي فاطمة ولاأحداً من بنيّ وكنت إذا سألته أجابني وإذا سكتُّ عنه وفنيت مسائلي ابتدأني فانزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آية من القرآن إلّا أقرأنيها واملاها عليّ فكتبتها بخطّي وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصّها وعامّها ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها فانسيت آية من كتاب الله تعالى ولاعلماً أملاه عليّ وكتبته منذ دعا الله لي بمادعا وماترك شيئاً علّمه الله من حلال ولاحرام ولاأمر ولانهي كان أو يكون ولاكتاب منزل على أحد قبلّه من طاعة أو معصية إلّا علمنيه وحفظته فلم أنس حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي ان يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت يارسول الله بأبي أنت وأمّي منذ دعوت الله لي بمادعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيئاً لم أكتبه أفتتخوف عليّ النسيان فيما بعد؟ فقال: لا، لست أتخوف عليك النسيان والجهل» .

بيـان:

«المحكم» هو [١] الدال على معنى لايحتمل غيره والمتشابه بخلافه و«الوهم» أن لايحفظ الشيء كما هو بل غلط فيه و«التاء» في الكذّابة للمبالغة كما هي في «العلامة» ويحتمل كسر الكاف وتخفيف المعجمة على المصدر ومنه قولهم «المرء ينفعه كِذابُه» وبمعنى المكذوب كالكتاب بمعنى المكتوب والتاء للتأنيث.

وقد ذكر العلماء دليلاً على وقوع الكذب على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا: قدنقل عنه هذا الخبر ومافي معناه فان كان صدقاً فهو المطلوب وإن كان كذباً فقدكذب عليه، روى العتائقي في شرحه لنهج البلاغة أنّ رجلاً سرق رداء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وخرج الى قوم فقال: هذا رداء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أعطانيه لتمكنوني [٢] من تلك المرأة.

فاستنكروا ذلك فبعثوامن سأله عنه، فقام، فشرب ماءً، فلدغته الحيّة فمات ولماسمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك قال لعلي «إنطلق فان وجدته وقد كُفيتَ فاحرقه بالنار» فجاء وأمر [٣] باحراقه فكان ذلك سبب الخبر المذكور و«التصنع» التكلّف والمتصنع بالإسلام المتزين به المتحلي في عيون أهله «لايتأثم» أي لايعتقد الإثم إثماً ولا يعترف به «ولا يتحرج» أي لايضيق صدره وأراد بأئمة الضلالة الثلاثة ومن يحذو حذوهم من بني أمية وأشباههم وقوله «بالزور» متعلق بـ«تقربوا» نقل العتائقي عن المدائني أنه قال في كتاب «الأحداث» ان معاوية «لعنة الله عليه» كتب الى عمّاله أن ادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة ولا تتركوا خبراً يرويه أحد في أبي تراب إلّا وأتوني بمناقض له في الصحابة فرُوِيَت أخبار كثيرة مفتعلة لاحقيقة لها حتى أشادوا [٤] بذكر ذلك على المنابر.

١ . هو الخطاب الدال، ق.
٢ . لتتمكنوني، ق.
٣ . وامره، ك .
٤ . اشاد بها ذكره. يعني رفع بها قدره ومحله ومنزلته حتى كادت لاتخفى على أحد. مجمع البحرين.

وروى ابن أبي الحديد أنّ معاوية (لعنة الله عليه) أعطى صحابيّاً مالاً كثيراً ليضع حديثاً في ذمّ علي (عليه السلام) ويحدث به على المنبر،ففعل و يُروى عن ابن عرفة المعروف بنفطويه إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بمايظنون أنهم يُرْغمون بها أنف بني هاشم «ماأتاكم الرسول فخذوه» أشار بذكر هذه الآية الى وجوب اتباع حديث الرسول ليرتب عليه الاشتباه في الحديث كيلايتوهم أحد جواز رفض الحديث إذا لم يتبين معناه.

وعدم الاستفهام لعله للاحترام والإجلال لغاية عظمته في قلوبهم و«الطاري» الذي يأتي من مكان بعيد «فيخليني فيها» إمّا من الاخلاء أي يجتمع بي في خلوة، أو يتفرغ لي عن كل شغل من قولهم أَخْلِ أمرَكَ وأخل بامركَ أي «تفرغ له وتفرد به» أو من «التخلية» من قولهم خلّيتُ سبيله يفعل مايشاء وأما قوله «اخلاني» فيحتمل الأول وان يكون بالباء الموحدة من «أخليتُ به» اذا انفردت به و«الحكم» بضمّ الحاء وسكون الكاف الحكمة.

وإنّما نبّه على غاية قربه من الرسول ونهاية اختصاصه فيمايتعلّق بالعلم والحفظ والدراية والإحاطة بجميع الكتب الإلٰهية ليرجع الناس في أمور دينهم إليه و يقتبسوا من مشكاة علمه و يستضيئوا بأنواره و يقتدوا بهداه صلوات الله وسلامه عليه وعلى من تقرّب إليه.

٢١٨ ــ ٢ (الكافي ــ ١:٦٤) العدة، عن أحمد، عن عثمان، عن الخزاز، عن محمد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت له مابال أقوام يروون عن فلان وفلان [١] عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لايتهمون بالكذب فيجيء منكم خلافه قال «إنّ الحديث ينسخ كما ينسخ القرآن» [٢].

١ . قال برهان الفضلاء: عن فلان وفلان كناية عن عدد التواتر «لايتهم بالكذب» على مالم يسمّ فاعله أي لوصول حديثهم الى حدّ التواتر «المدايا».

٢ . قوله: «ان الحديث ينسخ كما ينسخ القرآن» لعلّ معناه أن الحديث الذي سمعته من غيرنا نسخ على عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يعرفه الراوي وعرفناه وحدثناكم بالناسخ ولايدلّ على أنه يجوز للأئمة (عليهم السلام) نسخ الحكم ←

٢١٩ ــ ٣ (الكافي ــ ١:٦٥) علي، عن أبيه، عن التيمي، عن عاصم بن حميد عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) مابالي أسألك عن المسألة [١] فتجيبني فيها بالجواب، ثم يجيئك غيري فتجيبه فيها بجواب آخر فقال: «إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان» قال قلت فأخبرني عن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صدقوا على محمد أم كذبوا؟ قال: «بل صدقوا» قال: قلت فمابالهم اختلفوا فقال «أما تعلم أن الرجل كان يأتي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسأله عن المسألة فيجيبه فيهابالجواب،ثم يجيئه [٢] بعد ذلك ماينسخ ذلك الجواب، فنسخت الأحاديث بعضها بعضاً».

بيـان:

يعني الزيادة والنقصان في القول كمّاً وكيفاً على حسب تفاوت أحوال الناس في الفهم والاحتمال، والمراد بنسخ الأحاديث بعضها بعضاً أن حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ربّما يُنسخ ولايعلم الراوي نسخه فيرو يه ظنّاً منه بقاء حكمه من غير كذب فيجيىء غيره بالناسخ فيقع الإختلاف.

٢٢٠ ــ ٤ (الكافي ــ ١:٦٥) علي بن محمد، عن سهل، عن السراد، عن ابن رئاب، عن الحذّاء،عن أبي جعفر (عليه السلام) قال قال لي «يازياد؛ ماتقول لوأفتينا رجلاً ممّن يتولانا بشيء من التقيّة» [٣] قال قلت له: أنت أعلم جعلت فداك قال: «إن أخذ به فهو خير له وأعظم أجراً».

← الثابت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنه يخالف ماسيأتي من أن كلّ حديث يخالف الكتاب والسنة النبوية فهو مردود.(ش).

١. عن مسألة، ق.

٢. من الله بعد ذلك، ف.

٣. قوله: «بشيء من التقية» أي ممّايتقي به من العامة والمراد أنه ماتقول هل يثاب و يوجر عليه و يبرء ذمته من المكلّف به فقال أنت أعلم فقال (عليه السلام) «ان أخذ به فهو خير له وأعظم أجراً» أي من العمل بالمكلّف به على وجهه عند عدم ←

٢٢١ ــ ٥ **(الكافي ــ ١:٦٥)** وفي رواية أخرى «إن أخذ به أُوجر [١] وان تركه والله آثِمَ».

٢٢٢ ــ ٦ **(الكافي ــ ١:٦٥)** القميان، عن الحسن بن علي، عن ثعلبةبن ميمون، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن مسألة فأجابني، ثم جاء رجل [٢] فسأله عنها فأجابه بخلاف ماأجابني ثم جاء آخر فأجابه بخلاف ماأجابني وأجاب صاحبي.

فلما خرج الرجلان قلت يابن رسول الله؛ رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كلّ واحد منهما بغير ماأجبت به صاحبه، فقال «يازرارة إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم ولواجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا ولكان أقلّ لبقائنا ولبقائكم» قال: ثمّ قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) شيعتكم لوحملتموهم على الأسنة اوعلى النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين قال:فأجابني بمثل جواب أبيه.

بيــان:

«لصدقكم الناس» أي جعلوكم متحققين كقوله سبحانه: لَقَدْصَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيا [٣] وقوله عزّ وجلّ: رِجالٌ صَدَقُوا ماعاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ [٤] «علينا» أي على اتباعنا و«الأسنة» جمع سنان «لمضوا» لأجابوا «وهم يخرجون» يعني والحال انّهم يخرجون

التقية، أو عند التقية إن قلنا بصحته حينئذ. رفيع ـ رحمه الله.

١ . قوله: «اوجر» أي على مافعل مافيه التقية أجر العمل بالمأمور به على وجهه وأجر ارتكابه التقية وقوله «ان تركه والله أثم» أي على ترك التقية أوعليه وعلى الاتيان بخلافه، ثمّ بترك الواجب إن قلنا بعدم صحة المأتى به على وجهه. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . آخر فسأله (ف) وكذلك في المرآة والكافي (المطبوع) رجل آخر.

٣ . الفتح/٢٧.

٤ . الأحزاب/٢٣.

مختلفين فما السبب في ذلك.

٢٢٣ ــ ٧ (الكافي ــ ١:٦٥) محمد، عن ابن عيسى، عن محمدبن سنان، عن نصر الخثعمي قال سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «من عرف انا لانقول إلّا حقّاً فليكتف بمايعلم [١] منا فان سمع منا خلاف مايعلم فليعلم انّ ذلك دفاع منا عنه».

بيــان:

«دفاع منّا» أي للفتنة والضرر يعني لايريبكم في أمرنا اختلافنا في الأجوبة فانّها ذلك للمصلحة.

٢٢٤ ــ ٨ (الكافي ــ ١:٦٦) علي، عن أبيه، عن عثمان والسّرّاد جميعاً، عن سماعة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال سألته عن رجل اختلف عليه رجلان من أهل دينه في أمر كلاهما يرو يه، أحدهما يأمر بأخذه والآخر ينهاه عنه كيف يصنع [٢] قال يُرجئه حتى يلقى من يخبره،فهو في سعة حتى يلقاه.

٢٢٥ ــ ٩ (الكافي ــ ١:٦٦) وفي رواية أخرى بأيها أخذت من باب التسليم [٣] وَسَعَكَ.

١ . قوله: «فليكتف بمايعلم ...» أي بما يعلمه صادراً عنّا من الأقوال والأفعال ولايفتش عن مستنده ومأخذه وقوله «فان سمع منّا خلاف مايعلم» أي خلاف ماعلم صدوره عنّا فليعلم ان ذلك أي قولنا بخلاف مايعلمه منّا دفاع منّا عنه، رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . قوله: «كيف يصنع» أي في هذه الصورة وبم يقول و يفتي فيها أو بم يعمل والأخير أظهر حيث لم يبين وجوه الترجيح فيحمل على المقلد لاعلى المفتي وقوله: «يرجئه» أي يؤخر العمل والأخذ بأحدهما أو يؤخر في الترجيح والفتيا وقوله «حتى يلقى من يخبره» أي من أهل القول والفتيا فيعمل حينئذ بفتياه، أو من أهل الرواية فيخبره بمايرجح إحدى الروايتين على الأخرى فيقول و يفتي بالراجح ويحتمل أن يكون المراد بمن يخبره الحجة وذلك في زمان ظهور الحجة وقوله: «فهو في سعة حتى يلقاه» أي في سعة في العمل حتى يلق من يعمل بقوله أو من يروي مايرجح به إحدى الروايتين فيفتي بالراجح، رفيع ـ (رحمه الله).

٣ . قوله «بأيها أخذت من باب التسليم ...» التسليم الرضا والانقياد أي بأيها أخذت رضاً بماورد من الاختلاف وقبولاً له

←

بيـان:

«يرجئه» أي يؤخّره والجمع بين الروايتين بان يخصّ التأخير بمن يمكنه الارجاء و يرجو اللقاء والتخيير بغيره،ثم التخيير انّما يكون فيا يتعلّق بالعمل دون الاعتقاد، فإن قلت كيف اذن (عليه السلام) بالتخيير مع أن حكم الله سبحانه واحد في كلّ قضية؟ قلنا: ان مع الجهل بالحكم يسقط الأخذ به للاضطرار دفعاً لتكليف مالايطاق.

ولهذا جاز العمل بالتقية أيضاً فالحكم في مثله اضطراري قال الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] على أنا لانمنع أن يكون الحكم في بعض المسائل التخيير وكانوا قدأتوا في كلّ خبر باحد فردى المخيّر فيه كما يستفاد من رواية علي بن مهزيار قال قرأت في كتاب لعبد الله بن محمد إلى أبي الحسن (عليه السلام) اختلف أصحابنا في رواياتهم عن أبي عبدالله (عليه السلام) في ركعتي الفجر في السفر فروى بعضهم أن صلّهما في المحمل وروى بعضهم أن لا تصلّهما إلّا على الأرض فاعلمني كيف تصنع أنت لأقتدي بك في ذلك فوقّع (عليه السلام) «موسّع عليك بايّه عملت».

٢٢٦ ـ ١٠ (الكافي ـ ١:٦٧) علي، عن أبيه، عن عثمان، عن الحسين بن المختار، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «أرأيتك لوحدثتك بحديث العام،ثمّ جئتني من قابل فحدثتك بخلافه بأيهما كنت تأخذ»؟ قال: قلت كنت آخذ بالأخير فقال لي «رحمك الله».

←

وانقياداً للمروي عنه من الحجج لامن حيث الظنّ بكون أحدهما حكم الله أو كونه بخصوصه متعيّناً للعمل وسعك وجاز لك، رفيع ـ (رحمه الله).

١ . المائدة/٣.

بيـــان:

وجـه الأخـذ بـالأخير أنّ بعـض الأزمنة يقتضى الحكم بالتقية للخوف الذي فيه و بعضها لايقتضيه لعدمه فالإمام (عليه السلام) في كلّ زمان يحكم بمايراه المصلحة في ذلـك الـزمـان فـليس لأحد أن يأخذ في العام بماحكم به في عام أوّل وهذا معنى قوله (عليه السلام) في الحديث الآتي «إنا والله لاندخلكم إلّا فيما يسعكم» .

٢٢٧ - ١١ **(الكـافي - ١:٦٧)** عنـه، عـن أبيـه، عن ابن مرار، عن يونس، عن داودبـن فـرقـد، عن المعلّى بن خنيس قال قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) إذا جـاء حديث عن أوّلكم وحديث عن آخركم بأيهما نأخذ؟ فقال «خذوا به حتى يبـلـغـكـم عن الحيّ فإن بلغكم عن الحي فخذوا بقوله» قال ثم قال أبوعبدالله (عليه السلام) «إنا والله لاندخلكم إلّا فيما يسعكم» [1].

٢٢٨ ــ ١٢ **(الكافي ــ ١:٦٧)** وفي حديث آخر خذوا بالأحدث.

بيـــان:

قد مرّ معناه.

٢٢٩ ــ ١٣ **(الكافي ــ ١:٦٧)** (التهذيب ــ ٦:٣٠١ رقم ٨٤٥) محـمـد، عـن محمدبن الحسين، عن محمدبن عيسى.

(التهـذيب)[2] ابن محبوب، عن محمدبن عيسى، عن صفوان‌بن يحيى، عن

١ . قوله: «لاندخلكم إلّا فيما يسعكم» أي يجوز لكم القول أو العمل به تقية اوإلزاماً في المأمور به على نحو الاطلاق والعموم بخاص من خواصه لأحد و بخاص آخر لآخر لمصلحة تستدعيه، كاختلافهم في الرواية عن الحجة أو في العمل لئلّايصدقوا في تولاهم بالحجة أو لايظنّ بهم ذلك إلى غير ذلك من الحكم وغيرها، رفيع - (رحمه الله).

٢ . أورد في الكافي صدر هذا الخبر في كتاب «القضاء» أيضاً كما في «التهذيب» وذكر هناك مكان محمدبن الحسين «محمدبن
←

داودبن الحُصَين، عن عمر بن حنظلة [١] قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دَين أو ميراث فتحاكما الى السلطان والى القضاة أيحلّ ذلك؟ قال «من تحاكم إليهم في حق أو باطل فانّما تحاكم الى الطاغوت ومايُحكم له فإنّما يأخذ سحتاً [٢] وان كان حقّاً ثابتاً له لأنه أخذه بحكم الطاغوت وقدأمر الله أن يُكفر به قال الله تعالى: ... يُرِيدُونَ اَنْ يَتَحٰاكَمُوا إلى

←

الحسن» على ماقي طائفة من النسخ وفي «التهذيب» محمدبن الحسن بن شمون * وأورده في «التهذيب» بتمامه أيضاً هناك في زياداته عن ابن محبوب عن محمدبن عيسى الى آخر السند، منه ـ (رحمه الله).

* ميمون خ ل ولكن الصحيح محمدبن الحسن بن شمون كما في ج٥ ص١٨٦-١٨٧ مجمع الرجال عن (كش) و(غض) و(د) و(كر) و(ست) و(جش) وكذلك في أكثر كتب الرجال «ض.ع».

١ . قوله «عمر بن حنظلة» والرواية معروفة بمقبولة «عمر بن حنظلة» وفيها فوائد كثيرة وليس معنى «المقبولة» أنّ أصحابنا حكموا إجماعاً بصحة جميع أجزائها وجزئياتها لأن كثيراً من أصحابنا منعوا من حجّية خبر الواحد وهذا الحديث صريح في الحجية بل المقصود قبول مضمونها في الجملة على ماهومفاد القضية المهملة وهو الإعراض عن قضاة الجور والتحاكمَ إلى فقهاء أهل البيت وهذا حكم إجماعي يدلّ عليه العقل صريحاً.
ولو لم يكن هذا الحديث لقلنا به قطعاً لأنه لايجوز متابعة من يحكم بمالايوافق حكم الله والأمر دائر بين أمور: إمّا ترك التحاكم أصلاً، أو التحاكم إلى العوام، أو إلى الفقهاء العدول والثالث هو المتعيّن وهذا الدليل العقلي أعمّ مورداً من المقبولة لأنه يشمل جميع وظائف الحكام كنصب القيّم و بيع مال المماطل قهراً والتصرّف في أموال الغائب وغير ذلك ممايختل بتركه نظام المعاش ويحتاج إليه الناس حتى في اجراء الحدود.
وأما المقبولة، فخصوصة ببعض وظائف الحكام ثم إن الحاكم قديكون منصوباً يجري حكمه سواء رضي به المحكوم عليه اولا وقديكون بتراضي المتحاكمين فلايجري حكمه مع عدم رضا المحكوم عليه والمقبولة تدلّ على جريان حكمه مع التراضي ولايدلّ على وجوب انفاذ حكمه مطلقاً بخلاف الدليل العقلي المذكور وكذلك لايدلّ المقبولة على جواز التوسّل إلى الأمراء في إحضار المدعى عليه وإنفاذ الأحكام و يدلّ على جوازه العقل فالصحيح انه يستند في حكم الفقيه بالدليل العقلي والاجماع ويجعل الحديث شاهداً ومؤيداً ولذلك لم يختلف الفقهاء في ولاية الفقيه وإن اختلفوا في حجية أخبار الآحاد. «ش».

٢ . قوله: «وما يحكم له فانّما يأخذ سحتاً ...» وقال فقهائنا إذا وجد المدعي عين ماله جاز له أن يأخذه أين ماكان ولو بالتوسل الى حكّام الجور ولايحرم عليه عين ماله أصلاً نعم نفس التوسل بهم فعل محرم فان دعا اليه الضرورة لم يحرم أيضاً وأما إن كان مايدّعيه ديناً كان مايأخذه بحكمهم أعني نفس المال سحتاً وكذلك إذا كان مشتركاً مشاعاً فتعيينه في مال معين بحكمهم يوجب كون المال أيضاً سحتاً. «ش».
قال السيّد النائيني رحمه الله: ذكر الدين والميراث إمّا على سبيل التمثيل والمراد المنازعة مطلقاً أو المراد السؤال عن المنازعة في الدين أو «الميراث» أي النزاع في الوارثية أو في قدر الارث في غير المجمع عليه بين المسلمين أو في ثبوت الارث بحصول ظنّ الحاكم به باقامة الشهود مع عدم علم المدعى ففي جميع هذه الصور لايجوز الأخذ بحكم الجائر و يكون المأخوذ حراماً بخلاف الأعيان ومنافعها مع علم المدعي فانه وان حرم الأخذ بحكم الجائر لكن لايحرم المأخوذ الذي هو حقّه المعلوم له عليه وحرمة المأخوذ في تلك الصور لاينافي صحة المقاصة في الدّين المعلوم ثبوته وحقّيته له والمعنى بحرمة المأخوذ كونه غير جائز التصرّف فيه بعد الأخذ وبحرمة الأخذ عدم جواز إزالة يد المدعى عليه واستقرار اليد عليه. «الهدايا» .

الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ [١] قلت فكيف يصنعان؟ قال «ينظران من كان منكم قدروى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حَكَماً فانّي قدجعلته عليكم حاكماً [٢] فاذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فانّما

١ . النساء/٦٠.

٢ . قوله «فاني قد جعلته عليكم حاكماً» قال في مرآة العقول استدل به على أنه نائب الامام في كلّ أمر الإمام إلّاماأخرجه الدليل ولايخلو من إشكال بل الظاهر انه رخص له في الحكم فيا رفع إليه لأنه يمكنه جبر الناس على الترافع إليه أيضاً نعم يجب على الناس الترافع إليه والرضا بحكمه انتهى.

الظاهر من جعل رجل حاكماً تفويض جميع مناصب القاضي لامناصب الإمام إليه إلّا أن مورده التراضي والتحكيم وكما يحتمل تقييد اطلاق الحكومة بالتراضي كذلك يمكن حمل قيد التراضي على الغالب، إذ لالم يكن الفقهاء في عصر الأئمة متمكنين من اجبار المدعى عليه وانفاذ الحكم قهراً عليه لم يذكر في الحديث إلّامورد التراضي.

ومثل هذا لايدلّ على تقييد المطلق أعني «قدجعلته حاكماً» مثل ماورد أن الاستطاعة هي الزاد والراحلة والتقييد بالراحلة وهي الدابة لايوجب تقييد اطلاق من استطاع إليه سبيلاً فتحصل الاستطاعة بغير الدابة أيضاً فقوله «قدجعلته عليكم حاكماً» مطلق يشمل جميع وظائف القضاة ولايقيد بالمورد المذكور في الرواية نعم هذه دلالة ضعيفة وتتم هنا بالاجماع ودليل العقل. إذ لايستقيم أمر الناس زمان الغيبة إلّابقاض ينفذ حكمه ولومع عدم تراضي المتحاكمين فلابدّ إمّا أن يترك الترافع مطلقاً. و يترك الصغار والمجانين والسفهاء بلاقيم ويهمل أمورهم وإمّا أن يرجع فيها الى العلماء العدول أو الى العوام الفساق فهذا هو دليل ولاية الفقيه ويجعل ماسوى ذلك من الأحاديث به تام الدلالة. «ش».

قوله «قد جعلته عليكم حاكماً» يحتمل وجهين:

الأول: قدصيرته عليكم حاكماً.

والثاني: قدوصفته بكونه حاكماً عليكم وحكمت بذلك وسمّيته بالحاكم يقال جعل فلان زيداً أعلم الناس إذا وصفه بذلك وحكم به ومنه قوله تعالى: وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً * أي وصفوهم بذلك وحكموا بكونهم اناثاً وعلى الأول يكون حكومة المجتهد بنصبه (عليه السلام) لها فلا تثبت حكومته بدون النصب مالم يدل دليل آخر، وعلى الثاني يكون المجتهد متصفاً بالحكومة و يكون قوله (عليه السلام) مبيناً لاتصافه بها.

والثاني أولى لوجوه: منها انهم (عليهم السلام) لم يكونوا في تلك الأعصار ينصبون الحكام ومنها أنهم لونصبوا لأعلموا الناس بنصب الفقيه للحكومة ابتداء ولكان هذا من المعلوم عند الإمامية ولوكان لنقل وإذا لم ينقل علم أنه لم يكن ومنها أنه لم يعهد نصب غيرالمعين ومنها ان الضرورة ماسة بحكومة الفقيه أما عند الغيبة فظاهر وأما مع ظهور الحجّة فلعدم امكان رجوع الكلّ في كلّ الأحكام الى الحجة لابوسط وحكومته بمعنى كونه جائز الحكم بعلما تحاكما إليه نافذ الحكم حينئذ وظهور الحجة وغيبته سواء في ذلك.

وتكون حكومة أخرى لشخص بخصوصه بنصب الحجة عند ظهوره وتمكنه ولوحمل على الأول فاما ان يحمل على نصبه (عليه السلام) للفقيه في عصره وفي الأعصار بعده أو على نصبه في عصره وعلى الأول فيكون الفقيه منصوباً مالم ينعزل بعزله أو بعزل من يقوم مقامه وعلى الثاني ينقضي أيام نصبه بانقضاء أيامه (عليه السلام) حيث يكون الحكم لغيره بعده.

ويحتمل الحكم بنصب بعده مالم ينعزل لاتحاد طريقتهم (عليهم السلام) واستحسان اللاحق بأحسنه السابق وكون المتأخر خليفة المتقدم فالم يظهر منه خلاف ماجاء من المتقدم حكم بابقائه له. رفيع ـ (رحمه الله).

وقوله: «فاذا حكم بحكمنا» أي اذا قضى عليه بالحكم الشرعي الذي وصل إليه منا «فلم يقبله» أي المحكوم عليه فإنّما ←

* الزخرف/١٩

استخف بحكم الله وعلينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ على الله وهو على حدّ الشرك بالله» قلت: فإن كان كل رجل اختار رجلاً من أصحابنا فرضيا أن يكونا الناظرين في حقّهما واختلفا فيما حكما [1] وكلاهما اختلفا في حديثكم قال «الحكم ماحكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما ولايلتفت إلى مايحكم به الآخر» قال قلت: فانهما عدلان مرضيان [2] عند أصحابنا لايفضل واحد منهما على الآخر قال فقال «يُنظر الى ماكان من روايتهم عنا في

استخف بحكم الله حيث لم يرض به وقدجاء من طريقه الذي أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يؤخذ منه وعلينا ردّ حيث ردّ قضاء من وصفناه بالحكومة وحكمنا بحكومته وقضائه والرادّ علينا الرادّ على الله وهو على حدّ الشرك بالله أي على مرتبة من الضلالة لامرتبة فيها أشد منها والمرتبة المتجاوزة منها مرتبة الشرك بالله لأنه برده على الله يخرج من الايمان. رفيع ـ (رحمه الله).

١ ـ قوله: «واختلفا فيما حكما...» أي اختلافهما في الحكم استند الى اختلافهما في الحديث وقوله «وأصدقهما في الحديث» أي من يكون حديثه أصحّ من حديث الآخر بأن ينقله عن أعدل أو أكثر من العدول والثقاة وظاهر هذه العبارة الحكم بترجيح حكم الراجح في هذه الصفات الأربع جميعها ويحتمل الترجيح بحسب الرجحان في واحدة من الأربع أيها كانت وعلى الأول يكون حكم الرجحان بحسب بعضها دون بعض مسكوتاً عنه وعلى الثاني يكون حكم تعارض الرجحان في بعض منها للرجحان في بعض آخر مسكوتاً عنه والاستدلال بالأولوية والرجحان بالترتيب الذكرى ضعيف والمراد أن الحكم الذي يجب قبوله من الحكمين المذكورين حكم الموصوف بماذكر من الصفات الأربع و يفهم منه وجوب اختياره لأن يتحاكم اليه ابتداء وأن ترجيح الأفضل لازم في الصور المسكوت عنها ومن هنا ابتدء في الوجوه المعتبرة للترجيح في القول والفتيا، رفيع ـ (رحمه الله).

٢ ـ قوله: «فانهما عدلان مرضيان» أي فان الراو ين لحديثكم العارفين بأحكامكم عدلان مرضيان لايفضل أحدهما على صاحبه... فأجاب (عليه السلام) وبيّن له وجهاً آخر في الترجيح بقوله (عليه السلام) «ينظر إلى ماكان من روايتهم عنّا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه بين أصحابك» أي المشهور روايته بين أصحابك فيؤخذ بأشهرهما رواية و يترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك فان المجمع عليه أي المشهور في الرواية لاريب فيه وفي قوله «لاريب فيه» إشارة الى أن المناط غلبة الظنّ بصحة الرواية واستناد الحكم بالرواية الصحيحة.

وقوله: «انّما الأمور ثلاثة: أمر بين...» المراد بـ«البيّن رشده» الظاهر حقيته لغلبة الظنّ أو العلم بصحة الرواية المتضمنة له، أو دلالة الكتاب عليه و بـ«البيّن غيّه» الظاهر بطلانه لغلبة الظنّ أو العلم بصحة الرواية المتضمنة لخلافه والأمر المشكل مالايغلب الظنّ بحقيته و بطلانه فضلاً عن العلم من أدلته من الكتاب والسنة لعدم وضوح دلالة الكتاب وصحة الحديث أو دلالته فهذا لايحكم فيه ولايفتي بل يردّ علمه الى الله تعالى وإلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)» استشهاد لماذكره وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «فمن ترك الشبهات» أعمّ مأخذاً مماذكره (عليه السلام) بقوله «يرد علمه الى الله تعالى...» لشمول العمل واختصاص ذلك بالحكم والفتيا «فمن ترك الشبهات...» أي فتياً وحكماً وعملاً «نجا من المحرمات» فان الفتيا بالمشتبه حرام وكذا الحكم به وكذا العمل به على أنه مطلوب ومن أخذ بالشبهات أي فتياً وحكماً وعملاً ارتكب المحرمات وهلك من حيث لايعلم، لأنه حينئذ متعبد لهواه والشيطان وهو على حدّ الشرك بالله وفي قوله: (صلى الله عليه وآله وسلم) «فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات» دلالة على فضل ترك ماهو مشتبه الحرمة. رفيع ـ (رحمه الله).

ذلك الذي حكما به المجمع عليه من أصحابك فيؤخذ به من حكمنا ويُترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك فان المجمع عليه لاريب فيه وإنّما الأمور ثلاثة: أمر بيّن رشده فيُتّبع وأمر بين غيّه فيُجْتنب وأمر مشكل يردّ علمه الى الله وإلى رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حلال بيّن وحرام بيّن وشبهات بين ذلك ،فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لايعلم» قلت: فان كان الخبران عنكما مشهورين [١] قدرواهما الثقات عنكم، قال «يُنظر فماوافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة فيؤخذ به و يترك ماخالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة» قلت: جعلت فداك أرأيت إن كان الفقيهان [٢] عرفا حكمه من الكتاب والسنة ووجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامة والآخر مخالفاً لهم بأي الخبرين يؤخذ؟ قال «ماخالف العامة ففيه الرشاد» فقلت: جعلت فداك فان وافقها [٣]

١ . قوله «فان كان الخبران عنكما ...» الخطاب للصادق وأبيه (عليهما السلام) وتخصيصهما بالذكر والخطاب لاشتهار الروايات عنهما وشيوع الأخذ من أهل البيت في زمانهما دون السابقين لشدّة التقيّة حينئذ وتعلّق الأغراض بالأخذ عن غيرهم وتركهم وإذا كان الخبران مشهورين غلب الظنّ بصحتهما فلايخلو من موافقة الكتاب والسنة أو موافقة العامة للتقية فيكون أحدهما موافقاً للكتاب والسنة والآخر موافقاً للعامة وآرائهم فيؤخذ بالموافق لهما المخالف للعامة والمراد بموافقة الكتاب والسنّة الكون من محاملهما، رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . قوله: «أرأيت إن كان الفقيهان ...» أي وجد كلّ منهما ماحكم به موافقاً للكتاب والسنة وكان أحد الخبرين موافقاً للعامة والآخر مخالفاً لهم فالترجيح للخبر المخالف للعامة فانه جمع بحمل الموافق على التقيّة قوله: «فإن وافقها الخبران جميعاً» أي وافق كلّ خبر بعضاً من العامة وقوله: «ينظر إلى ماهم إليه أميل...» أي ينظر الى ماحكّامهم وقضاتهم إليه أميل و«حكامهم» بدل من الضمير المنفصل في قوله «ماهم» و يترك الموافق لهم ومختارهم وقوله «فان وافق حكّامهم الخبرين» أي كان ميل الحكام الى مافي الخبرين من الحكم سواء وقوله «فارجه» أي أخّر الفتيا والحكم بما في احدهما ولاتفت ولاتحكم بأحدهما حتى تلق إمامك فإن الوقوف عند الشبهات وترك الحكم والفتيا فيها بترجيح أحد الطرفين مع الاشتباه خير من الاقتحام والدخول في الهلكات بالترجيح والفتوى والحكم من غير مرجح و«الهلكات» جمع «هلكة» محركة بمعنى الهلاك والمراد الدخول في الضلال ومايوجب العقاب والنكال. رفيع ـ (رحمه الله).

٣ . والضمير راجع الى العامة ولكن اختلفوا في ضبط هذه اللفظة في الوسائل وجامع الأحاديث والكافي المطبوع (والمخطوط فيما رأينا) ومرآة العقول (الطبع الجديد) والفقيه والتهذيب ـ وافقهما وقدتكلّف بعض الشرّاح وقال في توجيهها «ضمير التثنية» في قوله ـ وافقهما ـ راجع الى الكتاب والعامة، وقيل الى الفريقين من العامة، والظاهر أن الصحيح مافي المتن (وافقها» ولانحتاج الى التكلّف في شرحها و يشهد عليه مافي البحارج١٠٤ ص٢٦٢ عن الاحتجاج قال فان ـ وافقهم الخبران جميعاً ـ واما في «الهدايا» قال فان وافقها الخبران جميعاً أي العامة ثم قال: وفي بعض النسخ (وافقهما) أي طائفتين من العامة ـ «ض.ع».

الخبران جيعاً قال «يُنظر الى ماهم إليه أميل حكامُهم وقضاتهم فيترك و يؤخذ بالآخر» قلت: فان وافق حكامهم الخبرين جيعاً قال: «إذا كان ذلك فأرجه حتى تلقى إمامك فان الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات».

٢٣٠ ــ ١٤ (الفقيه ــ ٨:٣)[1] داودبن الحصين، عن عمر بن حنظلة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال قلت: في رجلين اختار كل واحد منهما رجلا الحديث.

بيــان:

«دَين» بفتح الدال و«الطاغوت» الشيطان مبالغة من الطغيان والمراد به هنا من يحكم بغير الحق لفرط طغيانه أو لتشبيه بالشيطان أو لأنّ التحاكم إليه تحاكم الى الشيطان من حيث أنه الحامل له على الحكم كما نبّه عليه تتمة الآية وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ اَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً [2] وعن أميرالمؤمنين (عليه السلام) «كلّ حَكَمٍ حَكَمَ بغير قولنا أهل البيت فهو طاغوت» ثم قرأ هذه الآية و«السحت» الحرام و«الكفر بالطاغوت» ان يعتقد أنه ليس أهلاً للتحاكم،فمن اعتقد ذلك ثم أراد التحاكم إليه فهو خائن.

فان لم يرد لكن اضطر اليه كما إذا لم يوجد هناك عدل، أو كان خصمه لايرضى بالتحاكم إلى العدل فحينئذ يحتمل حلّ ماأخذ إذا كان حقّاً له ثابتاً لأنه كافر به وقداضطر الى التحاكم إليه من غير ارادة منه ولعل ذلك هو السرّ في قوله سبحانه.

«يريدون أن يتحاكموا» دون يتحاكمون، ثم ظاهر هذا الخبر عدم الفرق في حرمة ماأخذ بحكم الطاغوت بين مالوتحاكما فيه إلى العدل ولم يحكم له بذلك و بين ماحكم له بذلك لأن الأخذ في كليهما بحكم الطاغوت وأما في صورة الاضطرار فالظاهر الفرق.

هذا كله إذا كان الحاكم هو الطاغوت فأما إذا كان الحاكم هو العدل وانّما أخذ حقه منه بقوة سلطان الطاغوت لتوقف أخذ حقّه على الاستعانة به فليس ممّانحن فيه

١ . رقم٣٢٢٣.
٢ . النساء/٦٠.

في شيء بل ذلك حديث آخر والظاهر أنه لم يحرم الحق بذلك.

ثم ظاهر هذا الخبر ومافي معناه ممّا يأتي في أبواب القضاء من كتاب الحسبة وروده في سلاطين المخالفين وقضاتهم وفي حكمهم فساق قضاة الشيعة وحكامهم الذين يأخذون الرشا على الأحكام وتوابعها ويحكمون بغير حكم أهل البيت (عليهم السلام) لدخولهم في الطاغوت سوآء كانوا عارفين بأحكام أهل البيت (عليهم السلام) أم لا، أمّا إذا لم يحكموا بين الخصمين وإنّما حملوهما على الصلح وأخذ البعض والابراء عن الباقي فذلك حديث آخر.

«من كان منكم» أي من الشيعة الامامية و«عرف أحكامنا» أي من أحاديثنا المحكمات لامن اجتهاده في المتشابهات واستنباطه الرأي منها بالظنون والخيالات باستعانة الأصول المخترعات.

«المجمع عليه» أي المتفق على نقله المشهور بينهم وليس المراد به الاجماع المصطلح عليه بين أصحابنا اليوم كيف والكلام في الحديث وروايته، لاالقول والافتاء به ولهذا قال و يترك الشاذ الذي ليس بمشهور فالمراد بـ«المجمع عليه بين أصحابك في هذا الحديث» هو بعينه ماعبّر عنه بالمشتهر بين أصحابك في رواية زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته فقلت جعلت فداك يأتي عنكم الخبران أو الحديثان المتعارضان فبأيهما آخذ فقال (عليه السلام) «يازرارة؛ خذبما اشتهر بين أصحابك ودع الشاذ النادر».

فقلت ياسيدي أنهما معاً مشهوران مرويان مأثوران عنكم فقال «خذ بمايقول أعدلهما عندك وأوثقهما في نفسك» فقلت: إنهما معاً عدلان مرضيان موثقان فقال «انظر الى ماوافق منهما مذهب العامة فاتركه وخذ بماخالفهم فان الحق فيما خالفهم» قلت: ربما كانا معاً موافقين لها أو مخالفين فكيف أصنع؟ فقال «اذن فخذ فيه الحائطة لدينك واترك ماخالف الاحتياط» فقلت إنّهما معاً موافقان للاحتياط أو مخالفان له فكيف أصنع؟ فقال «إذن فتخير أحدهما فتأخذ به وتدع الآخر» وهذه الرواية رواها محمد بن علي بن ابراهيم بن أبي جهور اللحسائي [1] في كتاب عوالي اللآلي [2] عن العلامة

١ ، ٢ . اختلفوا في بلد هذا الرجل كما اختلفوا في اسم كتابه ففي النسخ التي بأيدينا من الوافي قال «اللحسائي» وقال المامقاني ←

الحلّي مرفوعاً الى زرارة والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

وقد أوردنا شطراً منها في كتابنا المسمى «بسفينة النجاة» وفي كتابنا الموسوم بـ«الأصول الأصيلة» وفي بعضها «ومالم تجدوه في شيء من هذه الوجوه فردّوا إلينا علمه فنحن أولى بذلك ولا تقولوا فيه بآرائكم وعليكم بالكفّ والتثبت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتى يأتيكم البيان من عندنا» ولايخفى أنّ ردّ علمه إليهم (عليهم السلام) لاينافي التخيير في العمل من باب التسليم فلايجوز الفتوى بأنه حكم الله في الواقع وإن جاز الفتوى ـ بجواز [١] العمل به وجاز العمل به والمراد بالشهرة في الخبرين شهرة الحديث الكائنة بين قدماء أصحابنا الأخباريين الذين لايتعدون النصّ في شيء من الأحكام دون شهرة القول الحادثة بين المتأخرين من أهل الرأي والتخمين فإنها لااعتماد عليها أصلاً كما حقّقه الشهيد الثاني في شرح درايته.

قوله «الخبران عنكما» أي عن الاثنين منكم وفي نسخة عنهما وهو أوضح فان قيل يستفاد من الأخبار السابقة وجوب الأخذ بماورد عنهم (عليهم السلام) على التقية و يظهر من هذين الخبرين واشباههما وجوب ترك ماوافق القوم فكيف التوفيق؟ قلنا إنّ ذلك إنّما هو في العمل وهذا في العلم والاعتقاد بأنه حقّ وان كان قديجب العمل بخلافه كما إذا كان محل الخوف وبهذا يظهر وجه أمرهم (عليهم السلام) بالأخذ بالأحدث والأخير أي العمل به حقّاً كان أو تقيّة كما أشرنا إليه سابقاً قال الشيخ أحمدبن أبي‌طالب الطبرسي (رحمه الله) في كتاب «الاحتجاج» بعد نقل هذا الحديث جاء هذا الخبر على سبيل التقدير لأنّه قلّما يتّفق في الآثار أن يرد خبران مختلفان في حكم من الأحكام موافقين للكتاب والسنة.

←

(رحمه الله) في «تنقيح المقال» محمدبن علي‌بن ابراهيم‌بن أبي جمهور «الحسائي» ترجمه المجلسي فيما حكى من خطه (قده) بقوله من الأفاضل المشهورين ولد في «الحساء» وتلمذ على فضلاء بلده... الى آخره.

وقال شيخنا الورع التقي النقي البارع الزاهد في «الذريعة» (ج١٥ ص٣٥٨ (عوالي اللئالي العزيزيّة) للشيخ محمدبن علي‌بن ابراهيم‌بن أبي جمهور «الاحسائي»... ثم بسط الكلام فيه.

وقال في (ج ١٦ ص٧١) من الذريعة:

(غوالي اللئالي العزيزية)... للشيخ محمدبن علي‌بن ابراهيم‌بن أبي جمهور الشيباني الاحسائي... الى آخر كلامه «ض.ع».

١ . لجواز العمل، ق.

وذلك مثل الحكم في غسل الوجه واليدين في الوضوء فان الأخبار جاءت بغسلها مرة مرة و بغسلها مرتين مرتين [1] وظاهر القرآن لايقتضى خلاف ذلك بل يحتمل كلتي الروايتين ومثل ذلك يوجد في أحكام الشرع وأما قوله (عليه السلام) للسائل «أرجه وقف حتى تلق إمامك» أمره بذلك عند تمكنه من الوصول الى الإمام.

فأما إذا كان غائباً ولايتمكن من الوصول اليه والأصحاب كلّهم مجمعون على الخبرين ولم يكن هناك رجحان لرواة أحدهما على رواة الآخر بالكثرة والعدالة كان الحكم بها من باب التخيير يدلّ على ماقلناه ماروى عن الحسن بن الجهم عن الرضا (عليه السلام) قال قلت له يجيئنا الأحاديث عنكم مختلفة قال «ماجاءك عنا فاعرضه على كتاب الله عزّ وجلّ وأحاديثنا فان كان يشبهها فهو منا وإن لم يكن يشبهها فليس منا».

قلت يجيئنا الرجلان وكلاهما ثقة بحديثين مختلفين فلانعلم أيهما الحق فقال «إذا لم تعلم فوسع عليك بأيها أخذت» وماروواه الحارث بن المغيرة عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «اذا سمعت من أصحابك الحديث وكلّهم ثقة فوسّع عليك حتى ترى القائم (عليه السلام) فترد إليه» انتهى كلامه.

وقال ثقة الإسلام أبوجعفر محمدبن يعقوب الكليني (رحمه الله) في أوائل «الكافي»: ياأخي أرشدك الله إنه لايسع أحداً تميز شيء ممّااختلف الرواية فيه عن العلماء (عليهم السلام) برأيه إلّا على ماأطلقه العالم بقوله «اعرضوها على كتاب الله فماوافق كتاب الله عزّ وجلّ فخذوه وماخالف كتاب الله فردّوه» وقوله (عليه السلام) «دعوا ماوافق القوم فان الرشد في خلافهم».

وقوله (عليه السلام) «خذوا بالمجمع عليه فان المجمع عليه لاريب فيه» ونحن لانعرف من جميع ذلك إلّا أقله ولانجد شيئاً أحوط ولاأوسع من ردّ علم ذلك كلّه الى العالم (عليه السلام) وقبول ماوسع من الأمر فيه بقوله (عليه السلام) «بايما أخذتم من باب التسليم وسعكم» انتهى كلامه قوله طاب ثراه ونحن لانعرف من جميع ذلك

۱ . ق، مرتين (من غير تكرار).

إلّا أقله يعني به إنّا لا نعرف من الضوابط الثلاث إلّا حكم أقل ما اختلف فيه الرواية دون الأكثر لأن أكثره لا يعرف من موافقة الكتاب ولا من مخالفة العامة ولا من كونه المجمع عليه لعدم موافقته لشيء منها ولا مخالفته إيّاهما ولا شهرته بين القدماء أو لعدم العلم بشيء من ذلك فيه فلا نجد شيئاً أقرب الى الاحتياط من ردّ علمه الى العالم أي الإمام (عليه السلام) ولا أوسع من التخيير في العمل من باب التسليم دون الهوى أي لا يجوز لنا الافتاء والحكم بأحد الطرفين بتّة وإن كان يجوز لنا العمل به من باب التسليم بالإذن عنهم (عليهم السلام) قيل وإنّما لم يذكر الترجيح باعتبار الأفقهية والأعدلية وباعتبار كثرة العدد لأنه (رحمه الله) أخذ أحاديث كتابه من الأصول المقطوع بها المجمع عليها.

-٢٥-

باب الأخذ بالسنّة وشواهد الكتاب

٢٣١ ــ ١ (الكافي ــ ١:٦٩) الأربعة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن على كلّ حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً فماوافق كتاب الله فخذوه وماخالف كتاب الله فدعوه».[1]

بيـــان:

«حقيقة» أي أصلاً ثابتاً ومستنداً متيناً يمكن أن يفهم منه حقيّته «نوراً» أي برهاناً واضحاً يتبين به و يظهر منه أنه صواب والقرآن أصل كل حديث حق و برهان كلّ قول صواب ومستند كل أمر وعلم لمن يمكنه أن يستفهم عنه بقدر فهمه وعلمه.

٢٣٢ ــ ٢ (الكافي ــ ١:٦٩) محمد، عن عبدالله بن محمد، عن علي بن الحكم عن أبان، عن ابن أبي يعفور قال وحدثني الحسين بن أبي العلاء[2] انه حضر ابن

١ . ... والعلم بجميع محكمات الكتاب خاص بالمعصوم لتوقّفه على العلم بجميع الناسخ والمنسوخ فلايحصل للفقيه بالمعالجات المعهودة عنهم عليهم السلام لعلة التشابه إلّا الظنّ وهذا الظنّ لاينافي القطع بصحة الحكم والافتاء والعمل في زمن الغيبة لولم يلزم حرج من التوقّف الواجب مع امكانه،نعم هذا الظنّ ينافي القطع بأنه حكم الله في الواقع «الهدايا».

٢ . قوله «وحدثني حسين بن أبي العلا إنه حضر ...» هذا الكلام يحتمل وجوهاً:

←

أبي يـعـفـور في هـذا المجـلس قال سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن اختلاف الحـديث يرو يه من نثق به [١] ومنهم من لانثق به قال: «إذا ورد عليكم حديث فـوجـدتم لـه شـاهـداً مـن كـتـاب الله أو من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلّا فالذي جاءكم به أولى به».

أولها: قال علي بن الحكم حدثني حسين بن أبي العلا أنه أي «الحسين» حضر ابن أبي يعفور في المجلس الذي سمع منه أبان.
وثـانيـها: قـال أبـان حدثني حسين بن أبي العلاء أنه أي «الحسين» حضر ابن أبي يعفور في مجلس سؤاله عن أبي عبدالله (عليه السلام).
وثـالـثـها: قال أبان وحدثني حسين بن أبي العلاء ان إبن أبي يعفور حضر مجلس السؤال عن أبي عبدالله (عليه السلام) وكان السائل غيره وهذا بعيد والأمر فيه سهل. رفيع ـ (رحمه الله).

١ ـ قوله: «يرو يه من نثق به ...» هذا الكلام يحتمل وجهين:
أحدهما: السؤال عن الاختلاف الواقع في الحديث برواية الموثقين للحديثين فيشكل الأمر للثقة بالرواة وحصول الظنّ بثبوتها و يـكـون قـولـه ومنهم من لانثق به اشارة الى أنّ من الأحاديث المختلفة مايرو يه من لانثق به منهم أي من المحدثين ولايشكل حينئذ لعدم الوثوق بالرواية.
وثـانيها: الـسؤال عـن اختلاف الحديث برواية من نثق به أي أصحابنا الإمامية المعدلين و برواية من لانثق به منهم أي من العامة الذين هم عندنا غير موثوق بهم و يكون السؤال عن اختلاف الحديث مطلقاً سواء كان في أحاديثنا أو أحاديث العامة وقـولـه (عـلـيـه السلام) في الجواب «اذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله (صلى الله عـلـيـه وآلـه وسـلـم)» أي فـاقـبـلـوه والجزاء محـذوف «وإلّا» أي وإن لم تجـدوا لـه شـاهـداً من الكتاب أو السنة الثابتة منه «فلا تقبلوا» من الذي جائكم به وردوه عليه فإنه أولى بروايته وان يكون عنده لايتجاوزه. رفيع ـ (رحمه الله).
كـأن الـراوي ذكـر من لايـثـق بـه اسـتـطراداً وتهيئة واشكاله في اختلاف من يثق به نظير أن يقول أحدنا جائني جماعة من الـفـقـراء والأغـنـيـاء يسألون لقمة من الطعام والاستعجاب من سؤال الأغنياء فقط وهذا هو الاحتمال الأول، والثاني بعيد وقال المجلسي رحمه الله ظاهره جواز العمل بخبر من لايوثق به إذا كان له شاهد من الكتاب.
أقـول: وهـذا ممّالاريب فيه بل يدلّ الحديث على عدم حجيّة الخبر الواحد مطلقاً ولوكان راو يه ثقة والعبرة بالكتاب الإلهي والـسـنة الثابتة أي المتواترة أو المقترنة بالقرائن التي توجب اليقين وليس المراد عرض الحديث على السنة المنقولة بالخبر الواحد فانها مثله في الوضوح والخفاء واحتمال الخطأ والصواب.
ووصـف المجـلسي (رحمه الله) هذا الحديث بالجهالة وكأنه باعتبار عبدالله بن محمد فانه مشترك بين جماعة كثيرة والذي يظهر لي بملاحظة الطبقة أنه «عبدالله بن محمد بن عيسى» الملقب «بنان» إذ يروى عنه محمد بن يحيى كثيراً والله العالم. واعلم ان الـعـامـلين بـخبر الواحد بين من يقول إنّا عالمون بصحّتها وهم الأخباريّون، ومن يقول النهي مخصوص باخبار أهل السنة دون الشيعة وهو الشيخ (رحمه الله) في بعض كتبه، ومن يقول النهي مخصوص بزمان حضور الأئمة (عليهم السلام) لأن زمان الغيبة لايـكـفي القرآن والسنة المتواترة بجميع الأحكام وكثير من قدمائنا كـ«ابن قبه» و«السيد المرتضى» وغيـرهـم تركوا العمل بخبر الـواحـد وقالوا يكفينا الكتاب والسنة القطعية والاجماع وقال «إبن قبه» كان الإمامية يعملون بخبر الواحد حتى نهاهم الأئمة (عليهم السلام) فتركوه وهذا الحديث وأمثاله معمول به عندهم. «ش».

بيـــان:

«أولى به» أي ردّوه عليه ولا تقبلوه منه.

٢٣٣ ــ ٣ (**الكافي** ــ ١:٦٩) العدة، عن البرقي، عن أبيه، عن النضر، عن يحيى الحلبي، عن أيوب بن الحرّ قال سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسنة وكلّ حديث لايوافق كتاب الله تعالى فهو زخرف».

بيـــان:

«الزخرف» المموّه المزوّر والكذب المحسّن.

٢٣٤ ــ ٤ (**الكافي** ــ ١:٦٩) محمد، عن ابن عيسى، عن ابن فضال، عن علي بن عقبة، عن أيوب بن راشد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «مالم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف».

٢٣٥ ــ ٥ (**الكافي** ــ ١:٦٩) النيسابوريان، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم وغيره، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بـ«منى» فقال أيها الناس ماجاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته وماجاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله».

٢٣٦ ــ ٦ (**الكافي** ــ ١:٧٠) بهذا الاسناد، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه قال سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «من خالف [1] كتاب الله وسنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كفر».

١ . قوله: «من خالف كتاب الله وسنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أي خالف في الفتيا وأفتى بخلاف ماأنزل في الحكم ←

بيــان:

لعلّه (عليه السلام) أراد بالمخالفة مايرجع منها الى الاعتقاد بأن يعتقد الحلّ فيا حرّمه أو الحرمة فيا أحلّه ونحو ذلك أو يفتي بذلك دون العمل فانه فسق وليس بكفر.

٢٣٧ ــ ٧ (**الكافي** ــ ١:٧٠) علي، عن العبيدي، عن يونس رفعه قال قال علي بن الحسين (عليهما السلام) «إنّ أفضل الأعمال عند الله [1] ماعمل بالسنة وان قلّ».

بيــان:

الوجه فيه أنّ الأعمال الجسمانية لاقدر لها عند الله إلّا بالنيات القلبية كما ورد في الحديث المشهور «إنّما الأعمال بالنيات» ومن يعمل بالسنة فإنّما يعمل بها طاعة لله وانقياداً للرسول فيكون عمله مشتملاً على نيّة التقرّب وهيئة التسليم والخضوع الناشئين من القلب فلامحالة ثوابه كثير وأجره عظيم وإن قلّ عدده أو صغر مقداره وإليه أشير بقوله سبحانه: لَنْ يَنالَ اللّهَ لُحُومُها وَلادِماؤُها وَلٰكِنْ يَنالُهُ التَّقْوىٰ مِنْكُمْ [2].

٢٣٨ ــ ٨ (**الكافي** ــ ١:٧٠) العدّة، عن البرقي، عن أبيه، عن أبي اسماعيل إبراهيم بن إسحاق الأزدي، عن أبي عثمان العبدي، عن جعفر، عن آبائه، عن أميرالمؤمنين (عليهم السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

←

من الكتاب، أو ماأتى به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عالماً عامداً معتقداً لفتياه فقد كفر بالله و برسوله لأن الاعتقاد بالله وبرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لايجامع الاعتقاد بخلاف ماأنزل في الكتاب وأتى به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عالماً بالمخالفة. رفيع ـ (رحمه الله).

١ ـ قوله: «ان أفضل الأعمال عند الله ماعمل بالسنة...» أي العمل بماجاء في السنة النبوية عالماً بانه عمل بماجاء فيها لمجيئه فيها وتكون «ما» مصدرية أو ماعمل بالسنة و يكون المراد بالأعمال هي التي عملت. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ ـ الحج/٣٧.

«لاقول إلّا بعمل ولاقول ولاعمل إلّا بنية ولاقول ولاعمل ولانية إلّا باصابة السنة». [١]

٢٣٩ ــ ٩ (التهذيب ـ ٤: ١٨٦ رقم ٥٢٠) عن الرضا (عليه السّلام) إنه قال «لاقول إلّا بعمل ولا عمل بنية ولانية إلّا باصابة السنة».

بيــان:

انّما نفى النيّة إلّا بالسنة لأن المخالف للسنة والمخطيء لها لايمكنه نيّة التقرب إذ التقرّب إنّما يحصل بالاطاعة والانقياد و بعد الاهتداء الى صحة الاعتقاد.

٢٤٠ ــ ١٠ (الكافي ــ ٢:٨٧) الثلاثة، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «من سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعه كان له أجره وإن لم يكن على مابلغه».

بيــان:

هذا لاينافي الخبر السابق لأنه انّما صنعه على نية أنه من السنة لأنه منسوب إليها من غير خطأ منه في هذه النسبة و يأتي حديث آخر في هذا المعنى في باب النية من كتاب الإيمان والكفر إن شاء الله.

٢٤١ ــ ١١ (الكافي ــ ١:٧٠) علي، عن أبيه، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال «قال مامن أحد إلّا وله شِرَّة وفترة، فمن كانت فترته الى سنة فقد اهتدى ومن كانت فترته الى بدعة فقد غوى».

١ . قال برهان الفضلاء يعني لايقبل القول إلّا بالعمل ولايقبل القول والعمل إلّا بنيّة القربة ورضائه سبحانه ولايقبل القول والعمل والنيّة إلّا باصابة السنة المقرّرة بمحكمات القرآن الناهية عن اتباع الظنّ الآمرة بسؤال أهل الذكر «الهدايا».

بيـــان:

الشِّرة إمّا بالكسر وتشديد الراء والتاء بمعنى النشاط والرغبة كما في الحديث «لكل عابد شرة» واما بالفتح والتخفيف والهاء بمعنى غلبة الحرص على الشيء والفترة في مقابلها يعني ان كلّ واحد من أفراد الناس له قوة وسورة وحركة ونشاط وحرص على تحصيل كماله اللائق به في وقت من أوقات عمره كما يكون للأكثرين في أيام شبابهم وله فتور وضعف وسكون واستقرار وتقاعد عن ذلك في وقت آخر كما يكون للأكثرين في أوان شيخوختهم،فمن كان فتوره وقراره واطمينانه وسكونه وختام أمره في عبادته الى سنة فقداهتدى ومن كان سكونه وختام أمره وقراره الى بدعة فقد غوى.

٢٤٢ ــ ١٢ (**الكافي** ــ ٢:٨٦) العدة، عن سهل، عن الحجال، عن ثعلبة قال قال أبو عبدالله (عليه السلام) «لكل أحد شرّه ولكلّ شرّه فترة فطوبى لمن كانت فترته إلى خير».

٢٤٣ ـ ١٣ (**الكافي** ـ ٢:٨٥) محمد، عن ابن عيسى، عن السرّاد، عن مؤمن الطاق، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ألا إنّ لكل عبادة شرّة ثم تصير الى فترة فمن كانت شرّة عبادته الى سنتي فقد اهتدى ومن خالف سنتي فقد ضلّ وكان عمله في تباب أما انّي أصلّي وأنام وأصوم وأفطر وأضحك وأبكي فمن رغب عن منهاجي وسنتي فليس منّي» وقال: كفى بالموت موعظة وكفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلاً» .

بيـــان:

المراد بهذا الحديث أن المهتدي من لايتجاوز شرّة عبادته سنة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وإن كان ناشطاً لها فلايصلّي دائماً ولايصوم دائماً ولايبكي دائماً بل «قد» و«قد» و«التباب» الخسار .

٢٤٤ ـــ ١٤ (الكافي ـــ ١: ٧٠) علي،بن محمد، عن البرقي، عن علي بن حسان ومحمد، عن سلمة بن الخطاب، عن علي بن حسان، عن موسى بن بكر، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال «كلّ من تعدّى السنة ردّ الى السنة».

بيـــان:

أمر بردّ المبتدع الى السنة لئلا تبقى بدعته في الناس فيقعوا بسببها في الضلال.

٢٤٥ ـــ ١٥ (الكافي ـــ ٦: ٥٨) العدة، عن سهل، عن البزنطي، عن عبدالكريم، عن عبدالله بن سليمان الصيرفي، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال «كلّ شيء خالف كتاب الله عزّ وجلّ ردّ الى كتاب الله والسنة».

٢٤٦ ـــ ١٦ (الكافي ـــ ١: ٧١) الأربعة، عن أبي عبدالله، عن آبائه (عليهم السلام) قال «قال أميرالمؤمنين (عليه السلام) السنة سنتان سنة في فريضة [1]

١ . قوله: «سنة في فريضة ...» السنة الطريقة المنسوبة اليه (صلى الله عليه وآله وسلم) أو الحديث المروي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى الأول فكونها في فريضة كون العام في خاص من خواصها أي سنة يكون فريضة وعلى الثاني فكونها في فريضة كونها في بيانها أي سنة تكون مبينة لفريضة وقوله «الأخذ بها» أي العمل على وفقها فضيلة «وتركها إلى غير خطيئة» أي ينتهي الى غير خطيئة أو هو من غير خطيئة لأنه ترك ماجوز الشارع تركه ولم يوجب فعله واما عدم القول به لعدم الاطلاع عليه وترك تحصيل الاطلاع في السنة هذه فليس بخطيئة وأمّا عدم القول به بعدما اطلع على السنة فعلى حدّ الشرك . رفيع ـ (رحمه الله).

وقال الفاضل الاسترابادي رحمه الله بخطّه: السنة سنتان: أي الأثر والطريقة النبوية (صلى الله عليه وآله وسلم) قسمان: قسم ورد في افترضه الله وقسم ورد فيا استحبه الله تعالى «الهدايا».

الأخذ بها هدى وتركها ضلالة وسنة في غير فريضة الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غير خطيئة».

بيان:

«السنة» في الأصل الطريقة، ثم خصت بطريقة الحق التي وضعها الله للناس وجاء بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليتقربوا بها الى الله عزّ وجلّ و يدخل فيها كلّ عمل شرعي واعتقاد حقّ و تقابلها «البدعة» وتنقسم السنة الى واجب وندب و بعبارة أخرى الى فرض ونفل و بثالثة الى فريضة وفضيلة.

و«الفريضة» مايثاب بها فاعلها و يعاقب على تركها و«الفضيلة» مايثاب باتيانها ولايعاقب بتركها كما فسرهما صلوات الله عليه وقد تطلق السنة على قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفعله وهي في مقابلة الكتاب ويحتمل أن يكون المراد بها هاهنا كما يشعر به لفظة «في» المنبئة عن الورود وأمّا تخصيص السنة بالنفل والفضيلة فعرف طار من الفقهاء نشأ حديثاً وليس في كلام أهل البيت (عليهم السلام) منه أثر بل كانوا يقولون غسل الجمعة سنة واجبة ونحو ذلك.

-٢٦-

باب النوادر

٢٤٧ ــ ١ (الكافي ــ ١:٤٨) الثلاثة، عن حفص بن البختري رفعه قال كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول «روّحوا أنفسكم ببديع الحكمة [1] فانها تكلّ كما تكلّ الأبدان».

بيــان:

«الكلال» الضعف والثقل وكأنّ الخطاب منه إلى تلامذته الذين كانوا لايفرحون إلّا بذكر الله ولايتلذذون إلّا بالعلم والحكمة دون سائر الناس الذين لذاتهم مقصورة على الشهوات الحيوانية فإنّ قلوب هؤلاء تشمئز من استماع بدائع الحكمة وطرائف العرفان، قيل فيه تنصيص على تجرد النفس الناطقة الإنسانية اذ هو ناص على أنّ الأنفس وراء الأبدان وأن كلالها وراء كلال الأبدان وترو يح النفس ببديع الحكمة برهان على أنها جوهر مجرد وراء البدن فان البدن لايتروح إلّا بالبدائع الجرمانية واللطايف الجسمانية.

١ . قوله: «روحوا أنفسكم» الترويح: من «الروح» بمعنى الراحة أو بمعنى الروح بمعنى نسيم الريح ورائحتها الطيبة أي صيروا أنفسكم طيّبة أو في راحة ببديع الحكمة أي مايكون مبتدعاً غير متكرر من الحكمة بالنسبة الى أنفسكم فان النفوس تكلّ وتعيي بالتكرر من المعرفة وتكرار تذكرها كما تكلّ الأبدان بالتكرار من الفعل. رفيع ـ (رحمه الله).

٢٤٨ ــ ٢ (الكافي ــ ١٦٧:٨)[1] العدة، عن سهل، عن بكر بن صالح، عن ابن سنان، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال «الحكمة ضالّة المؤمن فحيثما وجد أحدكم ضالته فليأخذها».

بيـان:

يعني لايأنف من أخذها عمّن هو دونه في العلم، فربّما يوجد عند الأدنى مالايوجد عند الأعلى وفي التعبير عن الحكمة بالضالة إشارة الى أنّها مركوزة في فطرة المؤمن فإذا جهلها فكأنها ضلت عنه.

٢٤٩ ــ ٣ (الفقيه ــ ٤٠٦:٤)[2] السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «كلمتان غريبتان احتملوهما كلمة حكمة من سفيه فاقبلوها وكلمة سفه من حكيم (حليم ـ خ) فاغفروها».

٢٥٠ ــ ٤ (الكافي ــ ٥٠:١) الحسين بن الحسن، عن محمد بن زكريا الغلابي،[3] عن ابن عائشة البصري رفعه ان أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال في بعض خطبه «أيّها الناس اعلموا أنّه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه ولايحكيم من رضي[4] بثناء الجاهل، عليه الناس ابناء مايحسنون وقدر كلّ[5]

١ . رقم ١٨٦. ٢ . رقم ٥٨٧٩

٣ . هو مولى لبني غلاب بالغين المعجمة والباء المنقطة تحتها نقطة واللام مخففة انظر ص ٢١١ ج ٥ مجمع الرجال. «ض.ع» .

٤ . قوله: «لايحكيم من رضي ...» لأن الحكيم عارف بأسباب الأشياء ومسبباتها و يعرف أن التخالف وعدم التناسب يوجب التنافر في الطبائع وأن الجاهل لايميل إلّا إلى مشاكله ولايثني إلّاعلى الجاهل أو من يعتقد جهله ومناسبته أو من يستهزء باعتقاده أو كمن يريد أن يخدعه والحكيم لايرضى بشيء من ذلك فالحكمة لاتجامع الرضا بثناء الجاهل والعقل لايجامع الانزعاج من قول الزور و بالرضا يعلم انتفاء العقل.

٥ . قوله: «قدر كل امرىء مايحسن» أي مرتبته في العزّ والشرف مايعلمه و بظهور مراتبهم في العلم يظهر مراتبهم في العزّ والشرف «فتكلموا في العلم» أي فتحدثوا به أو تباحثوا فيه «يتبين» أي يتضح أقداركم. رفيع ـ (رحمه الله).

امرىء ما يحسن فتكلموا في العلم تبين أقداركم».

بيـان:

«الانـزعاج» الانقلاع من المكان وعدم الاستقرار فيه و«الزور» الكذب والباطل والتهـمـة «مـايحسـنون» من الاحسان بمعنى العلم وأحسن الشيء تعلّمه فعلمه حسناً والوجه فيه ان العاقل يعلم أن الافتراء عليه لاينقص من كماله شيئاً والحكيم يتيقّن أن الثنـاء عـليه لايزيده كمالاً وكلاهما يعلمان أن نقص الانسان وكماله ليس إلّا بالجهل والعلم وكل امرىء كأنه ولد علمه وقدره وشرفه وفضله وكماله بقدر علمه كما قال (عليه السلام) في أبيات تنسب إليه:

النـاس من جهـة التمثـال أكفـاء أبـــوهـــم آدم والأمّ حـــواء

لافـضــل إلّا لأهــل العـلـم إنهـم على الهـــدى لمـــن استهــدى أدلاء

وقـيـمـة المرء ما قـد كـان يحسنـه والجـاهـلـون لأهـل الـعـلـم أعـداء

نـقـم بـعـلـم ولاتـبـغي لـه بـدلاً فـالـنـاس مـوتى وأهـل الـعلم أحياء

آخر أبواب العقل والعلم والحمد لله أولاً وآخراً.

ابواب معرفة الله تعالى [1]

الآيات: قال الله عزّ وجلّ: قُلْ هُوَ اللّٰهُ اَحَدٌ * اَللّٰهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً اَحَدٌ [2] وقال تبارك اسمه: سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰافِي السَّمٰوٰاتِ والاَرضِ وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ والاَرضِ يُحيي وَ يُميتُ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ * هُوَ الاَوَّلُ وَالآخِرُ والظّاهِرُ وَالباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شيءٍ عَليمٌ * هُوَ الَّذي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالاَرْضَ في سِتَّةِ اَيّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلىٰ الْعَرْشِ يَعْلَمُ مٰايَلِجُ فِي الاَرْضِ وَمٰايَخْرُجُ مِنْهٰا وَمٰايَنْزِلُ مِنَ السَّمٰآءِ وَمٰايَعْرُجُ فيهٰا وَهُوَ مَعَكُمْ اَيْنَ مٰا كُنْتُمْ وَاللّٰهُ بِمٰاتَعْمَلُونَ

١ . قوله: «أبواب معرفة الله كتاب التوحيد» المقصود في هذا الكتاب ذكر مايتعلّق بإثباته سبحانه متوحداً بالإلٰهيّة والصانعيّة لكلّ مايغايره وممّايصحّ له ويمتنع من الصفات والأسماء والأفعال. رفيع ـ (رحمه الله).
فان قيل اتّفق العلماء على أنه لايجوز التمسّك بأخبار الآحاد في أصول الدين فامعنى ايراد هذه الأحاديث في التوحيد؟ قلنا: الغرض منها التعليم بالاستدلال كالأدلة الواردة في القرآن الكريم ولذلك لاينظر فيها إلى تصحيح الاسناد. وأيضاً هي معجزة لأئمتنا (عليهم السلام) في نظر العلماء إذ لايمكن الاطلاع على دقائق الأدلة المندرجة فيها لمن لم يمارس مدّة كتب الحكماء ولم يدارس أهل النظر فصدورها عنهم (عليهم السلام) خرق للعادة إذ لم يعهد صدور مثلها عن غيرهم في ذلك الزمان.
مثلاً كان أكثرهم يعتقدون إمكان رؤيته تعالى ممّايدلّ على عدم تفطنهم لدقائق علم التوحيد فهذه الأحاديث تدلّ على أن الأئمة (عليهم السلام) مؤيدون من الله، وارثون علم النبوّة من غير طريق التعليم بل بإلهام الروح وحقيقة الولاية.
وقال رفيع الدين في حاشية له على حاشيته: روي عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) «التوحيد ان لايتوهّمه والعدل أن لايتّهمه» وروي عن الصادق (عليه السلام) «التوحيد أن لاتجوز على ربّك ماجاز عليك، والعدل أن لاتنسب الى خالقك مالامك عليه» انتهى. (ش).

٢ . سورة الاخلاص .

بَصيرٌ* لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ* يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ [1].

بيـــان:

سيأتي في شأن هذه الآيات كلام لعلي بن الحسين (عليهما السلام) مع تفسير سورة التوحيد عن الباقر (عليه السلام).

۱. الحديد/۱-۶

-٢٧-

باب حدوث العالم واثبات المحدث

٢٥١ ــ ١ (الكافي ــ ١:٧٢) علي، عن أبيه، عن الحسن بن ابراهيم، عن يونس بن عبدالرحمان، عن علي بن منصور قال: قال لي هشام بن الحكم كان بمصر زنديق يبلغه عن أبي عبدالله (عليه السلام) أشياء فخرج الى المدينة ليناظره فلم يصادفه بها وقيل له: إنه خارج بمكة فخرج إلى مكة ونحن مع أبي عبدالله (عليه السلام) فصادفنا ونحن مع أبي عبدالله (عليه السلام) في الطواف وكان اسمه «عبدالملك» وكنيته «أبو عبدالله» فضرب كتفه كتف أبي عبدالله (عليه السلام).

فقال له أبو عبدالله (عليه السلام) «ما اسمك»؟ قال: اسمي عبدالملك قال «فما كنيتك»؟ قال: كنيتي أبو عبدالله فقال له أبو عبدالله (عليه السلام) «فمن هذا الملك الذي أنت عبده أمن ملوك الأرض أم من ملوك السماء؟ وأخبرني عن ابنك عبد إله السماء. أم عبد إله الأرض؟ قل ماشئت تخصم» قال هشام بن الحكم فقلت للزنديق: اما تردّ عليه؟ قال: فقبّح قولي، فقال أبو عبدالله (عليه السلام) «إذا فرغت من الطواف فأتنا».

فلمّا فرغ أبو عبدالله (عليه السلام) أتاه الزنديق فقعد بين يدي أبي عبدالله (عليه السلام) ونحن مجتمعون عنده فقال أبو عبدالله (عليه السلام) للزنديق

«أتعلم أ ـ للأرض تحتاً وفوقاً»؟ قال: نعم قال «فدخلت تحتها»؟ قال: لاقال «فمايدريك ماتحتها»؟ قال: لاأدري، إلّا انّي أظنّ أن ليس تحتها شيء فقال أبو عبدالله (عليه السلام) «فالظنّ عجز لمالايستيقن» ثم قال أبوعبدالله (عليه السلام) «افصعدت السماء»؟ قال: لا، قال «فتدري [1] مافيها»؟ قال: لا قال «عجباً لك لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب ولم تنزل الأرض ولم تصعد السماء ولم تجز هنالك فتعرف ماخلفهن وأنت جاحد بمافيهنّ وهل يجحد العاقل مالايعرف»؟ قال الزنديق: ماكلّمني بهذا أحد غيرك. فقال أبوعبدالله (عليه السلام) «فأنت من ذلك في شك فلعله هو ولعله ليس هو» فقال الزنديق: ولعل ذلك.

فقال أبوعبدالله (عليه السلام) «أيّها الرجل ليس لمن لايعلم حجة على من يعلم ولاحجة للجاهل. ياأخا أهل مصر تفهم عنّي فانّا لانشك في الله أبداً أماترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان فلايشتبهان و يرجعان قداضطرّا ليس لهما مكان إلّا مكانهما فان كانا يقدران على أن يذهبا فَلِم يرجعان؟ وإن كانا غير مضطرين فلِمَ لايصير الليل نهاراً والنهار ليلاً؟

اضطرا والله ياأخا أهل مصر إلى دوامهما والذي اضطرهما أحكم منهما وأكبر» فقال الزنديق: صدقت، ثم قال أبوعبدالله (عليه السلام) «ياأخا أهل مصر إن الذي يذهبون [2] اليه و يظنون انه الدهر ان كان الدهر يذهب بهم لِمَ لايردّهم وإن كان يردّهم لِمَ لايذهب بهم؟ القوم مضطرون ياأخا أهل مصر

١ . في الكافي المطبوع و بعض النسخ المخطوطة أتدري.

٢ . قوله: «يذهبون إليه» فأزال (عليه السلام) ذهاب وهمه إلى أن هذا المبدء للكلّ أو للسفليات هو الدهر بعدما أخبره بذهاب وهمه إليه وقال «إن الذي تذهبون إليه وتظنّون أنّه الدهر» أي مذهبكم ومظنونكم انّ ذلك المبدء الجبار القاهر للكلّ أو للسفليات هو الدهر بقوله «ان كان الدهر يذهب بهم لِمَ لايردّهم وإن كان يردّهم لم لايذهب بهم» هذا استدلال باختلاف الأفعال (الدالة باختلافها على كونها اختيارية غير طبيعية لفاعلها) على أنّ الفاعل لها مختار.
ونبّه على أنه لايمكن أن يكون الفاعل المختار لها هو الموصوف بالذهاب والرجوع «والقوم مضطرون» أي في الذهاب والخروج من الوجود والرجوع والدخول فيه فيجب أن يكون مستنداً الى الفاعل القاهر للذاهبين والراجعين على الذهاب والرجوع والدهر لاشعور له فضلاً عن الاختيار. رفيع ـ (رحمه الله).

لِمَ السماء مرفوعة والأرض موضوعة [١]؟ لِمَ لا تنحدر السماء على الأرض لِمَ لا تنحدر الأرض فوق طاقتها [٢] ولا يتماسكان ولا يتماسك مَن عليها»؟ قال الزنديق: أمسكهما الله ربّهما وسيّدهما قال: فآمن الزنديق على يدي أبي عبدالله (عليه السلام) فقال له حمران جعلت فداك؛ إن آمنت الزنادقة على يدك فقد آمن الكفّار على يدي أبيك، فقال المؤمن الذي آمن على يدي أبي عبدالله (عليه السلام): اجعلني من تلامذتك. فقال أبو عبدالله (عليه السلام) «يا هشام بن الحكم خذه اليك» [٣] فعلّمه هشام وكان معلّم أهل الشام وأهل مصر الايمان وحسنت طهارته حتى رضي بها أبو عبدالله (عليه السلام).

بيان:

قال في القاموس: الزنديق بالكسر من الثنوية [٤] أو القائل بالنور والظلمة أو من

١ . قوله: «لم السماء مرفوعة والأرض موضوعة...» لما كان البيان الذي سبق مخصوصاً بالكائن الفاسد المتغيّر في أحواله بحسبها نبّه بالاختلاف الواقع في المحفوظة على أحوال غير متغيّرة على اختيار مبدءها حتى يتبيّن عدم مبدئيّة الدهر للعلويات سواء كان يقيناً أو مظنّة للقوم بقوله لم السماء...» ولتقرير هذا الكلام وجهان:
الأول: لم لايكون السماء والأرض ملتصقين؟ لم لا تسقط السماء على الأرض»؟ أي لايتحرّك بهذا النحو من الحركة حتى يقع على الأرض بأن يحرّكها اضطراراً بهذه من كان يحركها تلك الحركات الاضطرارية؟ «لم لا تنحدر الأرض فوق طباقها» طباق الأرض ماعلاها أي لم لا تنهبط الأرض من فوق ماعلاها منها أو لم لايعلو و يرتفع فوق ماعلاها و يتحدّب على احتمال كونها من الانحدار والتحدر بمعنى التورّم والتسمّن تشبيهاً لنتوها وارتفاعها بالسمن والتورّم.
و«لايتماسكان» أي لايتماسكان ولاتحفظان حالها «ولايتماسك من عليها» أي على الأرض وعدم التماسك على الأولين ظاهر وأمّا على الثالث فلأنه مع انهباطها أو ارتفاعها وتحدّبها لايتيسر جري القنوات والأنهار ونبع العيون والآبار أو ينجرّ الى إحاطة الماء بها. الوجه الثاني: لم السماء (أي ماارتفع من السماء والسحاب والأبخرة مرفوعة والأرض ومافيها من الأنهار والبحار والمياه موضوعة، لم لا تسقط السماء أي المرتفع من السحاب والأبخرة على الأرض، لم لا تنحدر الأرض أي لم لا تغور مافيها من المياه والآبار من فوق طباقها، أو لم لايرتفع ولا تعلو مافيها من المياه فوق طباقها واذا وقع شيء من ذلك لايتماسكان ولايتماسك منه في الأرض فلهما ممسك قادر مختار فأقرّ الخاطب وقال أمسكهما الله ربّهما وسيّدهما. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . في الأصل وسائر نسخ الوافي التي عندنا (طاقتها) ولكن في النسخ المطبوعة والمخطوطة المعتبرة من الكافي وشرح المولى خليل ومرآة العقول «طباقها» وكذلك في حاشية الرفيع أيضاً.

٣ . هكذا في نسخ الوافي والكافي المخطوط وكذلك في شرح المولى خليل ومرآة العقول و«المدايا» لكن في الكافي المطبوع هكذا: «خذه اليك وعلّمه» فعلّمه هشام.

٤ . الثنويّة هم القائلون بوجود إلهين منهم: الديصانية القائلون بالنور والظلمة ومنهم المجوس القائلون بـ«يزدان واهرمن» عهد. ك ج.

لايؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان أو هومعرب «زن دين» أي دين المرأة انتهى كلامه وربما يقال انّه معرب زندي منسوب الى زند وهو الكتاب المشهور للمجوس وهذا يرجع الى المعنيين الأولين والظاهر أن المراد به هاهنا المعنى الثالث كما يظهر من سياق الحديث «تخصم» تغلب يقال خصمته في البحث أي غلبته.

قال أستادنا صدر المحققين طاب ثراه سلك (عليه السلام) في الاحتجاج ثلاثة مسالك: الجدل أولاً، والخطابة ثانياً، والبرهان ثالثاً تدرجاً به في الهداية والإرشاد وعملاً بما أمر الله به الرسول (عليه وآله السلام) في قوله تعالى: ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [1] فقوله (عليه السلام) «ماسمك» الى قوله «قل ماشئت تخصم» [2] هو طريق المجادلة بالتي هي أحسن. وقوله «أتعلم أنّ للأرض تحتاً» الى قوله «وهل يجحد العاقل مالايعرف» حجة على طريق الخطابة وقوله «أماترى الشمس والقمر» شروع في البرهان إنتهى كلامه.

أقول: أما المجادلة فظاهرة وأما الحجة الخطابية فتقريرها أن يقال إنك إنّما تجحد الربّ الصانع لأنك لم تره فانك لوكنت رأيته لماجحدته، فلعله يكون في موضع لم تشهد أنت ذلك الموضع حتى تدري مافيه فانك مااستقصيت الأماكن كلّها بالشهود [3] «عجز لمالايستيقن» في كتاب توحيد الصدوق رحمه الله «عجز مالم تستيقن» وهو الصواب ويمكن تصحيح مافي الكافي بأن يقرأ لمالايُستيقن على صيغة المجهول أي لمعرفته وفي بعض النسخ - لمن لايستيقن - على المعلوم يعني من استيقن شيئاً فيقول أظنه لمصلحة تقتضي ذلك فليس بعاجز في معرفته وإنّما العجز لغير المستيقن «ولم تجز» بضم الجيم من الجواز فتعرف ماخلفهن «ما» إما موصولة أو إستفهامية وعلى التقديرين فهي المشار إليها بذلك في قوله «فأنت من ذلك في شكّ، فلعلّه هو» أي فلعل ماخلفهن هو الربّ.

«تفهّم عنّي» يعني معرفة الله تعالى فانّي في المعرفة على يقين تامّ قدعرفت الله

۱. النحل/۱۲۵

۲. وقرأ الفاضل الاسترابادى على المعلوم قال بخطه: أي تخصم نفسك «الهدايا».

۳. أوعلى نحوآخر. ج.

بـالله لابشيء غيره، وأمّا تقرير البرهان، فهو أن يقال إنّ حركة الشمس والقمر على نهج واحـد واختلاف الليل والنهار على طريقة واحدة من غير أن يشتبه أحدهما بالآخر دلـيل على اضـطـرارهـا وأنهـا مسـخرات بامر آمر سخرها على ذلك إذ لوكان لها قدرة واختـيار لاختلفت حركاتها ولفعلت ماشاءت «ان كان الدهر يذهب بهم» يعني من غير ردّ «لِـمَ لايـردّهـم» يـعني إنّ إذهـابهـم وردّهـم متساو يان في الجواز فلابدّ في وقوع أحدهما من مرجّح موجب و ينتهي لامحالة الى واجب بالذات وهو الله سبحانه.

وكـأنّ المراد بـاذهابهم، إذهابهم الى العدم والفناء و بردّهم ردّهم الى الوجود على سـبـيـل الـتـنـاسخ كما كانوا يعتقدونه أو على نحو آخر« القوم مضطرون» يعني في هذا الـذهـاب والارتـداد والمراد أنهم مضطرون تحت سلطنة من يفعل ذلك بهم وهذا مثل قوله (عليه السلام):

«عـرفت الله بفسخ العزائم» فان قيل لعل الدهر يفعل ذلك بهم قلنا كل من يفعل ذلـك لمرجّـح وحكمـة على حسب مشيئته وارادته فهو الذي نريد بالربّ سواء سميتموه بالدهر أم بغيره وإن لم يكن لمرجّح وحكمة فذلك محال كما بيناه وإن شئت بياناً للبرهان أوضـح وأتم مـمّـاذكـر فاسمـع: ان كلّ مايجوز أن يقع ويجوز أن لايقع فلابدّ لوقوعه من مـرجـح يـقتضيه لاستحالة الترجح من غير مرجح. ففاعل ذلك الشيء مضطر الى ذلك المرجح في ايقـاعـه لـذلـك الـفعل مسخر تحت حكمه إلّا أن يكون ذلك المرجح حكمة وتـكـون تـلـك الحكمـة نـفـس ذات الفاعل ليست صفة زائدة على ذات الفاعل فيتثنى الفاعل بها وتكون هي أعلى من الفاعل تحكم عليه فحينئذ لايفتقر الى شيء آخر ونحن لانريد بصانع العالم إلّا هذا الحكيم الغني بحكمته التي هي عين ذاته عمّاسواه.

إذا تـمـهّـد هـذا فـنـقـول: إن الـشمس والقمر يلجان أي يغيبان في الأفق بحركة فـلـكيهما مع ثباتها في مكانهما من الفلك فان كان يقدران على أن يذهبا و يسكنا تحت الأرض فَلِمَ يتحركان و يرجعان دائماً فانه على هذا التقدير كما يجوز على فلكيهما الحركة يجـوز عـليهما السكون، ثم إن لم يكونا مضطرين الى الحركة الدائمة بل يجوز عليهما السكون فَـلِـمَ لايصير الليل نهاراً بأن يسكن الشمس فوق الأرض أو يصير النهار ليلاً بان يسكن الـشمس تحت الأرض، بل اضطرا والله في دوام الحركة الى قاهر يقهرهما عليه. وأيضاً

فـان الدهر الذي يذهب بالخلائق إلى العدم كما تظنون لِمَ لايردّهم الى الوجود ليجزيهم بمـاعـمـلـوا و ينتصر للمظلوم من الظالم فان الردّ الى الوجود جائز كالإذهاب وإن كان يـردّهـم الى الوجود بمجرد جواز الردّ من غير وجوب لِمَ لايذهب بهم الى العدم من غير ردّ فانهما سيّان على زعمكم في الجواز فلابدّ من قاهر يقهره على مايفعل.

وأيضاً فانّ رفع السماء ووضع الأرض وثباتها على ماكانا عليه دائماً من غير سقوط إحـداهمـا وانحدار الأخرى مع جواز السقوط والانحدار دليل على قاهر يقهرهما على ذلك بـامـسـاك كـلّ منهما بمن عـلـيـه هـنـالك فوق طاقتها وفي بعض النسخ «طباقها» وجملة «ولايتماسكان» حالية و«حسنت طهارته» أي من الشرك والزندقة.

٢٥٢ ـــ ٢ (الـكـافي ـــ ١:٧٤) الـعدة، عـن الـبرقي، عـن محـمـد بـن علي، عن عـبـدالـرحمـان بـن محمد بن أبي هاشم، عن محمد [١] بن محسن الميثمي قال: كنت عـنـد أبي مـنـصور المتطبّب فقال: أخبرني رجل من أصحابي قال كنت أنا وابن أبي الـعـوجـاء وعـبـدالله بـن المقفع في المسجد الحرام فقال ابن المقفع: ترون هذا الخـلق؟ وأومأ بيده الى موضع الطواف مامنهم أحد أُوجب له اسم الإنسانية إلّا ذلـك الـشـيـخ الجـالـس ـ يعني أبا عبدالله جعفر بن محمد (عليهما السلام) ـ وأمّا الـبـاقـون فرعاع وبهائم فقال له ابن أبي العوجاء وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الـشـيـخ دون هـؤلاء؟ قـال: لأني رأيـت عـنـده مـالم أره عندهم، فقال له ابن أبي الـعـوجـاء: لابدّ من اختبار ماقلت فيه منه قال: فقال له ابن المقفع: لا تفعل

١ ـ أحمد،ك، ف. «مكـان محـمـد» اخـتـلفوا في اسم هذا الرجل كما اختلفوا في اسم أبيه فقالوا انّه «احمد» تارة و«محمد» تارة أخـرى، كما قـالـوا إن اسـم أبـيـه «محسن» تارة و«الحسن» تارة أخرى و بعضهم تردّدوا في اسمه وفي اسم أبيه والنسخ من الـكافي والوافي وغيرهما مضطربة إلّاانّ الصحيح عندنا بعد التحقيق هو احمدبن الحسن كما أورده مجمع الرجال ج١ ص١٠١ عن (كش) و(م) و(ست) و(جش) وكذلك في جامع الرواة ج١ ص٤٦.
وفي نسخة مخطوطة من (جش) بخط العالم محمدبن ولي الحسيني الاصفهاني كتبها في بندر (شجر) من بنادر بر العرب في سنة (١٠١٦) وقـوبـلت مع الأصل (الذي عليه خط ابن ادريس وكان من كتب خزانة مولى المخلوقات بعد النبي (صلى الله عليه وآلـه وسـلـم) صاحب أرض الغري (صلوات الله عليه) أورده مثل ماأورده في مجمع الرجال: احمدبن الحسن بن اسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار مولى بني أسد... الى آخره. «ض.ع» .

فانّي أخاف أن يفسد عليك مافي يدك فقال: ليس ذا رأيك ولكن تخاف أن يضعف رأيك عندي في احلالك إيّاه المحل الذي وصفت، فقال ابن المقفع: أما إذا توهمت [١] عليّ هذا فقم إليه وتحفّظ مااستطعت من الزلل ولا تثني عنانك الى استرسال فيسلمك الى عقال وسمه [٢] مالك ـ وعليك [٣].

قال: فقام ابن أبي العوجاء و بقيت أنا وابن المقفع جالسين فلمّارجع إلينا إبن أبي العوجاء قال: و يلك يابن المقفع ماهذا ببشر وإن كان في الدنيا روحاني يتجسد إذا شاء ظهر و يتروح اذا شاء باطناً فهو هذا، فقال له وكيف ذلك؟ قال: جلست إليه فلمّالم يبق عنده غيري ابتدأني فقال: «إن يكن الأمر على مايقول هؤلاء ـ وهو على مايقولون ـ (يعني أهل الطواف) فقدسلموا وعطبتم و إن يكن الأمر على ماتقولون وليس كما تقولون ـ فقداستويتم وهم» فقلت له: يرحمك الله وأي شيء نقول وأيّ يقولون؟ ماقولي وقولهم إلّا واحداً فقال: «وكيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون: أنّ لهم معاداً وثواباً وعقاباً و يدينون بانّ في السماء إلٰهاً [٤] وأنّها عمران وأنتم تزعمون أن السماء خراب ليس فيها أحد»؟ .

١ . قوله: «أمّا إذا توهمت ...» أمّا الشرط وفعله محذوف ومجموع الشرط والجزاء الذي بعدها جواب لذلك الشرط وذكر «عليّ» لتضمن التوهم معنى الكذب والافتراء وقوله «لا تثن» نهي وفي بعض النسخ «ولا تثني» و يكون أيضاً يراد به النهي والانشاء في قالب الخبر أي ولا تعطف عنانك والعنان سير اللجام الذي تمسك به الدابة والمراد به هنا مايمسك به نفسه الى استرسال أي رفق وتؤده أي لا تمل الى الرفق والمساهلة فيسلمك الى عقال من «التسليم» أو «الاسلام» من اسلم أمره إلى الله أي سلّمه وقوله «وسمه مالك وماعليك» السوم أن يجعل الشيء في معرض البيع والشراء ومتعرض للمعاملة بأخذه أو اعطائه والمراد أنه تحفظ ولا تساهل وساومه فيما لك وماعليك أي اعرض عليه ما لك واستمع منه ماعليك ناظراً فيهما بنظر البصيرة لئلا تغلب وتصير محجوجاً.

وقوله «يتجسد» أي تصير ذا جسد و بدن يبصر به و يرى إذا شاء و«يتروح» أي يصير روحاً صرفاً و يبطن ويختفي عن الأبصار والعيون باطناً والفاعل إمّا بمعنى المصدر كقولك «قمت قائماً» أو تميز من يتروح: أي كونه روحاً صرفاً من جهة أنه باطن مخفي. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . وضبط برهان الفضلاء (المولى خليل القزويني) وسمه مالك وعليك، بكسر السين بمعنى العلامة قال: يعني فيسلمك الى شيئين الى عقال يمنعك من الحركة وعلامة تنفعك فتعلم مايضرّك وماينفعك «ض.ع».

٣ . أو عليك، الكافي المطبوع.

٤ . قوله: «و يدينون بأن في السماء إلهاً...» أي للسماء مدبراً ومعبوداً يعبد فيها و يستحق أن يكون معبوداً لكل أحد فأرسل الرسل ودعا خلقه الى عبادته وشرع لهم الشرائع «وأنها عمران» أي إنّ لها أهلاً وهم الذين يعبدون الإله و يطيعونه فيها «وتزعمون أن السماء خراب» أي ليس لها أهل وليس فيها أحد لامن يعبد من أهلها ولامن يعبده فيها أهلها و يستحق لأن يعبد ولارسالة ولاشريعة. رفيع ـ (رحمه الله).

قال فاغتنمتها منه فقلت له: مامنعه ان كان الأمر كما يقولون ان يظهر لخلقه و يدعوهم الى عبادته حتى لايختلف منهم إثنان ولِمَ احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل ولو باشرهم بنفسه كان أقرب الى الايمان به: فقال لي: «و يلك وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك: نشؤك ولم تكن وكبرك بعد صغرك وقوتك بعد ضعفك وضعفك بعد قوتك وسقمك بعد صحّتك وصحّتك بعد سقمك ورضاك بعد غضبك وغضبك بعد رضاك وحزنك بعد فرحك وفرحك بعد حزنك وحبّك بعد بغضك و بغضك بعد حبّك وعزمك بعد انائك وانائك [1] بعد عزمك وشهوتك بعد كراهيتك وكراهيتك بعد شهوتك ورغبتك بعد رهبتك ورهبتك بعد رغبتك ورجائك بعد يأسك و يأسك بعد رجائك وخاطرك بمالم يكن في [2] وهمك [3] وعزوب ماأنت معتقده عن ذهنك» ومازال يعدّد عليّ قدرته التي هي في نفسي التي لاأدفعها حتى ظننت أنه سيظهر فيما بيني و بينه.

بيــان:

«محمدبن علي» هومحمدبن علي الكوفي أبو سُمينة الصيرفي عيّنه الصدوق (رحمه الله) في كتاب «التوحيد» في اسناد هذا الحديث «وابن أبي العوجاء» هوعبدالكريم كان من تلامذة الحسن البصري فانحرف عن التوحيد فقيل له: تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لاأصل له ولاحقيقة.

فقال: إنّ صاحبي كان مخلّطاً كان يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر وماأعلمه اعتقد مذهباً دام عليه.

١ . وانائك، الكافي المطبوع وقال في المرآة: الاناة، كـ(القناة). «ض.ع».

٢ . قوله: «وخاطرك بمالم يكن...» الخاطر من الخطور وهو حصول الشيء مشعوراً به في الذهن والخاطر في الأصل للمشعور به الحاصل في الذهن ثم شاع استعماله في المشعر المدرك له من حيث هو شاعر واستعمله هنا في الادراك والشعور واستعمل الخاطر على صيغة اسم الفاعل بمعنى المصدر كما في قمت قائماً و يكون المعنى خطورك بمالم يكن في وهمك من باب القلب.
وقوله «وعزوب ماأنت معتقده عن ذهنك» أي زوال ماكان ثابتاً قوي الثبوت فلايزول إلّابمزيل. رفيع ـ (رحمه الله).

٣ . وخاطرك بعدما لم يكن في وهمك، خ ل.

«أوجب» من الايجاب إمّا على صيغة المتكلم أو الماضي المجهول والأول أنسب بمايأتي من قول ابن أبي العوجاء وكيف أوجبت.

«والرعاع» بالمهملات وفتح أوله الأحداث الطغام الرذال «والاختبار» الامتحان «مافي يدك» أي معتقدك «في احلالك» بالحاء المهملة «ولا تثني عنانك» أي لا تعطفه عن الاستمساك الى استرسال بان تقول ماجرى على لسانك من غير روية أو الى استيناس وطمأنينة اليه ووثوق به و«العقال» الحبل الذي يشدّ به وظيف [١] البعير الى ذراعه.

«وسمه» على صيغة الأمر أي أعرض عليه وأصله من السوم في المبايعة وهو طلب الشري والعرض على المشتري و«عطبتم» هلكتم و«أنها عمران» بصنوف من الملائكة الموكلين عليها «اراك قدرته في نفسك» بأحوالك المتقابلة وهيآتك المتضادة التي ليست [٢] بقدرتك واختيارك لا تملك لنفسك نفعاً ولاضراً ولاموتاً ولاحياة ولانشوراً بل تريد أن تعلم فتجهل وتريد أن تذكر فتنسى وتريد أن تنسى فتغفل عن الشيء فلا تغفل فلايملك [٣] قلبُك قلبَك ولانفسُك نفسَك ،فيتغير عليك الأحوال من غير اختيار لك «وعزمك بعد انائك» بالنون والهمزة بمعنى الفتور والتأخر والابطاء وربما يجعل بالباء الموحدة بمعنى الامتناع.

وفي توحيد الصدوق: ايناتك وهذا دليل النون لأنّ «الايباء» بمعنى الامتناع خطأ بخلاف الايناء بمعنى التأخر و«العزوب» بالمهملة والزاي: الغيبة والذهاب وسيأتي كلام يناسب هذا المقام في باب «ان الفطرة على التوحيد» من كتاب الايمان والكفر إن شاء الله تعالى.

٢٥٣ ـ ٣ (الكافي ــ ١:٧٨) محمدبن جعفر الأسدي،عن محمدبن اسماعيل البرمكي الرازي،عن الحسين بن الحسن بن برد الدينوري،عن محمد بن علي،عن

١ ـ الوظيف مستدق الذراع والساق من الخيل والابل وغيرها، مجمع البحرين.
٢ ـ ليست وجودها، ق.
٣ ـ فلا تملك ج، ك.

محمدبن عبدالله الخراساني خادم الرضا (عليه السلام) قال: دخل رجل من الزنادقة على أبي الحسن (عليه السلام) وعنده جماعة.

فقال: أبو الحسن (عليه السلام) «أيّها الرجل؛ أرأيت إن كان القول قولكم - وليس هو كما تقولون - ألسنا وإيّاكم شرعاً سواء لايضرنا ماصلّينا وصمنا وزكّينا وأقررنا»؟ فسكت الرجل.

ثم قال أبو الحسن (عليه السلام) «وإن كان القول قولنا - وهو قولنا - ألستم قدهلكتم ونجونا»؟ فقال رحمك الله، أوجدني كيف هو وأين هو؟ فقال «و يلك، إنّ الذي ذهبت إليه غلط، هو أيّن الأين بلاأين وكيّف الكيف بلاكيف، فلايُعرف بالكيفوفيّة ولابأينونيّة ولايدرك بحاسة ولايقاس بشيء» فقال الرجل: فإذًا إنّه لاشيء إذا لم يدرك بحاسة من الحواس فقال أبوالحسن (عليه السلام) «و يلك لمّاعجزت حواسّك عن ادراكه أنكرت ربوبيته ونحن إذا عجزت حواسنا عن ادراكه أيقنّا أنه ربّنا بخلاف شيء من الاشياء».

قال الرجل: فأخبرني متى كان؟ قال أبوالحسن (عليه السلام) «إنّي لمّانظرت [1] الى جسدي ولم يمكني فيه زيادة ولانقصان في العرض والطول ودفع المكاره عنه وجرّ المنفعة إليه علمت أنّ لهذا البنيان بانياً فأقررت به مع مأرى من دوران الفلك بقدرته وانشاء السحاب وتصريف الرياح ومجرى الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من الآيات العجيبات المبيّنات، علمت ان لهذا مقدّراً ومنشأ».

١ ـ قوله: «إنّي لمّانظرت إلى ...» هذا استدلال بمايجده في بدنه من أحواله وانتظام تركيبه واشتماله على مابه صلاحه ونظامه وعدم استنادها اليه لكونها من آثار القدرة ولاقدرة له عليها و بالعلويات وحركاتها المتسقة المنتظمة المشتملة على اختلاف ثم لايمكن أن يكون طبيعيّاً ولاإراديّاً لها ومايحدث بينها و بين الأرض وانتظام الجميع نظماً دالاً على وحدة ناظمها ومدبرها وخالقها.

على أن لهذا العالم المنتظم المشاهد من السماوات والأرضين ومافيها و بينها مقدراً ينتظم بتقديره ومنشأ يوجد بانشائه. رفيع ـ (رحمه الله).

بيـــان:

محمد بن علي هو أبوسمينة الكوفي كما في الحديث السابق عيّنه الصدوق أيضاً و«الشرع» باسكان الراء بمعنى السواء «أوجدني» افدني بـ«الكيفوفية» في توحيد الصدوق نكرها موافقاً لنظيرتها وهو أحسن وزاد فيه بعد قوله قال الرجل فاخبرني متى كان قال أبوالحسن (عليه السلام) «أخبرني متى لم يكن فأُخبرك متى كان» قال الرجل: فماالدليل عليه؟ قال أبوالحسن (عليه السلام) «انّي لمانظرت» إلى آخر الحديث.

وكأنّ هذه الزيادة سقطت في نسخ الكافي من قلم النساخ. قيل وتحقيق قوله (عليه السلام) «اخبرني متى لم يكن فأُخبرك متى كان» ماتحقق في الحكمة الإلٰهية أنه لايكون لوجود شيء «متى» إلّا اذا كان لعدمه «متى» و بالجملة لايدخل الشيء في مقولة «متى» بوجوده فقط بل بوجوده وعدمه جميعاً فإذا لم يصحّ أن يقال لشيء «متى لم يكن وجوده» لم يصحّ أن يقال «متى كان وجوده».

أقول: و يأتي في باب نفي الزمان مايؤكّد هذا المعنى ويشيّده.

٢٥٤ ــ ٤ (الكافي ــ ١:٧٩) علي،عن محمدبن اسحاق الخفاف أو عن أبيه،عن محمدبن اسحاق قال: ان عبدالله الديصاني [1] سأل هشام‌بن الحكم فقال له: ألك ربّ؟ فقال: بلى. قال: أقادر هو؟ قال: نعم قادر قاهر. قال: يقدر أن يُدخل الدنيا [2] كلّها البيضة لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا؟ قال

١ . قوله: «عبدالله الديصاني» قال المجلسي رحمه الله الديصاني بالتحريك من «داص يديص ديصاناً» إذا زاغ ومال ومعناه الملحد انتهى. والصحيح ماذكرناه سابقاً من أن الديصانية كانوا قوماً من الزنادقة القائلين بالنور والظلمة وان «ديصان» اسم رئيسهم مثل «ماني» «ش».

٢ . قوله: «يقدر أن يدخل الدنيا» ومثل هذه الرواية ماروي عن أحمدبن محمدبن أبي نصر قال: جاء رجل إلى الرضا (عليه السلام) فقال: هل يقدر ربّك على أن يجعل السماوات والأرض ومابينها في بيضة؟ قال «نعم وفي أصغر من البيضة قدجعلها في عينك وهي أقل من البيضة لأنّك اذا فتحتها عاينت السماء والأرض ومابينهما ولوشاء أعماك عنها» واما ماروي عن عمربن أذينة عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «قيل لأميرالمؤمنين» صلوات الله عليه هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا

←

هشام: النظرة، فقال له: قد أنظرتك حولاً، ثم خرج عنه فركب هشام الى أبي عبدالله (عليه السلام) فاستأذن عليه فاذن له فقال له: يابن رسول الله، أتاني عبدالله الديصاني بمسألة ليس المعوّل فيها إلّا على الله وعليك.

فقال له أبوعبدالله (عليه السلام) «عمّا ذا سألك»؟ فقال: قال لي كيت وكيت فقال أبوعبدالله (عليه السلام) «ياهشام، كم حواسّك»؟ قال: خمس قال: «أيّها أصغر»؟ قال: الناظر، قال: «وكم قدر الناظر»؟ قال: مثل العدسة أو أقل منها فقال له: «ياهشام، فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بماترى» فقال: أرى سماء وأرضاً ودوراً وقصوراً و براري وجبالاً وأنهاراً فقال له أبو عبدالله (عليه السلام) «إن الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقل منها قادر أن يدخل الدنيا كلّها البيضة لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة» فأكبّ هشام عليه وقبّل يديه ورأسه ورجليه وقال: حسبي يابن رسول الله وانصرف الى منزله.

وغدا عليه الديصاني فقال: ياهشام، إني جئتك مسلّماً ولم أجئك متقاضياً للجواب، فقال له هشام: إن كنت جئت متقاضياً فهاك الجواب فخرج الديصاني عنه حتى أتى باب أبي عبدالله (عليه السلام). فاستأذن عليه فأذن له فلمّاقعد قال له: ياجعفر بن محمد، دلّني على معبودي [1] فقال له أبوعبدالله (عليه

←

في بيضة من غير أن يصغر الدنيا و يكبر البيضة.

قال (عليه السلام) «انّ الله لاينسب الى العجز والذي سألتني لايكون» فمعناه انّ الله تعالى لايعجز عن شيء أي كلّ ماله معنى محصل فهو سبحانه لايعجز عنه ولما كان غرض السائل السؤال عن الوجود العيني وكان مرجع سؤاله الى كونه كبيراً صغيراً وهذا اللفظ ليس له معنى محصل قال «والذي سألتني» أي أردت بسؤالك لايكون أي لايصحّ نسبة الكون إليه حتى يجري فيه العجز.

وما رواه أبان بن عثمان عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: جاء رجل الى أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال: أيقدر الله أن يدخل الأرض في بيضة ولا تصغر الأرض ولا تكبر البيضة؟ فقال له: «و يلك: إن الله لايوصف بعجز ومن أقدر ممّن يلطف الأرض و يعظم البيضة» معناه مثل معنى رواية عمر بن أذينة وقوله: «ومن أقدر..» إشارة الى أن المتصور المحصل للمعنى من دخول الكبير في الصغير صيرورة الكبير صغيراً أو بالعكس وهذا المتصور مقدور له سبحانه وهو قادر على كلّ مالا يستحيل والحاصل أنه قادر على كلّ شيء يدرك له معنى وماهيّة والمستحيل لاماهية ولامعنى له قوله «فاكبّ هشام عليه» أي أقبل عليه وقبّل يديه ورأسه ورجليه و«قال حسبي» أي يكفيني ذلك في الجواب عنه. رفيع - (رحمه الله).

١ . قوله: «دلّني على معبودي» أي من عليّ عبادته في الواقع أو بزعمك.

السلام) «مااسمك»؟.

فخرج عنه ولم يخبره باسمه،فقال له أصحابه: كيف لم تخبره باسمك؟ قال: لوكنت قلت له عبدالله كان يقول: من هذا الذي أنت له عبد؟ فقالوا له: عد إليه وقل له: يدلك على معبودك ولايسألك عن اسمك،فرجع اليه وقال: ياجعفر بن محمد؛ دلّني على معبودي ولا تسألني عن اسمي فقال لَهُ أبوعبدالله (عليه السلام) «اجلس» فاذاً غلام له صغير في كفّه بيضة يلعب بها،فقال أبو عبدالله (عليه السلام) «ياغلام ناولني [1] البيضة» فناولها إيّاها.

فقال أبوعبدالله (عليه السلام) «ياديصاني؛هذا حصن مكنون [2] له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضّة ذائبة فلاالذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة ولاالفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبرعن صلاحها ولادخل فيها مفسد فيخبرعن فسادها لايدري أللذكر خلقت أم للأنثى؟ تنفلق عن مثل ألوان الطواويس أترى لهامدبّرا؟ قال: فأطرق مليّاً ثم قال: أشهد أن لاإله إلّاالله وحده لاشريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله وأنّك إمام وحجّة من الله على خلقه وأنا تائب مماكنت فيه.

بيــان:

«النظرة» المهلة «قادرأن يُدخل الدنيا كلّهاالبيضة»هذه مجادلة بالتي هي أحسن وجواب جدليّ مسكت يناسب فهم السائل وقدصدر مثله عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أيضاً فيمارواه الصدوق (رحمه الله) في توحيده عنه (عليه السلام)،والجواب

١ ـ ناولني ياغلام «الكافي، ط».

٢ ـ قوله: «هذا حصن مكنون» الحصن كلّ موضع حصين محكم والـ«كنّ» وقاء كلّ شيء وستره وقوله «له جلد غليظ» ناظر الى قوله «حصن» و«تحت الجلد الغليظ جلد رقيق» ناظر الى قوله «مكنون» وقوله «تحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضّة ذائبة» أي تحته جسم شبيه بالذهبة المايعة وجسم شبيه بالفضة الذائبة «الذوب» ضد الجمود و يقاربه الميعان لغة لكن الذوب يستعمل فيا من طبعه الجمود أو في المنتقل من الجمود و«الميعان» يستعمل فيه وفي غيره ولما كان من طبع الفضة الجمود ذكر معه الذوب وذكر الميعان مع الذهب الذي ليس من طبعه مامن طبع الفضة من الجمود. رفيع ـ (رحمه الله).

البرهاني أن يقال: ان عدم تعلق قدرته تعالى على ذلك ليس من نقصان في قدرته سبحانه ولاالقصور في عمومها وشمولها كلّ شيء بل انّما ذاك من نقصان المفروض وامتناعه الذاتي و بطلانه الصرف وعدم حظّه من الشيئية كما أشار إليه أميرالمؤمنين (عليه السلام) فيمارواه الصدوق أيضاً باسناده عن ابن أبي‌عمير عن ابن اذينة عن أبي عبدالله (عليه السلام).

قال: قيل لأميرالمؤمنين (عليه السلام) هل يقدر ربّك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير تصغير الدنيا أو تكبير البيضة قال «ان الله تعالى لاينسب إلى العجز والذي سألتني لايكون» وفي رواية أخرى «و يلك إن الله تعالى لايوصف بالعجز ومن أقدر ممن يلطف الأرض و يعظم البيضة» ولنا أن نجعل الجواب الأول أيضاً برهانياً على قاعدة الانطباع بأن نقول إن ذلك انّما يتصوّر و يعقل بحسب الوجود الانطباعي الارتسامي والله سبحانه قادر على ذلك حيث أدخل الذي تراه جليدية ناظرتك. «مكنون» أي مكنون مافيه أو على سبيل الاضافة و«الذائب» خلاف الجامد وهو أشدّ لطافة من المائع..

«لم يخرج منها خارج مصلح» يعني بعدما دخل فيها «فيخبر عن فسادها» يعني بعدما خرج منها وانّما اكتفى ببعض الكلام عن بعض اعتماداً على القرينة وإنّما ذكر الخروج والاخبار تنبيهاً على أنه كما لم يدخلها أحد منّا للاصلاح أو الافساد كذلك ليس لنا خبر بذلك «لايدري أللذكر خلقت» يعني كما أنّ صلاحها وفسادها غير معلوم لنا قبل أن تفرخ أو تبين فسادها فكذلك كونها مخلوقة للذكر أم الأنثى مجهول لنا حتى يوجد أحدهما وهذا كلّه دليل على أنّ ذلك ليس من فعل أمثالنا لعدم دخولنا فيها وخروجنا منها واصلاحنا لها أو افسادنا إيّاها وجهلنا بماهي مستعدة له من الصلاح والفساد وبماهي صالحة له من الذكر والأنثى والحاصل أنّ أمثال هذه الأمور اذا صدرت من أمثالنا فلابدّ فيها من مباشرة ومزاولة وعلم وخبر ولايجوز أيضاً أن تتأتى بأنفسها وهو ظاهر .

فلابدّ من فاعل حكيم وصانع مدبر عليم. «تنفلق» تنشق «عن مثل ألوان الطواو يس» على تضمين معنى الكشف أي كاشفة عنها «أترى لها مدبّراً»؟ استفهام

انكـار أي لا تـرى لها مدبراً من أمثالنا فلابدّ لها من مدبّر غير مرئي لايكون من أمثالنا بـل يـكـون داخـلاً فيهـا حـال خـروجـه عنها مصلحاً لصالحها ومفسداً لفاسدها معيناً لـذكـرهـا وأنـشـاهـا على وفـق مـشـيّـتـه ومـقـتـضـى حكمته تعالى شأنه وتبارك سلطانه «فأطرق» سكت ناظراً الى الأرض «مليّاً» زماناً متّسعاً.

٢٥٥ ـ ٥ **(الكافي ـ ١: ٨١)** العدّة، عن البرقي، عن أبيه، عن علي بن النعمان، عن إبـن مـسـكـان، عـن داودبـن فـرقـد، عـن أبي سعيد الزهري، عن أبي جعفر (عليه الـسـلام) قـال: كفى لأولى الألـبـاب [1] بخلق الربّ المسخر وملك الربّ القاهر وجـلال الـربّ الـظـاهـر ونـور الربّ الباهر و برهان الربّ الصادق وماأنطق به ألسن العباد وماأرسل به الرسل وماأنزل على العباد دليلاً على الربّ.

١ ـ قوله: «كفى لأولى الألـبـاب بـخـلـق الربّ المسخر...» الخلق: الانشاء والابداع والمراد به المخلوق وعلى الأول فالمسخر اسم فـاعل صفة للخلق أو الرب وعلى الثاني اسم مفعول اذا جعل صفة للخلق وكل مقهور مذلل لايملك لنفسه مايخلّصه من القهر مـسـخـر و«المـلـك» بضم الميم وسكون اللام السلطنة والعزّ والقهر والغلبة والجـلال والعظمة والرفعة والعلو و«الظاهر» بمعنى الـبين أو بمعنى الـعـالي الـغـالـب أو بمعنى الـعـالم بـالأمـور وعلى الأول صفة للجلال وعلى الأخيرين صفة للرب على الظاهر «والـنـور» مابه يظهر و يبصر الخفيّات المحجوبات عن الأبصار «والبهر» الاضائة أو الغلبة «والبرهان» الحجة. رفيع ـ (رحمه الله).

-٢٨-

باب الدليل على انه واحد واطلاق القول بانه شيء

٢٥٦ - ١ (الكافي - ١: ٨٠) علي، عن أبيه، عن عباس بن عمرو الفقيمي،[١] عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبدالله (عليه السلام) وكان من قول أبي عبدالله (عليه السلام) «لايخلو قولك إنّهما اثنان[٢] من أن يكونا

١ . الفقيمي نسبة الى فقيم بضم الفاء وفتح القاف... بطن من «بطن من «دارم» وهم بنو فقيم أوردناه ملخصاً من «تنقيح المقال». «ض.ع» .

٢ . قوله: «لايخلو قولك انّهما اثنان...» استدلال على بطلان الاثنينية في المبدأ الأول الموجود بذاته لاموجد وتحرير هذا الدليل أنه لوكان المبدأ اثنين فلايخلوا من أن يكونا قديمين قويّين أو يكونا ضعيفين أو يكون أحدهما قويّاً والآخر ضعيفاً.
والمراد بالقوي القوي على فعل الكلّ بالارادة مع ارادة استبداده به والمراد بالضعيف الذي لايقوى على فعل الكل ولايستبد به ولايقاوم القوي «فان كانا قويين فلم لايدفع كل منها صاحبه و يتفرّد به» أي يلزم من قوتهما انفراد كلّ بالتدبير و يلزم منه عدم وقوع الفعل فان زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه واحد أي المبدأ للعالم واحد لعجز الضعيف عن المقاومة والتأثير وثبت احتياج الضعيف الى العلّة الموجدة لأن القويّ أقوى وجوداً من الضعيف وضعف الوجود لايتصوّر إلّا بجواز خلو الماهية عن الوجود و يلزم منه الاحتياج الى المبدء المباين الموجد له.
فان قلت إنّهما اثنان أي المبدءان اثنان وهذا هو الشق الباقي أي كونها ضعيفين بأن يقدر و يقوي كلّ منها على بعض أو يفعل بعضاً دون بعض بالارادة وإن كان يقوى على الكلّ وفي هذا الشقّ لايخلو من أن يكونا متفقين أي في الحقيقة من كلّ جهة و يلزم من هذا عدم الامتياز بالتعيّن للزوم المغايرة بين الحقيقة والتعيّنين المختلفين واستحالة استنادهما الى الحقيقة واستحالة استنادهما الى الغير فيكون لها مبدءآن أو مختلفين مفترقين من كل جهة وذلك معلوم الانتفاء فانا لمارأينا الخلق
←

قديمين قويين أو يكونا ضعيفين أو يكون أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً فان كانا قويين فلِمَ لايدفع كل واحد منها صاحبه و يتفرد بالتدبير وان زعمت أنّ أحدهما قويّ والآخر ضعيف ثبت أنّه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني .

فان قلت: انها اثنان ـ لم يخلوا [١] من أن يكونا متفقين من كل وجه أو مفترقين من كل جهة،فلمّا رأينا الخلق منتظماً والفلك جارياً والتدبير واحداً والليل والنهار والشمس والقمر دلّ صحة الأمر والتدبير وايتلاف الأمر على ان المدبّر واحد، ثم يلزمك إن ادعيت إثنين فرجة مابينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثة، فان ادعيت ثلاثة [٢] لزمك ماقلت في الاثنين حتى يكون بينهم فرجة فيكونوا خمسة، ثم يتناهى في العدد الى مالانهاية له في الكثرة قال هشام: فكان من سؤال الزنديق أن قال: فاالدليل عليه؟ فقال أبو عبدالله (عليه السلام) «وجود الأفاعيل دلّت على أنّ صانعاً صنعها ألا ترى أنّك إذا نظرت إلى بناء مشيّد مبنيّ علمت أن له بانياً وإن

←

منتظما والفلك جارياً والتدبير واحداً والليل والنهار والشمس والقمر دلّ صحّة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على انّ المدبر واحد لااثنان مختلفان من كل جهة ثم ذلك المدبر الواحد لايجوز ان يكون واحداً بجهة من حيث الحقيقة مختلفاً بجهة أخرى فيكون المدبر اثنين و يلزمك ان ادعيت اثنين فرجة مابينهما لأن لهما وحدة فلايتمايزان إلّا بمميز فاصل بينهما حتى يكونا اثنين لامتناع الاثنينية بلاتميّز بينهما وعبر عن الفاصل المميز بـ«الفرجة».

وأولئك الزنادقة لم يكونوا يدركون غير المحسوسات تنبيهاً على انكم لا تستحقّون ان تخاطبوا إلاّ بمايليق استعماله في المحسوسات وذلك المميز لابدّ أن يكون وجودياً داخلاً في حقيقة أحدهما إذ لايجوز التعدد مع الاتّفاق في تمام الحقيقة كما ذكرناه ولايجوز أن يكون ذلك المميز ذا حقيقة يصحّ انفكاكها عن الوجود وخلوها عنه ولوعقلا.

وإلّا لكان معلولاً محتاجاً الى المبدأ فلايكون مبدأ أوّلاً ولاداخلاً فيه فيكون المميز الفاصل بينهما قديماً موجوداً بذاته كالمتفق فيه.فيكون الواحد المشتمل على المميز الوجودي اثنين لاواحداً و يكون الاثنان اللذان ادعيتها ثلاثة. رفيع ـ (رحمه الله).

١ ـ بصيغة التثنية وفي الكافي المطبوع و«المخطوط، م» «لم يخل» بصيغة المفرد.

٢ ـ قوله: «فان ادعيت ثلاثة ...» أي لزمك ماقلت في الاثنين من تحقق المميّز بين الثلاثة ولابدّ من مميّزين وجوديين حتى يكون بين الثلاثة فرجتان ولابدّ من كونهما قديمين كما مرّ فيكونوا خمسة وهكذا ثم يتناهى في العدد الى مالانهاية له في الكثرة أي يتناهى الكلام في التعدد الى القول بمالانهاية له في الكثرة أو يبلغ عدده الى كثرة غير متناهية أو المراد يلزمك ان يتناهى المعدود (المنتهى ضرورة بمعروض ماينتهي به العدد أي الواحد) الى كثير لانهاية له في الكثرة فيكون عدداً بلاواحد وكثرة بلاوحدة وعلى هذا يكون الكلام برهانياً لايحتاج الى ضميمة وعلى الأولين يصير بضميمه ماذكرناه من ثالث الاحتمالات برهانياً ولايبعد أن يكون الإتيان منه (عليه السلام) بكلام ذي وجهين ليفهم منه المجادل القاصر عن الوصول الى البرهان مايسكته والواصل الى درجة البرهان مايوصله الى اليقين في نفي التعدد. رفيع ـ (رحمه الله).

كنت لم تر الباني ولم تشاهده» قال: فما هو؟ قال: «شي ء بخلاف الأشياء ارجع بقولي [١] إلى إثبات معنى وأنه شيء بحقيقة الشيئية غير أنه لاجسم ولاصورة ولايحسّ [٢] ولايدرك بالحواس الخمس لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدّهور ولا تغيّره الأزمان، فقال له السائل: فتقول إنّه سميع بصير؟ قال: «هو سميع بصير سميع بغير جارحة و بصير بغير آلة بل يسمع بنفسه و يبصر بنفسه ليس قولي

---

١ . وقوله: «ارجع بقولي إلى اثبات معنى» أي مقصود باللفظ وأنه شيء أي المبدء موصوف بحقيقة الشيئية أي هو موصوف بحقيقة الشيئية واطلاق الشي ء عليه بهذا الاعتبار والشيء مساوٍ للوجود اذا أخذ الوجود أعمّ من الذهني والخارجي وأعم من الوجود العيني والفرق بينهما أن الملحوظ بالوجود هو الذي يصحّ انتزاع الوجود منه سواء كان بتجريدها عن الوجود الخارجي أو بدونها فالملحوظ بالوجود مطلقاً من حيث الخلط شيء وشيئيته كونه ماهية قابلة له صحيح الخلط به والوجود هو المعنى البديهي المنتزع من الماهية المخلوطة.

فهنا مخلوط وخالط ومخلوط به فالمخلوط كالقابل والمخلوط به كالصفة والخلط كالاتصاف وهوعماهو قابل ومنتزع منه شيء وبمايختلط بالوجود موجود والشاهد على تغايرها كما ذكرنا صحة قولك شيء موجود دون موجود شيء ولشدة الاتصال بين المعنيين وصعوبة التميز قال بعض بالعينية وقوم بالمساوقة وحقيقة الأمر ماأشرنا إليه والحاصل أنه حقيقة من الحقائق ينتزع منه الوجود لكنه لايصحّ تجريد حقيقته وتخليته في مرتبة من المراتب عن الوجود كما في الممكنات وأشار إلى ذلك بقوله «غير أنه لاجسم ولاصورة» أي ليس ماهية من الماهيات المدركة بعقولنا التي قابلة للتجريد عن الوجود الخارجي كالجسم المادة للصورة والصورة الحالّة فيها و يندرج فيها كلّ الأمور المتعلقة بالمادة و بالمتعلّق بها نحواً من التعلق يُعدّ به كالصورة لمايتعلّق به فيدخل فيها النفس والعقل وأكثر الأعراض «ولايحسّ» أي ليس من شأنه ان يدرك بحاسّة البصر فإن الاحساس في اللغة الابصار قال في الغريبين: قوله (فلمّاأحسّ عيسى منهم الكفر) [٣] أي علمه وهو في اللغة. أبصره.

ثم وضع موضع العلم والوجود ومنه قوله تعالى: (هل تحسّ منهم من أحد) [٤] أي هل ترى يقال هل أحسست فلاناً أي هل رأيته انتهى. ولايجس كما في بعض النسخ أي لايمكن مسّه باليد ولايدرك بالحواس الخمس أي لابذاته ولابكيفية له فانه لاكيفية له فضلاً عن أن يكون له كيفية محسوسة بأحد من الحواس الظاهرة.

ثم نفى كونه مدركاً بالحسّ الباطني بقوله: «لا تدركه الأوهام» فان الوهم يدرك كل مايدركه سائر الحواس الباطنة وهو يدرك مالاتدركه سائر الحواس فلمّانفى كونه مدركاً بالوهم لزم كونه غير مدرك بشيء من الحواس الباطنة.

ثم أراد تنزيهه عن النقص والتغير فقال «لا تنقصه الدهور ولا تغيره الأزمان» ولما كان الدهر ظرف الثابت بالنسبة الى المتغير والزمان ظرف المتغير بماهو متغير و يعبر عنه بنسبته للمتغير فكل مافي الدهر متصف بالنقص أي يخلو عمّا يقبله و يستحقّه أو يتصف بمالايليق به والأخرى بالخلو عنه لكونه موضوعاً للتغير فقوله «لا تنقصه الدهور» نفي كونه واقعاً في الدهر وموضوعاً للمتغير أو مرتبطاً بمافي الدهر ارتباطاً يوجب الاتصاف بمايتصف به الواقع في الدهر.

و بقوله «ولا تغيره الأزمان» نفي كونه واقعاً في الزمان ومرتبطاً بمافي الزمان ارتباطاً يوجب اتصافه بصفات متغيرة. رفيع ـ (رحمه الله).

٣. آل عمران/٥٢

٤. مريم/٩٨

٢ . وفي الكافي المطبوع و«المخطوط، م» ولايحسّ ولايجسّ، وسيجيء في حديث ٢٨٣ «غير محسوس ولامجسوس» وزيادة التوضيح يأتي في البيان «ض.ع» .

إنّه سـميع يسمع بنفسه [١] و يبصر [٢] بنفسه أنّه شيء والنفس شيء آخر ولكن أردت عـبارة عـن نفسي إذ كنت مسؤولاً وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً فأقول إنّه سـميع بـكلّـه، لاأنّ الـكلّ منه له بعض [٣] ولكنّي أردت أفهامك والتعبير عن نفسي وليس مرجعي في ذلك إلّا إلى أنّه السميع البصير العالم الخبير بلااختلاف الـذات ولااخـتـلاف المـعنى» قـال لـه السائل: فماهو؟ [٤] قال أبوعبدالله (عليه السلام) «هو الرّبّ وهو المعبود وهو الله وليس قولي ـ الله ـ إثبات هذه الحروف: الـف ولام وهـاء ولاراء ولابـاء ـ ولـكـن أرجـع الى معنى وشيء خالق الأشياء وصانعها [٥] ونعت هذه الحروف وهو المعنى سمّى به الله والرحمن والرحيم والعزيز

١ . قـولـه «انـه سميع يسمع بنفسه ...» انه شيء والنفس شيء آخر أي ليس إضافة النفس إليه سبحانه كاضافة النفس إلينا فـانّـهـا تـطلق فينا على مايغاير البدن و يضاف إلى شخص بمعنى البدن وبمعنى المجموع وهي غيرهما ولكن أردت التعبير بعبارة عـن مـاني نـفـسي. ولغوز العبارة أتيت بلفظ النفس على طباق مايورد في بدل الكلّ إذ كنت مسؤولاً محتاجاً إلى التعبير عن الجـواب وأردت افـهامك «إذ كنت سائلاً» ولايتيسّر بدون العبارة معناها وأقول: يسمع بكلّه لا كما يستعمل الكل فينا لأنّ كلّـه كلّ لابعض له وكلّنا كلّ لنا بكـليّـتنا بعض ولكن أردت افهامك والتعبير عمّا في نفسي وليس مرجعي في ذلك كلّه ومرادي بالتعبير بهذه العبارة إلّا أنّه السميع البصير والعالم الخبير بلااختلاف الـذات ولااختلاف المعنى بل المناط فيها كلّها ذاته. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . و بصين: يبصر بنفسه ـ خ ل .

٣ . قـولـه «لاأنّ الـكـل مـنـه له بعض» أي ليس المراد بكلّه أنه مجتمع من أبعاض وله بعض، بل المراد بكونه سميعاً بكلّه كونه سميعاً بحقيقته وذاته الواحدة الغير المنقسمة والمتكثرة، أو المعنى أنّه سميع بكلّه لاأن الكلّ منه له بعض حتى يتوهّم أنّه يسمع به فالمراد بكونه سـميعاً بكلّه نفي كونه سميعاً ببعضه.

وقـولـه «ولـيـس مـرجـعـي في ذلـك إلّا إلى انّه السميع البصير...» أي ليس مرجعي في كلامي إلّا إلى كونه سميعاً بصيراً ومرجع السمع والبصر فيه كونه عالماً خبيراً بالمسموع والمبصر كعلم السامع البصير منّا، لكن بآلة وجارحة كما في الحيوان. بل بـلااخـتـلاف الذات بالأجزاء ولااختلاف المعنى أي الصفة للذات أو للصفة كما سبق من امتناع اختلاف الجهتين القابلية والفاعلية والامكان والوجوب في المبدء الأوّل جلّ شأنه. رفيع ـ (رحمه الله).

٤ . قـال له السائل فماهو؟ أي إذا لم يكن له جزء ولاصفة فالذي يقال عليه ـ يعرف به، قال أبوعبدالله (عليه السلام) في جوابه «انه الربّ وهـو المـعـبـود» أي يـعـرف بـالـفعل والاضافة بالنسبة الى من يريد معرفته أو منسوب اليه أو بالنسبة الى الكلّ فـلايـضـاف الى مـنسوب اليه أو كالتعبير عنه بأنّه هو الله فانه ليس المقصود بقوله هو الله أنه هذا الحروف (الف ولام وهاء) ولابـقوله هو الربّ أنه (راء و باء) ولكن اثبات معنى أي صفة فعلية هو خالق الأشياء وصانعها فيعرف بانه موصوف بالصفة الفعلية وهذه حروف وضعت للموصوف بهذه الصفة فينتقل منها اليه وليست هو هي فانّ «نعت هذه الحروف وهو المعنى».

قـولـه «ونـعـت» مـبـتـدأ مـضاف الى قوله «هذه» وخبره «الحروف» والمعنى ان نعت هذه الحروف التي في الله والربّ انّها حـروف وانّـهـا ألـف، لام، هاء، راء، باء، وهو أي المقصود اثباته المعنى «سمّي به» أي سمّي المعنى بالاسم الذي هو هذه الحروف فتذكير الضمير باعتبار الاسم وقوله الله والرحمن مبتدأ «خبره» من أسمائه. رفيع ـ (رحمه الله).

٥ . في تـوحيد الصدوق هكذا: ولكن ارجع الى معنى هو شيء خالق الأشياء وصانعها وقعت عليه هذه الحروف وهو المعنى الذي

←

وأشباه ذلك من أسمائه وهو المعبود جلّ وعزّ، قال له السائل: فانّا لم نجد موهوماً إلّا مخلوقاً قال أبو عبدالله (عليه السلام) «لوكان ذلك كما تقول لكان التوحيد عنّا مرتفعاً لأنّا لم نكلّف غير [١] موهوم ولكنّا نقول كل موهوم بالحواس مدرك به تحدّه الحواس وتمثّله فهو مخلوق [٢] إذ كان النفي هو الابطال والعدم والجهة الثانية التشبيه إذ كان التشبيه هو صفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف، فلم يكن بدّ من اثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار إليهم أنهم مصنوعون وأنّ صانعهم غيرهم وليس مثلهم إذ كان مثلهم شبيهاً بهم في ظاهر التركيب والتأليف وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد إذ لم يكونوا وتنقلهم من صغر إلى كبر وسواد إلى بياض وقوة إلى ضعف وأحوال موجودة لاحاجة بنا الى تفسيرها ـ لبيانها [٣] ووجودها» فقال السائل: فقد حدّدته اذ أثبتّ وجوده.

قال أبو عبدالله (عليه السلام) «لم أحدّه ولكنّي أثبتّه إذ لم يكن بين النفي والاثبات منزلة قال له السائل: فله إنيّة ومائية؟ قال: «نعم لايثبت الشيء إلّا بانية ومائية» قال له السائل: فله كيفية؟ قال: «لا لأنّ الكيفيّة جهة الصفة والإحاطة ولكن لابدّ من الخروج ـ عن [٤] جهة التعطيل والتشبيه لأنّ من نفاه فقد أنكره ودفع ربوبيّته وأبطله ومن شبّهه بغيره فقد أثبته بصفة المخلوقين المصنوعين الذين لايستحقون الربوبية ولكن لابدّ من اثبات أنّ له كيفية لايستحقّها غيره ولايشارك فيها ولايحاط بها ولايعلمها غيره» قال السائل [٥]:

يسمى به مله. ـ (رحمه الله).

١ . لأنا لم نكلف أن نعتقد غير موهوم. كذا في توحيد الصدوق في باب الردّ على الثنوية والزنادقة.

٢ . ولابدّ لنا من إثبات صانع الأشياء خارج من الجهتين المذمومتين، إحداهما النفي إذ كان إلى آخره كذا في توحيد الصدوق.

٣ . لثباتها إلى آخره ـ كذا في توحيد الصدوق.

٤ . من جهة... الكافي المطبوع و«المخطوط، م».

٥ . قوله: «قال السائل فيعاني الأشياء بنفسه ...» معاناة الشيء ملابسته ومباشرته وتحمل التعب في فعله والمراد انه اذا كان واحداً لاتركيب فيه ولا تأليف منفرداً بالربوبية اذ لايستحقها مصنوع فيباشر خلق الأشياء وصنعها بنفسه ويصلحها ويتحمل مشقة فعلها بذاته فأجاب (عليه السلام) عنه بأنه أجلّ من أن يعاني الأشياء بمباشرة ومعالجة لأن ذلك صفة المخلوق الذي لايجيء الأشياء له أي لايحصل ولايتيسر له فعلها لعجزه وقصوره عن أن يترتب وجود الأشياء على ارادته ومشيته فلايتأتى له فعلها إلّا بالمباشرة والمعالجة وهو سبحانه متعال عن ذلك نافذ الارادة والمشية فعال لمايريد فاذا أراد وجود شيء

فيعاني الأشياء بنفسه؟ قال أبوعبدالله (عليه السلام) «هو أجلّ من أن يعاني الأشياء بمباشرة ومعالجة لأنّ ذلك صفة المخلوق الذي لايجيء [١] الأشياء له إلّا بالمباشرة والمعالجة وهو متعالي نافذ الإرادة والمشيّة فعال لمايشاء». [٢]

بيان:

«فقيم» حي من كنانة قوله (عليه السلام) «لايخلو قولك» الى قوله «فان قلت» برهان مبني على ثلاث مقدمات مبيّنة في كتب الحكمة مضمنة في كلامه (عليه السلام): إحداها أنّ صانع العالم لابدّ أن يكون قو ياً مستقلاً بالايجاد والتدبير لكل واحد واحد والجميع والثانية عدم جواز استناد حادث شخصي الى موجدين مستقلين بالايجاد والثالثة استحالة ترجّح أحد الأمرين المتساو يين على الآخر من غير مرجّح وقدوقعت الاشارة الى الثلاث بقوله (عليه السلام) «فلِمَ لايدفع كلّ واحد منهما صاحبه»؟ ثم دفع كل واحد منهما صاحبه مع أنه محال في نفسه مستلزم للمطلوب.

وقوله (عليه السلام) «لم يخلوا» برهان آخر مبني على ثلاث مقدمات حدسية: احداها أنّ كلّ متفقين من كلّ وجه [٣] بحيث لا تمايز بينهما أصلاً لايكونان إثنين بل هما واحد البتة كما قيل [٤] صرف الوجود الذي لاأتم منه كلّما فرضته ثانياً فاذا نظرت فهو هو والثانية أنّ كلّ مفترقين من كلّ جهة لايكون صنع أحدهما مرتبطاً بصنع الآخر ولا تدبيره مؤتلفاً بتدبيره بحيث يوجد عنهما أمر واحد شخصي والثالثة أنّ العالم اجزاؤه مرتبط بعضها ببعض كأنّ الكلّ شخص واحد.

←

بأسبابه يوجد مرتباً على وجود أسبابه وإذا أراده لابأسبابه العادية يوجد بلاأسباب على خلاف العادة. رفيع ـ (رحمه الله).

١ . لايجيء، كافي المطبوع والمخطوط.

٢ . هذا الحديث فرقه في الكافي فرقاً فأورد أوائله في الباب السابق وأعاد بعضها مع أواسطه في هذا الباب تارة وفي باب آخر بعد صفات الذات أخرى مقتصراً على بعضها و بعض أواخره في باب الإرادة و بعضها في باب الاضطرار الى الحجة وكرّر ذكر الاسناد و بعض الألفاظ واختصر في عنوان هذا الباب على الجزء الثاني ونحن واقفناه في موضعي أواخره وجمعنا بين الأوائل والأواسط في هذا الباب من دون تكرار. منه أدام الله أفضاله.

٣ . وإن فسرنا قوله متفقين من كلّ وجه بالاتّفاق في الحقيقة وان تعدد في الوجود لم يحتج الى المقدمة بل يبطله بقوله «ثمّ يلزمك» منه رحمه الله.

٤ . القائل الشيخ الإلهي صاحب الاشراق. عهد.

وقوله (عليه السلام) «ثم يلزمك» إمّا برهان ثالث مستقل على حياله وإمّا تنوير للثاني وتشييد له على سبيل الاستظهار بأن يكون إشارة إلى إبطال قسم ثالث وهو إن يكونا متفقين من وجه ومفترقين من وجه آخر فيقال لوكانا كذلك يكون لامحالة مابه الامتياز بينهما غير مابه الاشتراك فيهما فيكونوا ثلاثة وإلى البرهان الثاني أشار مارواه الصدوق في كتاب التوحيد باسناده عن هشام بن الحكم قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) ماالدليل على انّ الله واحد؟ قال «اتصال التدبير وتمام الصنع» كما قال عزّ وجلّ: **لَوْكَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّااللّهُ لَفَسَدَتَا** [١].

وروى فيه أيضاً باسناده عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) أنّه قال: إنّ القول في أنّ الله واحد على أربعة أقسام فوجهان منها لايجوزان على الله عزّ وجلّ ووجهان يثبتان فيه فامّا اللذان لايجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد فهذا مالايجوز لأنّ مالا ثاني له لايدخل في باب الأعداد أماترى أنّه كفر مَن قال ثالث ثلاثة وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا مالايجوز عليه لأنّه تشبيه وجلّ ربّنا وتعالى عن ذلك وأمّا الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له في الأشياء شبه كذلك ربّنا وقول القائل إنّه ربّنا عزّ وجلّ أحدي المعنى يعني به أنّه لاينقسم في وجود ولاعقل ولاوهم كذلك ربّنا عزّ وجلّ .

وفي بعض النسخ بعد قوله ولايحسّ بالمهملة ولايجسّ بالجيم وهو إمّا من جسّست الأخبار وتجسّستها أي تفحصت عنها وإمّا من جسسته بيدي: أي مسستهُ «فنقول إنّه سميع بصير» لعلّ السائل توهّم أنّ تنزيهه عليه السلام للباري سبحانه عن مشاركة غيره ينافي كونه سميعاً بصيراً فازاح (عليه السلام) ذلك الوهم بأنّ غيره سميع بجارحة بصير بآلة وهو سبحانه يسمع و يبصر لابجارحة ولابآلة ولابصفة زائدة على ذاته وذلك لأنّ معنى السماع والابصار ليس إلّا حضور المسموع عند السامع وانكشاف المبصر عند البصير وليس من شرطهما أن يكونا بآلة أو جارحة .

فذاته تعالى سميع إذ ينكشف عنده المسموعات وسمع إذ يقع به ذلك الانكشاف

١ . الأنبياء/٢٢.

و بصير إذ ينكشف عليه المبصرات و بصر إذ يقع به ذلك الانكشاف وهذه الاعتبارات لا توجب له كثرة اذ مرجع الجميع الى الذات الأحدية المنفصلة عمّاسواه بنفسه «عبارة عن نفسي» أي عبارة عمّافي نفسي بمايناسب ذاتي اذ كنت مسؤولاً وإفهامك الأمر بمايناسب ذاتك إذ كنت سائلاً والمرجع الى نفي اختلاف الذات ونفي اختلاف الحيثيات وسلب المعاني المتغايرة وفي ذلك قيل [1] وجود كلّه، وجوب كلّه، علم كله، قدرة كلّه، حياة كلّه، إرادة كلّه ـ لاأنّ شيئاً منه علم وشيئاً آخر قدرة ليلزم التركّب [2] في ذاته ولاأنّ شيئاً فيه علم وشيئاً آخر فيه قدرة ليلزم التكثر في صفاته وتمام تحقيق هذا الكلام يأتي في أبواب معرفة الصفات إن شاء الله .

وفي توحيد الصدوق رحمه الله مكان قوله ولكن أرجع الى معنى ـ إلى قوله سمي به ـ الله ـ ولكنّي أرجع الى معنى هو شيء خالق الأشياء وصانعها وقعت عليه هذه الحروف وهو المعنى الذي يسمّى به الله وهو الصواب وفيه لأنّا لم نكلّف أن نعتقد غير موهوم وهو الصحيح وفيه كلّ موهوم بالحواس مدرك بها على التأنيث و بعد قوله فهو مخلوق ولابدّ من اثبات صانع للأشياء خارج من الجهتين المذمومتين إحداهما النفي إذ كان النفي هو الابطال والعدم وكأنه أسقطه بعض نساخ الكافي سهواً وتبعه آخرون وفيه بعد قوله لوجود المصنوعين والاضطرار منهم إليه يثبت [3] أنهم مصنوعون وهو الصواب ومعاناة الشيء ملابسته ومعاشرته وأصله المقاساة من العناء .

٢٥٧ ـ ٢ **(الكافي ـ ١:٨٢)** علي، عن محمدبن عيسى،عن التميمي قال سألت أباجعفر (عليه السلام) عن التوحيد [4] فقلت: أتوهّم شيئاً فقال: «نعم غير

١ . القائل هو المعلّم الثاني أبونصر الفارابي.
٢ . التركيب ـ ف ، ق.
٣ . ثبت ـ خ ل.
٤ . قوله: «سألت أباجعفر عليه السلام عن التوحيد» أي معرفته متوحداً بحقيقته وصفاته فلايوصف بصفات غيره المغايرة للموصوف وقوله «اتوهم شيئاً» أي أدركه وأتصوره شيئاً وأصفه بالشيئية وقوله «نعم غير معقول» أي نعم توهمه وتصوره شيئاً غير معقول أي غير مدرك بالعقل بكنهه إدراكاً كليّاً ولامحدوداً أي بحدود عقلية أو حسيّة وكلّ مدرك بالحواس والقوة الوهميّة إدراكاً جزئياً محدود فماوقع وهمك عليه وتدركه به فهو سبحانه خلافه وكيف تدركه الأوهام وهو خلاف مايعقل و يتصوّر في

معقول ولامحدود فماوقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه لايشبهه شيء ولا تدركه الأوهام كيف تدركه الأوهام وهو خلاف مايعقل وخلاف مايتصوّر في الأوهام إنّما يتوهّم شيء غير معقول ولامحدود» .

بيـــان:

والمراد بأبي جعفر هنا الجواد (عليه السلام) «نعم غير معقول ولامحدود» أي يصدق عليه مفهوم شيء وإن لم يكن شيئاً معقولاً لغيره ولامحدوداً بحدّ ولايشبهه شيء ممّا في المدارك والأوهام وذلك للفرق بين مفهوم الأمر وماصدق عليه فهو ليس بمفهوم الشيء ولاشيئاً من الأشياء وإن صدق عليه أنّه شيء .

٢٥٨ - ٣ (الكافي - ١:٨٢) محمد بن أبي عبدالله، عن محمد بن اسماعيل، عن الحسين بن الحسن، عن بكر بن صالح، عن الحسن بن سعيد قال سُئل أبوجعفر الثاني (عليه السلام) يجوز أن يقال لله انه شيء قال: «نعم [١] تخرجه [٢] من الحدين حدّ التعطيل وحدّ التشبيه» [٣].

بيـــان:

محمد بن اسماعيل هذا هو البرمكي صاحب الصومعة عيّنه الصدوق (رحمه الله) ولمّا دلّ السؤال على أن السائل نفى التشبيه عن الله جلّ جلاله أجاب (عليه السلام)

الأوهام لأنه يجوز على كلّ معقول ومتصوّر بالوهم تجريد العقل إيّاه عن الاينيّة والوجود بخلافه سبحانه. رفيع - (رحمه الله).

١ - قوله: «يجوز أن يقال لله أنه شيء؟ قال نعم ...» الشيء في بعض الاصطلاحات يطلق على الماهيات وبهذا الاصطلاح لايطلق على الله عند أهل التحقيق وأمّا الغالب فالشيئية مساوقة للوجود فيطلق على الله بهذا الاصطلاح ولكن بشرط أن يتحقق لدى المستعمل أنه ليس كسائر الأشياء فلايعتقد التشبيه «ش».

٢ - يخرجه، الكافي المطبوع والمخطوط والمدايا.

٣ - قوله: «نعم تخرجه من الحدين» أي يجوز أن يقال لله أنه شيء ويجب أن يخرجه القائل من الحدين فقوله «تخرجه» إنشاء في قالب الخبر والمراد بـ(حد التعطيل) الخروج عن الوجود وعن الصفات الكمالية والعقلية والاضافية وبـ(حد التشبيه) الاتصاف بصفات الممكن والاشتراك مع الممكنات في حقيقة الصفات. رفيع - (رحمه الله).

بقـوله تخرجه مـن الحدين وإلّا فاطلاق الشيء عليه اخراج له من حدّ التعطيل فقط فينبغي أن يقال شيء لا كالأشياء .

٢٥٩ - ٤ (الـكـافي - ١:٨٥) العـدّة، عن البرقي،عن محمدبن عيسى عمّن ذكره قال: سئل أبوجعفر (عليه السلام) الحديث [١].

٢٦٠ - ٥ (الـكـافي - ١:٨٢) علي، عـن الـعـبـيـدي، عـن يـونـس،عـن أبي المغرّاء رفعه،عـن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «قال انّ الله خلو من خلقه [٢] وخلقه خلو منه وكلّ ماوقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ماخلا الله» .

بيـــان:
الخِلو بالكسر الخالي والسرّ في خلوّ كلّ منهما عن الآخر أنّ الله سبحانه وجود بحت خـالـص لاماهية له سوى الإنّيّة والخلق ماهيات صرفة لاإنّية لها من حيث هي وانّما وجدت به سبحانه و بانيته فافترقا .

٢٦١ - ٦ (الكافي - ١:٨٣) الثلاثة، عن علي بن عطية، عن خيثمة،عن أبي جعفر (عـليـه السلام) قال: «إنّ الله تعالى خلو من خلقه وخلقه خلو منه وكلّ ماوقع عليه اسم شيء ماخلا الله فهو مخلوق والله خالق كلّ شيء» .

١ . وفي هذا الحديث... أيجوز أن يقال أنّ الله شيء ـ مكان ـ يجوز أن يقال لله شيء.
٢ . قوله: «خلو من خلقه وخلقه خلو منه» الخلو بكسر الخاء وسكون اللام الخالي والمراد أنه سبحانه لايتّصف بالشيء المغاير له ولايتقوم به ولايكون جزء من شيء أو صفة لشيء لأن كلّ شيء مغاير له مخلوق له لامتناع تعدد الموجد الأول وكون كلّ ممكن محتاجاً الى المبدأ مخلوقاً له فكل مامغايره مخلوقه واتصافه بمخلوقه مستحيل لأن كلّ مايمكن اتّصافه بشيء يكون فيه استعداده والمستعد للشيء فاقد له والفاقد للشيء أو للأتم وأكمل منه لايتأتي منه اعطاءه فان كان الأول سبحانه موصوفاً في حدّ ذاته بحقيقة الصفة فحقيقتها موجودة بذاته متحدة بالواجب تعالى فكيف يخلق صفة وإن كان موصوفاً في حدّ ذاته بالأتمّ والأكمل فكيف يتّصف بالناقص المضاد للكامل. رفيع ـ (رحمه الله).

بيــان:

خيثمة بتقديم المثناة .

٢٦٢ - ٧ (**الكافي** - ١:٨٢) العدّة، عن البرقي، عن أبيه، عن النضر، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن زرارة قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «انّ الله تعالى خلو من خلقه وخلقه خلو منه وكلّ ماوقع عليه اسم شيء [١] ماخلا الله فهو مخلوق والله خالق كلّ شيء تبارك الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» .

١ . قوله: «وكل ماوقع عليه اسم شيء ماخلا الله فهو مخلوق» والله خالق كلّ شيء أي ابتداء لابأن يكون خالق شيء وقوله «تبارك الذي ليس كمثله شيء» أي تقدس وتنزه الذي ليس مثله شيء ويُعلم من هذا كونه خالقاً ابتداء لكل شيء بأنه لوخلق غيره لكان مثله في الخالقية والايجاد والإلهية لخلقه وهو متنزه عن أن يشاركه شيء في الخالقية لأن المشاركة له في الخالقية يجب أن يكون مشاركاً له في الايجاب ولاايجاب إلّا ممّاله الوجوب والوجوب بالغير صفة للغير حقيقة وإلّا فيتأخر عن الوجود فيكون وجوباً لاحقاً لاسابقاً مصححاً للموجودية والايجاب والايجاد.
وقوله و«هو السميع البصير» إشارة الى أن كونه سميعاً بصيراً لايوجب مشاركته ومماثلته لغيره ولااتصافه بمخلوق كما في المخلوق وهذه الرواية والتي بعدها أوردت في هذا الباب لتضمنها استثناؤه سبحانه من قوله «كلّما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق» بقوله (ماخلا الله)، رفيع - (رحمه الله).

-٢٩-

بـاب انّه لايعرف الاّ به

٢٦٣ - ١ (الكـافي - ١:٨٥) علي بن محـمـد عـمّن ذكره، عن ابن عيسى، عن محـمدبن حمران، عن الفضل بن سكن، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال أمـيـرالمـؤمـنين (عـلـيـه الـسلام) «إعرفوا الله بالله والرّسول بالرسالة وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان» .

بيـــان:

قـال الـكـلـيني (رضـي الله عـنه) ومعنى قوله «اعرفوا الله بالله» يعني انّ الله خلق الأشـخـاص والأنوار والجواهر والأعيان فالأعيان: الأبدان والجواهر: الأرواح فهو جلّ وعزّ لايشبه جسماً ولاروحاً وليس لأحد في خلق الروح الحسّاس الـدرّاك أمر ولاسبب هـو المـنـفرد بخلق الأرواح والأجسام فاذا نفى عنه الشبهين شبه الأبدان وشبه الأرواح فقدعرف الله بالله وإذا شبّه بالروح أو البدن أو النور فلم يعرف الله بالله .

وقـال الـصـدوق (طـاب ثـراه) في كـتـاب الـتـوحـيد بعدما أسند هذا التفسير الى الـكـلـيني (رحمه الله) وذكر أخباراً أُخر في هذا المعنى والقول الصواب في هذا الباب أن يقال: عـرفـنـا الله بـالله لأنّا إن عرفناه بعقولنا فهوعزّ وجلّ واهبها وإن عرفناه عزّ وجلّ بـأنـبـيـائـه ورسـلـه وحججه (عليهم السلام) فهوعزّ وجلّ باعثهم ومرسلهم ومتخذهم

حججاً وإن عرفناه بأنفسنا فهو جلّ وعزّ محدثها فبه عرفناه .

وقد قال الصادق (عليه السلام) لولاالله ماعرفنا ولولانحن ماعرف الله ومعناه لولاالحجج ماعُرف الله حقّ معرفته ولولاالله ماعُرف الحجج انتهى كلامه وقال أهل الحكمة من عرف الله جلّ وعزّ لاباستشهاد من الخلق عليه بل إنّما عرفه بالنظر الى حقيقة الوجود بماهو وجود وانّه لابدّ أن يكون قائماً بذاته أو مستنداً الى من يقوم بذاته فقدعرف الله بالله .

أقول: أمّا تفسير الكليني (رحمه الله) ففيه اجمال وابهام وهو لايوضح المطلوب حقّ الايضاح وأمّا تفسير الصدوق (طاب ثراه) فهو يعطي انحصار طريق معرفة الله سبحانه في معرفته به عزّ وجلّ وهو خلاف ظاهر الحديث فانّ ظاهر الحديث يعطي أنّ لها طريقاً آخر غير هذا إلّا انّ هذا هو الأولى والأرجح والأصوب .

وأمّا قول الحكماء فهو راجع الى اثبات ذاته عزّ وجلّ بذاته لامعرفته بذاته وفرق بين اثبات الشيء ومعرفته وليس الكلام هاهنا في إثباته سبحانه بل في معرفته فإنّهم يعدّون ثبوته بديهياً فطريّاً كما أُشير إليه بقوله عزّ وجلّ فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا [١] ونبّه على ذلك في غير موضع من كتابه عزّ وجلّ مثل قوله: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ [٢] وقوله حكاية عن الخليل (عليه السلام) بقوله: هٰذا ربّي [٣] و بقوله حكاية عن فرعون بقوله: وَمٰارَبُّ الْعٰالَمِينَ [٤] فانّ في أمثال هذه الآيات دلالة على أنّ وجود الربّ أمر ثابت .

وإنّما الكلام في تعيينه ونعته فهم لايطلبون إلّا معرفته لايشكّون في وجوده كما قال: أَفِي اللهِ شَكٌّ فٰاطِرِ السَّمٰوٰاتِ وَالأَرْضِ [٥] فان قيل فامعنى الحديث إذن فنقول ومن الله التأييد كما أنّ لكلّ شيء ماهيّة هو بها هو وهي وجهه الذي الى ذاته كذلك لكلّ شيء حقيقة محيطة به بها قوام ذاته وبها ظهور آثاره وصفاته .

١ . الروم/٣٠
٢ . الأعراف/١٧٢
٣ . الأنعام/٧٦
٤ . الشعراء/٢٣
٥ . إبراهيم/١٠

وبها حوله عمّا يرديه و يضرّه وقوّته على ماينفعه و يسرّه وهي وجهه الذي الى الله سبحانه وإليها أشير بقوله عزّ وجلّ والله بكلّ شيء محيط [1] و بقوله سبحانه: وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ [2] و بقوله تعالى: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ [3] و بقوله عزّ اسمه: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلٰكِنْ لَا تُبْصِرُونَ [4] و بقوله: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [5] فانّ تلك الحقيقة هي التي تبقى بعد فناء الأشياء فقوله (عليه السلام) «اعرفوا الله بالله» معناه انظروا في الأشياء الى وجوهها التي الى الله سبحانه بعد ماأثبتّم أنّ لها ربّاً صانعاً .

فاطلبوا معرفته باثاره فيها من حيث تدبيره لها وقيوميته ايّاها وتسخيره لها وإحاطته بها وقهره عليها حتى تعرفوا الله بهذه الصفات القائمة به ولا تنظروا الى وجوهها التي الى أنفسها أعني من حيث أنّهاأشياء لها ماهيّات لايمكن أن توجد بذواتها بل مفتقرة الى موجد يوجدها فانّكم إذا نظرتم إليها من هذه الجهة تكونوا قدعرفتم الله بالأشياء فلن تعرفوه إذن حقّ المعرفة فانّ معرفة مجرّد كون الشيء مفتقراً اليه في وجود الأشياء ليست بمعرفة في الحقيقة على أنّ ذلك غير محتاج اليه لماعرفت أنّها فطريّة بخلاف النظر الأوّل، فانّكم تنظرون في الأشياء أوّلاً الى الله عزّ وجلّ وآثاره من حيث هي آثاره،ثمّ الى الأشياء وافتقارها في أنفسها فانّا اذا عزمنا على أمر مثلاً وسعينا في إمضائه غاية السعي ، فلم يكن علمنا أنّ في الوجود شيئاً غير مرئي الذات يمنعنا عن ذلك ويحول بيننا و بين ذلك .

وعلمنا أنّه غالب على أمره وأنّه مسخر للأشياء على حسب مشيته ومدبر لها بحسب إرادته وأنّه منزّه عن صفات أمثالنا وهذه صفات بها يعرف صاحبها حقّ المعرفة فاذا عرفنا الله عزّ وجلّ بهذا النظر فقدعرفنا الله بالله والى مثل هذه المعرفة أُشير في غير موضع من القرآن المجيد بالآيات حيث قيل إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ

۱ . فصلت/٥٤ والآية هكذا (إنّهُ بكُلِّ شَيءٍ مُحيط).
۲ . الحديد/٤
۳ . ق/١٦ في الأصل «وهوأقرب» وصححناه وفقاًللقرآن الكريم.
٤ . الواقعة/٨٥
٥ . القصص/٨٨

والنَّهارِ لآياتٍ لأُولي الألْبابِ [١] وأمثال ذلك من نظائره وعلى هذا القياس معرفة الرسول بالرسالة فانّا بعدما أثبتنا وجوب رسول من الله سبحانه الى عباده وحاولنا أن نعرفه ونعيّنه من بين سائر الناس فسبيله أن ننظر الى من يدّعي ذلك هل يبلّغ الرسالة كما ينبغي أن تبلّغ و ينهج الدلالة كما ينبغي أن تنهج،فاذا نظرنا اليه من هذه الجهة فقدعرفناه بالرسالة .

وكذا القول في الإمام فإنّ الكلّ على وتيرة واحدة وممّايؤيّد ماقلناه ماأورده الصدوق (رحمه الله) في توحيده في هذا الباب باسناده عن أبي جعفر عن أبيه عن جدّه (عليهم السلام) انّه قال انّ رجلاً قام الى أميرالمؤمنين (عليه السلام) فقال ياأميرالمؤمنين بماذا عرفت ربّك قال «بفسخ العزم ونقض الهمّ لماهممت فحيل بيني و بين همّي وعزمت فخالف القضاء والقدر عزمي علمت أن المدبر غيري» و باسناده عن موسى بن جعفر (عليه السلام) قال «قال قوم للصادق (عليه السلام) ندعو فلايستجاب لنا قال لأنّكم تدعون من لا تعرفونه» .

٢٦٤ - ٢ (الكافي - ١:٨٥) العدة، عن البرقي، عن بعض أصحابنا، عن علي بن عقبةبن قيس بن سمعان بن أبي ربيعة [٢] (ذبيحة - خ ل) مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال سُئل أميرالمؤمنين (عليه السلام) بم عرفت ربّك؟ قال: «بماعرّفني نفسه» قيل وكيف عرّفك نفسه؟ قال: «لايشبهه صورة [٣]

١ ـ آل عمران/١٩٠

٢ . قوله: «علي بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ربيحة» بالراء المهملة المضمومة والباء المنقطة تحتها نقطة ثمّ الياء تحتها نقطتين وفي بعض النسخ بالزاي المفتوحة والياء المثناة تحت ثمّ حاء مهملة. رفيع ـ (رحمه الله).

٣ . قوله: «لايشبهه صورة ...» أي عرفته بنفي التشبيه والمماثلة والمحدودية بالحواس والمقايسة بالناس والمعنى بالمقايسة أن يقال بالنسبة الى خلقه كنسبة الصورة والقوة الى المادة أو كنسبة النفس الى البدن أو كنسبة الأب الى الابن أو كنسبة الزوج الى زوجه تعالى عمّايشركون وقوله «قريب في بعده» أي قريب من حيث احاطته على الكل في بعده من الكل من حيث المباينة في الذات والصفات أو من حيث عدم احاطة علم أحد من خلقه به بعيد في قربه فهوعند الاحاطة بالكل تصرفاً وعلماً بعيد ذاتاً وتنزهاً عن أن يحد ويحاط بالمدارك .

وقوله «وفوق كل شيء» أي بالقدرة والغلبة عليه وكماله وتماميته بالنسبة الى كل شيء ونقص الكل بالنسبة اليه. رفيع ـ (رحمه الله).

ولايحسّ بالحواس ولايقاس بالناس قريب في بعده بعيد في قربه فوق كلّ شيء ولايقال شيء فوقه أمام كلّ شيء ولايقال له أمام، داخل في الأشياء لاكشيء داخل في شيء وخارج من الأشياء لاكشيء خارج من شيء، سبحان مَن هو هكذا ولاهكذا غيره ولكلّ شيء مبتدأ» .

بيـــان:

«ولكلّ شيء مبتدأ» أي وهو مبتدأ لكل شيء يعني يقع الابتداء به و بأثره من حيث هو أثره كلّما ينظر الى شيء كما نبّهنا عليه ويحتمل أن تكون الجملة حالية و يكون المعنى كيف يكون هكذا غيره والحال أنّ كلّ شيء غيره له مبدأ وموجد وهو مبدؤه وموجده والمبدء لايكون مثل ماله ابتداء .

٢٦٥ - ٣ (الكافي - ١:٨٦) النيسابوريان، عن صفوان بن يحيى، عن منصور بن حازم قال قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) إنّي ناظرت قوماً فقلت لهم إن الله أجلّ وأكرم [١] من أن يُعرف بخلقهَ بل العباد يُعرفون بالله فقال «رحمك الله» .

١ . قوله «إن الله جلّ جلاله أجلّ وأكرم ...» أي أن يعرف بوجوده وصفاته الكمالية وتقدسه وتنزهه عمّالايليق به بوساطة العلم بصدق خلقه كالنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وحججه (عليهم السلام) و باخباره لأن الله سبحانه أول الأشياء و برهانه أول البراهين وهو أظهر الأشياء و برهانه أظهر البراهين وصدق الأنبياء والحجج انّما يعرف بمعرفة الله تعالى فكيف يعرف الله سبحانه بقولهم.

أو المراد من أن يتوقّف معرفته على وجود خلقه فلايعرفه أحد إلّا بتوسّط معرفته بخلق غيره أوبمخلوقية خلق لأنه سبحانه أعظم وأجلّ من أن لايقدر على إقامة البراهين بمعرفته بلاتوسّط معرفة خلق آخر أو معرفة مخلوقية شيء من الأشياء وأكرم وألطف بعباده من أن يقدر عليها ولايقيم ولايهديهم إليها بل معرفة الأنبياء والحجج يتوقّف على معرفة باعثهم وخالقهم ويحتمل أن يكون قوله «يعرفون بالله» على صيغة المعلوم أي بل العباد أي العقلاء من خلقه يعرفون الله بالله لابتوسط المخلوق و يكون إشارة الى طريقة الصديقين الذين يستدلون بالحق لاعليه. رفيع - (رحمه الله).

-٣٠-

باب ادنى المعرفة

٢٦٦ - ١ (الكافي - ١:٨٦) محمد بن الحسن، عن عبدالله بن الحسن العلوي وعلي بن ابراهيم، عن المختار بن محمد بن المختار الهمداني جميعاً، عن الفتح بن يزيد، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: سألته عن أدنى المعرفة [1] فقال «الإقرار بأنّه لاإله غيره ولاشبه له ولانظير وأنه قديم مثبت موجود غير فقيد وأنّه ليس كمثله شيء».

١ . قوله: «سألته عن أدنى المعرفة ... أي مالابدّ لكل أحد من المكلّفين بالمعرفة ولايكون بدونه من أهله الاقرار والاعتقاد بوجود إله أي خالق مستحق لأن يعبد متفرد بالإلٰهيّة، متنزه عن الشبه فلايشبه هو غيره أو المراد لاشبيه له في استحقاق العبادة ولانظير له، أي المماثل الممانع، فلايشاركه غيره في مرتبته ولايعارضه وأنه قديم، أي غير محتاج إلى علّة ولامخرج من العدم الى الوجود ومثبت أي المحكوم عليه بالثبوت والوجود لذاته بالبراهين القاطعة موجود أي حقيقة عينيّة، لها ماينتزع العقل و يدركه منها من المعنى البديهي المعبّر عنه بالوجود أو من الوجدان، أي معلوم غير فقيد أي غير مفقود زائل الوجود، أو لايفقده الطالب أو غير مطلوب عند الغية حيث لاغيبة له والحاصل أنّه لامبدأ لوجوده فهو الأول ولانهاية لوجوده فهو الآخر وهو مثبت الوجود لذاته بالأدلة القاطعة الظاهرة فهو الظاهر الخفي لشدة ظهوره أو عدم غيبته عن شيء فلايغيب عنه شيء فهو الباطن لخفائه أو اطلاعه على البواطن والخفايا وانه ليس كمثله شيء أولايشاركه شيء في حقيقته أو فيها وفي صفاته وأموره فلاهو كشيء من خلقه فيا يعد من صفة خلقه و يليق به ولاشيء غيره مثله في حقيقته أو فيا هو من صفاته ومايليق به وهذا الحديث قريب ممّا روي عن ابن عباس قال:
جاء أعرابي الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يارسول‌الله علمني من غرائب العلم قال «ماصنعت في رأس العلم حتى تسأل عن غرائبه؟» قال الرجل: مارأس العلم يارسول‌الله؟ قال: «معرفة الله حقّ معرفته» قال الأعرابي: مامعرفته حقّ معرفته؟ قال «تعرفه بلامثل ولاشبه ولاندّ وأنه واحد أحد ظاهر باطن أول آخر لاكفوله ولانظير له فذلك حقّ معرفته».
رفيع - (رحمه الله).

بيـــان:

الظاهر أن المراد بأبي الحسن: الهادي (عليه السلام)،لأنّ الشيخ الطوسي (رحمه الله) ذكر الفتح في رجاله ويحتمل الرضا (عليه السلام) لأنّه قديروي عنه أيضاً [١].

٢٦٧ - ٢ (**الكافي** - ١:٨٦) علي بن محمد، عن سهل،عن طاهر بن حاتم [٢] في حال استقامته انه كتب إلى الرجل ماالذي لايجتزئ في معرفة الخالق بدونه؟ فكتب إليه «لم يزل عالماً وسامعاً و بصيراً وهو الفعّال لمايريد»،وسُئل أبوجعفر (عليه السلام) عن الذي لايجتزىء بدون ذلك من معرفة الخالق فقال «ليس كمثله شيء ولايشبهه شيء لم يزل عالماً سميعاً بصيراً» .

بيـــان:

إنّما قال في حال استقامته، لأنّه كان مستقيماً ثم تغيّر وأظهر القول بالغلوّ،ولعل المراد بالرجل الرضا [٣] (عليه السلام) لأنّه عدّ من رجاله «والاجتزاء» الاكتفاء وفي توحيد الصدوق: كتب الى الطّيب يعني أباالحسن (عليه السلام) وليس فيه وسُئل ومابعده والظاهر أنّه رواية أخرى لطاهر أو الكليني مرفوعة ءليس من تمام المكاتبة .

١ . في بحث المتعة عن (يب) روى الفتح هذا عن (ضا) (عليه السلام) وقدنقل روايته عن (دي) (عليه السلام) هذا ماذكره القهباني في ذيل ترجمته ص١٣ ج٥ من مجمع الرجال واورد عن (غض) انّ الرجل مجهول والاسناد إليه مدخول «ض.ع».

٢ . قوله: ««طاهر بن حاتم ...» ذكر مشايخنا في كتب الرجال أن طاهر بن حاتم بن ماهو يه القزو يني أخوفارس كان مستقيماً ثم تغيّر وأظهر القول بالغلو وهو من أصحاب الرضا (عليه السلام).

وقد روى ابن بابو يه في كتاب التوحيد باسناده عن طاهر بن حاتم بن ماهو يه قال: كتبت الى الطيّب يعني أباالحسن (عليه السلام) ماالذي لايجزي في معرفة الخالق بدونه فكتب «ليس كمثله شيء لم يزل سميعاً وعليماً و بصيراً وهو الفعال لمايريد».

وقوله سُئل أبوجعفر (عليه السلام) يحتمل أن يكون من تتمة مكاتبة طاهر بن حاتم ويحتمل أن يكون حديثاً مستأنفاً مرسلاً وقوله «ليس كمثله شيء» أي لامشابه له في الصفات والأحوال والاضافات والأفعال. رفيع - (رحمه الله).

٣ - الكاظم (عليه السلام)، ج،ق.

- ٣١ -

باب المعبود

٢٦٨ - ١ (الكافي - ١: ٨٧) علي، عن العبيدي، عن السرّاد، عن ابن رئاب وعن غير واحد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «من عبد الله بالتوهم [١] فقد كفر ومن عبد الإسم دون المعنى فقد كفر ومن عبد الإسم والمعنى فقد أشرك ومن عبد المعنى بايقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرّأمره [٢] وعلانيته فأولئك أصحاب أميرالمؤمنين (عليه السلام) حقّاً» .

١ . قوله: «من عبدالله بالتوهم» أي بان يتوهمه محدوداً مدركاً بالوهم فقد كفر لأن كلّ محدود ومدرك بالوهم غيره سبحانه ومن عبده كان عابداً لغيره وعبادة غيره سبحانه كفر وقوله من عبده بالاسم أي بالحروف أو بالمفهوم الوصفي دون المعنى أي المعبر عنه بالاسم فقد كفر لأن الحروف والمفهوم غير واجب الوجود الخالق إله الكل سبحانه وعبادة غيره كفر.

وانّما الاسم بلفظه ومفهومه يعبر عن المعنى المقصود أن يعبر عنه أي ذاته الأحدي المتعالي عن احاطة العقول والادراكات ومن عبد الاسم والمعنى أي بمجموعهما أو كلّ واحد منهما فقداشرك حيث أدخل في عبادته غيره سبحانه ومن عبد المعنى بايقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه أي كما وصف فعقد قلبه أي اعتقد به المعنى والهيئة أو أنه يعبده اعتقاداً جازماً صادقاً ونطق به لسانه في سريرته وعلانيته.

فان الاعتقاد بالقلب اذا فارق اختياراً من الاقرار باللسان لم يكن كافياً في الإسلام والايمان ولابدّ من النطق به مع التمكن «فاولئك» أي من عبده معتقداً بقلبه مقرّاً بلسانه كان من أصحاب أميرالمؤمنين (عليه السلام) حقاً أي ممن أخذ بقوله كما قال واتبع هداه وسلك سبيله واقتفاه وهم المؤمنون كما في قوله وفي حديث آخر «أولئك هم المؤمنون حقاً». رفيع - (رحمه الله).

٢ . سرائره. الكافي المطبوع وكذلك في الشرح المولى صالح والظاهر أنّه تصحيف «سر أمره» لأنّ في الكافيين المخطوطين وشرح المولى خليل ومرآة العقول «سر آمره» كما في المتن. «ض.ع».

٢٦٩ - ٢ (الكافي - ١: ٨٧) وفي حديث آخر أولئك هم المؤمنون حقاً .

بيـــان:

«بالتوهم» يعني من غير جزم بوجوده أو بمايتوهّمه من مفهوم اللفظ أي عبد الصورة الوهميّة التي تحصل في ذهنه من مفهوم اللفظ «ومن عبد الاسم» أي اللفظ الدال على المسمّى أو مايفهم من اللفظ من الأمر الذهني دون المعنى، أي مايصدق عليه اللفظ أعني المسمّى الموجود في خارج الذهن .

والحاصل أنّ الإسم ومايفهم منه غير المسمّى فانّ لفظ الإنسان مثلاً ليس بانسان وكذا مايفهم من هذا اللفظ ممّايحصل في الذهن فانّ ليس له جسمية ولاحياة ولانطق ولاشيء من خواص الإنسانية .

٢٧٠ - ٣ (الكافي - ١: ٨٧ و١١٤) [١] علي، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن هشام بن الحكم إنّه سأل أبا عبدالله (عليه السلام) عن أسماء الله واشتقاقها، الله ممّا هو مشتق؟ قال: فقال لي «ياهشام؛ الله مشتق من إله والإله يقتضي مألوهاً والاسم غير المسمّى فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً ومن عبد الإسم والمعنى فقد كفر وعبد اثنين ومن عبد المعنى دون الإسم فذاك التوحيد أفهمت ياهشام»؟ قال: فقلت زدني .

قال «انّ لله تسعة وتسعين اسماً فلوكان الاسم هو المسمّى لكان كلّ اسم منها إلهاً ولكن الله معنى يدلّ عليه بهذه الأسماء وكلّها غيره ياهشام؛ الخبز اسم للمأكول والماء إسم للمشروب والثوب إسم للملبوس والنار إسم للمحرق أفهمت ياهشام فهماً تدفع به وتناضل به أعدائنا والملحدين [٢] مع الله تعالى

١ . من (في - خ ل) باب معاني الأسماء واشتقاقها منه (رحمه الله).

٢ . المتخذين الكافي المطبوع تم ذكر في الهامش - في أكثر النسخ «الملحدين» هذا ولكن في المخطوطين من الكافي وفي المرآة وشرحي المولى صالح والمولى خليل «الملحدين» كما في المتن «ض.ع» .

غيره»؟ قلت:نعم قال فقال «نفعك الله به وثبّتك ياهشام» قال هشام: فوالله ماقهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا.

بيان:

قال في الصحاح أله بالفتح اِلٰهة أي عبد عبادة ومنه قولنا الله وتقول أله يأله ألهاً: أي تحير والظاهر انّ لفظه إله في الحديث فعال بمعنى المفعول وقوله (عليه السلام) والإله يقتضي مألوهاً معناه أنّ اطلاق هذا الاسم واستعماله بين الأنام يقتضي أن يكون في الوجود ذات معبود ينطلق عليه [١] هذا الإسم فانّ الإسم غير المسمّى إذ الإسم عبارة عن اللفظ والمفهوم منه والمسمّى هو المعنى المقصود من اللفظ الذي هو مصداقه ويحتمل أن يكون اله في الحديث فعل ماض أو مصدراً وقوله والإله يقتضي مألوهاً بالسكون يعني ان العبادة يقتضي أن يكون في الوجود ذات معبود لايكفي فيها مجرد الإسم من دون أن يكون له مسمّى .

فان الاسم غير المسمى فان قيل عبادة الإسم ان لم تكن عبادة فكيف وقع الاشراك في الثاني وإن كانت عبادة فكيف حكم في الأول بأنه لم يعبد شيئاً؟ قلنا إنّ المراد في الأول أنه لم يعبد شيئاً محققاً في الواقع بل عبد أمراً وهمياً وفي الثاني وُجدَت العبادتان احداهما لشيء والأخرى لغير شيء ففيه وقع الإشراك في نفس العبادة والمراد بالخبز ومعطوفاته إمّا الألفاظ أو المفاهيم و بالمأكول ونظائره الأعيان التي في الخارج كما أشرنا إليه آنفاً .

و«تناضل: إمّا بفتح التّاء بحذف إحدى التائين أو بضمّها: أي تجادل وتخاصم وتدافع وهذا الحديث أورده في الكافي مرّتين، مرّة هنا وأخرى في باب الأسماء وهناك «تناقل» بدل «تناضل» والمناقلة في الكلام أن تحدثه ويحدّثك «حتى قمت مقامي هذا» أي منذ ذلك الوقت إلى وقت قيامي الآن في هذا الموضع .

١ . يطلق عليه، ك .

٢٧١ - ٤ (الكافي - ١:٨٧) علي، عن العباس بن معروف، عن التميمي قال: كتبت إلى أبي جعفر (عليه السلام) أو قلت له جعلني الله فداك نعبد الرحمان الرحيم الواحد الأحد الصمد قال فقال «إنّ من عبد الإسم دون المسمّى بالأسماء فقد أشرك وكفر وجحد [١] ولم يعبد شيئاً بل أُعبد الله الواحد الأحد الصَّمد المسمّى بهذه الأسماء دون الأسماء إن الأسماء صفات وصف بها نفسه» .

بيان:

يعني لابدّ أن تنسب عبادتك أوّلاً إلى الله ثم تصفه بالصفات التي دلّت عليها هذه الأسماء لأنّ الله هو اسم الذات المسمّى بهذه الأسماء - وهذه أسماء [٢] صفات له وسيأتي بيان معنى الصّمد وتأويله .

١ . قوله: «فقد أشرك وكفر وجحد» أي أشرك بعبادة الأسماء المتعددة وكفر وجحد حيث لم يعبد المسمّى ولم يعبد شيئاً موجوداً عينيّاً لعدم وجود الاسم وبقائه لفظاً ولامفهوماً. رفيع - (رحمه الله).

انّ الله تعالى واحد بسيط الحقيقة وصفاته عين ذاته وَالكثرة في المفاهيم المنتزعة ولايخفى انه لايمكن حصر هذه المفاهيم اذ كل كمال يتصور فهو من عنده تعالى وهو علّته ومبدؤه ويمكن أن يكون عدد التسعة والتسعين أو الألف أو الواحد والألف وكلّ ماقيل أو يقال في عدد أسمائه الحسنى كناية عن الكثرة واذا قيل واحد وألف أي فوق حدّ الاحصاء أو تسعة وتسعين أي لايقدر أحد أن يكمل عدد أسمائه سبحانه فيقف ناقصاً دون الحدّ وأمثال ذلك من المناسبات أو تخصص ببعض الخواص مثل أن يقال الأسماء التي اذا دعى بها أجاب و يعرفه الناس تسعة وتسعون اسماً. «ش».

٢ . وهذه الأسماء،ق.

-٣٢-

باب نفي الزمان والمكان والكيف عنه تعالى

١ - ٢٧٢ (الكافي - ١:٨٨) محمد، عن أحمد، عن السراد، عن أبي حمزة قال: سأل نافع بن الأزرق أباجعفر (عليه السلام) فقال: أخبرني عن الله متى كان؟ فقال «متى لم يكن [١] حتى أخبرك متى كان؟ سبحان من لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً» .

بيـــان:

نبّه بهذا التسبيح على أن «متى» من صفات المخلوقين وأنّ «متى كان» يستلزم «متى لم يكن» كما مضى تحقيقه .

١ . قوله: «متى لم يكن ...» لما كان متى سؤالاً عن الزمان المختص بين الأزمنة بوجوده ولايصحّ فيمالااختصاص الزمان به أجاب (عليه السلام) بقوله «متى لم يكن حتى أخبرك متى كان» ونبه به على بطلان الاختصاص الذي أخذ في السؤال ثمّ صرّح بسرمديته بقوله «سبحان من لم يزل ولايزال» وبعدم مقارنته للمتغيرات واستحالة التغير عليه بدخول شيء فيه واتصافه به. أو خروج شيء عنه حتى يصحّ الاختصاص بزمان باعتبارمن الاعتبارات بقوله «فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولاولداً». رفيع - (رحمه الله).

الزمان عند الحكماء مخلوق إذ هو مقدار للحركة والحركة للجسم فالم يحدث جسم لايكون حركة ولازمان ولامعنى لاحاطة الزمان عليه وإنّما يتصوّر الزمان للمتغير من حيث هومتغير،فلوفرضنا انّه لاجسم فلازمان. أو فرضنا جسماً لايتغيّر بوجه فلازمان أيضاً فكان الله تعالى ولازمان ومايتصوّره العوام من أنه لابدّ من زمان قبل خلق العالم حتى يمكن الخلق فهو من اغلاط الواهمة. «ش».

٢٧٣ - ٢ (الكافي - ١:٨٨) العدّة، عن البرقي، عن البزنطي قال جاء رجل إلى أبي الحسن الرضا (عليه السلام) من وراء نهر بلخ فقال إنّي أسألك عن مسألة فإن أجبتني [1] فيها بماعندي قلت بامامتك، فقال أبوالحسن (عليه السلام) «سل عمّا شئت» فقال: أخبرني عن ربّك متى كان؟ وكيف كان؟ وعلى أي شيء كان اعتماده؟ فقال أبوالحسن (عليه السلام) «ان الله تبارك وتعالى أيّن الأين بلاأين وكيّف الكيف بلا كيف وكان اعتماده على قدرته» فقام اليه الرجل فقبّل رأسه وقال :

أشهد أن لاإله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله وأنّ علياً وصيّ رسول الله والقيّم بعده [2] بماأتى به رسول الله وأنّكم الأئمة الصادقون وأنّك الخلف من بعدهم .

بيـــان:

لمّا كان المكان والزمان متصاحبين متلازمين نبّه بنفي أحدهما على نفي الآخر وفي عيون الأخبار «أين كان» مكان «متى كان» وهو الصواب و يشبه أن يكون ما في الكافي من غلط النساخ .

١ . قوله: «فان اجبتني فيها بماعندي ...» أي بالجواب الحق الذي صحّ حقيقته عندي بالبراهين اليقينية أو بقول المعصومين من الأنبياء (عليهم السلام) والحجج صلوات الله عليهم وقوله «متى كان» أي اخبرني عن وجود زمان وجوده المختص به وقوله «كيف كان» سؤال عن كيفية المتكيف بها «وعلى أي شيء كان اعتماده» أي بأي شيء كان استمداده في خلق ماخلق.

وقوله (عليه السلام) «إن الله تبارك وتعالى أيّن الاين بلاأين» بيان لعدم صحة (متى كان) فيه سبحانه وتقريره أن (متى كان) لايصحّ إلّا لما في الزمان والزمان لايكون إلّالذي مادة جسمانية يلزمه الاين وعند وجوده وهو الذي أيّن الاين وخلقه وخلق مايلزمه الأين فلايصحّ متى كان ونبّه على عدم امكان الكيف له بأنه موجد الكيف وعلى أنه لايجوز اعتماده على شيء من خلقه من الجسمانيات وغيرها و بالجملة على مغايره بل على قدرته التي لا تزيد على ذاته سبحانه بقوله «وكان اعتماده على قدرته».

ولما كان الكلام في هذا الحديث مع العلماء لاالعوام نبه على نفي صحة المتى في حقّه سبحانه بكونه منزهاً عن لوازم معروض الزمان أي المادة الجسمانية المخلوقة لله سبحانه وفي الأحاديث بيّن عدم صحة «متى» في حقّه لعدم اختصاص وجوده سبحانه بزمان مخصوص.

٢ . بما قام به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، الكافي المطبوع وشرح المولى خليل والمخطوطات من الكافي فيما عثرنا عليها «ض.ع» .

٢٧٤ - ٣ (الكافي - ١: ٨٨) محمد، عن ابن عيسى، عن الحسين، عن القاسم بن محمد، عن علي، عن أبي بصير قال: جاء رجل الى أبي جعفر (عليه السلام) فقال له: أخبرني عن ربّك متى كان؟ فقال: «و يلك [1] إنّما يقال لشيء لم يكن، متى كان إنّ ربّي تبارك وتعالى كان ولم يزل حيّاً بلا كيف ولم يكن له كان ولا كان لكونه كون كيف ولا كان له «أين» ولا كان في شيء ولا كان على شيء

١ . قوله: «فقال و يلك إنّما يقال لشيء ...» أي إنّما يقال لشيء مختص بالزمان دون زمان آخر «متى كان» وأمّا مالااختصاص له بزمان من الأزمنة فلايقال فيه «متى كان» والله سبحانه لااختصاص لوجوده بزمان والى هذا أشار (عليه السلام) بقوله «إن ربّي تبارك وتعالى كان ولم يزل» أي كان واستمر بلااختصاص بزمان كونه حيّاً بلا كيف فلاحياة له زائدة على ذاته ولامن الكيفيات التي تُعدّ من توابع الحياة.
وقوله «ولم يكن له كان» أي ولم يتحقق كون شيء له من الصفات الزائدة وغيرها و«لا كان لكونه كون كيف» أي ماكان لوجوده ثبوت «كيف» واتصاف بكيفيّة من الكيفيات متغيرة كانت أو غير متغيّرة لعدم زيادته على ذاته. قوله «ولا كان له أين» نفي للأين عنه سبحانه مجملاً وقوله «ولا كان في شيء ولا كان على شيء ولاابتدع لمكانه مكاناً» نفي لأمور منتفي بنفيها تفاصيل الأين والمكان فإنه إذا لم يكن في شيء أصلاً لا كون الجزء في الكلّ ولا كون الكلّي في الجزئي ولا كون الحال في المحل ولا كون الداخل في المكان فيه انتفي عنه الأين بالمعنى المذكور عند أهل العلم من الفلاسفة ومن تبعهم في القول بأن المكان هو السطح الباطن.
وقوله «ولاقوي بعدما كوّن الأشياء» أي لم يحصل له القوة والتسلط على الأشياء بعد تكوينها «ولا كان ضعيفاً» أي موصوفاً بالعجز قبل تكوين شيء من الأشياء فهو القادر القوي قبلها والملك الجبار بعدها من غير تبدل وتغير من صفة الى صفة وانتقال من ضعف الى شدة قوله «ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً» إشارة الى بهجته وسروره بذاته والتذاذه بادراكه نفسه سبحانه «ولايشبه شيئاً مذكوراً» أي لايشبه في وجوده وحياته ومايتبع الحياة وتنزهه وقوته شيئاً مذكوراً أي مكوّناً ومذكوراً بين أهل الأرض.
وفي رواية أبي جعفر بن بابويه باسناده عن موسى بن جعفر (عليهما السلام) هذا الخبر «لايشبهه شيء مكون» والشاهد لماذكرناه من تفسير المذكور بـ«المكوّن» ماسيجيء في باب البدا من رواية مالك الجهني قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله تعالى: **أولايذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً** [2] قال فقال «لامقدرا ولامكونا» قال وسألته عن قوله تعالى:
هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً [3] فقال كان مقدراً غير مذكور قوله «ولا كان خلوا» أي خالياً من الملك بضم الميم أي العظمة والسلطنة قبل انشائه أي انشاء شيء بقدرته على ايجاد الأشياء وابقائها على الوجود واعدامها بعد الوجود وابقائها على العدم وكونه جامعاً في ذاته لايحتاج اليه فعله وحاجة المهيات اليه في الوجود مطلقاً لذواتها فهو في غاية العظمة وأعلى مراتب السلطنة والغلبة على الأشياء كلها «ولايكون منه» أي من الملك «خلوا بعد ذهابه» أي ذهاب ماأنشأه أو إنشائه لماذكرنا. رفيع - (رحمه الله).

٢ . مريم/٦٧
٣ . الانسان/١

ولاابتدع لمكانه مكاناً ولاقوي بعدما كوّن الأشياء ولاكان ضعيفاً قبل أن يكوّن شيئاً ولاكان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً ولايشبه شيئاً مذكوراً ولاكان خلواً من الملك قبل إنشائه ولايكون منه خلواً بعد ذهابه .

لم يزل حيّاً بلاحياة وملكاً قادراً قبل أن ينشيء شيئاً وملكاً جباراً بعد انشائه للكون فليس لكونه «كيف» ولاله «أين» ولاله «حدّ» ولايعرف بشيء يشبهه ولايهرَم لطول البقاء ولايصعق لشيء بل لخوفه تصعق الأشياء كلّها كان حيّاً بلاحياة حادثة ولاكون موصوف ولاكيف محدود ولاأين موقوف عليه ولامكان جاور شيئاً بل حيّ يعرف [1] وملك لم يزل له القدرة والملك أنشأ ماشاء حين شاء بمشيّته لايحدّ ولايبعّض ولايفنى كان أوّلاً بلاكيف و يكون آخراً بلاأين وكلّ شيء هالك إلّا وجهه له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين و يلك أيها السائل إنّ ربّي لاتغشاه الأوهام ولاتنزل به الشبهات ـ ولايجار من شيء ولايجاوره شيء [2] ولاتنزل به الأحداث ولايسأل عن شيء ولايندم[3] على شيء ولاتأخذه سنة ولانوم له مافي السموات ومافي الأرض ومابينهما وماتحت الثرى » .

١ . قوله: «بل حيّ يعرف» أي يعرف أنه حي بادراك آثار يعد من آثار الحيّ لاباتصافه بمفهوم الحياة التي هي صفة قائمة بموصوفها «وملك لم يزل له القدرة والملك» أي له القدرة والعزّ والسلطنة لذاته لابكون الأشياء وسلطنته عليها وقوله «انشأ ماشاء حين شاء بمشيته» بيان لملكه وسلطنته وقوله «لايحدّ» أي لايحاط بنهاية وصفه و«لايبعض» أي لاينقسم ولايتجزى إلى أجزاء لاعقلية ولامقدارية.

ولايجرى فيه التحديد العقلي «ولايفنى» أي لايطرء عليه العدم لكونه موجوداً بذاته واجباً بذاته «ولايهرم» يقال في فلان إذا هرم و«الفاني» الشيخ الكبير لماسبق من عدم جواز التغيّر والضعف فيه. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . ولايحار من شيء ولايحاوره شيء، ج، وفي شرح المولى خليل هكذا: ولايجار من شيء ولايجاوزه.

٣ . قوله : «ولايندم على شيء» أي لايظهر عليه ماكان غير ظاهر عليه من الحكمة وذلك لأنه سبحانه علم كله قدرة كلّه لايعزب عنه شيء قوله **ولاتأخذه سنة ولانوم** لمّانفى سبحانه انحاء التغييرات صرح بنفي التغيير بالغفلة التي تكون في السنة والنوم. وقوله **له مافي السموات ومافي الأرض ومابينهما وماتحت الثرى** تنبيه على عدم اختصاص شيء به دون شيء وانّ الكل بنظامه له فإن كلّ شيء له اختصاص به حيث أوجد وجود الكل باقامته الكلّ وله الحكمة والقدرة اللتان بها أوجد هذا العالم بنظام الذي يتحيّر فيه العقول والمراد «بماتحت الثرى» ماتحت التراب الذي نداه و بلّه أي الطبيعة الطينية.

ويحتمل أن يكون المراد بـ«مابينهما» مايحصل من امتزاج القوي العلوية والسفلية و بـ«ماتحت الثرى» مايتكون بامتزاج الماء والتراب. رفيع ـ (رحمه الله).

بيـــان:

ولاكان لكونه كون «كيف» يعني أن كونه كون لم يتحقق له «كيف» ولاابتدع لمكانه أي لتمكنه شيئاً مذكوراً المذكور ماحصل في الذكر أي في الخاطر «ولاكان خلواً من الملك قبل انشائه ولايكون منه خلواً بعد ذهابه» بيان ذلك وتحقيقه أنّ المخلوقات وإن لم تكن موجودة في الأزل لأنفسها و بقياس بعضها الى بعض على أن يكون الأزل ظرفاً لوجوداتها كذلك إلّا أنها موجودة في الأزل لله سبحانه وجوداً جمعيّاً وحدانياً غير متغير بمعنى أن وجوداتها اللايزالية الحادثة ثابتة لله سبحانه في الأزل كذلك.

وهذا كما أنّ الموجودات الذهنية موجودة في الخارج إذا قيدت بقيامها بالذهن وإذا اطلقت من هذا القيد فلاوجود لها إلّا في الذهن،فالأزل يسع القديم والحادث والأزمنة ومافيها وماخرج عنها وليس الأزل كالزمان وأجزائه محصوراً مضيقاً يغيب بعضه عن بعض و يتقدّم جزء و يتأخّر آخر، فانّ الحصر والضيق والغيبة من خواص الزمان والمكان ومايتعلّق بهما والأزل عبارة عن اللازمان السابق على الزمان سبقاً غير زماني وليس بين الله سبحانه و بين العالم بُعد مقدر لأنه إن كان موجوداً يكون من العالم وإلّا لم يكن شيئاً ولاينسب أحدهما إلى الآخر من حيث الزمان بقبلية ولابعديّة ولامعيّة لانتفاء الزمان عن الحقّ وعن [1] ابتداء العالم .

فسقط السؤال بـ«متى» عن العالم كما هو ساقط عن وجود الحقّ لأنّ «متى» سؤال عن الزمان ولازمان قبل العالم فليس إلّا وجود بحت خالص ليس من العدم وهو وجود الحقّ ووجود من العدم وهو وجود العالم فالعالم حادث في غير زمان وإنّما يتعسر فهم ذلك على الأكثرين لتوهمهم الأزل جزء من الزمان يتقدم سائر الأجزاء وإن لم يسموه بالزمان فانّهم أثبتوا له معناه وتوهموا انّ الله سبحانه فيه ولاموجود فيه سواه ثم أخذ يوجد الأشياء شيئاً فشيئاً في أجزاء آخر منه وهذا توهم باطل وأمر محال .

فإن الله جلّ وعزّ ليس في زمان ولافي مكان بل هو محيط بهما وبمافيهما ومامعهما

١ ـ عند ابتداء العالم، لـ .

وماتقدمها وتحقيق المقام يقتضي بسطاً من الكلام وفتح باب علم مكنون لا تسعه العقول المشوبة بالأوهام ونحن نشير إلى لمعة منه لمن كان أهله سائلين من الله عزّ وجلّ أن يحفظها عن القاصرين الجادلين بالباطل ليدحضوا به الحقّ إن شاء الله.

فنقول: ليعلم أن نسبة ذاته سبحانه إلى مخلوقاته يمتنع أن تختلف بـ«المعية» والـ«لامعيّة» وإلّا فيكون بالفعل مع بعض و بالقوّة مع آخرين فيتركب ذاته سبحانه من جهتي فعل وقوةويتغيّرصفاته حسب تغير المتجددات المتعاقبات تعالى عن ذلك بل نسبة ذاته التي هي فعلية صرفة وغناء محض من جميع الوجوه الى الجميع وإن كان من الحوادث الزمانيّة نسبة واحدة ومعيّة قيومية ثابتة غير زمانية ولامتغيرة أصلاً والكلّ بغنائه بقدر استعداداتها مستغنيات كل في وقته ومحلّه وعلى حسب طاقته وإنّما فقرها وفقدها ونقصها بالقياس الى ذواتها وقوابل ذواتها وليس هناك إمكان وقوة البتة فالمكان والمكانيات بأسرها بالنسبة الى الله سبحانه كنقطة واحدة في معية الوجود والسموات مطويّات بيمينه والزمان والزمانيات بآزالها وآبادها كـ«آن» واحد عنده في ذلك، جفّ القلم بما هو كائن مامن نسمة كائنة إلّا وهي كائنة.

والموجودات كلّها شهادياتها وغيبياتها كموجود واحد في الفيضان عنه ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [1] وانّما التقدّم والتأخّر والتجدّد والتصرّم والحضور والغيبة في هذه كلّها بقياس بعضها الى بعض وفي مدارك المحبوسين في مطمورة الزمان المسجونين في سجن المكان لاغير وإن كان هذا ممّا تستغرب به الأوهام و يشمئز عنه قاصروا الأفهام.

وأمّا قوله عزّ وجلّ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [2] فهو كما قاله بعض أهل العلم إنّها شؤون يبديها لاشؤون يبتديها ولعلّ من لم يفهم بعض هذه المعاني يضطرب فيصول و يرجع فيقول: كيف يكون وجود الحادث في الأزل؟ أم كيف يكون المتغير في نفسه ثابتاً عند ربّه؟ أم كيف يكون الأمر المتكثّر المتفرّق وحدانياً جمعيّاً؟ أم كيف يكون الأمر

١. لقمان/٢٨
٢. الرحمن/٢٩

المـمتـد أعني الـزمان واقعاً في غير الممتد أعني «اللازمان» مع التقابل الظاهر بين هذه الأمور .

فـلنمثل له بمثال حسّي يكسر سورة استبعاده فان مثل هذا المعترض لم يتجاوز بعد درجة الحسّ والمحسوس فليأخذ أمراً ممتداً كحبل أو خشب مختلف الأجزاء في اللون ثمّ يمـرره في محـاذاة نملة أو نحوها ممّا يضيق حدقته عن الاحاطة بجميع ذلك الامتداد فان تلك الألوان المختلفة متعاقبة في الحضور لديها تظهر لها شيئاً فشيئاً واحداً بعد آخر لضيق نظرها ومتساوية في الحضور لديه [1] يريها كلّها دفعة لقوة إحاطة نظره [2] وسعة حدقته [3] وفوق كلّ ذي علم عليم [4] .

«بـلاحياة» أي بلاحياة زائدة على ذاته حادثة كما يأتي بعيدة وملكاً قادراً قبل أن ينـشـيء شيـئاً إذ لـه الانـشاء بذاته لم يزل «ولا يصعق» أي لايغشى عليه بمشيّتـه اذ لولم يـشـأ لم يـفـعـل.كما قـال وَلَوْشَـاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً [5] كان اوّلاً بلا كيف و يكون آخراً بـلا «أيـن» لمـالم يـتـوهّـم لأوّليـته سبحانه «أين» اقتصر فيها على نفي الكيف بخلاف الآخـريـة كـلّ شيءٍ هالِكٌ إلاّ وَجْهَهُ [6] أي ذاته ان جعلنا الضمير لله تعالى وجهة استناده الـيه تعالى إن جعلناه للشيء «ولا يجار من شيء» من الاجارة بمعنى الانقاذ من الظلم أو العذاب «ولا يُسئل عن شيء» أي لِمَ فعلت كما قال عزّوجلّ لايُسْئَلُ عَمَّايَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ [7] .

٢٧٥ ـ ٤ **(الكـافي ـ ١:٨٩)** العـدّة، عـن البـرقي، عن أبيه رفعه قال اجتمعت

---

١ . ٢ . ٣ . الضمائر راجع الى «المعترض». «ض.ع»

٤ . ومما يؤيد هذا التحقيق من جهة النقل مارواه «العياشي» عن الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: **...ولمايعلم الله الـذين جاهـدوا مـنكم و يعلم الصابرين...** [8] قال: ان الله هو أعلم بماهو مكونه قبل أن يكوّنه وهم ذر وعلم من يجاهد ممن لايجاهد كما علم أنه يميت خلقه قبل أن يميتهم ولم يرهم موتهم وهم أحياء. منه ـ (رحمه الله).

٥ . الفرقان/٤٥

٦ . القصص/٨٨

٧ . الأنبياء/٢٣

٨ . ال عمران/١٤٢

اليهود [١] الى رأس الجالوت فقالوا له إنّ هذا الرجل عالم يعنون أميرالمؤمنين (عليه السلام) فانطلق بنا إليه نسأله فأتوه،فقيل لهم هوفي القصر فانتظروه حتى خرج فقال له رأس الجالوت: جئناك نسألك قال «سل يايهودي عمّا بدا لك» فقال: أسألك عن ربّك متى كان؟ فقال «كان بلا كينونة كان بلا كيف،كان لم يزل بلا كم وبلا كيف، كان ليس له قبل [٢] هو قبل القبل بلاقبل ولاغاية ولامنتهى انقطعت عنه الغاية وهوغاية كل غاية» فقال رأس الجالوت: إمضوا بنا فهو أعلم ممّايقال فيه .

بيــان:

«رأس الجالوت»كان من علماء اليهود وعظمائهم «بلا كم و بلا كيف» كرّره لاستدراك لم يزل أو صفتان لـ«لم يزل» «ولاغاية» يأتي الكلام في تفسيره عن قريب «ممّايقال فيه» أي من نسبة العلم اليه .

٢٧٦ ـ ٥ (الكافي ـ ١:٨٩) العدّة، عن البرقي، عن البزنطي، عن أبي الحسن

١ . قوله: «اجتمعت اليهود الى رأس الجالوت ...» الجالوت هومقدم علماء اليهود وجالوت أعجمي وقوله «متى كان» سؤال عن اختصاص وجوده بزمان يكون وجوده فيه وقوله (عليه السلام): «كان بلا كينونة...» جواب عنه بنفي اختصاص وجوده سبحانه بالزمان ونبه أولاً على نفي ماهو مناط الكون في الزمان عنه سبحانه بعد اثبات الوجود له والقول بوجوده فيقال كان بلا كينونة، كان بلا كيف كان تقريراً لوجوده ونفياً لتغيره وحدوث أمر له ولا تصافه بالكيف فكيف يتغير ويحدث له شيء.

و بقوله لم يزل بلا «كم» و بلا «كيف» كان دالاً على أنه لايجوز اتصافه بـ«كم» أو «كيف» فيتوهم انّ له مادة قابلة للتغير وبلا اتصاف بالأكوان أو صفة زائدة يجوز تغيره ومالايكون له اتصاف بالأكوان والأوضاع والصفة الزائدة مطلقاً فلايكون موضوعاً للتغيّر في حال وذاته واجب لذاته فلايمكن التغير فيه فلايكون له زمان وجود لأن الزمان نسبة المتغير الى المتغير فلايصح في حقّه «متى كان».

٢ . قوله: «ليس له قبل» أي لااختصاص له بزمان خاص بحسب ذاته وبحسب صفته وحالته حتى يكون له قبل إنّما هو قبل القبل أي قبل كل مايتصف بالقبلية بلاقبل وليس لوجوده ولاحال من الأحوال نهاية ولامايتهي اليه ولايبعد أن يكون المراد بقوله «ليس له قبل» أنه ليس له مايتصف بالذات بالقبلية و بأن له غاية ومايتهي السابق اليه منه وهو الزمان بل هو قبل الزمان ومبدء له بلاقبل فانه لازمان للزمان انقطعت عنه الغاية الى طرف الامتداد فان الامتداد متأخر عنه بمراتب وهو غاية كل غاية أي انتهاء وجود الغايات كلّها بل انتهاء كل موجود إليه سبحانه فانه مبدء الكل بذاته لمالايزيد على ذاته. رفيع ـ (رحمه الله).

الموصلي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «جاء حبر من الأحبار الى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: ياأمير المؤمنين؛ متى كان ربك؟ فقال له ثكلتك أمّك متى لم يكن حتى يقال متى كان؟ كان ربّي قبل القبل [1] بلاقبل وبعد البعد بلابعد ولاغاية ولامنتهى لغايته انقطعت الغايات عنده فهو منتهى كلّ غاية» فقال ياأمير المؤمنين؛ فنبيّ أنت؟ فقال «ويلك إنّما أنا عبد من عبيد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)» .

٢٧٧ - ٦ (الكافي - ١ : ٩٠) وروى أنه سُئل (عليه السلام) أين كان ربّنا قبل أن يخلق سمآء وأرضاً فقال (عليه السلام) «اين - سؤال عن مكان وكان الله ولامكان» .

بيـان:

«الحِبر» بالكسر والفتح واحد أحبار اليهود، أي علمائهم وبالكسر أفصح «ثكلتك» فقدتك «من عبيد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)» قال الصدوق في توحيده يعني بذلك عبد طاعة لاغير ذلك.

٢٧٨ - ٧ (الكافي - ١ : ٩٠)* علي بن محمد، عن سهل، عن عمرو بن عثمان، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن سماعة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «قال رأس الجالوت لليهود: إنّ المسلمين يزعمون أنّ علياً من أجدل الناس وأعلمهم

١ - قوله: «كان ربّي قبل القبل بلاقبل وبعد البعد بلابعد» هذا الكلام يجري فيه الوجهان المذكوران * أي هو قبل كل ماهو قبل شيء ولاقبل بالنسبة اليه وبعد كل ماهو بعد كل شيء ولاشيء بعده أو هو قبل الموصوف بالقبلية والبعدية لذاته أي الزمان وبعده بلازمان لأنه مبدء كل شيء وغاية له ولاغاية له حيث يتعالى عن الدخول تحت الزمان بذاته وصفاته وإذ لاامتداد فلاطرف له ومالاينتهي إليه أو حيث لايجري التغير في ذاته وصفاته فلانهاية لوجوده ولامايتنهي إليه وجوده.
انقطعت الغاية عنده فانه لاامتداد حيث هو، فضلاً عن طرفه فهو منتهي كل غاية أي ينتهي وجودات الغايات إليه.
وقوله: «انّما أنا عبد من عبيد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)» أي خادم مطيع من جملة خدمه ومطيعيه وتبعه (صلى الله عليه وآله وسلم). رفيع - (رحمه الله).

* اشارة إلى ماسيجيء ذيل حديث ٢٧٨

إذهبوا بنا إليه لعلّي أسأله عن مسألة أو أخطّئه فيها فأتاه فقال: ياأميرالمؤمنين؛ إنّي أريد أن أسألك عن مسألة.

قال: «سل عمّا شئت» قال ياأميرالمؤمنين؛ متى كان ربّنا؟ قال له «يايهودي؛ إنّما يقال - متى كان - لمن لم يكن فكان متى كان، هو كائن بلا كينونية كائن، كان بلا - كيف - يكون، بلى يايهودي؛ ثم بلى يايهودي؛ كيف يكون له قبل، هو قبل القبل بلاغاية ولامنتهى غاية ولاغاية إليها، انقطعت الغايات عنده، هو غاية كل غاية» فقال: أشهد أنّ دينك هو الحق وأن ماخالفه باطل [1].

بيـــان:

كلمة «أو» في قوله «أو اخطّئه» بمعنى «إلى أن فكان متى كان» أي فكان في وقت كان فيه وحدث «بلا كينونية كائن» بالاضافة أي بلا كينونيّة تكون ثابتة لكائن «بلا كيف يكون» العائد في يكون راجع الى «كيف» ويحتمل رجوعه الى الربّ ولمّا كانت قبليّته سبحانه هي القبلية الذاتية التي تنحصر في الفاعل والغاية والغاية هي سبب فاعلية الفاعل بيّن ذلك بكونه غاية الغايات بان نفي عنه الغاية القريبة بقوله بلاغاية والبعيدة بقوله ولامنتهى غاية، ثمّ صرّح بأن الغاية المنفية هي الغاية الزائدة على ذاته بقوله ولاغاية إليها انقطعت الغايات عنده فقوله «عنده» متعلق بقوله ولاغاية بمعنى لاغاية عنده الى تلك الغاية انقطعت الغايات غير ذاته بل هو نفسه غاية كل غاية.

وفي توحيد الصدوق: ولاغاية إليها غاية انقطعت الغايات عنده فهو غاية كل غاية ولعله أجود ويحتمل أن يكون قوله بلاغاية إشارة الى الغاية السابقة وقوله «ولامنتهى غاية» إلى الغاية اللاحقة و يكونان حينئذ منقطعين عمّا قبله.

١ . في توحيد الصدوق هكذا ولامنتهى غاية ولاغاية إليها غاية انقطعت الغايات عنده فهو غاية كل غاية. ج.

٢٧٩ - ٨ (الكافي - ١: ٩٠) عنه رفعه، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): أكان الله ولاشيء؟ قال «نعم [١] كان ولاشيء» قلت فأين كان يكون؟ قال: وكان (عليه السلام) متكئاً [٢] فاستوى جالساً وقال «أحلت يازرارة؛ وسألت عن المكان إذ لامكان» .

بيان:

«كان» في كان يكون، كلمة ربط «قال» يعني زرارة «أحلت» أتيت بالمحال وتكلّمت به .

٢٨٠ - ٩ (الكافي - ١: ٩٠) عنه، عن سهل، عن محمد بن الوليد، عن البزنطي، عن أبي الحسن الموصلي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: أتى حبر من الأحبار الى أمير المؤمنين (عليه السلام) [٣] فقال ياأمير المؤمنين متى كان ربّك؟ قال «ويلك إنّما يقال متى كان لما لم يكن - فأمّا ما كان فلايقال - متى كان كان قبل القبل بلاقبل وبعد البعد بلابعد ولامنتهى غاية لتنتهي غايته» فقال له: أنبيّ أنت؟ فقال «لأمّك الهَبَلُ إنّما أنا عبد من عبيد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)» .

بيان:

«الهَبَل» بالتحريك مصدر قولك هبلته امه أي ثكلته وفقدته .

١ . قوله: «نعم كان ولاشيء» أي ولاشيء معه وقوله «فأين كان يكون» زائدة وقوله «وسألت عن المكان اذ لامكان» لأن الأين إنّما يكون مع المكان فالسؤال عن الاين سؤال عن المكان أو في قوة السؤال عنه وهذا السؤال على تقدير عدم المكان متهافت متناقض قوله «فامّا ما كان فلايقال متى كان» أي ما كان بلااختصاص بزمان فلايقال متى. رفيع - (رحمه الله).

٢ . يعني أباجعفر (عليه السلام)، ق.

٣ . في الكافي المطبوع والمرآة وغير واحد من النسخ المخطوطة من الكافي هكذا «أتى حبر من الاحبار أمير المؤمنين الى آخره» بحذف كلمة (إلى).

٢٨١ - ١٠ (الكافي - ١:٩٤) علي، عن أبيه، عن الحسن بن علي، عن اليعقوبي، عن بعض أصحابنا، عن عبدالأعلى مولى آل سام، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ يهوديّاً يقال له سبخت جاء الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يارسول الله جئت أسألك عن ربّك فإن أنت أجبتني عمّا أسألك عنه وإلّا رجعت قال «سل عمّاشئت» قال أين ربّك؟ قال «في كلّ مكان [1] وليس في شيء من المكان المحدود» قال: وكيف هو [2] قال «وكيف أصف ربّي بالكيف والكيف مخلوق والله لايوصف بخلقه»؟ قال: فمن أين يعلم أنك نبيّ [3] ؟ قال فمابقي حوله حجر ولاغير ذلك إلّا تكلّم بلسان عربيّ مبين ياسبخت إنّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال سبخت [4] مارأيت كاليوم أمراً أبين من هذا ثم قال: أشهد أن لاإله إلّاالله وأنّك رسول الله .

١ . قوله: «في كل مكان وليس في شيء من المكان المحدود» أي هو حاضر في كل مكان بالحضور العلمي وليس بحاضر في شيء من الأمكنة كائن فيه بالحضور والكون الايني والوضعي فان القرب والحضور على قسمين: قرب المفارقات والمجردات وحضورها بالاحاطة العلمية بالأشياء وقرب المقارنات وذوات الأوضاع وحضورها بالحصول الأيني والمقارنة الوضعية في الأمكنة مع المتمكنات والمتحيزات وحضور الأول سبحانه من القسم الأول دون الثاني والحضور العلمي في شيء لاينافي الحضور العلمي في آخر.

فان الاحاطة العلمية بالأشياء المتباينة بالوضع والمختلفة بالحدود معاً جائزة فهو محيط علمه بجميع الأمكنة والايون وحاضر بالحضور العلمي في كل منها والمقارنة الوضعية يختلف بالنسبة الى ذوات الأوضاع والقرب من بعضها يوجب البعد عن بعض وحضور البعض يوجب غيبة البعض.

وهو سبحانه منزه عن هذه المقارنة وليس في شيء من المكان المحدود. رفيع - (رحمه الله).

٢ . قوله: وكيف هو» أي هو على أي حال وصفة حتى يعرف بها فقال (عليه السلام) في الجواب «كيف أصف ربّي بالكيف» أي بصفة زائدة على ذاته وكل مايغاير ذاته مخلوق والله سبحانه لايوصف بخلقه لأنه لايجوز حلول غيره فيه حيث لايتحقق الحلول إلّا بالقوة في المحل وفعلية بالحال وهو سبحانه في ذاته لايصح عليه قوة الوجود لأن قوة الوجود عدم وهو بريء في ذاته من كل وجه من العدم وكذا لايصح عليه قوة العدم لأن قوة العدم وجود ممكن وهو سبحانه بريء في ذاته من كل وجه عن الامكان. رفيع - (رحمه الله).

٣ . نبي الله، الكافي المطبوع.

٤ . قيل سبخت بضم السين المهملة واسكان الباء الموحدة قبل الخاء المهملة وضبطه بعضهم باعجام الخاء وعليه المعوّل م. ح. ق.

بيـــان:

اليعقوبي بالياء المثناة التحتانية والعين المهملة والقاف ثم الموحدة كذا صححه في «الايضاح» وأورده الفاضل الاسترابادي [1] في حرف الياء المثناة أيضاً. ونقل أبي (رحمه الله) عن خط الشهيد الثاني (طاب الله ثراه) أنه بالباء الموحّدة في أوله وأن بعقوب بالموحدة قرية من قرى بغداد واسمه على التقديرين داودبن علي الهاشمي وهو ثقة ومن طرق هذه الرواية طريق الصدوق (رحمه الله) في «توحيده» باسناده [2] عن عبدالله بن جعفر الأزهري عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه محمدبن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه (عليهم السلام) قال :

«قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في بعض خطبه «مَن الذي حضر سبخت الفارسي وهو يكلّم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)» فقال القوم ماحضره منّا أحد. فقال علي (عليه السلام): «لكني كنت معه وقدجاء سبخت وكان رجلاً من ملوك فارس وكان ذرباً» [3] فقال له يامحمد؛ الى ماتدعو؟قال« ادعوا الى شهادة أن لاإله إلّا الله وحده لاشريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله» فقال سبخت: وأين الله يامحمد؟

قال «هو في كلّ مكان موجودبآياته» قال: فكيف هو؟ فقال لاكيف له ولاأين لأنه عزّ وجلّ كيّف الكيف وأيّن الأين» قال: فمن أين جاء؟ قال «لايقال له جاء وإنّما يقال جاء للزائل من مكان إلى مكان وربّنا لايوصف بمكان ولابزوال بل لم يزل بلامكان ولايزال» فقال يامحمد؛ إنّك لتصف ربّاً عظيماً بلاكيف فكيف لي أن اعلم أنه أرسلك .

فلم يبق بحضرتنا ذلك اليوم حجر ولامدر ولاجبل ولاشجر ولاحيوان إلّا قال مكانه أشهد أن لاإله إلّاالله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وقلت أنا أيضاً

١ . ميرزا محمد.
٢ . أورد الصدوق (رحمه الله) في التوحيد في باب حديث السبخت اليهودي. (عهد).
٣ . لسان ذرب: أي فصيح، مجمع البحرين و ـ ذرب ـ وزان «كتف».

أشهد أن لاإله إلّاالله وانّ محمداً عبده ورسوله فقال يامحمد؛من هذا؟ قال هذا خير أهلي وأقرب الخلق منّي لحمه من لحمي ودمه من دمي وروحه من روحي وهو الوزير منّي في حياتي والخليفة بعد وفاتي كما كان هارون من موسى إلّا أنه لانبي بعدي فاسمع له وأطع فإنه على الحقّ ثم سمّاه عبدالله» .

٢٨٢ - ١١ (الكافي - ١:١٠٣) علي بن محمد، عن سهل أو عن غيره، عن محمد بن سليمان،عن علي بن ابراهيم،عن عبدالله بن سنان،عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال «إن الله عظيم رفيع لايقدر العباد - على صفته ولايبلغون كنه عظمته،لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير،ولا يوصف بكيف ولاأين وحيث،وكيف أصفه بالكيف وهو الذي كيّف الكيف حتى صار كيفاً فعرفت الكيف بما كيّف لنا من الكيف، أم كيف أصفه بأين وهو الذي أيّن الأين حتى صار أيناً فعرفت الأين بماأيّن لنا من الأين،أم كيف أصفه بحيث وهو الذي حيّث الحيث حتى صار حيثاً فعرفت الحيث بماحيّث لنا من الحيث،فالله تعالى داخل في كلّ مكان وخارج من كلّ شيء،لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار لاإله إلّاهو العلي العظيم وهو اللطيف الخبير» .

بيـــان:

محمد بن سليمان هو أبو طاهر الزراري الثقة وعلي بن ابراهيم، هو الجعفري كما نصّ عليه الصدوق (رحمه الله) .

-٣٣-

باب النسّبة وتفسير سورة التوحيد

٢٨٣ - ١ (الكافي - ١:٩١) القميان، عن صفوان، عن الخزاز، عن محمد،عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «ان اليهود سألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا: إنسب لنا ربّك [١] فلبث ثلاثاً لايجيبهم،ثمّ نزلت قل هوَاللهُ احدٌ الى آخرها» .

بيـــان:

هذا الخبر بعينه رواه الشيخ الصدوق (رحمه الله) في «توحيده» وزاد في آخره فقلت له ماالصمد؟ فقال الذي ليس بمجوف وروي فيه عن الربيع بن مسلم قال سمعت أباالحسن (عليه السلام) وسُئل عن الصمد فقال «الصمد الذي لاجوف له» .

قال أستادنا في العلوم الحقيقية صدر المحققين (طاب ثراه) لمّاكان الممكن وجوده أمراً زائداً على أصل ذاته ومقتضى ذاته و باطنه العدم واللاشيء فهويشبه الأجوف

١ . قوله: «إنسب لنا» أي اذكر لنا نسب ربّك أو نسبته إلى ماسواه. النسب محركة والنسبة بالكسر والضمّ القرابة أو في الآباء خاصة ونسبه ينسبه ذكر نسبته والنسب أكثر استعمالاً في الآباء والنسبة في القرابة وقديطلق النسبة على كل شيء بالقياس الى غيره. رفيع - (رحمه الله).

كالحقّة الخالية عن شيء والكرة المفرغة لأنّ باطنه الذي هو ذاته لاشيء محض والوجود الذي يحيط به ويحدّده هو غيره وأمّا الذي ذاته الوجوب والوجود من غير شائبة عدم وفرجة خلل، فيستعار له الصمد» انتهى كلامه وسيأتي كلمات أُخر في معنى الصمد وتأويله عن قريب إن شاء الله تعالى .

٢٨٤ - ٢ (الكافي - ١:٩١) محمد، عن البرقي، عن علي بن الحكم، عن الخزاز ومحمد، عن ابن عيسى ومحمد بن الحسين، عن السرّاد، عن حماد بن عمرو النصيبي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن قُلْ هُوَاللهُ أَحَدٌ فقال «نسبة الله تعالى إلى خلقه أحداً صمداً أزليّاً صمديّاً لاظلّ له يمسكه وهو يمسك الأشياء باظلّتها، عارف بالمجهول، معروف عند كلّ جاهل، فردانياً، لاخلقه فيه ولاهو في خلقه غير محسوس ولا مجسوس، لا تدركه الأبصار، علا فقرب ودنا فبعد، وعُصي فغفر وأطيع فشكر، لاتحويه أرضه ولا تقله سماواته، حامل الأشياء بقدرته ديموميّ أزليّ، لاينسى ولايلهو ولايغلط ولايلعب ولالإرادته فصل وفصله جزاء وأمره واقع، لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك ولم يكن له كفواً أحد» .

بيـــان:

«نسبة الله الى خلقه» هي كونه منزّهاً عمّاسواه مسلوباً عنه شبه ماعداه «لاظلّ له يمسكه» أي لاجسم له في حديث ابن عباس: الكافر يسجد لغير الله وظلّه يسجد لله أي جسمه وإنّما يقال للجسم «الظلّ» لأنّه عنه الظل ولأنه ظل للروح لأنه ظلماني والروح نوراني وهو تابع له يتحرّك بحركته النفسانية و يسكن بسكونه النفساني «باظلّتها» أي مع أجسامها وأشباحها «عارف بالمجهول» أي بماهو مجهول للخلق من المغيّبات أو المعدومات التي لم تظهر أو لم توجد بعد «معروف عند كلّ جاهل». يعني ان النفوس مجبولة على معرفته بوجه والتصديق بوجوده وذلك لانبساط نوره وسعة رحمته وفيض جوده «ولا تقله سماواته» لا تطيق حمله «ولالإرادته فصل» يعني

عن المراد «وفصله جزاء» أي فصله بين عباده [١] المشار إليه بقوله سبحانه: ..يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ [٢] جزاء لهم وهو غير جائر فيه .

روى الشيخ الصدوق (رحمه الله) باسناده عن أبي البختري وهب بن وهب القرشي عن أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي الباقر (عليهم السلام) في قول الله تعالى: قل هوَ اللّٰهُ أحدٌ قال «قل: أي أظهر ما أوحينا إليك ونبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها لك ليهتدي بها من ألق السمع وهو شهيد، و«هو» اسم مكنى مشار إلى غائب فـ«الهاء» تنبيه على معنى ثابت و«الواو» اشارة الى الغائب عن الحواس .

كما أن قولك هذا اشارة الى الشاهد عند الحواس وذلك إنّ الكفّار نبهوا عن آلهتهم بحرف اشارة الشاهد المدرك،فقالوا هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالابصار فأشر أنت يامحمد إلى إلٰهك الذي تدعو إليه حتى نراه وندركه ولانأله فيه فأنزل الله تبارك وتعالى: قل هُوَ فـ«الهاء» تثبيت للثابت و«الواو» إشارة الى الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواس وانه تعالى عن ذلك،بل هو مدرك الأبصار ومبدع الحواس
قال الباقر (عليه السلام):

«الله معناه المعبود الذي أله الخلق عن درك مائيته والاحاطة بكيفيّته» و يقول العرب أَلِهَ الرجل إذا تحيّر في الشيء فلم يحط به علماً و«وله» إذا فزع الى شيء ممّا يحذره ويخافه «والإلٰه» هو المستور عن حواس الخلق .

قال الباقر (عليه السلام) «الأحد الفرد المتفرد والأحد والواحد بمعنى واحد وهو المتفرد الذي لانظير له والتوحيد الاقرار بالوحدة وهو الانفراد والواحد المتباين الذي لاينبعث من شيء ولايتحد بشيء ومن ثَمّة قالوا إن بناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد لأن العدد لايقع على الواحد بل يقع على الا ثنين فمعنى قوله الله أحد أي المعبود الذي يأله الخلق عن إدراكه والاحاطة بكيفيّته فرد بإلٰهيته متعال عن صفات خلقه .

١ . بين العباد. ق.
٢ . الحج/١٧

قال الباقر (عليه السلام) «وحدثني أبي زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي (عليهم السلام) انه قال «الصمد: الذي لاجوف له والصمد: الذي قدانتهى سودده والصمد: الذي لايأكل ولايشرب والصمد: الذي لاينام والصمد: الدائم الذي لم يزل ولايزال» .

قال الباقر (عليه السلام) «كان محمدبن الحنفية يقول الصمد: القائم بنفسه،الغني عن غيره» وقال غيره الصمد: المتعالي عن الكون والفساد والصمد: الذي لايوصف بالتغاير.

قال الباقر (عليه السلام) «الصمد: السيد المطاع الذي ليس فوقه آمر وناهي» [1] قال «وسُئل علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) عن الصمد: فقال «الصمد: الذي لاشريك له ولايؤده حفظ شيء ولايعزب عنه شيء» قال وهب بن وهب القرشي قال زيدبن علي: الصمد: الذي اذا أراد شيئاً قال له كن فيكون والصمد: الذي ابدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً وتفرد بالوحدة بلاضدّ ولاشكل ولامثل ولاندّ .

قال وهب بن وهب القرشي وحدثني الصادق جعفر بن محمد عن أبيه الباقر عن أبيه (عليهم السلام) «إنّ أهل البصرة كتبوا الى الحسين بن علي (عليهما السلام) يسألونه عن الصمد فكتب اليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم امّا بعد فلاتخوضوا في القرآن ولاتجادلوا فيه ولاتتكلّموا فيه بغير علم فقدسمعت جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وإنّ الله سبحانه قدفسّر الصمد فقال: اللهُ أحدٌ* اللهُ الصَّمدُ، ثم فسّره فقال: لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفواً أحدٌ* لم يلد لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ولاشيء لطيف كالنفس ولاتنشعب منه البدوات كالسنة والنوم والخطرة والوهم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسامة والجوع والشبع تعالى عن ان يخرج

[1] ـ آمر ولاناه، كذا في تفسير الصافي ومجمع البيان.

منه شيء وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف ولم يولد لم يتولّد من شيء ولم يخرج من شيء كما يخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة من الدابة والنبات من الأرض والماء من الينابيع والثمار من الأشجار ولا كما يخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين والسمع من الأذن والشمّ من الأنف والذوق من الفمّ والكلام من اللسان والمعرفة والتميز من القلب وكالنار من الحجر .

لابل هو الله الصمد الذي لامن شيء ولافي شيء ولاعلى شيء، مبدع الأشياء وخالقها ومنشيء الأشياء بقدرته يتلاشى ماخلق للفناء بمشيّته و يبقى ماخلق للبقاء بعلمه فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد،عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ولم يكن له كفواً أحد» .

قال وهب بن وهب القرشي سمعت الصادق (عليه السلام) يقول «قدم وفد من فلسطين على الباقر (عليه السلام) فسألوه عن مسائل فأجابهم ثم سألوه عن الصمد فقال «تفسيره فيه الصمد خمسة أحرف فالألف دليل على انّيته وهو قوله عز وجل: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ [1] وذلك تنبيه واشارة الى الغائب عن درك الحواس و«اللام» دليل على إلٰهيّته بانّه هو الله والألف واللام مدغمان لايظهران على اللسان ولايقعان في السمع و يظهران في الكتابة دليلان على أن الهيته بلطفه خافية لا تدرك بالحواس ولا تقع في لسان واصف ولاأذن سامع لأن تفسير الإلٰه هو الذي أله الخلق عن درك مائيته وكيفيته بحسّ أو بوهم لابل هو مبدع الأوهام وخالق الحواس وإنّما يظهر ذلك عند الكتابة دليل على أن الله تعالى أظهر ربوبيّته في ابداع الخلق وتركيب أرواحهم اللطيفة في أجسادهم الكثيفة فاذا نظر عبد الى نفسه لم ير روحه كما أن لام الصمد لا تتبيّن ولا تدخل في حاسة من حواسه الخمس،فاذا نظر الى الكتابة ظهر له ماخفي ولطف، فتى تفكر العبد في مائية الباري وكيفيته أله فيه وتحيّر ولم تحط فكرته بشيء يتصور له لأنه عز وجلّ خالق الصور، فاذا نظر الى خلقه ثبت له أنه عزّ وجلّ خالقهم ومركّب أرواحهم في أجسادهم. وأما الصّاد فدليل على انه عزّ وجلّ صادق وقوله

١ . آل عمران/١٨

صدق وكلامه صدق ودعا عباده الى اتباع الصدق بالصدق ووعد بالصدق دار الصدق وأما «الميم» فدليل على ملكه وانه الملك الحق لم يزل ولايزال ولايزول ملكه وأما «الدال» فدليل على دوام ملكه فانه عزّ وجلّ دائم تعالى عن الكون والزوال بل هوعزّ وجلّ مكوّن الكائنات الذي كان بتكوينه كل كائن» .

ثم قال (عليه السلام) «لووجدت لعلمي الذي اتاني الله عزّ وجلّ حملة لنشرت التوحيد والإسلام والايمان والدّين والشرائع من الصمد وكيف لي بذلك ولم يجد جدي أميرالمؤمنين (عليه السلام) حملة لعلمه حتى كان يتنفس الصّعداء و يقول على المنبر- سلوني قبل أن تفقدوني - فان بين الجوانح منّي علماً جمّاً هاه هاه ألالاأجد من يحمله ألاوإني عليكم من الله الحجة البالغة فَلَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْيَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ [1].

ثم قال الباقر (عليه السلام) «الحمد لله الذي منّ علينا ووفّقنا لعبادة الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وجنّبنا عبادة الأوثان حمداً سرمداً وشكراً واصباً.

وقوله عزّ وجلّ: لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ يقول: لم يلد عزّ وجلّ فيكون له ولد يرثه ملكه ولم يولد فيكون له والد يشركه في ربوبيّته وملكه ولم يكن له كفواً أحد فيعازّه في سلطانه» هذا آخر حديث القرشي وسيأتي معان أُخر للصمد في باب معاني الأسماء إن شاء الله وجملة ماقيل في معنى الصمد ترجع الى التمام وفوق التمام الذي لايعوزه شيء يستغني عن كل شيء في كلّ شيء و يفتقر إليه كل شيء في كلّ شيء .

٢٨٥ - ٣ (الكافي - ١:٩١) محمد، عن احمد، عن الحسين [عن النضر]، [2] عن عاصم بن حميد قال: قال: سُئل علي بن الحسين (عليهما السلام) عن التوحيد فقال «انّ الله عزّ وجلّ علم انه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون فأنزل الله

١ . الممتحنة/١٣

٢ . مافي المعقوفين سقطت من الأصل وادخلناها وفقاً لسائر نسخ الوافي والكافي «ض.ع».

قلْ هوَ اللّهُ أحدٌ والآيـات [1] من سورة الحديد الى قوله: عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [2] فمن رام وراء ذلك فقد هلك».

بيــان:

لعله أشار بالمتعمقين الى أكابر أهل المعرفة ولعمري ان في سورتي التوحيد والحديد مـالايدرك غوره إلّا الأوحدي الفريد ولاسيّما الآيات الأُول من سورة الحديد وخصوصاً قوله عزّ وجلّ: وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ [3].

٢٨٦ - ٤ (الـكـافي - ١:٩١) محـمـد بـن أبي عـبـدالله رفـعـه، عـن عبدالعزيز بن المهـتدي قال: سألت الرضا (عليه السلام) عن التوحيد فقال «كلّ من قرأ قل هـو الله أحـد وآمـن بها فـقـدعـرف الـتـوحيد» قلت: كيف يقرأها؟ قال: كما يقرأها الناس وزاد فيها ذلك الله ربّي» .

١ . قـولـه: «والآيـات مـن سـورة الحـديـد إلى قـولـه وهـوعليم بذات الصدور »حيث دلّ بقوله سبحانه «سبح لله مافي السموات والأرض» على شـهـادة كل بتقدسه وتنزّهه فكل موجود يمكن أن يستدل منه على وجوده وتقدسه ثم دل بقوله «وهوعلى كل شـيء قـديـر» على عـمـوم قـدرتـه و بـقـولـه «هو الأول والآخر» على أزليته ودوامه وسرمديّته وكونه مبدأ كل معلول و بقوله «والـظاهر والباطن» على ظهور آياته ودلايل وجوده وقدرته وعلمه بالظواهر والبواطن وكونه غيرمدرك بالحواس و بقوله «وهو بـكـل شـيء عـلـيم» على عـمـوم عـلـمـه ثم بقوله «ثم استوى على العرش» على استواء نسبته سبحانه الى المعلولات فلايختلف بالقرب والبعد وظهور الشيء وخفائه و بقوله «وهومعكم أينما كنتم» على احاطة علمه بجميع الأشخاص والأمكنة فلايعزب عـنـه سـبـحانه شيء منها و بقوله «له ملك السموات والأرض والى الله ترجع الأمور» على إلٰهيّته للكل وكونه غاية حقيقة في الكل .

و بـقـولـه «يـولـج الـلـيـل في النهار ...» على أنّه يأتي بآيات الظهور والخفاء والكشف والستر (والسر ـ خ ل) وأن الموجودات بـالـوجـود العلمي ومخزونات النفوس والصدور التي هي أخفى الأشياء ظاهرة عليه أعلى مراتب الكشف والظهور وقوله «فمن رام وراء ذلـك هـلـك» أي قـصـد خـلافـه ووصـفـه بـخـلاف مـاأتى به سبحانه كمن وصفه بالجسم أو بالشكل والصورة أو بـالـصـفـات الـزائدة أو بالايلاد أو بالشرك له أو بالجهل بشيء أو بايجاد غيره أو نفي قدرته عن شيء «فقدهلك» وضلّ عن سواء الطريق وأحيط بجهنّم وهوبها حقيق. رفيع ـ (رحمه الله).

وقـال صـدر المتألهين كنت أتفكّر في دقائق هذه الآيات كثيراً حتى رأيت هذا الحديث استبشرت به والأظهر أن الرواية ذمّ للمتعمّقين أي الذين يتصدون لمعرفة مالاينالـه الإنسان من ذات الله تعالى وأمر لهم الاكتفاء بمفاد الآيات. «ش».

٢ . الحديد/٦

٣ . الحديد/٤

بيان:

في بعض النسخ بدل - ذلك الله ربّي - كذلك الله ربّي مرتين. وهذه الزيادة هي المعنى الايمان بها الموجب لعرفان التوحيد إلّا أنّ للايمان والعرفان [1] قوة وضعفاً مراتب بعضها فوق بعض يتدرج بتدرج صفاء قلوب الناس وفطانتهم ويزيد اللّهُ الذين اهتدوا هدى[2] و يَرْفَعِ اللّهُ الّذينَ امَنُوا والّذينَ اُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ [3] و يأتي تمام تحقيق ذلك في كتاب الايمان والكفر إن شاء الله تعالى.

١. والتوحيد مكان كلمة العرفان. ق.

٢. مريم/٧٦

٣. اقتباس من سورة المجادلة /١١ والآية هكذا: يرفع الله الذين آمَنُوا مِنْكُم وَالذين الخ.

- ٣٤ -

باب النهي عن الكلام في ذاته تعالى

٢٨٧ - ١ (الكافي - ١: ٩٢) محمد بن الحسن، عن سهل، عن السرّاد، عن ابن رئاب، عن أبي بصير قال قال أبوجعفر (عليه السلام) «تكلّموا في خلق الله ولا تتكلّموا في الله فانّ الكلام في الله لايزداد صاحبه[1] إلّا تحيّراً» .

٢٨٨ - ٢ (الكافي - ١: ٩٢) وفي رواية أخرى عن حريز: «تكلّموا في كلّ شيء ولا تتكلّموا في ذات الله تعالى» .

بيــان:

في توحيد الصدوق عن علي بن رئاب عن ضريس عن أبي جعفر (عليه السلام)

١ . قوله: «فإن الكلام في الله لايزداد صاحبه ...» يحتمل أن يكون المراد بالكلام المباحثة والمجادلة بالتقرير والردّ كما يقال فلان عارف بالكلام. والمباحثة والمجادلة في الأمور المتعلقة به سبحانه منهيّ عنه إلّا لمن هو متمكّن من التحفّظ عن الميل والزلل بتأييد منه سبحانه وهو قليل نادر وفي غيره يؤدي الى الحيرة والرّدى فالمباحثة والمجادلة في كل شيء من خلق الله سبحانه يجوز والمباحثة والمخاصمة فيه سبحانه في ذاته وصفاته الذاتيّة منهي عنه.
فان كلّ كلام في الصفات الذاتية في حقّه سبحانه يرجع الى الكلام في الذات وأمّا الكلام فيه سبحانه لابالمباحثة والمجادلة بل بذكره بماوصف به نفسه فغير منهي عنه لأحد بل هو من الذكر المأمور به نعم الكلام في تحديد حقيقته منهي عنه مطلقاً فان لم يحمل على المخاصمة والمجادلة فينبغي أن يحمل على الكلام في تحقيق الحقيقة وتحديدها وكذا الكلام في حديث سليمان بن خالد ومحمدبن مسلم. رفيع - (رحمه الله).

قال «اذكروا من عظمة الله ماشئتم ولا تذكروا ذاته فانّكم لا تذكرون منه إلّا وهو أعظم منه» .

٢٨٩ - ٣ (الكافي - ١:٩٢) محمد، عن احمد، عن ابن أبي عمير، عن البجلي، عن سليمان بن خالد قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام) «إنّ الله تعالى يقول: وانّ إلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ [1] فاذاانتهى الكلام الى الله تعالى فأمسكوا» .

٢٩٠ - ٤ (الكافي - ١:٩٢) الثلاثة عن الخزاز[2] عن محمد قال: قال أبوعبدالله عليه السلام «يامحمد: إن الناس لايزال بهم المنطق [3] حتى يتكلّموا في اللّه فاذا سمعتم ذلك فقولوا لاإله إلّا الله الواحد الذي ليس كمثله شيء» .

٢٩١ - ٥ (الكافي - ١:٩٢) العدة، عن البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن حمران، عن الحذاء قال: قال أبوجعفر (عليه السلام) «يازياد؛ إيّاك والخصومات [4] فانّها تورث الشك وتحبط العمل وتردى صاحبها وعسى أن يتكلّم بالشيء فلايغفر له إنه كان فيما مضى قوم تركوا علم ماوكلوا به [5] وطلبوا

١ . النجم/٤٢
٢ . الخزاز، ق.
٣ . قوله: «لايزال لهم المنطق» وفي بعض النسخ بهم المنطق بالباء وعلى الأولى معناه يجوز لهم الكلام وعلى الثانية معناه يجور معهم الكلام وآخر الحديث بالثانية أنسب وقوله «فاذا سمعتم ذلك» أي سمعتم الكلام في الله فاقتصروا على التوحيد ونفي الشريك منبأً على أن لايجوز الكلام فيه وتبيين معرفته إلّا بسلب التشابه والتشارك بينه و بين غيره. رفيع - (رحمه الله).
٤ . قوله: «إيّاك والخصومات فانّها تورث الشك» لأنّه يؤدّي الخصومة الى ميل النفس الى أحد الطرفين فيشك فيما لاينبغي أن يشك فيه و يلحقه بهذه الخطيئة من الإثم مالايسلم معه أجر عمله أو يكون عمله حينئذ مقارناً للشك فلايؤجر عليه و يؤدي الى هلاك صاحبه وعسى أن يتكلّم بالشيء عند الخصومة أو الخصومة تميل نفسه إلى المدافعة والغلبة فلايغفر له الحق. رفيع - (رحمه الله).
٥ . قوله: «تركوا علم ماوكلوا به» على صيغة المجهول من التوكيل أي أمروا بتحصيله واقدروا عليه كمعرفة الحلال والحرام من الأحكام الشرعية والعرفية «وطلبوا علم ماكفوه» أي ماسقط عنهم وكفوا مؤنته كمعرفة حقائق الأشياء «حتى انتهى كلامهم الى الله» فتكلموا في حقيقة ذاته أو حقيقة صفاته الحقيقية «فتحيروا» وذلك لأن اشتغال القوة الدراكة بمايعجز عنه إنّما يزيد حيرة وعجزاً عن الدرك كما أن اشتغال القوة الباصرة بنور الشمس عند ارتفاعها إنّما يزيدها عجزاً عن الرؤية حتى ←

علم ما كفّوه حتى انتهى كلامهم الى الله فتحيّروا حتى كان الرجل ليدعي من بين يديه فيجيب من خلفه و يدعي من خلفه فيجيب من بين يديه» .

٢٩٢ - ٦ (الكافي - ١:٩٢) وفي رواية أخرى: حتى تاهوا في الأرض .

بيــان:

«إيّاك والخصومات» أي في الدين كما نراه من المتكلمين و«الارداء» الاهلاك «علم ماوكّلوا به» على صيغة المجهول من الكله أو التوكيل أي كلفهم الله به وهو علم الشرائع «علم ما كفوه» على صيغة المجهول من الكفاية أي ما كفاهم الله مؤنته «تاهوا» ذهبوا متحيّرين .

٢٩٣ - ٧ (الكافي - ١:٩٣) العدة، عن البرقي، عن بعض أصحابه، عن الحسين بن ميّاح، [1] عن أبيه قال سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «من نظر في الله كيف هو هلك» [2].

٢٩٤ - ٨ (الكافي - ١:٩٣) محمد، عن ابن عيسى، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «ان ملكاً عظيم الشأن [3]

يشتبه عليهم الأمور الضرورية و«كان الرجل منهم ليدعا من بين يديه فيجيب من خلفه و يدعا من خلفه فيجيب من بين يديه». رفيع - (رحمه الله).

وفي رواية أخرى «حتى تاهوا في الأرض» أي تحيّروا ولم يهتدوا الى الطريق الواضح في المحسوسات والمبصرات فضلاً عن الخفايا من المعقولات. رفيع - (رحمه الله).

١ . وزان صيغة المبالغة و«المايح» هو الذي ينزل البئر فيملأ الدلو إذا قلّ ماء الركيّة. «ض.ع».

٢ . قوله «من نظر في الله كيف هو هلك» أي مَن نظر في الله ليعرفه بحقيقة صفاته الحقيقية هلك لأنه اشغل قوته العقلية بادراك مالاسبيل لها إليه و يعجز عن ادراكها غاية العجز فيضعف حتى لايقدر على ادراك ما كان قادراً عليه فيهلك بجهله بما هو مناط نجاته وحياته. رفيع - (رحمه الله).

٣ . قوله «انّ ملكاً عظيم الشأن ...» أي ملكاً من الملوك عظيم الشأن كان في مجلسه فتناول الربّ تعالى وتكلّم في حقيقته أو حقيقة صفاته الحقيقية ففقد وصار مفقوداً عن مجلسه فمايدري أين هو أو فقد ما كان واجداً فمايدري أين هو لحيرته. رفيع - (رحمه الله).

كان في مجلس له فتناول الربّ تعالى ففقد فمايدري أين هو» .

بيـــان:

«فتناول الربّ» أي أخذ يتكلّم في ذات الربّ سبحانه بمالايليق بجناب قدسه.

٢٩٥ ـ ٩ (**الكافي** ـ ١:٩٣) العدة، عن البرقي، عن محمدبن عبدالحميد، عن العلاء،عن محمد، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال «إيّاكم والتفكّر في الله ولكن إذا أردتم أن تنظروا الى عظمته [1] فانظروا إلى عظيم خلقه» .

٢٩٦ ـ ١٠ (**الكافي** ـ ١:٩٣) محمد بن أبي عبدالله رفعه قال: قال أبوعبدالله (عليه السلام) «ابن [2] ادم لوأكل قلبك طائر لم يشبعه و بصرك لووضع عليه خرق إبرة لغطاه، تريد أن تعرف بهما ملكوت السماوات والأرض؟ ان كنت صادقاً فهذه الشمس خلق من خلق الله فان قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول» .

بيـــان:

أريد بالقلب اللحم الصنوبري المعروف ولهذا جعله مأكولاً وظاهر أنه لايصحّ أن يعرف به ملكوت السماوات والأرض كما لايصحّ أن يعرف بالبصر لأنهما من عالم الملك فكيف يعرف بهما الملكوت فالخطاب خاص بمن لايتجاوز درجة الحسّ والمحسوس من أفراد بني آدم المشار إليهم بقوله سبحانه لَهُمْ قُلُوبٌ لايَفْقَهُونَ بِها [3] فأمّا من

١ . قوله: «إذا أردتم أن تنظروا الى عظمته فانظروا الى عظيم خلقه» فانه أجل من أن يوصف بعظمة مدركة بالعقول فلايمكن أن ينظر الى عظمته فانه إنّما ينظر الى مايدرك فالنظر الى عظمته لايمكن إلّا بأن يدرك عظم خلقه و ينظر إليه و يعلم أنه أعظم من أن يوصف بعظمة يوصف بها خلقه وفي بعض النسخ الى عظم خلقه والمعنى لايختلف. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . في الكافي المطبوع و بعض المخطوطات «ياابن آدم».

٣ . الأعراف/١٧٩

جاوزها منهم وبلغ الى درجة العقل والمعقول وهم أصحاب القلوب الملكوتية المشار إليهم بقوله عزّ وجلّ: إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ [١].

فلهم أن يعرفوا بقلوبهم ملكوت السماوات والأرض لأنّ قلوبهم من الملكوت ولهذا حثّ الله جلّ وعزّ على النظر في الملكوت في غير موضع من كتابه قال سبحانه: أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ [٢] وقال تعالى وَكَذٰلِكَ نُرِيَ إِبْرٰهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ [٣] إلى غير ذلك من الآيات بلى إن ذاته سبحانه لايجوز أن يُكْتَنَه بالقلب كما لايجوز أن يُدرَك بالبصر بل إنّما يجوز أن يُطّلَع بالقلب على شيء من عظمته فحسب قيل كما يعتري العين الظاهرة التي هي بصر الجسد عند التحدق في جرم الشمس عمش [٤] يثبطه [٥] عن تمام الإبصار فكذلك يعتري العين الباطنة التي هي بصر العقل عند ادراك الباريء القدوس تعالى دهش يكمهه [٦] عن اكتناه ذاته سبحانه .

٢٩٧ - ١١ (الكافي - ١:٩٤) الثلاثة، عن محمد بن يحيى الخثعمي، عن عبدالرحمان بن عتيك القصير قال: سألت أباجعفر (عليه السلام) عن شيء من الصفة فرفع يده الى السماء ثمّ قال «تعالى الجبّار تعالى الجبّار، من تعاطى ماثمّ هلك» .

بيان:

تعاطى تناول .

١ . ق/٣٧

٢ . الأعراف/١٨٥

٣ . الأنعام/٧٥

٤ . العمش بالتحريك في العين ضعف الرؤية مع سيلان دمعها في أكثر أوقاتها، مجمع البحرين.

٥ . ... وثبطه عن الأمور إذا حبسه وشغله عنها، مجمع البحرين.

٦ . يكمهه: أي يعميه أو يعشيه.

-٣٥-

باب ابطال الرّؤية

٢٩٨ - ١ (الكافي ــ ١:٩٥) محمدبن أبي عبدالله، عن علي بن أبي القاسم، عن يعقوب بن اسحاق [١] قال: كتبت الى أبي محمد (عليه السلام) أسأله كيف يعبد العبد ربّه [٢] وهو لايراه؟ فوقّع (عليه السلام) «ياأبايوسف؛ جلّ سيدي ومولاي والمنعم عليّ وعلى آبائي أن يرى» قال وسألته هل رأى رسول‌الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ربّه؟ فوقّع [٣] (عليه السلام) «إنّ‌الله تعالى أرى رسوله بقلبه من نور

١ . يعقوب بن اسحاق فيلسوف العرب صاحب «اثولوجيا» وكأنه أراد امتحان الإمام في علمه وعقله لأن أكثر زهاد ذلك العصر كانوا مجسمة لايعترفون بموجود غير جسم فأجاب الإمام (عليه السلام) بمايوافق مذهب الفلاسفة. «ش».

٢ . قوله: «كيف يعبد العبد ربّه وهو لايراه» أي كيف يعبده ولايعرفه معرفة لايشبه بغيره لأن تلك المعرفة إنّما تحصل بالرؤية وهو لايراه وأجابه (عليه السلام) بأنه سبحانه أجلّ من أن يرى و يدرك بالحاسة وتقريره أن سبحانه لاتصحّ عليه الرؤية لأنه في أعلى مراتب التجرّد لعلمه بجميع الكليات والمغيبات.

ونبّه (عليه السلام) بقوله «المنعم عليّ وعلى آبائي» أي بماأنعم عليهم من كمال العلم والمعرفة فهو في أعلى مراتب التجرد وكلّما كان في أعلى مراتب التجرّد لايدرك بحاسة البصر إذ لاصورة مادية له ولاابصار إلّا بحصول صورة مادية للمبصر.

فكمال معرفته أن يعرف بأنه لايمكن ان يدرك بالبصر ولا أن يعرف بالابصار انّما تصحّ رؤيته بالقلب وهذه المعرفة هي رؤيته بالقلب فهو يعبد مايراه وقوله «هل رأى رسول‌الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ربّه» سؤال عن رؤيته (صلى الله عليه وآله وسلم) ربّه والرؤية وإن كانت ظاهرة في الابصار لكنّها تحمل الى الرؤية القلبية وأجاب بان رؤيته بالقلب بأن أراه الله وعرفه من سمات كماله وصفات جلاله وعظمة آياته ماأحب أن يعرفه والمراد أن رؤيته له معرفته بالقلب ولابحقيقته بل بصفاته وأسمائه وآياته. رفيع ـ (رحمه الله).

٣ . التوقيع مايوقّع في الكتاب وأكثر اطلاقه مايوقّع السلطان بخطه في الكتاب والمنعم عليّ وعلى آبائي أي بنعمة الولاية (وهي خير النعم بعدالنبوّة) «المدايا» أوردناه ملخّصاً «ض.ع».

عظمته ماأحبّ».

٢٩٩ - ٢ (الكافي - ١:٩٨) محمد وغيره، عن ابن عيسى، عن البزنطي، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «لماأُسْري بي الى السماء بلغ بي جبرئيل مكاناً لم يطأه قطّ جبرئيل فكشف له فأراه الله من نور عظمته ماأحبّ».

بيـان:

قوله «فكشف له» إلى آخره من كلام الرضا (عليه السلام) وفي توحيد الصدوق - فكشف لي فأراني - وبتقديم جبرئيل على «قطّ» وهو أوضح، وفاعل «أحبّ» إما «الرسول» وفيه إشارة الى أنّ قوّة الرؤية على قدر قوة المحبّة وسعة إدراك المحبّ لاعلى قدر شدّة نور المحبوب لأنّه غير متناه وإمّا «الله» وهو الأظهر أي ماأحبّ الله ان يريه من نفسه في ذلك الوقت وعلى التقديرين لم تتعلّق الرؤية بكنه ذاته وتمام حقيقته.

٣٠٠ - ٣ (الكافي - ١:٩٥) القميان، عن صفوان قال: سألني أبوقرّة المحدث أن أدخله الى أبي الحسن الرضا (عليه السلام) فاستأذنته في ذلك فأذن لي فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد، فقال أبوقرة إنّا رُوّينا «أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبيّين فقسم الكلام لموسى ولمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الرؤية.

فقال أبوالحسن (عليه السلام) «فمن المبلّغ عن الله الى الثقلين من الجنّ والإنس لاتدركه الإبصار ولايحيطون به علماً وليس كمثله شيء، أليس محمد»؟ قال: بلى قال «كيف يجيء رجل الى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند الله وانّه يدعوهم الى الله بأمر الله فيقول: لا تدركه الأبصار ولايحيطون به علماً وليس كمثله شيء، ثم يقول أنا رأيته بعينيّ وأحطت به علماً وهو على صورة البشر أماتستحون؟! ماقدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من

عـنـد الله بـشـيء ثم يـأتي بخلافه من وجه آخر قال أبوقرّة فانه يقول وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرىٰ [١] فـقـال أبـوالحسن (عليه السلام) «إنّ بعد هذه الآية مايدلّ على مارأى حيـث قـال مٰاكَذَبَ الْفُؤادُ مٰارَأىٰ [٢] يقول ماكذب فؤاد محمد (صلى الله عليه وآله وسـلـم) مارأت عيناه ثم أخبر بمارأىٰ فقال: لَقَدْ رَأىٰ مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرىٰ [٣] فآيات الله غير الله وقـدقـال الله وَلاٰيُحيطُونَ بِهِ عِلْماً [٤] فاذا رأته الأبصار فقدأحاطت به الـعـلـم ووقـعـت المـعـرفة» فقال أبوقرة فتكذب [٥] بالروايات؟ فقال أبوالحسن (عـلـيـه الـسلام) «اذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها وماأجمع المسلمون عليه انّه لايحاط به علماً، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثله شيء».

٣٠١ ـ ٤ (الـكـافي ـ ١:٩٦) الـقـمـي، عن أبي عيسى، عن علي بن سيف، عن محـمـدبـن عـبـيـد قـال: كـتـبت الى أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أسأله عن الرؤ ية ومـاتـرو يـه الـعـامـة والخاصة وسألته أن يشرح لي ذلك فكتب بخطّه. «اتّـفـق الجـمـيع لا تمانع بينهم أنّ المعرفة من جهة الرؤ ية ضرورة فاذا جاز أن يـرى الله بالعين وقعت المعرفةضرورة، ثم لم تخل تلك المعرفة من أن تكون إيماناً أو لـيـسـت بايمان فان كانت تلك المعرفة من جهة الرؤ ية إيماناً فالمعرفة التي في دار الـدنـيـا مـن جـهـة الاكتساب ليست بايمان لأنها ضدّه فلايكون في الدنيا مؤمن لأنهم لم يـروا الله عـزّ ذكـره وان لم تـكـن تلك المعرفة التي من جهة الرؤ ية ايماناً لم تخـل هـذه المـعـرفـة التي من جهة الاكتساب أن تزول ولا تزول في المعاد فهذا

١ ـ النجم/١٣
٢ ـ النجم/١١
٣ ـ النجم/١٨
٤ ـ طه/١١٠
٥ ـ قـوله: «فقال أبو قرّة فتكذب بالروايات» أي لا تصدق بها وتجحدها أي فترتكب هذا الأمر الشنيع من التكذيب بالروايات فـأجـاب المخـالـفة لكتاب الله تعالى لاشناعة فيها والمجمع عليه أنه لايحاط به علماً «ولا تدركه الأبصار وليس كمثله شيء» أي اتّفق المسلمون على مدلول مافي الكتاب والمخالف لمدلول الكتاب والمجمع عليه يجب ردّه فضلاً عن شناعة التكذيب بها. رفيع ـ (رحمه الله).

دليل على أنّ الله تعالى ذكره لايرى بالعين إذ العين تؤدّي الى ـ ماوصفنا» [١].

بيـــان:

قـال السيد الداماد تغمّده الله بغفرانه في تفسير هذا الحديث: يعني لايزول في نشأة المعاد عن النفس علم قداكتسبته في هذه النشأة فلوكان الله سبحانه يرى بالعين في تلك النشأة لكان يتعلّق به الإدراك الإحساسي الضروري والعلم العقلي الإكتسابي معاً وذلك محال بالضرورة البرهانية ولاسيّما اذا كان الادراكان المتباينان بالنوع بل المتنافيان بالحقيقة في وقت واحد أقول: فيه نظر إذ لقائل أن يقول: إنّ الادراك الاكتسابي لم يتعلّق إلّا بالتصديق بوجوده ونعوته لاذاته وهو يته ولعل الادراك الإحساسي يتعلّق بذاته وهو يّته فلامنافاة بين الادراكين لتغاير متعلقيها.

فالصواب أن يقال في معنى الحديث: أنّه لاشك أنّ المعرفة بالشيء تحصل من جهة رؤ يته ضرورة فاذا جاز رؤ يته سبحانه وقعت المعرفة به ضرورة، ثمّ لايخلو إمّا أن يكون الايمان به سبحانه عبارة عن تلك المعرفة التي تحصل من جهة رؤ يته أوعبارة عن المعرفة التي اكتسبناها في دار الدنيا فان كان الايمان به عزّ وجلّ عبارة عن تلك المعرفة التي تحصل من جهة رؤ يته سبحانه فالمعرفة التي اكتسبناها في دار الدنيا ليست بايمان لأنّها ضدّه، فانّا قداكتسبنا في دار الدنيا علماً برهانياً من جهةٌ العقل والنقل بأنّ الله سبحانه ليس بجسم ولاصورة ولامحدود ولامحصور في جهة ولامكان ولازمان وأنّه حاضر عندنا ولانراه بهذه الأعين مع صحة أعيننا وجامعيتها [٢] لشرائط الرؤ ية و بالجملة لايجوز أن يحاط به معرفة وعلماً كما قال عزّ وجلّ: وَلَايُحيطُونَ بِهِ عِلْماً [٣] وكما دلّ عليه احاطته عزّ وجلّ بكلّ شيء فلايحاط بشيء وظاهر أن هذا ضدّ لمعرفته سبحانه من جهة الرؤ ية بهذه الأعين وإن كان الإيمان به جلّ ذكره عبارة عن المعرفة التي اكتسبناها في دار الدنيا فلايخلو إمّا أن تزول تلك المعرفة عند رؤ يته سبحانه في

١ ـ ماوصفناه، الكافي المطبوع والمخطوط.
٢ ـ جامعيتنا، ك .
٣ ـ طه/١١٠

الآخرة أو لا تزول ولايجوز أن لا تزول لأنّهما ضدّان فكيف يجتمعان ولايجوز أيضاً أن تزول لأنّ الفرض أنّ الايمان عبارة عن هذه المعرفة وانّ هذا العلم من جملة أركان الايمان والاعتقاد الصحيح بالله جلّ ذكره وانه كذلك، وظاهر أن الاعتقاد الصحيح لايزول في الآخرة فمعرفته من جهة الرؤية ليست بصحيحة فلايجوز أن يرى الله سبحانه بهذه الأعين بحال.

٣٠٢ ـ ٥ (الكافي ـ ١:٩٧) عنه، عن احمدبن اسحاق قال: كتبت الى أبي الحسن الثالث (عليه السلام) أسأله عن الرؤية ومااختلف فيه الناس فكتب «لاتجوز الرؤية مالم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر [1] فاذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصح الرؤية وكان في ذلك الاشتباه لأن الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان ذلك التشبيه لأن الأسباب لابدّ من اتصالها بالمسببات».

بيان:

يعني بقوله «وكان في ذلك الاشتباه» أنه متى كان كذلك كان الله مشتبهاً بخلقه تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

٣٠٣ ـ ٦ (الكافي ـ ١:٩٧) علي، عن أبيه، عن علي بن معبد، عن عبدالله بن سنان، عن أبيه قال حضرت أباجعفر (عليه السلام) فدخل عليه رجل من الخوارج فقال له ياأباجعفر؛ أي شيء تعبد؟ قال «الله تعالى» قال: رأيته؟ قال «بلى [2] لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان لايعرف بالقياس ولايدرك بالحواس ولايشبه بالناس موصوف بالآيات معروف

١ . كذا في جميع النسخ وقال في الكافي المطبوع في بعض النسخ «لم ينفذه البصر» انتهى لكن في النسخة المخطوطة المقروءة على المجلسي الأول (رحمه الله) كتب (لم ـ خ) ثم كتب بهامشه (زائدة كـ«لا»). «ض.ع» .

٢ . بل، مكان بلى في الكافي المطبوع وأكثر النسخ التي بأيدينا. «ض.ع» .

بالعلامات لايجور في حكمه، ذلك الله، لاإله إلّا هو» قال: فخرج الرجل وهو يقول: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1].

بيــان

«بمشاهدة الإبصار» بالكسر على المصدر في مقابلة الايمان وفي توحيد الصدوق «العيان» مكان «الإبصار» و«حقائق الايمان» أركانه من التصديق بالله و بوحدانيّته واعتبارات أسمائه وصفاته عزّ وجلّ ولرؤية الله سبحانه بالقلوب مراتب بحسب درجات الايمان قوة وضعفاً.

٣٠٤-٧ (الكافي-١:٩٧) العدّة، عن البرقي، عن البزنطي، عن أبي الحسن الموصلي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «جاء حبر الى أميرالمؤمنين (عليه السلام) فقال ياأميرالمؤمنين؛ هل رأيت ربّك حين عبدته»؟ قال: فقال «ويلك! ماكنت أعبد ربّاً لم أره» قال وكيف رأيته؟ قال: «ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان».

بيــان:

وفي التوحيد باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت له: أخبرني عن الله عزّوجلّ هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال «نعم وقدرأوه قبل يوم القيامة» فقلت متى؟ قال «حين قال لهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[2] ثمّ سكت ساعة ثم قال: «وإن المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة ألست تراه في وقتك هذا»؟ قال أبوبصير: فقلت له جعلت فداك؛ فأحدّث بهذا عنك؟ فقال «لا، فانّك إذا حدّثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ماتقوله ثم قدر انّ ذلك تشبيهٌ كفر وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عمّا يصفه المشبّهون والملحدون».

١. الأنعام/١٢٤
٢. الأعراف/١٧٢

۳۰۵ ـ ۸ (الكافي ـ ۱: ۹۸) القميان، عن صفوان، عن عاصم بن حميد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: ذاكرت أبا عبدالله (عليه السلام) فيما يروون من الرؤية فقال «الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسيّ والكرسيّ جزء من سبعين جزأ من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر فان كانوا صادقين فليملؤا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب» .

بيـــان:

لعل الأنوار الأربعة التي جعلها فوق نور الشمس إشارة الى النور الخيالي والنفسي والعقلي والإلهي، فالخيالي هو الذي مظاهره في هذا العالم أبدان الحيوانات الأرضية وصدر الإنسان الصغير وأعظم المظاهر لأعظم أفراده هو الكرسي الذي هو صدر الإنسان الكبير ولهذا نسبه الى الكرسي والنور النفسي هو الذي مظاهره في هذا العالم قلوب بني آدم لمن كان له قلب وأعظم المظاهر لأعظم أفراده هو العرش الذي هو قلب العالم الكبير ولهذا نسبه إلى العرش وهو مظهر النور العقلي الذي نسبه إلى الحجاب لأن العقل حجاب للمشاهدة وهو مظهر النور الإلهي الذي نسبه الى الستر لأنه مستور عن العقول وهذه الأنوار كلّها من سنخ واحد بسيط لا تفاوت بينها إلّا بالشدّة والضعف لأنّ حقيقة النور ليست إلّا نفس الظهور أعني الظاهر لنفسه المظهر لغيره فلاشيء أظهر منه ولايمكن الاطّلاع على شيء من أفراده إلّا بالمشاهدة الحضوريّة وكلّ ماكان منها أشدّ ظهوراً وأقوى نوراً في حدّ ذاته فهو أبطن وأخفى من ادراك هذه الحواس الظاهرة الجسمانية .

ونسبة كلّ إلى مافوقها في شدّة النورية كنسبة الواحد الى السبعين كما أشار اليه ثمّ لانسبة لأعلى طبقاتها الى الذات الإلٰهية التي هي نور الأنوار لأنه في شدة النورية فوق مالايتناهى بمالايتناهى فما أضلّ وأغوى من زعم وادّعى إمكان رؤيته سبحانه بهذه العين[1] وهو ممّن يعجز عن تحديق بصره الى جرم الشمس وإملاء عينه من نورها بلاسحاب.

۱. «الأعين» خ.ل.

-٣٦-

باب نفي احاطة اوهام القلوب

٣٠٦ - ١ (الكافي - ١:٩٨) محمد، عن ابن عيسى، عن التيمي، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قوله لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ [١] قال «إحاطة الوهم، ألا ترى الى قوله قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ [٢] ليس يعني بصر العيون فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ [٣] ليس يعني من البصر بعينه وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا [٣] ليس يعني عمى العيون إنّما عنى إحاطة الوهم كما يقال فلان بصير بالشعر وفلان بصير بالفقه وفلان بصير بالدراهم وفلان بصير بالثياب الله أعظم من أن يرى بالعين» .

بيــان:

أريد بالوهم بصيرة القلب كما يدلّ عليه قوله (عليه السلام) في الخبرين الآتيين «أوهام القلوب أكبر أو أدق» أي بصائرها، ومفاد الأخبار الثلاثة أنّ المراد بالأبصار في الآية الكريمة أبصار القلوب أو مايشمل أبصار العيون وأبصار القلوب والأول أظهر من لفظ الحديث والثاني أقرب الى أن يكون معنى الآية وعلى الأول يكون الاقتصار على الأخفى ليفهم منه الأجلى بالطريق الأولى.

١ - الأنعام/١٠٣

٢ - ٣. الأنعام/١٠٤

وأما قوله (عليه السلام) «ألا ترى» الى آخر الحديث، فالمراد به أن يبيّن أن للقلب بصراً يسمى بالبصيرة كما أن للعين بصراً وأما قوله في آخر الحديث «الله أعظم من أن يرى بالعين» فالمراد به على المعنى الأول أن هذا ممّالايحتاج الى البيان وإنّما المحتاج، الى أن يبيّن نفي احاطة الوهم .

٣٠٧ - ٢ (الكافي - ١:٩٨) محمد، عن أحمد، عن أبي هاشم الجعفري، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: سألته عن الله هل يوصف؟ فقال «أما تقرأ القرآن»؟ قلت: بلى قال «أما تقرأ قوله تعالى لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ [1] قلت: بلى قال «فتعرفون الأبصار»؟ قلت: بلى قال «ماهي»؟ قلت: أبصار العيون فقال «ان أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون فهو لا تدركه الأوهام وهويدرك الأوهام» .

٣٠٨ - ٣ (الكافي - ١:٩٩) محمد بن أبي عبدالله عمّن ذكره،عن محمدبن عيسى،عن داودبن القاسم أبي هاشم الجعفري قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام) - لا تدركه الأبصار وهويدرك الأبصار؟ - فقال «ياأباهاشم؛أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون أنت قدتدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون» .

بيــان:

أورد في الكافي بعد هذه الاخبار الثلاثة خبراً آخر في هذا المعنى [2] من كلام هشام بن الحكم تركنا ذكره لعدم وضوحه من أراده فليراجع اليه .

١ . الأنعام/١٠٣

٢ . ج١ ص٩٩

-٣٧-

باب نفي الجسم والصورة والتحديد

٣٠٩ - ١ (الكافي - ١٠٢:١) علي بن محمد ومحمد بن الحسن، عن سهل، عن ابراهيم بن محمد الهَمَذاني[١] قال كتبت الى الرجل (عليه السلام) إنّ من قِبَلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد فمنهم من يقول جسم ومنهم من يقول صورة[٢]

١ . الهمذاني بفتح الميم وأعجام الذال نسبة الى بلدة همذان لاالى القبيلة المعروفة التي منها الحارث الهَمْداني صاحب أميرالمؤمنين عليه السلام وخلق كثير كمحمدبن الحسين بن أبي الخطاب الزيّات ومحمدبن الأصبغ ومحفوظ بن نصر الكوفي وغيرهم من الرواة وهي باهمال الدال وتسكين الميم ومن هذه البلدة علي بن الحسين من أصحاب الجواد عليه السلام وأبوجعفر محمدبن موسى بن عيسى وابراهيم محمدبن علي بن ابراهيم وكيل الناحية المقدّسة وأبوه علي وغيرهم والرجل من وكلاء الناحية الموثوق بهم وقد كان حجّ أربعين حجّة وقد ورد جلالة قدره في بعض التوقيعات «عهد» غفر الله له والرجل هو المذكور في ج١ ص٣٣ جامع الرواة وفي ج١ ص٧٠ مجمع الرجال وفي الأخير ذكر روايتين يكشف عنها جلالة قدره «ض.ع».

٢ . قوله: «من يقول جسم ومنهم من يقول صورة» أي ذات مصورة مشكلة والظاهر أنهم ظنّوا أن الجسم عبارة عن الذات والحقيقة وأن ذاته سبحانه ذات وحقيقة يتّصف في الحصول الشعوري بصفات التشكيك والتخليط فاطلق بعضهم عليه الجسم كما حكي عن هشام بن الحكم وبعضهم أطلق عليه الصورة كما حكي عن هشام بن سالم وحاصل جوابه (عليه السلام) أن الجسم حقيقة محدودة بالامتدادات الثلاث الطولي والعرضي والعمقي.

وهو سبحانه منزه عن أن يحدّ بالحدود المغايرة لذاته متوحد بذاته فلايصحّ اطلاق الجسم عليه وموضع خطأ هذا القائل أوّلاً معنى الجسم وفهمه من الجسم غير ما وضع له وثانياً تجويز لحوق مايحدّد الله سبحانه من المغايرات له به فان المشكل المصور يكون له صفات حقيقية زائدة عليه لاحقة به ولحوق الصفات الزائدة في الحصول الشعوري له مع أنه إنّما يصحّ على مايصحّ حصوله في المشاعر والمدارك وهو سبحانه منزه عن حلول الصفات الزائدة فيه وقابلية لها وعن صحّة الحصول في المشاعر وخطأ هذا القائل فيها فجوّز عليه سبحانه الحصول في المشاعر والاتّصاف بصفات الحقيقيّة الزائدة والقابلية لها وصرّح (عليه السلام) بنفي الحقيقة الكلية عنه سبحانه والصفات الزائدة بقوله «ليس كمثله شيء» وباتصافه بالصفات الكمالية بذاته لابصفة زائدة بقوله: «وهو السميع العليم». رفيع - (رحمه الله).

فكتب بخطه «سبحان من لايحدّ ولايوصف ليس كمثله شيء وهو السميع العليم» أو قال «البصير» .

٢-٣١٠ (الكافي - ١٠٢:١) سهل، عن بشر بن بشار النيسابوري قال كتبت الى الرجل (عليه السلام) الحديث بأدنى تفاوت وزاد «ولايشبهه شيء» بعد قوله «ولايوصف» .

بيـــان:

المراد بالرجل في الحديثين، أبو الحسن الثالث (عليه السلام) .

٣-٣١١ (الكافي - ١٠٣:١) سهل قال كتبت الى أبي محمد (عليه السلام) سنة خمس وخمسين ومائتين قداختلف ياسيدي أصحابنا في التوحيد منهم من يقول - جسم ومنهم من يقول [1] صورة فان رأيت ياسيدي أن تعلمني من ذلك ماأقف عليه ولاأجوزه فعلت متطوّلاً على عبدك فوقّع بخطه (عليه السلام) «سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول [2] الله واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، خالق وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالى مايشاء من الأجسام وغير ذلك وليس بجسم و يصوّر مايشاء وليس بصورة جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه أن يكون له شبه، هو لاغيره ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» .

١ . في الكافي المطبوع: هو جسم ومنهم من يقول هو صورة.

٢ . قوله: «سألت عن التوحيد وهو عنكم معزول» أي سألت عن تحقيق ماهو الحقّ في التوحيد وهو عنكم معزول أي تحقيقه بمداركِكم وعقولكم، ساقط عنكم لعجز عقولكم عن الاحاطة به وعن الوصول الى حقّ تحقيقه إنّما المرجع لكم في التوحيد وصفه سبحانه بما وصف به نفسه من انّ الله واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأنه خالق كلّ شيء وليس بمخلوق ويخلق مايشاء من الأجسام وغيره و يصوّر مايشاء وليس بجسم ولاصورة كما في محكم كتابه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير). رفيع - (رحمه الله).

بيــان:

«هذا عنكم معزول» إذ ليس لكل أحد أن يخوض في أمر التوحيد لقصور أكثر الناس عن دركه بل يكفيهم أن يعتقدوا أنّ الله واحد أحد الى آخر ماذكره (عليه السلام) .

٣١٢ - ٤ (الكافي - ١٠٤:١) القميان، عن صفوان، عن علي بن أبي حمزة قال قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم إن الله جسم صمدي نوري معرفته ضرورة يمنّ بها على من يشاء من خلقه فقال (عليه السلام) «سبحان من لايعلم أحد كيف هو إلّا هو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لايحدّ ولايحسّ ولايجسّ ولا تدركه الأبصار ولاالحواس ولايحيط به شيء ولاجسم ولاصورة ولاتخطيط ولاتحديد» .

٣١٣ - ٥ (الكافي - ١٠٤:١) محمد بن الحسن، عن سهل، عن حمزة بن محمد قال كتبت الى أبي الحسن (عليه السلام) أسأله عن الجسم والصورة فكتب «سبحان من ليس كمثله شيء لاجسم ولاصورة» ورواه محمد بن أبي عبدالله إلّا أنه لم يسمّ الرجل .

٣١٤ - ٦ (الكافي - ١٠٥:١) محمد بن أبي عبدالله عمّن ذكره، عن علي بن العباس، عن البزنطي، عن محمد بن حكيم قال وصفت لأبي ابراهيم (عليه السلام) قول هشام بن سالم الجواليقي وحكيت له قول هشام بن الحكم أنه جسم فقال «ان الله تعالى لايشبهه شيء أي فحش أوخناء أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو صورة أو بخلقة أو بتحديد وأعضاء تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً» .

بيـــان:

الخناء بالخاء المعجمة والنون، الفحش .

٣١٥ - ٧ **(الكـافي - ١٠٥:١)** علي بـن محمد رفعه، عن محمد بن الفرج الرّخجي قـال كـتـبـت الى أبي الحسن (عليه السلام) أسأله عمّا قال هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم في الصورة فكتب (عليه السلام) «دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان الرجيم ليس القول ماقال الهشامان» .

بيـــان:

الرّخجي [1]: بالراء المهملة ثم الخاء المعجمة المفتوحة والجيم بعده.

٣١٦ - ٨ **(الكـافي - ١٠٦:١)** محـمد بن أبي عبدالله، عن محمد بن اسماعيل، عن الحسين بن الحسن، عن بكر بن صالـح، عن الحسن بن سعيـد، عـن ابن المغيرة، عن محمد بن زياد قـال: سمعـت يونس بـن ظبيـان يقـول دخلت على أبي عـبدالله (عـليه السلام) فقلت لـه: ان هشام بن الحكم يقول قولاً عظيماً إلّا أني أختصر لك منه أحرفاً فزعم أن الله تـعالى جسم لأن الأشيـاء شيئان: جسم وفعل الجسـم، فلايجوز أن يكون الصـانـع بمـعنى الـفـعـل ويجـوز أن يـكـون بمـعنى الـفـاعـل فـقـال أبـوعـبـدالله (عـليـه السلام) «و يله أما علم أن الجسم محدود متناه والصورة محدودة متناهية فاذا احتمل الحدّ احتمل الزيادة والنقصان واذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً» ؟

قـال: قلـت فـأقـول؟ قال «لاجسم ولاصورة وهو مجسّم الأجسام ومصوّر

١ . قرية بـكرمـان: هذا بهامش «ف» ولكن قـال بعضـهم: رخجي بضم الراء المهـملـة وتشديد الخاء المـعجمـة منسوب الى «رخج» وهي قرية من قرى كابل وقال بعضهم هي قرية بكرمان وبقول آخر «هي قرية بقرب بغداد» «ض.ع».

الصّور، لم يتجزّ [١] ولم يتناه ولم يتزايد ولم يتناقص، لوكان كما يقولون لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق ولا بين المنشئ والمنشئ لكن هو المنشىء فرق بين من جسّمه وصوّره وإنشأه اذ كان لايشبهه شيء ولايشبه هو شيئاً» .

بيــان:

في توحيد الصدوق عن صالح بن أبي حماد بعد الحسين بن الحسن وكأنه سقط عن نسخ الكافي «فرق بين من جسمه» أي بينه و بين من جسّمه .

٣١٧ ـ ٩ **(الكافي ـ ١٠٦:١)** محمد بن أبي عبدالله، عن محمد بن اسماعيل، عن علي بن العباس، عن الحسن بن عبدالرحمان الحماني قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام): إن هشام بن الحكم زعم أنّ الله جسم ليس كمثله شيء، سميع بصير عالم [٢] قادر متكلم ناطق، والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد، ليس شيء منها مخلوقاً فقال «قاتله الله أما علم أنّ الجسم محدود والكلام غير المتكلم؟ معاذ الله وأبرأ الى الله من هذا القول لاجسم ولاصورة ولاتحديد وكلّ شيء سواه مخلوق، إنّما يكوّن الأشياء بإرادته ومشيّته من غير كلام ولا تردد في نَفَس ولانطق بلسان» .

بيــان:

إنّما يكوّن الأشياء بارداته إشارة الى دفع شبهة نشأت من قوله تعالى: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [٣] وهي أنّ الكلام لوكان مخلوقاً لكان مسبوقاً بكلام آخر وهو قوله تعالى: كن فيلزم التسلسل والجواب أن المراد منه إرادته ومشيّته قال

١ . لم يتحيّز ـ خ ل.
٢ . عالم سميع بصير، كذا في جميع نسخ الكافي التي مررنا عليها والمرآة وشرح المولى خليل (رحمه الله). «ض.ع» .
٣ . يس/٨٢

الزمخشري في قوله تعالى: كن إنه مجاز من الكلام وتمثيل لأنه لايمتنع عليه شيء من المكوّنات وانّه بمنزلة المأمور المطيع اذا ورد عليه أمر الآمر المطاع وفي هذا المقام كلام آخر ليس هنا محل ذكره .

٣١٨ - ١٠ (الكافي - ١٠٦:١) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن محمدبن حكيم قال وصفت لأبي الحسن (عليه السلام) قول هشام الجواليقي ومايقول في الشاب الموفق ووصفت له قول هشام بن الحكم فقال«انّالله لايشبهه شيء» .

بيان:

يأتي حديث الشابّ الموفق وكلّ مانسب الى الهشامين من التشبيه فظنّي أنّه إنّما نشأ من سوء الفهم لكلامهما وإلّا فالرجلان أجلّ قدراً من ذلك وامّا قول الإمام (عليه السلام) «و يله وقاتله الله» فانّما ذلك لتكلمهما بمثل ذلك عند من لايفهم وكان لهما ولأمثالهما من موالي أئمتنا (عليهم السلام) مرموزات كمرموزات الحكماء الأوائل وتجوزات كتجوزاتهم لا تصل إليها أفهام الجماهير ولهذا نسبوهم الى التجسيم والتصوير ولعل نقلة كلامهم أيضاً تصرّفوا في الألفاظ وحرّفوا الكلم عن مواضعها.

قال الشهرستاني في كتاب «الملل والنحل»: بعدما نقل أنّ هشام بن الحكم غلا في حقّ علي (عليه السلام) وهذا هشام بن الحكم صاحب غور في الأصول لايجوز أن يغفل عن الزاماته على المعتزلة فإن الرجل وراء مايلزم به على الخصم ودون مايظهره من التشبيه وذلك أنّه الزم أباهذيل العلاّف فقال: إنّك تقول: الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته فيشارك المحدثات في أنه عالم بعلم و يباينها في أن علمه ذاته فيكون عالماً لاكالعالمين فلم لا تقول أنه جسم لاكالأجسام وصورة لاكالصّور وله قدر لاكالاقدار انتهى كلامه، ولاشك أن أقوالهما بحسب الظاهر أقوال باطلة وآراء سخيفة متناقضة لكن الرجلين ممدوحان مقبولان وردت في مدحهما روايات فلعلّ هذه الأقوال رموزات وتجوّزات ظواهرها فاسدة و بواطنها صحيحة .

ولها تأو يلات ومحامل أولها في التقول بها مصلحة دينية أو غرض صحيح

و بالجملة فلعلّ صدور مثل هذه الكلمات عن مثل هذه الموالي ليس عن محض الجهالة والغفلة عن معنى الإلهية والتوحيد الخالص عن شوب الكثرة أو صدوره عنهم إنّما كان من قبل رجوعهم الى الحقّ فقدقيل: إنّ هشام بن الحكم كان قبل وصوله الى خدمة الصادق (عليه السلام) على رأي جهم بن صفوان فلمّا وصل الى خدمته (عليه السلام) تاب ورجع الى الحقّ، والله تعالى أعلم بسرائر عباده .

-٣٨-

باب نفي الحركة والانتقال

٣١٩ - ١ (الكافي - ١:١٢٥) محمد بن أبي عبدالله، عن محمد بن اسماعيل البرمكي، عن علي بن عباس الجراذيني [١] عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن الجعفر الجعفري، عن أبي ابراهيم (عليه السلام) قال: ذكر عنده قوم يزعمون أنّ الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا فقال «إنّ الله لاينزل ولايحتاج الى أن ينزل إنّما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج إلى شيء بل يحتاج إليه وهو ذو الطول لاإله إلّا هو العزيز الحكيم.

أمّا قول الواصفين: إنّه ينزل تبارك وتعالى فانّما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة، وكلّ متحرّك محتاج إلى من يحرّكه أو يتحرّك به فمن ظنّ بالله الظنون هلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدّ تحدّونه بنقص أو

١ . كذا في الأصل وفي «ف» و«ق» و«الكافي» المخطوط «م» والمرآة ومعجم رجال الحديث ج٤ ص٥١١ ومجمع الرجال ج٤ ص٢٠٣ وضبطه في الكافي المخطوط، خ» وجامع الرواة بالزاي ج١ ص٥٨٨
ولكن في نسخة «ج» والكافي المطبوع والايضاح ونسخة مخطوطة معتمدة من «جش» وفي مجمع الرجال باب الألقاب ج٧ ص١٢٥ «الخراذيني» بالخاء والذال المعجمتين.
وقال بعضهم: الخراذيني بفتح الأول منسوب الى قرية خراذين من قرى «ري» ومنها علي بن عباس الخراذيني الرازي المحدث صاحب كتاب «الآداب والمروات» الى آخر كلامه ويظهر من لغت‌نامه دهخدا ج١١٥ ص٣٧٨ أنّ خرادين بلد من بلاد الارمنيّة وفي اللباب قرية من قرى بخارا «ض.ع».

زيادة أو تحريك أو تحرّك أو زوال أو استنزال أو نهوض أو قعود، فان الله تعالى جلّ وعزّ عن صفة الواصفين ونعت الناعتين وتوهّم المتوهّمين وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ* الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ* وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ [1] » .

بيـــان:

«ينزل إلى سماء الدنيا» إشارة الى ماروواه جماعة من المحدثين انّ الله ينزل في الثلث الأخير أو النصف الأخير من كلّ ليلة وفي ليلة الجمعة في أوّل الليل الى السماء الدنيا فينادي: فهل من داع؟ هل من مستغفر؟ هل من سائل؟ الحديث. ولما كان تأويله بما لا يوجب تجسيماً ولا حركة مما لا يناله فهم الجماهير أعرض (عليه السلام) عن تصحيحه وتكذيبه الى ماناسب فهم السائل من ذلك وقد ورد في بعض الروايات تأويله بانزاله ملكاً ينادي بذلك كما يأتي في كتاب الصلاة .

وبالجملة فأصل الحديث ثابت و يأتي في الباب الآتي مايدلّ على صحته ومن جملة تأويلاته على مايناسب فهم الخواص ماذكره أستادنا (قدّس سرّه): أن المراد بنزوله نزول مبادي رحمته وعنايته وأسباب فيضه وكرمه الى سماء الدنيا التي هي موضع تقدير الأمور وتقسيم الأرزاق وتخصص بعض الأوقات دون بعض لتفاوت القوابل في صلوحها لقبول الفيض والرحمة وقرب استعدادها في أوقات مخصوصة فنزول الفاعل كناية عن قرب استعداد القابل. «لم يبعد منه قريب ولم يقرب منه بعيد» تأكيد لنفي الحركة والانتقال عنه سبحانه يعني ان الله عزّ وجلّ لم يزل على حال واحد لايجوز عليه النقل من مكان الى مكان والتحوّل من حال الى حال ونسبته الى جميع الأشياء لم تزل نسبة واحدة لا تتغيّر ولا تتبدّل .

و«الطول» الفضل والقدرة والغناء والسعة الى نقص أو زيادة وذلك لأن من ينزل إلى مكان فلابدّ أن يكون نزوله لغرض يستكمل به والمستكمل ناقص محتاج إلى زيادة وكمال الى من يحرّكه هذا اذا كانت حركته قسرية أو نفسانية فان الحركة القسرية

١ ـ الشعراء/٢١٧ و٢١٨ و٢١٩

لابدّ فيها من قاسر والنفسانية تفتقر الى داع، «أو يتحرك به» هذا اذا كانت الحركة طبيعية فانّها تحتاج الى طبيعة بها يتحرّك صاحبها «الذي يراك حين تقوم» استشهاده (عليه السلام) بهذه الآية لبيان احاطة علمه سبحانه بالأشياء وشموله لها جميعاً في جميع الأحوال على نسق واحد ليتبيّن به أنّ من كان كذلك لايحتاج إلى أمثال هذه الأمور .

٣٢٠ - ٢ (الكافي - ١:١٢٥) عنه رفعه عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر، عن أبي ابراهيم (عليه السلام) إنه قال: لاأقول إنه قائم [1] فأزيله عن مكانه ولاأحدّه بمكان يكون فيه ولاأحدّه أن يتحرّك في شيء من الأركان والجوارح ولاأحدّه بلفظ شقّ فم ولكن كما قال تعالى: كُنْ فَيَكُونُ [2] بمشيته من غير تردد في نفس صمداً فرداً لم يحتج الى شريك يذكر له ملكه ولايفتح له أبواب علمه .

بيـــان:

«فأزيله عن مكانه» أي مستقره قبل القيام أو مطلق المستقر فان القائم كأنه لااستقرار له ولما كان هذا القول منه (عليه السلام) موهماً لاثبات المكان له عزّ وجلّ تدارك ذلك بقوله «ولاأحدّه بمكان يكون فيه ولاأحده أن يتحرّك في شيء من الأركان والجوارح» أي حركة كميّة أو المراد بشيء منها يعني حركة اينيّة بكلّه أو

---

١ . قوله: «لاأقول انه قائم فأزيله عن مكانه...» أي لايتصف بالقيام اتصاف الأجسام والمكانيات لاستلزامه الزوال في الجملة عن مكانه كزوال ماتقوم من الأجسام عن مكانه الذي استقرّ فيه ومالايمكن فيه التمكّن لايتصف بالزوال عن المكان ولأنّ القيام نسبة الى المكان يخلو بعض المكان عن بعض القائم عنه وشغل بعضه ببعضه ونسبته سبحانه بكلّ الأمكنة سواء لايجوز عليه شغل مكان من الأمكنة به ولاخلو مكان عنه ولايتصف سبحانه بالتحرّك في شيء من الأركان والجوارح ولابشق فمّ ولكن يكوّن الأشياء بقوله «كن» لابجارحة وعضو من غير تردد في نفس صمداً لاجوف له فرداً لم يحتج الى شريك يذكر له ولاالى شريك يفتح له الأبواب علمه أو المراد لم يحتج هو الى شريك يذكر له ملكه ولاشريك يفتح له أبواب علمه. رفيع - (رحمه الله).

٢ . يس/٨٢

ببعضه وهو أظهر فان حروف الأدوات ينوب بعضها مناب بعض. «بلفظ شق فم» أي بكلمة تخرج من فلقة الفم عند تكلمه وتلفظه. «في نفس» بالتحريك ويحتمل التسكين أي من غير تردد وتفكّر ورؤية في نفس .

«يذكر له ملكه» أي يذكّره إذا نسي أو يدبر له و يعينه في ملكه وسلطانه بذكر ماينبغي ذكره فيها وفي توحيد الصدوق (الى شريك يكون له في ملكه) وهو أظهر «ولايفتح له» أي ولم يحتج الى شريك يفتح له .

-٣٩-

باب احاطته بكل شيء

٣٢١ - ١ (الكافي - ١:١٢٥) محمد بن أبي عبدالله [١]، عن محمدبن اسماعيل، عن داودبن عبدالله عن عمرو بن محمد، عن عيسى بن يونس قال: قال ابن أبي العوجاء لأبي عبدالله (عليه السلام) في بعض ماكان يحاوره: ذكرتَ الله فأحلت على غائب فقال أبوعبدالله (عليه السلام) «ويلك كيف يكون غائباً [٢] من هو مع خلقه شاهد وإليهم أقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم

١ . قوله: «محمد بن أبي عبدالله ...» كان قوله عن محمدبن أبي عبدالله كتب بدلاً عن قوله عنه أو بياناً وجمع بينها في هذه النسخ، رفيع - (رحمه الله).

٢ . قوله: «كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد واليهم أقرب من حبل الوريد...» أي الحضور والغيبة باعتبار الشهود وعدم البعد والحجاب ومقابلها فمن هو عالم بالأشياء ظواهرها و بواطنها أحقّ بالحضور وعدم الغيبة ممّاهو مجاور أو مقارن أو ملامس من الأجسام.

فقال ابن أبي العوجاء: اذا كان حاضراً في السماء كيف يكون حاضراً في الأرض وإذا كان حاضراً في الأرض كيف يكون حاضراً في السماء فلايكون حاضراً في كلّ مكان فأجابه (عليه السلام) بان المحال من ذلك إنّما هو في صفة المخلوق الجسماني الذي اذا انتقل عن مكان ولم يكن فيه كون المتمكن في المكان اشتغل به مكان آخر وخلا عنه المكان الأول فلايكون حاضراً فيه ولايدري ماحدث في المكان الذي كان فيه فأمّا الله سبحانه العظيم الشأن الملك الديّان فهو أعظم شأناً من أن يتصف بالتمكّن في مكان فلايخلو منه مكان ولايشتغل به مكان لأنّ الخلوّ والاشتغال بالنسبة الى المكان إنّما يصحّ على مايصحّ عليه التمكن وكذا القرب والبعد المكانيين ولعلّه بعظمته وملكه أشار الى وجوبه الذاتي وعدم مشاركته لشيء من الممكنات وهو مناط الحكم بعدم جواز التمكّن عليه والاختلاف بالقرب والبعد المكاني بالنسبة الى ماسواه، رفيع - (رحمه الله).

و يرى أشخاصهم و يعلم أسرارهم»؟ فقال ابن أبي العوجاء: أهو في كلّ مكان؟ أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض؟ واذا كان في الأرض كيف يكون في السماء؟ فقال أبوعبدالله (عليه السلام) «إنّما وصفت المخلوق الذي اذا انتقل من مكان اشتغل به مكان وخلا منه مكان فلايدري في المكان الذي صار إليه مايحدث في المكان الذي كان فيه، فأما الله العظيم الشأن الملك الديان فلايخلو منه مكان ولايشتغل به مكان ولايكون الى مكان أقرب منه الى مكان» .

بيــان:

محمد بن اسماعيل هو البرمكي، وعمرو بن محمد هو الأسدي من رجال الكاظم (عليه السلام) وعيسى بن يونس هو الشاكري الكوفي كذا قيل «فاحلت» من الحوالة و«حبل الوريد» عرق في العنق .

٣٢٢ ـ ٢ (**الكافي** ـ ١٢٨:١) الثلاثة، عن هشام بن الحكم قال: قال أبوشاكر الديصاني إن في القرآن آية هي قولنا،قلت: وماهي؟ فقال: **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ** [1] فلم أدر بما أجيبه فحججت فخبّرت أبا عبدالله (عليه السلام) فقال «هذا كلام زنديق خبيث، اذا رجعت إليه فقل له: مااسمك بالكوفة؟[2] فإنه يقول: فلان فقل مااسمك بالبصرة؟ فانه يقول: فلان،فقل كذلك الله ربّنا في السماء إله وفي الأرض إله وفي البحار إله وفي القفار إله وفي كلّ مكان إله» قال: فقدمت فأتيت أباشاكر فاخبرته فقال: هذه نقلت من الحجاز .

١ ـ الزخرف/٨٤

٢ ـ قوله: «مااسمك بالكوفة» المراد بالاسم هنا مايشتمل الاسم وماهو بمنزلته من الصفات التي تطلق على الشيء و يعبر بها عنه. «ش».

بيــان:

«هي قولنـا» أي دالة على ماذهبنـا إليـه من انّ فـاعل الأشياء متعدد «فـحـجـجت» أي ذهبت الى مكة وحججت فلقيت أبا عبدالله (عليه السلام) هناك فخبّرته«في السماء الـه» أي معبود لأن الجامد العلمي لايتعلّق بالظرف إلّا انه (عليه السلام) ألزمه بماهو أوضح وأقرب الى فهمه .

۳۲۳ ـ ۳ (الكافي ـ ۱:۱۲۶) العدة، عن البرقي،عن يعقوب بن يزيد،عن ابن أبي عمير،عن ابن أذينـه،عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿مَايَكُونُ مِن نَجْوىٰ ثَلاثَةٍ إِلّا هُوَرابِعُهُمْ وَلاخَمْسَةٍ إِلّا هُوَسَادِسُهُمْ﴾ [۱] فقال «هو واحد واحديّ الذات [۲] بائن من خلقه و بذاك وصف نفسه .

وهـو بـكـلّ شيء محيط بالاشراف والاحاطة والقدرة، ﴿لايَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰواتِ وَلافِي الأَرْضِ وَلاأَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَلاأَكْبَرُ﴾ [۳] بالاحاطة والعلم لابالذات لأنّ الأماكن محدودة يحويها حدود أربعة فاذا كان بالذات لزمها الحواية» .

بيــان:

«نجوى» صيـغة جمع بمعنى متناجين لما كان ظاهر قوله سبحانه رابعهم وسادسهم

۱ . المجادلة/۷

۲ . قوله: «هو واحد واحدي الذات ...» واحديّ مبالغة الواحد كالأحدي للأحد والمبالغة في واحدية الذات إشارة الى الواحدية من جميع الجهات وعدم التكثّر في الذات بوجه من الوجوه فلايصح عليه المشاركة لخلقه بجهة من الجهات الذاتية ولاالصفات الحقيقية التي مرجعها الى الذات فهو بائن من خلقه وهو سبحانه بذلك وصف نفسه في كتابه الكريم فاحاطته سبحانه بكلّ طائفة ليست إحاطة بجهة الذات بل احاطة بالاشراف والاطلاع فعلمه محيط بالكل وكلّ شيء معلوم له وقدرته محيطة بالكلّ وكل شيء مقدور له لايعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولافي الأرض ولاأصغر من ذلك ولاأكبر بالاحاطة والعلم وليس إحاطته سبحانه بكل شيء بالذات لأن الأماكن محدودة فاذا كان إحاطته بالذات فان كانت بالدخول في الأمكنة لزم كونه محاطاً بالمكان كالمتمكن وان كانت بالانطباق على المكان لزم كونه محيطاً بالمتمكن كالمكان. رفيع ـ (رحمه الله).

۳ . سبأ /۳

يوهم كونه عزّ وجلّ معدوداً مع خلقه حاصلاً في عدادهم واقعاً في جملتهم كأنه أحدهم مع أنّه سبحانه مقدس عن الوحدة العدديّة كتقدسه عن الكثرة العدديّة نفي (عليه السلام) أولاً عنه سبحانه خواص المعدودية دفعاً لهذا التوهم ثم شرع في تأويل الآية وبيان معناها فقوله (عليه السلام) «واحد» أي لا ثاني له يصحّ أن يعدّ معه «واحديّ الذات» أي لا تركيب فيه فيكون مابه الامتياز منه غير مابه الاشتراك ليصح أن يُعد مع غيره «بائن من خلقه» أي لايشبههم حتى يجوز أن يكون واحداً منهم .

«وبذلك وصف نفسه» حيث قال عزّ وجلّ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [١] «وهو بكل شيء محيط» هذا شروع في تمهيد بيان معنى الآية «لايعزب» لايغيب ولايذهب وقوله (عليه السلام) «بالاحاطة والعلم» متعلق بالآية وبيان لها يعني أنه عزّ وجلّ إنّما هو رابع الثلاثة النجوى وسادس الخمسة المتناجين باحاطته بهم ومعيّته لهم وعلمه بمايتناجون به وحضوره في تناجيهم وشهوده لديهم لاانّه تعالى واحد منهم وفي عدادهم بذاته المقدسة لأنّ ذلك يستلزم الحدّ والمكان والحواية وأمّا تعليق قوله (عليه السلام) «بالاحاطة والعلم» بقوله:

«بكلّ شيء محيط» أو بقوله «لايعزب» فبعيد عن مقام تأويل الآية وبيانها وحلّ الاشكال وتطبيق الجواب للسؤال ان قيل قد قال الله سبحانه: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ [٢] فكيف التوفيق بينه وبين هذه الآية قلنا ليس هذه مثل هذه فانّه هناك أضيف الثالث الى الثلاثة وهاهنا لم يضف الرابع الى الأربعة بل أضيف الى الثلاثة فالأول صريح في أن الثالث من جنس الثلاثة وفي عدادهم غير قابل للتأويل بخلاف الأخير.

فانّ رابع الثلاثة لايلزم أن يكون من جنس الثلاثة وفي عدادهم بل يجوز أن يكون على نحو آخر بأن يكون محيطاً بهم عالماً بمااشتركوا فيه من الجهة الجامعة فلوقيل ثالث اثنين مكان قولهم ثالث ثلاثة لم يلزم كفر فاحسن التأمل فيه فانّه لايخلو من دقة وفقك الله لفهمه .

١ . الشورى/١١
٢ . المائدة/٧٣.

وفي توحيد الصدوق (رحمه الله) باسناده عن يعقوب بن جعفر الجعفري عن أبي ابراهيم موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال «إن الله تعالى لم يزل بلازمان ولامكان وهو الآن كما كان لايخلو منه مكان ولايشتغل [١] به مكان ولايحلّ في مكان مايكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولاخمسة إلّا هو سادسهم ولاأدنى من ذلك ولاأكثر إلّا هو معهم أينما كانوا ليس بينه و بين خلقه حجاب غير خلقه احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور لاإله إلّا هو الكبير المتعال» .

قوله «حجاب محجوب وستر مستور» إنّما هو على الاضافة دون التوصيف أي الحجاب الذي يكون للمحجوب والستر الذي يكون للمستور وللمتكلّفين فيه كلمات أُخر بعيدة و باسناده عن يونس بن عبدالرحمن قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام):

لأي علّة عرج الله بنبيّه الى السماء ومنها الى سدرة المنتهى ومنها الى حجب النور وخاطبه وناجاه هناك والله لايوصف بمكان فقال (عليه السلام) «ان الله لايوصف بمكان ولايجري عليه زمان ولكنه عزّ وجلّ أراد أن يشرف به ملائكته وسكان سماواته و يكرمهم بمشاهدته و يريه من عجائب عظمته مايخبر به بعد هبوطه وليس ذلك على مايقوله المشبهون سبحانه وتعالى عمّايشركون» انتهى كلامه (عليه السلام) .

ولعلّ مايقوله المشبهون إنه تعالى إنّما عرج به ليقرب منه فيخاطبه على قرب ولم يدروا أنّ قربه من كلّ مكان سواء .

٣٢٤ ـ ٤ (الكافي ـ ١٢٦:١) علي بن محمد، عن سهل، عن محمد بن عيسى .

(الكافي) محمد بن جعفر الكوفي، [٢] عن محمد الكوفي، عن محمد بن عيسى قال: كتبت الى أبي الحسن علي بن محمد (عليهما السلام): جعلني الله فداك

١ . ولايشغل به مكان، ج.ق.

٢ . الظاهر ان الصحيح محمد بن جعفر بن محمد الكوفي ومحمد الثاني في السند هو جدّ محمد الأوّل، لاشيخ روايته يشهد عليه مافي الكافي المخطوط «خ» وفي المخطوط «م» لم يذكر جدّه في السند محمدان فقط: الأول محمد بن جعفر والثاني محمد بن عيسى «ض.ع» .

ياسيدي؛ قدروى لنا: أنّ الله في موضع دون موضع على العرش استوى، وأنّه ينزل كلّ ليلة في النصف الأخير [١] الى السماء الدنيا، وروي: أنّه ينزل عشية عرفه، ثم يرجع الى موضعه فقال بعض مواليك في ذلك إذا كان في موضع دون موضع فقديلاقيه الهواء ويتكنف عليه والهواء جسم رقيق يتكنّف على كلّ شيء على كلّ شيء بقدره، فكيف يتكنف عليه جلّ وعزّ على هذا المثال؟فوقّع(عليه السلام) «علم ذلك عنده [٢] وهو المقدّر له بماهو أحسن تقديراً واعلم أنّه اذا كان في السماء الدنيا فهو كماهو على العرش والاشياء كلّها له سواء علماً وقدرةً وملكاً واحاطة».

بيان:

تكنفه واكتنفه بمعنى: أي أحاط به والتعدية بـ«على» للتضمين فهو كما هو على العرش يعني إذا نزل الى سماء الدنيا فليس أنه ينصرف و يزول عن الموضع الذي نسب اليه قبل ذلك وإذا كان مع شيء لم تبطل معيّته لشيء آخر بل هو دائماً بحال واحد من غير تفاوت في قربه و بعده وإنّما التفاوت من جهة الأشياء في قربها و بعدها منه تعالى لتفاوت مراتبها ودرجاتها في الكمال [٣] والنقص وإنّما أجمل (عليه السلام) في الجواب لغموض سرّ النزول وعدم نيل فهم السائل اليه .

١ ـ في النصف الأخير من الليلة، ج، ف، ق، وفي الكافي المطبوع من الليل.

٢ ـ قوله: «علم ذلك عنده ...» أي علم كيفية نزوله بعدما لم يكن عنده سبحانه وليس عليكم معرفة ذلك ثم أشار اشارة خفيّة الى أن المراد بنزوله تقديره نزول رحمته وانزالها بتقديره بقوله وهو المقدر له بماهو أحسن تقديراً ثم أفاد انّ ماعليكم علمه انّه لايجري عليه أحكام الأجسام والمتحيزات من المجاورة والقرب المكاني والتمكن في الأمكنة بل حضوره سبحانه حضور وشهود علمي واحاطة بالعلم والقدرة والملك بقوله واعلم أنه إذا كان في السماء الدنيا الى آخره. رفيع ـ (رحمه الله).

٣ ـ بالكمال، ق.

-٤٠-

باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى[١]

٣٢٥-١ (الكافي - ١:١٠٠) علي، عن العباس بن معروف، عن التميمي، عن حماد بن عثمان، عن عبدالرحيم بن عتيك القصير قال: كتبت على يدي عبدالملك بن أعين الى أبي عبدالله (عليه السلام)، إنّ قوماً بالعراق يصفون الله تعالى بالصورة وبالتخطيط، فان رأيت جعلني الله فداك ان تكتب إليّ بالمذهب الصحيح من التوحيد. فكتب إليّ «سألت رحمك الله عن التوحيد وماذهب اليه من قِبَلك فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير تعالى عمّا يصفه الواصفون المشبّهون الله بخلقه المفترون على الله، فاعلم رحمك الله أنّ المذهب الصحيح في التوحيد مانزل به القرآن من صفات الله تعالى فانف

١ . «باب النهي عن الصفة بغير ماوصف به نفسه» يصفون الله بالصورة والتخطيط أي الشكل الحاصل باحاطة الحدود والخطوط وقوله «بالمذهب الصحيح من التوحيد» أي مايتعلّق بذاته الأحدية وصفاته وقوله «وماذهب اليه من قبلك» أي من بالأرض التي تستقبلك وتواجهها وتحلّ بها وملخص جوابه عليه السلام نفي مانقله من الوصف بالصورة والتخطيط بقوله تعالى - الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير - أي تعالى الله الواجب الوجود الذي لايصحّ عليه المماثلة والمشابهة في الحقيقة والصورة ولاالخلوّ عن آثار الصفات الكمالية كالسمع والبصر.
«تعالى الله ...» تأكيد لماسبق عمّا يصفه الواصفون «المشبهون الله بخلقه المفترون على الله» أي المثبتون للواجب افتراء على الله مالاينفك عن الامكان ويلازمه ثم اشار الى مايصحح وصفه سبحانه وجعل الضابط فيه كونه ممّا نزل به من القرآن من صفاته سبحانه ثم التنبيه على نفي البطلان من حيث اتصافه بالصفات الوجودية الكمالية بعد كونه واجباً وجوده السرمدي ونفي التشبيه من حيث أنه واجب الوجود بذاته لايصحّ عليه سمات الإمكان. رفيع - (رحمه الله).

عن الله تعالى البطلان والتشبيه فلانفي ولا تشبيه هو الله الثابت الموجود تعالى الله عمّا يصفه الواصفون ولا تعدوا القرآن فتضلّوا بعد البيان» .

بيان:

أمر بنفي البطلان والتشبيه لأنّ جماعة أرادوا تنزيه الله سبحانه عن مشابهة المخلوقات فوقعوا في البطلان والتعطيل وأخرى أرادوا أن يصفوه بصفات ليعرّفوه فأثبتوا له صفات غير لائقة بذاته،فشبّهوه بخلقه، فهم بين معطّل ومشبّه فالواجب على المسلم أن لايقول بنفي الصفات رأساً ولاباثباتها على وجه التشبيه قوله «هو الله الثابت الموجود» إشارة الى نفي البطلان وقوله «تعالى الله عمّايصفه الواصفون» إشارة الى نفي التشبيه «ولا تعدوا القرآن» أي لاتجاوزوا مافيه .

٣٢٦ - ٢ (الكافي - ١: ١٠٠) محمد بن أبي عبدالله، عن محمد بن إسماعيل، عن الحسين بن الحسن،عن بكر بن صالح،عن الحسن بن سعيد،عن ابراهيم بن محمد الخراز [١] ومحمد بن الحسين قالا: دخلنا على أبي الحسن الرضا (عليه السلام) فحكينا له أن محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) راى ربّه في صورة الشابّ الموفّق في سنّ أبناء ثلاثين سنة وقلنا ان هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمي يقولون أنّه أجوف الى السرّة والبقية صمد، فخرّ ساجداً لله سبحانه،ثم قال «سبحانك ماعرفوك ولاوحّدوك فمن أجل ذلك وصفوك سبحانك لوعرفوك لوصفوك بماوصفت به نفسك سبحانك كيف طاوعتهم أنفسهم أن يشبّهوك بغيرك ،اللهم لاأصفك إلّابما وصفت به نفسك ولاأشبّهك بخلقك، أنت أهل لكلّ خير فلاتجعلني من القوم الظالمين» ثم التفت إلينا فقال «ماتوهمتم من شيء فتوهمّوا الله غيره» ثم قال «نحن آل محمّد النّمط الأوسط الذي لايدركنا الغالي ولايسبقنا التّالي،يامحمد،إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين نظر إلى

١ . كذا في الأصل وفي:ف - و - ق والكافي المخطوط «م» بالراء قبل الألف والزاي بعدها ولكن في بعض نسخ الوافي والكافي المطبوع والمخطوط «خ» و«الهدايا» وغيرها «الخزّاز بالمعجمات «ض.ع».

عظمة ربّه كان في هيئة الشابّ الموفق وسنّ أبناء ثلاثين سنة يامحمد ـ عظم ربّي وجلّ [١] أن يكون في صفة المخلوقين» قال: قلت جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة؟ قال «ذلك [٢] محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا نظر الى ربّه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتى يستبين له ما في الحجب إنّ نور الله منه أخضر ومنه أحمر ومنه أبيض ومنه غير ذلك يامحمد؛ ماشهد له الكتاب والسنّة فنحن القائلون به» .

بيـــان:

«الموفّق» الذي وصل في الشباب الى الكمال وجمع بين تمام الخلقة وكمال المعنى في الجمال أو الذي هيئت له أسباب الطاعة والعبادة،و«صاحب الطاق» هو أبوجعفر محمدبن النعمان الأحول المعروف بمؤمن الطاق و«الميثمي» هو أحمدبن الحسن و«الصّمد» يقابل الأجوف يعني به المصمت وتوجيه كلامهم أنهم زعموا أنّ العالم كلّه شخص واحد وذات واحدة له جسم وروح فجسمه جسم الكلّ أعني الفلك الأقصى بمافيه وروحه روح الكلّ والمجموع صورة الحق الإله .

فقسمه الأسفل الجسماني أجوف لمافيه من معنى القوة الامكانية والظلمة الهيولوية [٣] الشبيهة بالخلاء والعدم وقسمه الأعلى الروحاني صمد لأنّ الروح العقلي موجود فيه بالفعل بلاجهة إمكان استعدادي ومادة ظلمانية تعالى الله عن التشبيه والتمثيل ولماسمع (عليه السلام) مقالتهم الناشئة عن عدم العرفان وجرأتهم في حقّ الله الصّادرة عن الجهل والعصيان «سقط ساجداً لله» تعظيماً له واستبعاداً عمّا وقع منهم من الاجتراء والافتراء في حقّه تعالى وتحاشياً عن ذلك،ثمّ سبّحه تعالى تنزيهاً له وتقديساً ثمّ تعجب من انسلاخ نفوسهم عمّا فطرهم الله عليه من التوحيد ثم خاطب الله وناداه ببراءة نفسه القدسية عن مثل مايصفه المشبهون ثم مهّد قاعدة كليّة بقوله

١ . في الكافي المطبوع عظم ربّي عزّ وجلّ....
٢ . في الكافي المطبوع «ذاك » مكان «ذلك».
٣ . الهيولانية، ف.

«كل ماتوهمتم[1] من شيء فتوهموا الله غيره» وهو مامرّ مراراً فيكلامهم (عليهم السلام) وسيأتي في غير موضع موافقاً لما روى عن جدّه أبي جعفر الباقر [2] (عليه السلام) .

«كل ماميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود اليكم» ولعلّ النمل الصغار يتوهّم أن لله زبانيين فان ذلك كمالها و يتوهّم أنّ عدمها نقصان لمن لم يتّصف بها وهكذا حال العقلاء فيمايصفون الله تعالى به و«الزباني» القرن و«النمط» الطريقة والنوع من الشيء والجماعة من الناس أمرهم واحد أراد (عليه السلام)،نحن على الطريقة الوسطى من أمر الدّين وعلى النوع الوسط منه والجماعة الأوسط فيه القائمون بالقسط والعدل لانفرط ولانفرّط لانغلو ولانقصّر أمّا «الغالي» فقدجاوزنا بغياً وعدواً ولايدركنا إلّا أن يرجع إلينا وأمّا «التالي» فلم يصل بعد الينا وليس له أن يسبقنا قال الله عزّ وجلّ: وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ [3].

وفي الحديث النبويّ: خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي و يرجع اليهم الغالي. ثمّ انّه (عليه السلام) أوّل الحديث النبويّ الذي رواه العامّة في ذلك وصدّقه وأكّد التصديق في آخر الحديث بقوله «ماشهد له الكتاب والسنة فنحن القائلون به» .

قال السيد الداماد تغمّده الله بغفرانه: الحجب من ضروب ملائكة الله هي جواهر قدسيّة وأنوار عقليّة هم حجب أشعة جمال نور الأنوار و وسائط النفوس الكاملة في الاتصال بجناب ربّ الأرباب جلّ سلطانه وبهر برهانه وفي الحديث «انّ لله سبعاً وسبعين حجاباً من نور لوكشف عن وجهه لأحرقت سبحات وجهه ماأدركه بصره» وفي رواية «سبعمائة حجاب» وفي أخرى «سبعين ألف حجاب» وفي أخرى «حجابه النور لوكشفه لاحرقت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه قال والنفس الإنسانية اذا استكملت ذاتها الملكوتية ونفضت جلبابها الهيولاني ناسبت

١ . كل ماتوهمتم، ك .
٢ . من قوله (عليه السلام)، ق.
٣ . البقرة/١٤٣

نـوريّتها نوريّة تلك الأنوار وشابهت جوهريّتها فاستحقّت الا تصال والانخراط في زمرتها والاستفادة منها ومشاهدة أضوائها ومطالعة مافي ذواتها من صور الحقائق المنطبعة فيها.

وإلى ذلك الاشارة بقوله (عليه السلام) «جعله في نور مثل نور الحجب حتى يستبين له مافي الحجب» والنور الأخضر هو النور الموكل على أقاليم الأرواح الحيوانية التي هي ينابيع عيون الحياة ومنابع خضرتها والأحمر هو النور العامل على ولايات المُنّة والقوة والقهر و«النور الأبيض» هو النور المتولي لأمور إفاضة المعارف والعلوم والصناعات .

وقال أستادنا أسكنه الله الفردوس الحجب النورانيّة متفاوتة النوريّة بعضها أخضر ومنه أحمر وأبيض ومنه غير ذلك ،فالنور الأبيض ماهو أقرب من نور الأنوار والأخضر ماهو أبعد منه فكأنّه ممتزج بضرب من الظلمة لقربه من ليالي حجب الأجرام الفلكية وغيرها والأحمر هو المتوسط بينها ومابين كلّ اثنين من الثلاثة من الأنوار مايناسبها فاعتبر بأنوار الصبح والشفق المختلفة في الألوان لقربها وبعدها من نور الأنوار الحسيّة أعني نور الشمس .

فالقريب من النهار هو الأبيض والبعيد منه الممتزج بظلمة الليل هو الأخضر والمتوسط بينها هو الأحمر ثمّ مابين كلّ اثنين ألوان أخرى مناسبة كالصفرة مابين الحمرة والبياض والبنفسجيّة مابين الخضرة والحمرة فتلك أنوار إلهيّة واقعة في طريق الذاهب الى الله بقدمي الصدق والعرفان لابدّ من مروره عليها حتى يصل اليه تعالى فربّما يتمثّل لبعض السلاك في كسوة الأمثلة الحسيّة وربّما لايتمثّل .

٣٢٧ - ٣ (الكافي - ١:١٠٢) علي بن محمد ومحمدبن الحسن، عن سهل، عن أحمدبن بشير البرقي، عن عباس بن عامر القصباني،عن هارون بن الجهم، عن أبي حمزة،عن علي بن الحسين (عليها السلام) [١] قال «لواجتمع أهل السماء والأرض أن يصفوا الله بعظمته لم يقدروا» .

١ . قال: قال لواجتمع ـ كذا في الكافي المطبوع والمخطوط.

بيـــان:

يعني أن يصفوه على ماهو عليه من العظمة .

٣٢٨ ـ ٤ (**الكـافي** ـ ١٠٢:١) سهـل، عن محمـدبن عيسى، عن ابراهيم، عن محمدبن حكيم قال كتب أبوالحسن موسى بن جعفر(عليهما السلام) إلى أبي «انّ الله أعلى وأجلّ وأعظـم من أن يبلغ كنه صفته فصفوه بماوصف به نفسه وكفّوا عمّاسوى ذلك» .

٣٢٩ ـ ٥ (**الكـافي** ـ ١٠٢:١) عنه، عن السندي بن الربيع، عن ابن أبي عمير،عن حفص أخي مرازم،عن المفضل قال: سألت أباالحسن (عليه السلام) عن شيء من الصفة قال «لاتجاوز مافي القرآن» .

٣٣٠ ـ ٦ (**الكـافي** ـ ١٠٢:١) عنه، عن محمدبن علي القاساني قال: كتبت إليه ان مَنْ قِبَلِنا قداختلفوا في التوحيد قال فكتب «سبحان من لايحدّ ولايوصف ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» .

٣٣١ ـ ٧ (**الكـافي** ـ ١٠٠:١) النيسابوريان، عن إبن أبي عمير، عن إبراهيم بز عبدالحميد،عن أبي حمزة قال: قال لي علي بن الحسين (عليها السلام) «ياأباحمزة؛ انّ الله لايوصف [١] ـ بالمحدودية [٢] عظم ربّنا عن االصفا

١ . قوله: «انّ الله لايوصف بمحدودية» أي بانتهاء الحقيقة العقلية والعينية بالعوارض والصفات العرضية العقلية أو الحسيّ «عظم ربّنا عن الصفة» أي كلّ خارج عارض لاحق بالحقيقة ولعل نفي وصفه بالمحدودية إشارة الى نفي دخوله في الحواس والقوى وكونه محاطاً بمايعرض مدركاتها.
وقوله «وكيف يوصف بمحدودية من لايحدّ» استدلال عقليّ على نفي ادراكه بالحواس واتّصافه بعوارض المدرك بها لأ مايستحيل عليه الاتصاف بشيء كيف يتّصف به في المدارك وكيف يكون حصول الموصوف به إدراكاً لماىمتنع اتصافه ؛ وقوله ولا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير تمسك بالمستند السمعي من كتابه العزيز. رفيع ـ (رحمه الله)
٢ . بمحدودية، الكافي المطبوع.

وكيف[1] يوصف بمحدودية من لايحدّ ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير» .

٣٣٢ - ٨ (الكافي - ١:١٠٣) عنها، عن حمادبن عيسى، عن ربعي، عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «انّ الله لايوصف وكيف يوصف وقدقال في كتابه وَمَاقَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ [2] فلايوصف بقدر إلّا كان أعظم من ذلك» .

٣٣٣ - ٩ (الكافي - ١:١٠٣) علي بن محمد، عن سهل أو غيره، عن محمدبن سليمان، عن علي بن ابراهيم، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال «انّ الله عظيم رفيع لايقدر العباد على صفته ولايبلغون كنه عظمته لاتُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَيُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ [3] . الحديث وقدمرّ [4] .

١ . فكيف، الكافي المطبوع.
٢ . الأنعام/٩١ ـ الزمر/٦٧
٣ . الأنعام/١٠٣
٤ . تمام الحديث سبق في آخر باب نفي الزمان والمكان والكيف عنه تعالى ـ منه رحمه الله.

ـ ٤١ ـ

باب تأويل مايوهم التشبيه

۳۳٤ ـ ١ (الكافي ـ ١:١٢٧) علي بن محمد ومحمدبن الحسن، عن سهل، عن الخشّاب، عن بعض رجاله، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه سئل عن قول الله عزّ وجلّ الرَّحْمٰنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوىٰ [١] فقال «استوى على كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء» .

۳۳٥ ـ ٢ (الكافي ـ ١:١٢٨) بهذا الإسناد، عن سهل، عن السراد، عن محمدبن مارد أنّ أبا عبدالله (عليه السلام) سئل، عن قول الله عزّ وجلّ اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ فقال «استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء» .

۳۳٦ ـ ٣ (الكافي ـ ١:١٢٨) عنه، عن محمدبن يحيى، عن محمدبن الحسين، عن صفوان، عن البجلي قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله تعالى الرحمٰنُ علىٰ العرشِ استوىٰ فقال «استوى في كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب استوى في كلّ شيء» .

١ . طه/٥

بيــان:

فسّر (عليه السلام) «الاستواء» باستواء النسبة والعرش بمجموع الأشياء إذ هو عبارة عن الجسم المحيط بجميع الأجسام مع كلّ مافيه كما يأتي تفسيره وضمن الاستواء مايتعدّى بـ«على» كالاستيلاء والإشراف ونحوهما لموافقة الآية فيصير المعنى استوى نسبته إلى كل شيء حال كونه مستولياً على الكلّ ففي الآية دلالة على نفي المكان الخاص عنه سبحانه خلاف مايفهمه الجمهور منها من دلالتها على إثبات المكان وفيها أيضاً إشارة إلى معيّته القيّومية واتصاله المعنويّ بكل شيء على السواء على الوجه الذي لاينافي أحديته وقدس جلاله وافاضته الرحمة على الجميع على نسبة واحدة وإحاطة علمه بالكلّ بنحو واحد وقربه من كلّ شيء على نهج سواء وأتى بلفظة «من» في الحديث الثّاني تحقيقاً لمعنى الاستواء في القرب والبعد و بلفظة «في» في الثالث تحقيقاً لمعنى مايستوى فيه .

وأمّا اختلاف المقربين كالأنبياء والاولياء مع البُعداء كالشياطين والكفّار في القرب والبعد فليس ذلك من قبله سبحانه بل من جهة تفاوت نفوسهم في ذواتها وانّما نُسب الاستواء الى الرحمن لأنه إنّما استوى بالنسبة الى الكل بالرحمة العامة الشاملة المدلول عليها بهذه اللفظة دون غيرها.

٣٣٧ ـ ٤ (الكافي ـ ١٢٨:١) عنه، عن محمد، عن ابن عيسى، عن الحسين، عن النضر، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام).

قال «من زعم أنّ الله من شيء أو في شيء أو على شيء فقد كفر» قلت فسّر لي .

قال «أعني بالحواية من الشيء له أو بامساك له أو من شيء سبقه» .

٣٣٨ ـ ٥ (الكافي ـ ١٢٨:١) وفي رواية أخرى «من زعم أنّ الله من شيء فقدجعله محدثاً ومن زعم أنّه في شيء فقدجعله محصوراً ومن زعم أنه على شيء

فقدجعله محمولاً» .

بيـــان:

الباء في «بالحواية» و«بامساك» متعلّق بمحذوف تقديره: أعني بقولي (في شيء) كونه بالحواية من الشيء له و بقولي (على شيء) كونه بامساك من الشيء له و بقولي (من شيء) كونه من شيء سبقه فالحواية تفسير لـ«في» والامساك لـ«على» والسبق لـ«من» والنشر على غير ترتيب اللف.

٣٣٩ ـ ٦ **(الكافي ـ ١:١٣٤)** العدة، عن البرقي، عن أبيه، عن عبدالله بن بحر، عن الخراز [1]، عن محمد قال: سألت أباجعفر (عليه السلام) عمّايروون «أنّ الله خلق آدم على صورته» .

فقال «هي صورة محدثة مخلوقة اصطفاها الله تعالى واختارها على سائر الصّور المختلفة فأضافها إلى نفسه، كما أضاف الكعبة إلى نفسه والروح إلى نفسه .

فقال: بَيْتِيَ [2] وَنَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي » [3].

بيـــان:

لـمّا كان في اضافة الصورة والروح ونحوهما إلى الله سبحانه مايوهم كون الله سبحانه جسماً ذا صورة وروح وكون الصورة غير مخلوقة بل قديمة اندفع السائل إلى مثل هذا السؤال في هذا الخبر ومابعده وأُجيب بماأُجيب وحاصل الجواب أنّ الصورة المضافة إلى الله سبحانه ليست صورته عزّ وجلّ بل هي صورة مخلوقة له سبحانه اصطفاها الله على سائر الصّور، ثم أضافها إلى نفسه وكذا الكلام في الروح .

١ . الخزاز، ق، وهو أبوأيوب وقدمرّ التحقيق في اختلاف كلماتهم في ضبطه بهامش حديث ٣٢٦«ض.ع».
٢ . البقرة/١٢٥ ـ و ـ الحج/٢٦ ـ و ـ نوح/٢٨
٣ . الحجر/٢٩ ـ و ـ ص/٧٢

٣٤٠ - ٧ (الكافي - ١: ١٣٣) العدة، عن ابن عيسى، عن إبن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن مؤمن الطاق قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن الروح التي في آدم (عليه السلام) قوله فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [١] قال «هذه روح مخلوقة والروح التي في عيسى مخلوقة» [٢].

٣٤١ - ٨ (الكافي - ١: ١٣٣) العدة، عن ابن عيسى، عن الحجّال، عن ثعلبة، عن حمران قال: سألت أباجعفر (عليه السلام) عن قول الله تعالى وَرُوحٌ مِنْهُ [٣] قال «هي روح الله مخلوقة خلقها في آدم وعيسى» .

٣٤٢ - ٩ (الكافي - ١: ١٣٣) محمد، عن احمد، عن محمدبن خالد، عن القاسم بن عروة، عن عبدالحميد الطائي، عن محمد قال سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله تعالى: وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [٤] كيف هذا النفخ؟ فقال «إنّ الروح متحرّك كالريح وانّما سمّي روحاً لأنّه اشتق اسمه من الريح وإنّما أخرجه على [٥] لفظة «الريح» لأن الأرواح مجانس [٦] للريح وإنّما أضافه إلى نفسه لأنّه اصطفاه على سائر الأرواح كما قال لبيت من البيوت «بيتي» ولرسول من

١ . الحجر/٢٩

٢ . قوله: «والروح التي في عيسى مخلوقة» قال رفيع الدين في تفسير باب الروح التي أضافها الله إلى ذاته سبحانه ومعنى إضافتها إليه «والروح» بالضمّ مابه حياة الأنفس وهو منشأ الحركات الإرادية والادراكات وقديطلق على الموصوف به ومحله ومتعلقه القريب الاول ولما كان ماهذا شأنه متنقلاً نحواً من الانتقال اشتقّ له اسم من الريح الذي اعتبر في معناه الانتقال انتهى.
ومراده من الموصوف به الروح البخاري الذي هو مصطلح الاطباء لاالجوهر المجرد الذي به بقاء الإنسان بعد الموت.
وقال أيضاً إضافة الروح إليه سبحانه في قوله ونفختُ فيه من روحي باعتبار انتسابها إليه بمخلوقيتها وشرفها من بين سائر الأرواح المخلوقة وقربها منه سبحانه بكمال المعرفة والتقدس.
وقوله انّما أخرجه على لفظ الريح عبارة عن التعبير عن ايجاده في البدن بالنفخ فيه لمناسبة الروح للريح ومجانسته إيّاه وأضافه إلى نفسه سبحانه لأنّه اصطفاه بتقدسه وشرفه على سائر الأرواح كما أضاف البيت والخليل الى نفسه للشرف والتقدس وكلّ ذلك مخلوق محدث مربوب فلايتوهم أنه سبحانه له روح بهاحياته الذاتية نفخ منه في آدم وعيسى عليهما السّلام انتهى «ش».

٣ . النساء/١٧١

٤ . الحجر/٢٩، - و - ص/٧٢

٥ . في بعض نسخ الكافي عن لفظة، مكان على لفظة.

٦ . مجانسة للريح، كذا في مرآة العقول ص٨٩ ج١

الرسل «خليلي» وأشباه ذلك وكلّ ذلك مخلوق مصنوع محدث مر بوب مدبّر» .

بيــان:

«الروح» وإن لم يكن في أصل جوهره من هذا العالم إلّا أنّ له مظاهر ومجالي في الجسد وأوّل مظهر له فيه بخار لطيف دخاني شبيه في لطافته واعتداله بالجرم السماوي و يقال له الروح الحيواني وهو مستوى الروح الأمري الربّاني ومركبه ومطيّة قواه فعبّر (عليه السلام) عن الروح بمظهره تقريباً له إلى الأفهام لأنّها قاصرة عن فهم حقيقته كما أشير إليه بقوله تعالى: ... قُلِ الرُّوحُ مِنْ اَمْرِ رَبّي وَمٰااُوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ اِلّا قَليلاً [1] ولأن مظهره هذا هو المنفوخ حقيقة دون أصله .

٣٤٣ - ١٠ (الكافي - ١:١٤٣) محمد، عن ابن عيسى، عن علي بن النعمان، عن سيف بن عميرة عمّن ذكره، عن الحارث بن المغيرة النصري [2] قال سئل أبو عبدالله (عليه السلام) عن قول الله تعالى كُلُّ شَيءٍ هٰالِكٌ اِلّا وَجْهَهُ [3] فقال «مايقولون فيه؟» .

قلت: يقولون يهلك كلّ شيء إلّا وجه الله، فقال «سبحان الله! لقدقالوا قولاً عظيماً إنّما عنى بذلك وجه الله الذي يؤتى منه» .

بيــان:

إنّما تعجّب (عليه السلام) من قولهم واستعظمه لأنّ اطلاق الوجه بظاهره عليه تشبيه له سبحانه وتجسيم إيّاه و يعني بوجه الله الذي يؤتى منه الذي يهدي العباد الى الله تعالى وإلى معرفته من نبيّ أو وصيّ أو عقل كامل - بذلك وَفيٍ - فانّه وجه الله الذي يؤتى الله منه وذلك لأنّ الوجه مايواجه به والله سبحانه إنّما يواجه عباده ويخاطبهم

١ . الاسراء/٨٥
٢ . النصري. ج. ق بالمعجمة وكذلك في مجمع الرجال ج٢ ص٧٤ و٧٥ ولكن أورده العلامة (رحمه الله) في «الخلاصة» بالمهملة وكذلك في كتب معتمدة قديمة من النجاشي والفهرست أيضاً. «ض.ع».
٣ . القصص/٨٨

بواسطة نبيّ أو وصيّ أو عقل كامل .

وفي حديث آخر جعل الضمير في وجهه راجعاً إلى الشيء ووجه الشيء مايقابل منه الى الله تعالى وهو روحه وحقيقته وملكوته ومحل معرفة الله منه التي تبقى بعد فناء جسمه وشخصه والمعنيان متقاربان وربّما يفسّر الوجه بالذات .

٣٤٤ - ١١ (الكافي - ١:١٤٣) العدة، عن البرقي، عن البزنطي، عن صفوان الجمال، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله تعالى: كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلّا وَجْهَهُ [1].

قال: من أتى الله بما أُمر به من طاعة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو الوجه الذي لايهلك وكذلك قال: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطاعَ اللّهَ [2].

بيـان:

يعني كلّ مطيع لله ولرسوله متوجّه إلى الله فهو باق في الجنان أبد الآبدين وهو وجه الله في خلقه يواجه الله تعالى به عباده ومن هو بخلافه فهو في النيران مع الهالكين. قوله «وكذلك قال» اشارة إلى أنّ اطاعته للرسول توجه منه إلى الله سبحانه وإلى وجهه وتوجّه من الله تعالى به إلى خلقه وهو السبب في تسميته وجه الله وإضافته إليه .

٣٤٥ - ١٢ (الكافي - ١:١٤٣) محمد، عن ابن عيسى، عن محمدبن سنان، عن أبي سلام النخاس، عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال «نحن المثاني [3]

١ . القصص/٨٨

٢ . النساء/٨٠

٣ . قوله: «نحن المثاني التي اعطاها الله نبيّنا ...» إن كان المراد بالمثاني كتاب الله وكلامه المجيد أو ماثنى عنه فكون الأئمة مثاني باعتبار استقرار كلام الله في أنفسهم واشتمالهم عليه وإحاطتهم العلمية به كقول أميرالمؤمنين (عليه السلام) «أنا كلام الله الناطق» وإن كان المقصود مابعد الأول من جنسه فكونهم (عليهم السلام) مثاني باعتبار أن كلّ واحد منهم عالم بماأنزل عليه(ص) وماأعطى علمه بعده ومتخلق باخلاقه يحصل منه الهداية وتعليم علوم الشرائع للناس وتأخذ منه الأمة مايحتاج إليه من العلوم والشرائع كما كانت تأخذ منه (عليه السلام) و ينتشر منه علوم الشريعة وذلك من حيث الإمامة لاالرسالة وكان في أهل بيته إلى أواخر زمان السابع من الأئمة كاظمهم (عليهم السلام).

←

التي أعطاها [١] الله نبيّنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ونحن وجه الله نتقلّب في الأرض بين أظهركم ونحن عين الله في خلقه و يده المبسوطة بالرحمة على عباده عرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا وإمامة المتّقين» .

بيـــان:

«نحن المثاني» إشارة الى قوله عزّ وجلّ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ [٢] والمثاني جمع مثناة من التثنية أو جمع مثنية من الثناء قال الشيخ الصدوق (رحمه الله) معنى قوله «نحن المثاني» أي نحن الذين قرننا النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى القرآن وأوصى بالتمسك بالقرآن و بنا وأخبر أمته أنا لانفترق حتى نرد عليه حوضه [٣].

وأقول لعلّهم (عليهم السلام) إنّما عدّوا سبعاً باعتبار أسمائهم فإنها سبعة وعلى هذا فيجوز أن تجعل المثاني من الثناء وأن تجعل من التثنية باعتبار تثنيتهم مع القرآن أو تجعل كناية عن عددهم الأربعةعشر بأن يجعل نفسه واحداً منهم بالتغاير الاعتباري بين المعطىٰ والمعطى له و«الظهر» كناية عن الذات كما يقال للمرأة أنتِ عليَّ كظهر أمّي ـ أي كذات أمّي وإنّما كانوا (عليهم السلام) عين الله لأنّ الله سبحانه بهم ينظر إلى عباده نظر الرحمة و يده لأنّه بهم يربّيهم و«إمامة المتّقين» ـ عطف على المنصوب في «جهلنا» [٤].

٣٤٦ ـ ١٣ (الكافي ـ ١٤٤:١) محمدبن أبي عبدالله، عن محمدبن اسماعيل،عن الحسين بن الحسن،عن بكر بن صالح،عن الحسن بن سعيد،عن الهيثم بن

←

ثم اشتدت التقية في آخر زمانه وحيل بينهم بعد ذلك و بين الأئمة بالحبس أو مايقوم مقامه من التقيّة الشديدة وكان بمنزلة الغيبة حتى لايتمكن الطالبون من الأئمة من سؤالهم ولايتمكنوا من بيان الحق لهم ولذا أورد في الكلام العزيز: **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم**. رفيع ـ (رحمه الله).

١ . في بعض نسخ الكافي الذي اعطاه الله.

٢ . الحجر/٨٧

٣ . نرد حوضه، ق.

٤ . منصوب عطفاً على الضمير في جهلنا، ق.

عبدالله، عن مروان بن صباح قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام) انّ الله خلقنا [١] فأحسن خلقنا وصوّرنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه في عباده ولسانه الناطق في خلقه و يده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة ووجهه الذي يؤتى منه وبابه الذي يدلّ عليه وخزّانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار وجرت الأنهار و بنا ينزل غيث السماء و ينبت عشب الأرض و بعبادتنا عبدالله ولولا نحن ماعبد الله» .

بيــان:

حسن الخلق عبارة عن اعتدال المزاج واستواء أجزائه وحسن الصورة عبارة عن تناسب الأعضاء والأشكال والهيئآت وهما في الأكثر يكونان على حسب شراقة الروح وذكائها وحسن اخلاقها واتصافها بالملكات الفاضلة وسلامتها من الأمراض الباطنة والرذائل النفسانية فالروح الأكمل إنّما يكون للمزاج الأعدل وإنّما هم عين الله من

١ قوله: «إن الله خلقنا فأحسن خلقنا ..» أي فأحسن خلقنا حيث خلقهم (عليهم السلام) من الطينة الطاهرة أو من حيث اكمالهم وعصمتهم من الخطأ والزلّة وصوّرنا فأحسن صورنا أي جعلنا ذوي صور حسنة وأخلاق جميلة وحلاّنا بالكمالات النفسانية وقوّانا بالقوى الداعية إلى الخير والصلاح العاملة بفضائل الأعمال المؤدّية إلى الفلاح وجعلنا عينه الناظر بها إلى عباده نظر الرحمة فإنّ بوساطتهم أو سببهم ينالهم الرحمة ولسانه الذي يبيّن به الحق و يظهره على عباده فانّ بوساطتهم يظهر الحق والصلاح على العباد ويمتاز عن الضلال والفساد و يده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة التي بها تظهر آثار الرأفة والرحمة منه فيهم ووجهه الذي يؤتى منه فمن لم يأته من ذلك الوجه لايصل إليه ولايعرفه حقّ معرفته ولايعبده حقّ عبادته و بابه الذي يدلّ عليه ومن لم يأته منه لم يعرفه ولم يدخل في منزل المعرفة والعبودية وخزّانه في سمائه وأرضه حيث عندهم مفاتيح الخير من العلوم والأسماء التي بها يفتح أبواب الجود على العالمين وقوله «بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار» أي بنا يصل كلّ مخلوق إلى كماله فان كمالات الانسان التي هي المعرفة والعبودية كما ينبغي وعلى ما هي مطلوبة من العباد إنّما تحصل وتتم بهدايتهم وطاعتهم.

وقال عزّ من قائل: **وماخلقت الجنّ والانس إلّا ليعبدون** فلولاهم والهداية بهم لماخلقوا ولولاخلقهم لماخلق ماسواهم ولاأعطى لكلّ خلق منها كماله ويحتمل أن يكون إثمار الأشجار وإيناع الأثمار وجري الأنهار ونزول غيث السماء ونبت عشب الأرض كناية عن ظهور الكمالات النفسانية والجسمانية ووصولها إلى غايتها المطلوبة وظهور العلوم الواصلة من المعلم الى المتعلمين وفيضان العلوم من مبادئها إلى منتهى سلسلة البدء واستكماله بماينجر به إلى العود وقوله «و بعبادتنا عبدالله» أي معرفتنا وعبادتنا التي بها نعرفه ونعبده ونهدي عباده إليها ونعلّمها إيّاهم عبدالله لابغيرها ممّايسميها العامة معرفة وعبادة وهذه المعرفة والعبادة إنّما تكون لمن انتجبه الله واختاره لحملها وافاضها عليه وأمر عباده بالأخذ منهم والمراجعة إليهم فيها لئلايضلوا بأهواء الشياطين ولولانحن والحملة لعلمه والمنتجبون لمعرفته ماعبدالله حقّ عبادته ومعرفته. رفيع ـ (رحمه الله).

حيث كونهم واسطة في رؤيته تعالى للمخلوقات باعتبار و باعتبار آخر بالعكس ولسان الله من حيث كونهم واسطة في إنشاء الكلام وتبليغه إلى العباد و يد الله من حيث كونهم واسطة في تصريف الأشياء ووجه الله من حيث أنّ بهم يتوجّه الله إلى الخلائق وبهم يتوجّه العباد إلى الله و باب الله من حيث أنّ بهم يدخلون إلى دار رحمته ومنازل كرامته وخزّان الله من حيث أن عندهم العلم بحقائق الأشياء على الإجمال .

وأمّا أنّ بهم أثمرت الأشجار إلى آخر ماقال فلكونهم المقصود من الوجود والايجاد وأمّا أنّ بعبادتهم عبدالله فلأنّ العبادة إنّما تصحّ على المعرفة الكاملة وليست إلّا لهم كما قال سبحانه: وَمَايُؤمِنُ اَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ اِلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ [1] و ينع الثّمر بتقديم المثناة التحتانية على النون نضجه وإدراكه أي صارت نضيجة والعشب بالتسكين: الكلاء الرّطب .

٣٤٧ - ١٤ (الكافي - ١:١٤٤) محمد، عن محمدبن الحسين، عن ابن بزيع، عن عمّه حمزةبن بزيع، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله تعالى فَلَمّآ اَسَفُونَا اَنْتَقَمْنا مِنْهُمْ [2] فقال «انّ الله تعالى لايأسف كأسفنا ولكنه خلق أولياء [3] لنفسه يأسفون و يرضون وهم مخلوقون مر بوبون فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاّء عليه فلذلك صاروا كذلك وليس انّ ذلك يصل إلى الله كما يصل إلى خلقه لكن هذا معنى ماقال من ذلك وقدقال: من أهان لي وليّاً فقدبارزني بالمحاربة ودعاني إليها وقال مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْاَطَاعَ اللّهَ [4] وقال: انَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللّهَ يَدُ اللّهِ فوقَ اَيدِيهِمْ [5].

فكل هذا وشبهه على ماذكرت لك وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء ممّا يشاكل ذلك ولوكان يصل الى الله الأسف والضجر وهو الذي

١ . يوسف/١٠٦
٢ . الزخرف/٥٥
٣ . أوليائه، ك .
٤ . النساء/٨٠
٥ . الفتح/١٠

خلقهما وأشباههما [١] لجاز لقائل هذا أن يقول إنّ الخالق يبيد يوماً ما، لأنّه إذا دخله الغضب والضجر دخله التغير واذا دخله التغيير لم يؤمَن عليه بالابادة ثم لم يعرف المكوّن من المكوَّن ولاالقادر من المقدور عليه ولاالخالق من المخلوق تعالى الله عن هذا القول علوّاً كبيراً بل هو الخالق للأشياء لالحاجة فاذا كان لالحاجة استحال الحدّ والكيف فيه فافهم إن شاء الله تعالى» .

بيـان:

«آسفونا» أغضبونا «يبيد» يهلك و«الابادة» الاهلاك [٢] إعلم أن الوليّ الكامل لماقويت ذاته بحيث وسع قلبه وانشرح صدره وصار جالساً في مقام التمكين على الحدّ المشترك بين الحقّ والخلق غير محتجب بأحدهما عن الآخر فحينئذ كلّما يصدر عنه من الأعمال والأفعال والمجاهدات والمخاصمات وغيرها كان لله وبالله ومن الله وفي الله فان غضب كان غضبه بالله ولله وإن رضي كان رضاه كذلك.

فهكذا في جميع مايفعل أو ينفعل إلّا أنّ صفات الوجود تختلف بحسب المواطن والمقامات إنّما تكون في كلّ بحسبه،فالغضب مثلاً في الجسم جسماني يظهر بثوران الدم وحرارة الجلد وحمرة الوجه وفي النفس نفساني إدراكي يظهر بارادة الانتقام والتشفّي عن الغيظ وفي العقل عقليّ يظهر بالحكم الشرعي بتعذيب طائفة أوحربهم لاعلاء دين الله وفي الله سبحانه مايليق بمفهومات صفاته الموجودة بوجود ذاته وكذا الشهوة فانّها في النبات الميل إلى جذب الغذاء والنمو وفي الحيوان الميل الى مايوافق [٣] طبعه ويشتهيه وفي النفس الانسانية الميل الى مايلائم الناطقة من كرائم الملكات وفي العقل الابتهاج بمعرفة الله وصفاته وأفعاله وكيفية ترتيب الوجود في سلسلتي البدء والنهاية والخلق والأمر والملك والملكوت وفي الله سبحانه كون ذاته تعالى مبدأ الخيرات كلّها وغايتها.

١ . خلقهما وانشأهما، ف وكذلك في الكافي«ط» والمرآة.

٢ . الهلاك ، ق.

٣ . مايلائم، خ ل.

وعلى هذا القياس سائر الصفات وهو سبحانه بحسب كلّ صفة ونعت هو له ليس كمثله شيء في تلك الصفة لأنّ المخلوق لايكون أبداً مثل خالقه في شيء من الأشياء لأنّه محتاج وخالقه غير محتاج فلاحدّ لصفة الله ولاكيف لأنّهما من خواص الحاجة ولدقّة هذه المسألة وغموضها أمر السائل بالفهم وعلّقه بمشيّة الله اذ ليس له فيه اختيار كما في أفعال الجوارح .

٣٤٨ ـ ١٥ (الكافي ـ ١:١٤٥) العدة، عن أحمد، عن البزنطي، عن محمدبن حمران، عن أسودبن سعيدقال: كنت عند أبي جعفر (عليه السلام) فأنشأ يقول ابتداء منه من غير أن أسأله «نحن حجّة الله ونحن باب الله ونحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ونحن ولاة أمر الله في عباده» .

٣٤٩ ـ ١٦ (الكافي ـ ١:١٤٥) محمد، عن محمدبن الحسين، عن البزنطي، عن حسان الجمال، عن هاشم بن أبي عمّار الجنبي [١] قال: سمعت أميرالمؤمنين (عليه السلام) يقول «أنا عين الله وأنا يد الله وأنا جنب الله [٢] وأنا باب الله» .

٣٥٠ ـ ١٧ (الكافي ـ ١:١٤٥) عنه، عن محمدبن الحسين، عن ابن بزيع، عن عمّه حمزةبن بزيع، عن علي بن سويد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) في قول الله يٰاحَسْرَتىٰ عَلىٰ مٰافَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللّهِ [٣] قال جنب اللّه

١ . الجنبي بالجيم والنون بعدها ثم الباء الموحدة قال في القاموس: الجنب بفتح الأول وسكون الثاني حيّ باليمن «عهد».
٢ . قوله: «جنب الله أميرالمؤمنين» أي جنب الله في هذه الأمة أميرالمؤمنين (عليه السلام) وكذا الأوصياء بعده والحاصل أن المراد بجنب الله الحجج (عليهم السلام) في كلّ أمة وفي هذه الأمة المرحومة أميرالمؤمنين (عليه السلام) والأوصياء من بعده. رفيع ـ (رحمه الله).
٣ . الزمر/٥٦

أميرالمؤمنين وكذلك ماكان بعده من الأوصياء بالمكان الرفيع إلى أن ينتهي الأمر إلى آخرهم» .

٣٥١ - ١٨ (الكافي - ١:١٤٥) الاثنان، عن محمدبن جمهور، عن علي بن الصلت عن الحكم واسماعيل ابني حبيب عن العجلي قال: سمعت أباجعفر (عليه السلام) يقول «بنا عبد الله و بنا عرف الله و بنا وُحّد الله ومحمد حجاب الله تعالى» [1].

بيان:

يعني بسبب تعليمنا وإرشادنا للناس وكوننا بينهم و بين الله يعبدون الله و يعرفونه و يوحّدونه أو المراد أنّ غيرنا لايعبد الله حقّ عبادته ولايعرفه حقّ معرفته ولايوحده حقّ توحيده لأنّ توحيده ناقص مخلوط بالشرك كما مضى في الحديث السابق و«محمد حجاب الله» يعني أنه متوسّط بينه وبين عباده به يصل الفيض والرحمة والهداية والتوفيق من الله إلى عباده .

٣٥٢ - ١٩ (الكافي - ١:١٤٦)العدة [2] عن محمد بن عبدالله، عن عبدالوهاب بن بشر [3]،عن موسى بن قادم،عن سليمان،عن زرارة،عن أبي جعفر (عليه السلام)

١ . قوله: «ومحمد حجاب الله» أي هو الواسطة والحائل بين الله وبين كلّ خلقه وكما لايمكن الوصول إلى المحجوب إلّا بالوصول، إلى حجابه كذلك هو(صلّى الله عليه وآله وسلم) بالنسبة إلى جميع خلقه حتى الأئمة (عليهم السلام) والأرواح النورية أو المراد أنّ نفسه (صلّى الله عليه وآله وسلم) النور المشرق منه سبحانه وأقرب شيء منه كما يدلّ عليه قوله (عليه السلام) «أول ماخلق الله نوري» ومنه الحجاب لنور الشمس «رفيع» رحمه الله.
وفي زيارة الجامعة الكبيرة: من أراد الله بدأ بكم ومن وحّده قبل عنكم ومن قصده توجّه اليكم «ض.ع».

٢ . في المخطوطين والمطبوع من الكافي وكذلك في شرح المولى صالح رحمه الله وفي المرآة بعض أصحابنا مكان «علة» فالحديث ليس بمسند بل مجهول مرسل كما في المرآة «ض.ع».

٣ . بشير ف، ط.

قال سألته عن قول الله تعالى وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [١] قال «إنّ الله تعالى أعظم وأعزّ وأجلّ وأمنع من أن يُظْلَم ولكنه خلطنا [٢] بنفسه وجعل [٣] ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته حيث يقول إنَّما وَلِيُّكُم اللّه ورَسُولهُ والَّذين آمَنُوا [٤] يعني الأئمة منّا» .

ثم قال: في موضع آخر وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ثم ذكر مثله .

بيـــان:

«وجعل ظلمنا ظلمه» يعني في قوله تعالى «وماظلمونا» «ثمّ قال في موضع آخر» يعني قال الله ذلك في موضع آخر وكرّره للتأكيد ومعناه معناه وقدمضى في باب الاحاطة مايناسب هذا الباب من تأويل مايوهم التشبيه .

١ . البقرة/٥٧ ـ الأعراف/١٦٠

٢ . قوله: «ولكنه خلطنا بنفسه ..» لمالم يكن الله سبحانه مظنّة أن يكون مظلوماً لأحد من خلقه لم يكن بنفيه محتاجاً إلى بيانه فهذه المظلومية مظلومية عباده المنتجبين أسندها إلى نفسه وذكرهم مع ذكره وجعل ظلمهم ظلمه وولايتهم ولايته حيث يقول: إنَّما وَلِيُّكُم اللّهُ وَرَسُولُهُ والذينَ آمَنُوا يعني الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) فجعل الولاية وأولوية التصرّف في الأمور للرسول والأئمة من بعده وأسند هذه الولاية التي أثبتها لهم إلى نفسه ابتداءً شرفاً وتعظيماً لهم وأسند مظلوميّتهم وإزالتهم عن مكانهم هذه إلى نفسه في موضع آخر وقال: وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .
ثم ذكر سبحانه مثله في كتابه من اسناد مالهم من الرضا والغضب والأسف وأمثالها إلى نفسه في مواضع كثيرة. رفيع ـ (رحمه الله).

٣ . فجعل ظلمنا، كذا في الكافي المطبوع والمخطوط والمرآة.

٤ . المائدة/٥٥.

-٤٢-

باب جوامع التّوحيد

٣٥٣ - ١ (الكافي - ١:١٣٤) محمد ومحمد بن أبي عبدالله رفعاه إلى أبي عبدالله (عليه السلام) إنّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) استنهض الناس في حرب معاوية في المرة الثانية، فلمّا حشد الناس قام خطيباً فقال «الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرد الذي لامن شيء كان ولامن شيء خلق ماكان قدرة [1] بان بها من الأشياء وبانت الأشياء منه فليست له صفة تنال ولاحدّ يضرب له فيه الأمثال، كلّ دون صفاته تحبير اللغات وضلّ هناك تصاريف الصفات وحار في

---

١ - «الذي لامن شيء كان ولامن شيء خلق ماكان قدره بان بها من الأشياء» قدأطال المحشون في قراءة هذا الكلام أولاً وفي معناه ثانياً.

فمن الحكيم المتأله الفاضل صدرالدين أنه قرأ فدرة بالفاء (وهي قطعة من اللحم ومن الليل ومن الجبل) فعقّد لبيانها وشرحها فصول ومن كلامه أن قال: الفصل الثالث من نفي التركيب عنه تعالى قوله: (عليه السلام) ماكان فدرة بان بها من الأشياء وبانت الأشياء منه يعني أنه بسيط الذات احديّ الحقيقة بذاته يمتاز عن الأشياء وتمتاز الأشياء عنه بذواتها لابيعض من الذات الى آخر كلامه (قدس سرّه).

وبناء على هذا المعنى الجملة تقرأ هكذا لامن شيء كان، ولامن شيء خلق، ماكان فدرة بان بها من الأشياء فكلمة «ما» نافية (لاموصولة كما ذهب اليه المحشون) وجملة ماكان فدرة مبتدأ و«بان لها من الأشياء» خبره امّا المحشون فجعلوا كلمة «ما» موصولة وكلمة «قدره» بالقاف (قدره) فالجملة الأولى عندهم لامن شيء كان والثانية ولامن شيء خلق ماكان قدره بان بها من الأشياء إلى آخره. فكلمة «ما» عندهم موصولة.

وقال الشعراني (رحمه الله) في طيّ كلامه: ولايبعد أن يكون كلمة «بها» زائدة من النساخ وقدّره فعل ماض من باب التفعيل والضمير مفعول. «ض.ع».

ملكوته عميقات مذاهب التفكير وانقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير وحال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب تاهت في أدنى أدانيها طامحات العقول في لطيفات الأمور فتبارك [١] الذي لايبلغه بعد الهمم ولاينال غوص الفطن وتعالى الذي ليس له وقت معدود ولاأجل ممدود ولانعت محدود - و سبحان الذي ليس له أول مبتدأ ولاغاية منتهى ولاآخر يفنى سبحانه هو كما وصف نفسه والواصفون لايبلغون نعته، حدّ [٢] الأشياء كلّها عند خلقه إبانة لها من شبهه وإبانة له من شبهها فلم يَحْلُل فيها فيقال هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن ولم يخلُ منها فيقال له «أين» .

لكنه سبحانه أحاط بها علمه وأتقنها صنعه وأحصاها حفظه لم يعزب عنه خفيّات غيوب الهواء ولاغوامض مكنون ظلم الدجى ولامافي السماوات العلى إلى الأرضين السفلى لكلّ شيء منها حافظ ورقيب وكلّ شيء منها بشيء محيط والمحيط بماأحاط منها الواحد الأحد الصمد الذي لا تُغيّره صروف الأزمان ولايتكأده صنع شيء كان، إنّما قال لماشاء «كن» فكان، ابتدع ماخلق بلامثال سبق ولا تعب ولانصب وكلّ صانع شيء فمن شيء صنع والله لامن شيء صنع ماخلق وكلّ عالم فمن بعد جهل تعلّم والله لم يجهل ولم يتعلّم، أحاط بالأشياء علماً قبل كونها، فلم يزدد بكونها علماً علمه بها قبل أن يكوّنها كعلمه بعد تكوينها لم يكوّنها لتشديد سلطان ولاخوف من زوال ولانقصان ولااستعانة على ضدّ مناوٍ ولاندّ مكاثر ولاشريك مكابر لكن خلائق مربوبون وعباد داخرون، فسبحان الذي لايؤده خلق ماابتدأ ولا تدبير مابرء ولامن عجز ولامن فترة بماخلق اكتفى علم ماخلق وخلق ماعلم لابالتفكير في علم حادث أصاب ماخلق ولاشبهة دخلت عليه فيمالم يخلق لكن قضاء مُبْرَم وعلم محكم وأمر متقن توحّد بالربوبيّة وخصّ نفسه بالوحدانيّة واستخلص بالمجد والثناء وتفرّد بالتوحيد والمجد والسناء وتوحّد بالتحميد وتمجّد بالتمجيد وعلا عن اتخاذ الأبناء وتطهّر وتقدّس

١ . فتبارك الله، ج.
٢ . وحدّ الأشياء، كذا في الكافي المطبوع وجعله في المرآة على نسخة.

عن ملامسة النساء وعزّ وجلّ عن مجاورة الشركاء فليس له فيماخلق ضدّ ولاله فيما ملك ندّ ولم يشركه في ملكه أحد الواحد الأحد الصمد ـ المبيد للأبد [١] والوارث للأمد الذي لم يزل ولايزال وحدانياً أزليّاً قبل بدو الدهور و بعد صروف الأمور الذي لايبيد ولاينفد بذلك أصف ربّي فلاإله إلّا الله من عظيم ماأعظمه ومن جليل ماأجلّه ومن عزيز ماأعزّه وتعالى عمّايقول الظالمون علوّاً كبيراً» .

بيـان:

«النهوض» القيام «حشد القوم» حفوا في التعاون أو دعوا فأجابوا مسرعين أو اجتمعوا على أمر واحد «لامن شيء كان» كما يكون الكائن من عنصره ومادته أو المركب من أجزائه العينيّة أو الشيء من جوهرياته المحمولة ومقوماته الذاتية أو الشيء من جاعل ذاته وفاعل وجوده «ولامن شيء خلق ماكان» تحقيق لمعنى الابداع الذي هو تأييس الأيس من الليس المطلق لامن مادة ولامدة وهذا في كلّ الوجود أو على ماهو التحقيق عند العارفين وإن كان في الكائنات تكوين من موادها المخلوقة إبداعاً لامن شيء عند الجماهير .

«قدرة» منصوب على التمييز أو نزع الخافض يعني ولكن خلق الأشياء قدرة أو بقدرة أو مرفوع أي له قدرة أو هو قدرة فان صفته عين ذاته «كل» وهن «دون صفاته» أي قبل الوصول اليها و«التحبير» التزيين و«الحبرة» المبالغة فيماوصف بالجميل و«ضلّ هناك تصاريف الصفات» أي لم يهتد اليه وصف الواصفين بأنحاء تصاريفهم الصفات «في علمه» متعلّق بـ«انقطع» أو الرسوخ والضمير البارز راجع الى الله سبحانه وهذا كقول الله سبحانه وَلَايُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَاشَاءَ [٢] «دون غيبه» أي قبل الوصول إلى غيبه و«التيه» الحيرة والضمير في «أدانيها» راجع الى الحجب و«الطامح» المرتفع وطامحات العقول العقول المرتفعة « لايبلغه بعد الهمم»

١ . المؤبّد للأبد، ج، ف.
٢ . البقرة/٢٥٥

أي الهمم البعيدة و«الهمة» العزم الجازم و بعدها تعلقها بالأمور العليّة دون محقّراتها أي لا تبلغه النفوس ذوات الهمم البعيدة وإن أمعنت في الطلب كنه حقيقته وقدّم الصفة للعناية بها «غوص الفطن» أي الفطن الغائصة استعار وصف الغوص لتعمّق الأفهام الثاقبة في مجاري صفات جلاله التي لاقرار لها ولاغاية واعتبار نعوت كماله التي لا تقف عند حدّ ونهاية «وقت معدود» أي داخل في العدّ وذلك لتقدسه تعالى عن إحاطة الزمان «ولا أجل ممدود» لكونه واجب الوجود دائمه «ولانعت محدود» أي ليس لما تعتبره عقولنا من الصفات نهاية معقولة تكون حدّاً لها «عند خلقه» أي عند تقديره وايجاده «من شبهه» من أن يشبهه .

«فلم يحلل فيها» كيف وهو غني عنها «ولم ينأ عنها» كيف وهو معها أينما كانت «ولم يخل منها» كيف وهو قيّوم لها «لم يعزب» لم يغب «والدجى» الظلمة «لكلّ شيء منها حافظ ورقيب» إشارة إلى أنّ لكل ظاهر باطناً ولكلّ ملك ملكوتاً ولكلّ شهادة غيباً و«كل شيء منها بشيء محيط» إشارة إلى ترتّب الموجودات وكون بعضها سبباً للبعض وأنه سبحانه مسبب الأسباب «ولايتكأده» أي لايثقله «فلم يزدد بكونها علماً» لأنّه لايعلم الأشياء من الأشياء ولافي الأزمنة لتنزهه عن الزمان واتّصافه بالعلم في مرتبة ذاته كمامرّ تحقيقه «لتشديد سلطان» أي تقويته «مناو» معاد وفي توحيد الصدوق «مثاور» أي مواثب «داخرون» صاغرون .

«لايؤده» لايثقله و«البرء» الخلق «ولامن عجز» أي ليس اكتفاؤه بماخلق من عجز ولامن فتور بل إنّما هو لعدم امكان الزائد عليه ونقص قابليّة ماخلق لأزيد فالنقصان في جانب القابل، لامن جهة الفاعل تعالى شأنه «المبيد للأبد» إمّا بتقديم الموحدة على المثنّاة التحتانيّة من «الابادة» بمعنى الاهلاك أي المجاوز عنه أو بتأخيرها عن الهمزة من (التأبيد) أي هو الذي أبّد الأبد حتى صار الأبد أبداً.

قال صاحب الكافي (رحمه الله): وهذه الخطبة من مشهورات خطبه (عليه السلام) حتى لقدابتذلها العامة وهي كافية لمن طلب علم التوحيد إذا تدبّرها وفهم مافيها فلواجتمع ألسنة الجنّ والإنس ليس فيها لسان نبيّ على أن يبيّنوا التوحيد بمثل ماأتى به «بأبي وأمّي» ماقدروا عليه ولولاإبانته (عليه السلام) ماعلم الناس كيف

يسلكون سبيل التوحيد، ألا ترون الى قوله «لامن شيء كان ولامن شيء خلق ماكان» فنفى بقوله «لامن شيء كان» [١] معنى الحدوث وكيف أوقع على ماأحدثه صفة الخلق والاختراع بلاأصل ولامثال نفياً لقول من قال انّ الأشياء كلّها محدثة بعضها من بعض وابطالاً لقول الثنوية الذين زعموا أنه لايحدث شيئاً إلّا من أصل ولايدبّر إلّا باحتذاء مثال .

فدفع (عليه السلام) بقوله «لامن شيء خلق ماكان» جميع حجج الثنوية وشُبههم لأن أكثر ماتعتمد الثنوية في حدوث العالم أن يقولوا لايخلو من أن يكون الخالق خلق الأشياء من شيء أو من لاشيء فقولهم من شيء خطأ وقولهم من لاشيء مناقضة وإحالة لأن (مِن) توجب شيئاً (ولاشيء) ينفيه فأخرج أميرالمؤمنين (عليه السلام) هذه اللفظة على أبلغ الألفاظ وأصحّها فقال (عليه السلام) «لامن شيء خلق ماكان» فنفى (مِن) إذ كانت توجب شيئاً ونفي الشيء إذ كان كلّ شيء مخلوقاً محدثاً لامن أصل أحدثه الخالق كما قالت الثنوية إنه خلق من أصل قديم فلايكون تدبير إلّا باحتذاء مثال. ثم قوله (عليه السلام) «ليست له صفة تنال ولاحدّ يضرب له فيه الأمثال كلّ دون صفاته تحبير اللغات» فنفى (عليه السلام) أقاويل المشبهة حين شبهوه بـ«السبيكة والبلورة» وغير ذلك من أقاويلهم من الطول والاستواء وقولهم (متى ما لم تعقد القلوب منه على كيفية ولم ترجع إلى اثبات هيئة لم تعقل شيئاً

١ . قوله: «فنفى بقوله لامن شيء كان معنى الحدوث..» هذا كلام الكليني (رحمه الله) و يتبيّن به معنى الحدوث الذي اتّفق عليه أهل الملل فالحادث هو الكائن من شيء والقديم هو الكائن لامن شيء واصل غرض أهل الدين إثبات مخلوقية العالم وعدم مخلوقية الصانع تعالى ولماكان في ذهن أكثر الناس اللازمة بين المخلوقية والحدوث الزماني عبّروا عنها به لأنّهم لايتصوّرون الجمع بين المخلوقية والقدم الزّمانيّ فالمجمع عليه هو مخلوقيّة العالم لاكونه حادثاً زماناً.
ونظير ذلك إجماعهم على نفي التجسم لاجماعهم على عدم النقص في الواجب تعالى والتجسم نقص يوجب الامكان وخلاف من خالف فاثبت الجسم لله تعالى لايوجب نقض الاجماع لأنّ العبرة بفرضهم المعلوم لابلفظهم الذي يعلم انه صدر منهم لشبهة ولاريب أن المجسمة لم يقولوا بالجسم مع الاعتراف بكونه نقصاً بل لاعتقادهم أن الجسم أكمل الموجودات فالاجماع على انّ الله تعالى أكمل الموجودات والاختلاف في التطبيق على الجسم أو غيره وكذلك الاجماع على أن العالم مخلوق والاختلاف في أن كونه مخلوقاً يلازم الحدوث الزماني أو لايلازم فمن أنكر الحدوث الزماني لشبهة زعم بها أن القدم الزماني لاينافي المخلوقية كمن أثبت الجسم له تعالى زاعماً أن الجسمية لاتنافي الوجوب ليس كافراً ولاخارجاً من الإجماع وأنت اذا تتبّعت اجماعات الفقهاء تحقق لديك أن أكثرها في محل الخلاف لأن المخالف غلط في تطبيق الكلّي المجمع عليه على بعض مصاديقه. «ش».

فلم تثبت صانعاً) .

ففسّر أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه واحد بلا كيفية وانّ القلوب تعرفه بلا تصوير ولاإحاطة ثمّ قوله (عليه السلام) «الذي لايبلغه بعد الهمم ولاينالـه غوص الفطن وتعالى الذي ليس له وقت معدود ولاأجل ممدود ولانعت محدود» ثم قوله (عليه السلام) «لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن» فنفى (عليه السلام) بهاتين الكلمتين صفة الأعراض والأجسام لأنّ من صفة الأجسام التباعد والمباينة ومن صفة الأعراض الكون في الأجسام بالحلول على غير مماسة ومباينة الأجسام على تراخي المسافة ثمّ قال (عليه السلام) «لكن أحاط بها علمه وأتقنها صنعه» أي هو في الأشياء بالاحاطة والتدبير وعلى غير ملامسة .

٢-٣٥٤ (الكافي - ١٣٧:١) علي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، عن الحسين بن يزيد، عن ابن أبي حمزة، عن إبراهيم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «إن الله تبارك اسمه وتعالى ذكره وجلّ ثناؤه سبحانه وتقدّس وتفرّد وتوحّد ولم يزل ولايزال وهو الأول والآخر والظاهر والباطن فلاأوّل لأوّليته، رفيعاً في أعلى علّوه، شامخ الأركان، رفيع البنيان، عظيم السلطان، منيف الآلاء، سنّي العلياء، الذي يعجز الواصفون عن كنه صفته ولايطيقون حمل معرفة إلٰهيّته ولايحدّون حدوده لأنه بالكيفية لايتناهى إليه» .

بيان:

ابراهيم هذا يحتمل الصيقل والكرخي والبصري و«الشامخ» العالي و«الإنافة» الزيادة والاشراف على الشيء و«السناء» العلو .

٣-٣٥٥ (الكافي - ١٣٧:١) علي، عن المختار بن محمد بن المختار ومحمد بن الحسن، عن عبدالله بن الحسن العلوي جميعاً، عن الفتح بن يزيد الجرجاني قال: ضمني وأبا الحسن (عليه السلام) الطريق في منصرفي من مكة إلى خراسان وهو سائر إلى العراق فسمعته

يقول «من اتق الله يُتقى ومن أطاع الله يُطاع» فلطفت [1] في الوصول إليه فوصلت فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ثمّ قال «يافتح؛من أرضى الخالق لم يبال بسخط المخلوق ومن أسخط الخالق فقمين أن يسلط الله عليه سخط المخلوق وإن الخالق لايوصف إلّا بماوصف به نفسه وأنّى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه والأوهام أن تناله والخطرات أن تحدّه والأبصار عن الاحاطة به جلّ عمّاوصفه الواصفون وتعالى عمّاينعته الناعتون نأى في قربه وقرب في نأيه فهو في نأيه قريب وفي قربه بعيد كيّف الكيف فلايقال [2] كيف وأيّن الأين فلايقال أين إذ هو منقطع الكيفوفية والأينونية» .

بيـان:

يعني بأبي الحسن الرضا (عليه السلام) كما يستفاد من كتاب عيون أخباره «فلطفت في الوصول إليه» أي ذهبت إليه بحيث لم يشعر به أحد يقال: لطف فلان في مذهبه: أي لم يدر أحد مذهبه لغموضه «والقمين» الخليق والجدير وكذا «القمن» بكسر الميم كما في بعض النسخ و«النأي» البعد .

٣٥٦ ـ ٤ (الكافي ـ ١:١٣٨) محمد بن أبي عبدالله رفعه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: بينا أميرالمؤمنين (عليه السلام) يخطب على منبر الكوفة إذ قام إليه رجل يقال له «ذعلب» ذو لسان بليغ في الخطب شجاع القلب فقال ياأميرالمؤمنين؛ هل رأيت ربك؟ فقال:

«و يلك ياذعلب ماكنت أعبد ربّاً لم أره» فقال ياأميرالمؤمنين؛ كيف رأيته؟ قال «و يلك ياذعلب؛ لم تره العيون بمشاهدة الإبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان و يلك ياذعلب؛ إنّ ربّي لطيف اللطافة لايوصف

١ . في الكافي المطبوع والمخطوط وشرح المولى خليل «فتلطفت» مكان «لطفت».
٢ . له كيف، ف ثم قال: كذا في التوحيد.

باللطف،عظيم العظمة لايوصف بالعظم،كبير الكبرياء لايوصف بالكبر،جليل الجلالة لايوصف بالغلظ،قبل كلّ شيء لايقال شيء قبله و بعد كلّ شيء لايقال له بعد، شاءِ الأشياء لابهمّة.درّاك لابخديعة في الأشياء كلّها غير متمازج بها ولابائن منها، ظاهر لابتأويل المباشرة،متجلّ لاباستهلال رؤية ناءٍ لابمسافة،غريب لابمداناة،لطيف لابتجسّم،موجود لابعد عدم .

فاعل لاباضطرار مقدّر لابحركة،مريد لابهمامة. سميع لاباّلة،بصير لابأداة،لاتحويه الأماكن ولاتضمنه الأوقات ولاتحدّه الصفات ولا تأخذه السّنات،سبق الأوقات كونه والعدم وجوده والابتداء أزله،بتشعيره المشاعر عرف أن لامشعر له [1] و بتجهيره الجواهر عرف أن لاجوهر له وبمضادته بين الأشياء عُرف ان لاضدّ له وبمقارنته بين الأشياء عُرف ان لاقرين له ضاد النور بالظلمة واليبس بالبلل والخشن باللين والصرد بالحرور،مؤلف بين متعادياتها مفرق بين متدانياتها،دالّة بتفريقها على مفرقها و بتأليفها على مؤلفها وذلك قول [2] الله تعالى وَمِنْ كُلِّ شَيءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [3].

ففرق بين قبل و بعد ليعلم أن لاقبل له ولابعد [4] شاهدة بغرائزها أن لاغريزة لمغرّزها مخبرة بتوقيتها أن لاوقت لموقّتها حجب بعضها عن بعض ليُعلم أن لاحجاب بينه و بين خلقه، كان ربّاً إذ لامربوب وإلٰهاً إذ لامألوه وعالماً إذ لامعلوم وسميعاً إذ لامسموع» .

١ . قوله: «بتشعير المشاعر عرف أن لامشعر له...» المشعر جزء من كلّ لأن محل الحس بعض اجزاء المدرك بالحس دائماً فلوكان له تعالى مشعر كان له جزء والجزء ليس واجب الوجود بذاته وكذلك الكلّ ففرض وجود المشعر يباين فرض الوجوب لأن كلّ مشعر لابدّ أن يكون ممكناً و يكون حصوله بتشعيره تعالى فليس له تعالى مشعر.

وقوله بتجهيره الجواهر فالظاهر انّ المراد من الجوهر مايسمّى في عرفنا بالماهية و بيانه يعلم مماذكرنا في المشعر لأن كلّ ماهية تلازم تصور المعلولية وكونها بتأثير الغير كالضدية والمقارنة ينافي فرض الوجوب. «ش».

٢ . قوله تعالى، الكافي المخطوط والمطبوع وشرح المولى خليل (ره).

٣ . الذاريات/٤٩

٤ . ولابعد له، الكافي المطبوع والمخطوط.

بيـــان:

هذا الحديث مشهور بين الخاصة والعامة بألفاظ مختلفة متقاربة. واسناد متعددة «بينا» ظرف زمان وبمعنى المفاجأة أيضاً أصله «بين» بمعنى الوسط أشبعت الفتحة فصارت ألفاً وربّما زيدت عليه (ما) كما في بعض النسخ هنا والمعنى واحد تقديره بين أوقات وهو من حروف الابتداء ومابعده مبتدأ و«ذعلب» بكسر المعجمة واسكان المهملة بعدها ثمّ اللام المكسورة قبل الموحدة واضافة المشاهدة إلى الإبصار بكسر الهمزة بيانية أو تخصيصيّة و«القلوب» الألباب الزكيّة والعقول النقيّة «لطيف اللطافة» اللطيف النافذ في الأشياء الممتنع من أن يدرك .

كما يأتي في كلام الرضا (عليه السلام) واللطيف أيضاً العالم بدقائق المصالح وغوامضها السالك في ايصالها الى المستصلح سبيل الرفق دون العنف واضافته إلى اللطافة مبالغة في اللطف «لايوصف باللطف» أي اللطف الذي من صفات الأجسام وهو الصغر والدقّة والقلّة والنحافة ورقّة القوام ونحوها وكذا العظم المنفي ونظائره «شاءِ الأشياء» على صيغة الفاعل المنوّنة ونصب الأشياء ويحتمل الماضي .

وفي بعض النسخ شَيّأ على صيغة الماضي و«الهمّة» يقال للإرادة السانحة الزائدة على الذات «درّاك لابخديعة» كأنّه أراد به أن سبحانه عالم بمافي الضمائر والمكامن من غير مكر وحيلة يتوسّل بها الى الوصول إلى ذلك كما قديفعله بعض الناس «لاباستهلال رؤية» أي لاباِبصار .

قال ابن الأثير: أهلّ واستهلّ إذ أبصر وأهللته إذا أبصرته «نايء» بعيد «لطيف لابتجسّم» أي برقّة قوام فانّه معنى اللطف في الجسم «سبق الأوقات كونه» تقديم المفعول في الفقرات الثلاث لعله لرعاية السجع، «بتشعيره المشاعر عُرف أن لامشعر له» إنّما عرف بتشعيره المشاعر انتفاء المشعر عنه تعالى لأنّه بتشعيره عزّ وجلّ إيّاها عرف أن المشاعر محتاجة إلى مشعّرٍ يُشعّرها فلوكان له عزّ وجلّ مشعر لكان محتاجاً إلى من يُشعّر له إذ لايجوز أن يفيض على نفسه المشعر من حيث هو فاقد له فيكون محتاجاً بذاته .

وليعلم أن افاضة الله سبحانه الكمالات على عباده دليل على أنّه عزّ وجلّ متّصف بها على الوجه الأتم الخالي من شوب النقصان، أمّا دلالتها على اتصافه بها فلأنّ المفيض للكمال لايجوز أن يكون ممنوّاً [١] في ذاته عن ذلك الكمال وأمّا دلالتها على أنّ ذلك له من حيث لانقصان فيه فلأنّ النقصان دليل الافتقار المنافي للألوهية والربوبيّة والغناء الحقيقي ووجوب الوجود فكما أن لنا أن نستدلّ بافاضة الله سبحانه العلم والقدرة والإدراك علينا بأنه تعالى متّصف بها.

فكذلك لنا أن نستدلّ بتعلمنا بعد الجهل واكتسابنا صفة القدرة بعد العجز وإدراكنا المحسوسات باستعانة المشاعر وافتقارنا إليها في ذلك على أن الله عزّ وجلّ منزّه في علمه وقدرته وإدراكه عن التعلّم والاكتساب والمشاعر بل عن الصفة الزائدة على الذات مطلقاً لأنّ حصول هذه الصفات لنا على النحو الذي اتّصفنا بها إنّما هو من الغير فلو كان الله سبحانه اتّصف بها على هذا النحو لافتقر هو أيضاً إلى الغير كما افتقرنا وكذلك نقول في نظائره من التجهير والمضادّة والمقارنة وغيرها «والصرد» البرد فارسي معرب «دالة» أي هي دالة «بغرائزها» بطبائعها.

٣٥٧ ـ ٥ (الكافي ـ ١: ١٣٩) علي بن محمد، عن سهل، عن شباب الصيرفي واسمه محمد بن الوليد عن علي بن سيف بن عميرة [٢] عن اسماعيل بن قتيبة قال: دخلت أنا وعيسى شلقان على أبي عبدالله (عليه السلام) فابتدأنا فقال «عجباً لأقوام يدّعون على أميرالمؤمنين (عليه السلام) مالم يتكلّم به قطّ .

خطب أميرالمؤمنين (عليه السلام) الناس بالكوفة فقال: الحمد لله الملهم عباده حمده وفاطرهم على معرفة ربوبيّته الدال على وجوده بخلقه وبحدوث خلقه على أزله وباشتباههم على أن لاشبه له المستشهد بآياته على قدرته الممتنعة من الصفات ذاته ومن الأبصار رؤيته ومن الأوهام الاحاطة به لاأمد لكونه

١ ـ ممتنعاً في ذاته، ج.
٢ ـ قال حدثني اسماعيل، ق.

ولاغـاية لبقائه، لا تشمله المشاعر ولاتحجبه الحجب والحجاب بينه و بين خلقه، خـلقـه إيّاهم لامتناعه ممّايمكن في ذواتهم ـ ولإمكان ممّا يمتنع منه [1] ولافتراق الـصـانـع مـن المصنوع ـ والحادّ والمحدود [2] والربّ والمربوب، الواحد بلا تأو يل عـدد والخـالـق لابمعنى حـركـة والبصير لابأداة والسميع لابتفريق آلة والشاهد لابمماسـة والـباطن لاباجتنان والظاهر البائن لابتراخي مسافة أزله نهية لمجاول الأفكار ودوامه ردع لطامحات العقول .

قـد حسر كنهه نـوافذ الأبصار، وقمع وجوده جوائل الأوهام، فمن وصف الله فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه ومن عدّه فقدأبطل أزله ومن قال أين فقد غياه ومن قال على ما [3] فقدأخلا منه ومن قال فيم؟ فقد ضمّنه» .

بيـــان:

شـلـقـان بفتح المعجمة واللام ثم القاف لقب عيسى بن أبي منصور «مالم يتكلم به قـط» كـأنّـه (عـلـيـه الـسـلام) أراد بـذلـك شيئاً من الغلو «وبحدوث خلقه على أزله» قـدمـضى في الحديث السابق مايصلح أن يكون تفسيراً له ولمابعده «لاأمد لكونه» لأنّ كـونـه وجـود صـرف متـمـجد عن الليالي والأيام والشهور والأعوام والحدود والآنات والأوقـات والـساعات «ولاغاية لبقائه» لأنّ بقائه بقاء حقيقي متقدس عن الاستمرار الامتدادي والكون الزماني. وقال (عليه السلام) في خطبة الوسيلة التي يأتي ذكرها في الـروضـة إن قـيل ـ كان ـ فعلى تأو يل أزلية الوجود وإن قيل ـ لم يزل ـ فعلى تأو يل نفي العدم «ولإمكان» بالتنوين بحذف المضاف إليه أي ولإمكان ذواتهم.

وفي تـوحـيـد الـصدوق (رحمه الله) هـكـذا: ولإمـكـان ذواتهم ممّايمتنع منه ذاته، وهو الـصـواب وكـأن اللـفظتين سقطتا من قلم النساخ «بلا تأو يل عدد» إذ الوحدة العدديّة إنّما تـتـقـوّم بتكررها الكثرة العددية و يصحّ بحسبها أن يقال إن المتّصف بها أحد أعداد الوجود أو

١ ـ قال في المرآة. بالتنوين عوض المحذوف أي لامكان ذواتهم أو ما في ذواتهم ممايمتنع منه ذاته تعالى.
٢ ـ والحاد من المحدود والربّ من المربوب، كذا في الكافي المطبوع وفي المخطوط (م) جعله على نسخة.
٣ ـ علّ م، كذا في الكافي المطبوع وفي المخطوط (م) جعله على نسخة. والمعنى واحد.

أحد آحاد الموجودات وعزّ مجده سبحانه أن يكون كذلك بل الوحدة العددية والكثرة العددية التي هي في مقابلتها جميعاً من صنع وحدته المحضة الحقيقية التي هي نفس ذاته القيّومية وهي وحدة حقّة صرفة وجوبيّة قائمة بالذات لا مقابل لها ومن لوازمها نفي الكثرة وقدمضت الاشارة اليه في كلام له (عليه السلام) نقلناه في باب الدليل على أنه واحد وتمام تحقيقه من الغوامض وأما ماورد في بعض الأدعية السجادية من قوله (عليه السلام):

«لك ياإلٰهي وحدانية العدد» فانّما أراد بذلك جهة وحدة الكثرات واحدية جمعها لااثبات الوحدة العددية له فافهم «لابمعنى حركة» بل بمعنى ابداع واختراع وصنع وإفاضة من دون تدريج وتدرّج وتعاقب وتغير بالنسبة إليه، لايشغله خلق عن خلق ولاصنع عن صنع «لابتفريق آلة» أي لابآلة مغايرة لذاته وهي من لوازم كون الآلة آلة «باجتنان» باستتار «أزله نهية» منع من نهاه ينهاه ضدّ أمره «والمجاول» جمع مجول وهو محل الجولان «جوائل الأوهام» بالجيم الأوهام الجائلة «فقد حدّه» فقدر له حدّاً معقولاً من حيث ذلك الوصف لايتعدّاه ومن جعله محدوداً فقد عدّه وأدخله في الكثرة العددية بوجه [1] فأخرجه من أزله الذاتي أي وجوب الوجود الصرف الحق بالذات «فقد أخلا منه» أي ذلك الشيء الذي قال انّه عليه ضرورة أن المحمول يكون خارجاً عن حامله .

٣٥٨ - ٦ (الكافي - ١: ١٤٠) ورواه محمدبن الحسين، عن صالح بن حمزة، عن فتح بن عبدالله مولى بني هاشم قال: كتبت إلى أبي ابراهيم (عليه السلام) أسأله عن شيء من التوحيد فكتب اليّ بخطه:

«الحمد لله الملهم عباده حمده» وذكر مثل مارواه سهل إلى قوله «وقمع وجوده جوائل الأوهام» ثم زاد فيه «أول الديانة به معرفته وكمال معرفته توحيده وكمال توحيده نفي الصفات عنه لشهادة [2] كلّ صفة أنّها غير الموصوف وشهادة الموصوف أنه غير الصفة وشهادتها جميعاً بالتثنية الممتنع منه الأزل فمن

١ . لوجه، ق.
٢ . بشهادة كذا في الكافي المطبوع والمخطوط (م) والمرآة وشرح المولى خليل. (رحمه الله).

وصف الله فقدحدّه ومن حدّه فقدعدّه ومن عدّه فقدأبطل أزله ومن قال كيف؟ فقداستوصفه ومن قال(في ما؟) فقدضمنه ومن قال(على ما؟) فقدجهله ومن قال (أين؟) فقدأخلا منه ومن قال (ماهو؟) فقدنعته ومن قال(إلى ما؟) فقدغاياه عالم إذ لامعلوم وخالق إذ لامخلوق وربّ إذ لامربوب وكذلك يوصف ربّنا وفوق مايصفه الواصفون» .

بيـــان:

«بالتثنية الممتنع منه الأزل» أي من التثنّي وفي بعض النسخ: الممتنعة من الأزل «فقدجهّله» بالتشديد ويحتمل التخفيف وفي بعض النسخ «فقدحمّله» ومن قال «إلى ما»فقدغاياه ومن طريق الصدوق طاب ثراه ومن قال «إلى مَ» فقدوقّته .

٣٥٩-٧ (الكافي- ١:١٤١) العدّة، عن البرقي، عن أبيه، عن احمدبن النضر وغيره عمّن ذكره،عن عمرو بن ثابت،عن رجل سمّاه،عن أبي اسحاق السبيعي،عن الحارث الأعور قال: خطب أميرالمؤمنين (عليه السلام) يوماً خطبة بعد العصر فعجب الناس من حسن صفته وماذكره من تعظيم الله تعالى قال أبواسحاق فقلت للحارث أوَمَاحفظتها؟ قال: قدكتبتها فأملاها علينا من كتابه:

«الحمد لله الذي لايموت ولا تنقضي عجائبه- لأنّ [١] كلّ يوم في شأن من إحداث بديع لم يكن،الذي لم يلد فيكون في العزّ مشاركاً ولم يولد فيكون موروثاً هالكاً ولم تقع عليه الأوهام فتقدره شبحاً ماثلاً ولم تدركه الأبصار فيكون بعد- انتقالها حائلاً [٢] الذي ليست في أوّليته نهاية ولالآخريته حدّولاغاية،الذي لم يسبقه وقت ولم يتقدمه زمان ولم يتعاوره [٣] زيادة ولانقصان ولم يوصف بـ(اين)

١ . لأنه كل يوم، كذا في الكافي المطبوع والمخطوط والمرآة وشرح المولى خليل (رحمه الله).
٢ . انتقالها حائلاً-خ ل.
٣ . ولايتعاوره-خ ل.

ولابـ(م) ولامكان الذي بطن من خفيات الأمور فظهر في المعقول [١] بمايرى في خلقه من علامات التدبير الذي سئلت الأنبياء عنه فلم تصفه بحدّ ولاببعض بل وصفته بفعاله ودلّت عليه بآياته لا تستطيع عقول المتفكرين جحده لأنّ من كانت السماوات والأرض فطرته ومافيهنّ ومابينهنّ وهو الصانع لهنّ فلامدفع لقدرته الذي نأى من الخلق فلاشيء كمثله الذي خلق خلقه لعبادته وأقدرهم على طاعته بماجعل فيهم وقطع عذرهم بالحجج فعن بينة هلك من هلك وبمنّه نجا من نجا ولله الفضل مبدأ ومعيداً ثم إنّ الله وله الحمد افتتح الحمد لنفسه وختم أمر الدنيا ومحل الآخرة بالحمد لنفسه فقال وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [٢] الحمد لله اللابس الكبرياء بلاتجسيد [٣] والمرتدي بالجلال بلا تمثيل والمستوي على العرش ـ بلازوال [٤] والمتعالي على الخلق بلا تباعد منهم ولاملامسة منه لهم ليس له حدّ ينتهي الى حدّه ولاله مثل فيعرف بمثله ذلّ من تجبر غيره وصغر من تكبّر دونه وتواضعت الأشياء لعظمته وانقادت لسلطانه وعزته وكلّت عن ادراكه طروف العيون وقصرت دون بلوغ صفته أوهام الخلائق، الأوّل قبل كلّ شيء ولاقبل له والآخر بعد كلّ شيء ولابعد له الظاهر على كلّ شيء بالقهر له والمشاهد لجميع الأماكن بلاانتقال اليها لا تلمسه لامسة ولاتحسّه حاسة هُوَ الَّذي فِي السَّمَاءِ إلٰهٌ وَفِي الأَرْضِ إلٰهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ [٥] أتقن ماأراد من خلقه من الأشباح كلّها لابمثال سبق إليه ولالغوب دخل عليه في خلق ماخلق لديه ابتدأ ماأراد ابتداءه وأنشأ ماأراد انشاءه على ماأراد من الثقلين الجنّ والإنس ليعرفوا بذلك ربوبيّته وتمكّن فيهم طاعته نحمده بجميع محامده كلّها على جميع نعمائه كلّها ونستهديه لمراشد أمورنا

١ . وظهر في العقول كذا في الكافي المطبوع وشرح المولى خليل والمرآة وجعله في الكافي المخطوط، «م» على نسخة.
٢ . الزمر/٧٥
٣ . تجسد ـ خ ل.
٤ . بغير زوال كذا في الكافي المطبوع والمخطوط والمرآة وشرح المولى خليل (رحمه الله).
٥ . الزخرف/٨٤

ونعوذ به من سيّئات أعمالنا ونستغفره للذنوب التي سبقت منّا ونشهد أن لاإله إلّاالله وأن محمداً عبده ورسوله بعثه بالحقّ نبيّاً دالاً عليه وهادياً إليه فهدى به ـ عن الضلالة [1] واستنقذنا به من الجهالة مَنْ يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْفَازَ فَوْزاً عَظِيماً [2] ونال ثواباً جزيلاً [3] ومن يعص الله ورسوله فقدخسر خسراناً مبيناً واستحقّ عذاباً أليماً ـ فابخعوا [4] بمايحقّ عليكم من السمع والطاعة واخلاص النصيحة وحسن المؤازرة وأعينوا على أنفسكم بلزوم الطريقة المستقيمة وهجر الأمور المكروهة وتعاطوا الحقّ بينكم وتعاونوا به دوني وخذوا على يد الظالم السفيه ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واعرفوا لذوي الفضل فضلهم عصمنا الله وإيّاكم بالهدى وثبّتنا وإيّاكم على التقوى وأستغفر الله لي ولكم» .

بيـــان:

«حائلاً» من حال الشيء يحول إذا تغيّر عن حاله «ولابم» أي لايوصف بماهو بل وَصَفَهُ بفعاله كما قال الخليل: رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ [5] وكما قال الكليم: رَبُّ السَّمٰوٰاتِ وَالأَرْضِ وَمَابَيْنَهُمَا [6] و«محل الآخرة» مصدر ميمي أي حلولها ومن الناس من صحّف وتكلّف وتعسّف بغير واحد من أنواعها والآخرة عبارة عن القرار في الجنّة و النار وحلولها إنّما يكون عند الفراغ من القضاء بين الخلائق الذي هو من أمر الدنيا فختم أمر الدنيا وحلول الآخرة كلاهما إنّما يكونان بالحمد المقول بعد الفراغ من القضاء بينهم ولهذا فرّع (عليه السلام) عليه ذكر الآية بقوله فقال «طروف العيون» الطرف تحريك الجفن بالنظر «لغوب» اعياء وتعب «فابخعوا» بالباء الموحدة ثمّ الخاء المعجمة ثم العين المهملة: أي فبالغوا في أداء مايجب عليكم .

١ ـ من الضلالة، كذا في الكافي المطبوع والمخطوط والمرآة وشرح المولى خليل (رحمه الله).
٢ . الأحزاب/٧١ تكلم (عليه السلام) بالقرآن الكريم.
٣ . كريماً ـ خ ل.
٤ . في الكافي المطبوع «فانجعوا» وقال في الهامش أي أفلحوا وفي شرح المولى خليل «فانجحوا».
٥ . البقرة/٢٥٨
٦ . الشعراء/٢٤

قال ابن الأثير في الحديث: أتاكم أهل اليمن أرق قلوباً وابخع طاعة أي أبلغ وأنصح في الطاعة من غيرهم كأنهم بالغوا في بخع أنفسهم أي قهرها واذلالها بالطاعة وقال الجوهري بخع بالحق أي خضع له وأقرّ به ومثله في القاموس «والمؤازرة» المعاونة «دوني» من غير مراجعة إليّ «في كلّ أمر أمر» .

٣٦٠ - ٨ **(الكافي - ١:١٠٥)** محمد بن الحسن عن سهل عن ابن بزيع عن محمدبن زيد قال: جئت إلى الرضا (عليه السلام) أسأله عن التوحيد فأملى عليّ «الحمد لله فاطر الأشياء انشاءً ومبتدعها ابتداءً [1] بقدرته وحكمته، لامن شيء فيبطل الاختراع ولا لعلّة فلايصحّ الابتداع خلق ماشاء كيف شاء متوحّداً بذلك لإظهار حكمته وحقيقة ربوبيّته لا تضبطه العقول ولا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأبصار ولايحيط به مقدار، عجزت دونه العبارة وكلّت دونه الأبصار وضلّ فيه تصاريف الصفات احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، عرف بغير رؤية ووصف بغير صورة ونعت بغير جسم لاإله إلّا الله الكبير المتعال ».

بيــان:

«أملى علـيّ» أنشأ وقدمضى تفسير مايحتاج إلى التفسير من هذا الحديث. آخر أبواب معرفة الله سبحانه والحمد لله أولاً وآخراً .

١ . ابتداعاً، ج.

ابواب معرفة صفاته و أسمائه سُبحانُه

الآيات:

قال الله سبحانه:

سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمّا يَصِفُونَ [1] وقال تعالى: سُبْحانَ اللّهِ عَمّا يَصِفُونَ [2] وقال جلّ اسمه وَلِلّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها [3].

١ ـ الصافات/١٨٠

٢ ـ المؤمنون/٩١

٣ ـ الأعراف/١٨٠

-٤٣-

باب صفات الذّات

٣٦١ - ١ (الكافي - ١٠٧:١) علي عن الطيالسي عن صفوان بن يحيى عن ابن مسكان عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «لم يزل الله تعالى ربّنا والعلم ذاته ولامعلوم [1] والسمع ذاته ولامسموع والبصر ذاته ولامبصر والقدرة ذاته ولامقدور فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على

---

١ . قوله: «والعلم ذاته ولامعلوم...» لماكان العلم عبارة عمّا هو مناط انكشاف المنكشف على العالم وكون العالم مطلعاً عليه والسمع كذلك بالنسبة [إلى المسموع والبصر بالنسبة] إلى المبصر والقدرة عبارة عمّا هو مناط صحّة الصدور واللاصدور عن القادر حتى إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل وهي فينا كيفيات وقوى قائمة بذواتنا وأنفسنا ولاكذلك في حقّه سبحانه إنّما مناط هذه الأمور ثمة ذاته الأحدية المقدسة عن شوب الكيفيات والقوى والعوارض والطوارىء فهو سبحانه موصوف بها بذاته ولايسلب شيء منها عنه بالنسبة إلى شيء ممّايصحّ نسبته إليه فلايكون عالماً بشيء غير عالم بشيء يصحّ عليه المعلومية ولايكون سميعاً بشيء وغير سميع بشيء يصحّ عليه المسموعية و بصيراً بشيء وغير بصير بشيء يصحّ عليه المبصرية وقادراً على شيء غير قادر على شيء يصحّ عليه المقدوريّة.

فهي صفات الذات وللذات بذاته المناطية فيها ولامدخل للغير فيه وقوله «قلت فلم يزل الله متحركاً» سؤال عن كونه منتقلاً من حال إلى حال كذلك والجواب نفي جواز اتصافه بالحركة لكونه محدثة بالفعل أي بالايجاد والتأثير فيكون من الموجودات الزائدة على الذات لامن السلوب والاضافات فلايمكن اتصافه بها فضلاً عن أن يتّصف بها بالذات وقوله «قلت فلم يزل الله متكلماً» سؤال عن كون الكلام من صفاته الحقيقة الذاتية والجواب أن الكلام صفة محدثة غير أزلية والكلام فيه كالكلام في الحركة فلااتصاف له به حقيقة لاأزلاً ولافيما لايزال والاتصاف به فيما لايزال إنّما يكون بالاتصاف بالاضافة إليه حيث لاتعتبر في كون الكلام كلامه قيام الكلام به كما هو في الحاضر وذلك بخلاف الحركة حيث يعتبر في كونها حركة للمتحرك قيامها به. رفيع - (رحمه الله).

المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور» قال: قلت فلم يزل الله متحركاً؟ قال: فقال «تعالى الله [1] إنّ الحركة صفة محدثة بالفعل» قال: قلت فلم يزل الله متكلماً؟ قال: فقال «إنّ الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عزّ وجلّ ولامتكلّم» .

بيـــان:

إعلم أنّ من صفات الله سبحانه ماهو ثابت له عزّ وجلّ في الأزل وهو كمال في نفسه وعلى الاطلاق وضدّه نقص و يسمّى بصفة الذات وهو على قسمين: قسم لاإضافة له إلى غيره جلّ ذكره أصلاً بل له وجه واحد كالحياة والبقاء وقسم له إضافة إلى غيره ولكن تتأخّر إضافته عنه كالعلم والسمع والبصر فانّها عبارة عن انكشاف الأشياء له في الأزل كلياتها وجزئياتها كلّ في وقته وبحسب مرتبته وعلى ماهو عليه فيما لايزال مع حصول الأوقات والمراتب له سبحانه في الأزل مجتمعة وإن لم تحصل بعد لأنفسها و بقياس بعضها إلى بعض متفرقة على مامضى تحقيقه في باب نفي الزمان وهذا الانكشاف حاصل له بذاته من ذاته قبل خلق الأشياء بل هو عين ذاته .

كما أشار إليه الامام (عليه السلام). بقوله «لم يزل الله تعالى ربّنا والعلم ذاته ولامعلوم والسمع ذاته. ولامسموع والبصر ذاته ولامبصر» وإن تأخرت إضافتها إلى الأشياء على حسب تأخرها وتفرقها في أنفسها و بقياس بعضها إلى بعض كما أشار إليه بقوله (عليه السلام) «فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر» وكالقدرة فإنّها عبارة عن كون ذاته بذاته في الأزل بحيث يصح عنها خلق الأشياء فيما لايزال على وفق علمه بها وهذا المعنى أيضاً ثابت له بذاته من ذاته قبل أن يخلق شيئاً بل هو عين ذاته كما قال (عليه السلام) «والقدرة ذاته ولامقدور وإن تأخرت الاضافة عنه» كما قال (عليه السلام) «والقدرة على المقدور» ومن الصفات مايحدث بحدوث الخلق بحسب المصالح وهو مايكون

١ . تعالى الله [عن ذلك] كذا في الكافي المطبوع.

كمالاً من وجه دون وجه وقديكون ضده كمالاً و يسمّى بصفة الفعل وهو أيضاً على قسمين: قسم هو إضافة محضة خارجة عن ذاته سبحانه ليس لها معنى في ذاته زائد على العلم والقدرة والإرادة والمشية كالخالقية والرازقية والتكلّم ونحوها وقسم له معنى سوى الاضافة إلّا أنه لاينفك عنه الاضافة والمضاف إليه كالمشية والارادة فانّهما في الله سبحانه لايتخلف عنهما المشيء والمراد بوجه بل إنّما أمْرُهُ إذا أرادَ شَيْئاً أنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [1] وماشاء الله كان فلا توجد الصفتان إلّا بوجود متعلقيهما إلّا أن الإرادة جزئية ومقارنة والمشية كليّة ومتقدمة وهذان القسمان إنّما يكونان كمالاً إذا تعلقا بالخير وبماينبغي كما ينبغي لامطلقاً ولهذا قديخلق وقدلايخلق وقديريد وقدلايريد إلى غير ذلك.

كما قال عزّ وجلّ: يُريدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلايُريدُ بِكُمُ العُسْرَ [2] فان قيل إن كانت الصفات المحدثة المتعلقة بالخير كمالاً لله سبحانه فمابالها لم تثبت لله عزّ وجلّ في الأزل قلنا: إن لها مبدأ ومنشأ في ذاته سبحانه هو كمال في الحقيقة وهو كون ذاته بذاته في الأزل بحيث يخلق مايخلق و يرزق مايرزق و يتكلّم مع من يتكلّم و يريد مايريد و يشاء كما يشاء فيما لايزال وهو من صفات الذات ثابت [3] لها في الأزل وانّما هذه الاضافات فروع لها مترتبة عليها فيما لايزال على وفق المصلحة وبحسب مايسعه الامكان فلابأس بتأخرها عن الذات إذا كان مبدأوها الذاتي ومنشأها الكمالي قديماً.

بل نقول: إن الارادة والمشيــة أيضاً لهما معنى ثابت في الأزل من وجه زائد على ماذكرناه وهو كون ذاته تعالى بذاته في الأزل بحيث يكفي علمه بالخير في خلقه إيّاه على حسب القدرة والاختيار فيما لايزال وهو من صفات الذات،فان قيل فماالفرق بين الإرادة والمشية. بل سائر مايعدّ من صفات الفعل و بين نحو العلم والقدرة ممّايعدّ في صفات الذات حيث جعل الأوّل محدثاً فعلياً والثاني أزليّاً ذاتياً مع اشتراك الكلّ في كونه صفة ثابتة ذات إضافة لها وجه أزلي وآخر حادث؟ قلنا لماكان العلم والقدرة

١ . يس/٨٢
٢ . البقرة/١٨٥
٣ . ثابتة، ف، ق.

والسمع والبصر جهة الثبات فيها أدلّ على المجد والكمال من جهة التجدد وأظهر حيث لايقدح تخلّف متعلقاتها عنها في كماليتها بل يزيد عُدّت من صفات الذات بخلاف الارادة والمشيــة ونحوهما فإنّ جهة التجدد في أمثالها أدلّ على العزّ والجلال وأظهر من جهة الثبات حيث لايتخلف متعلقاتها عنها ولذا عُدّت من صفات الفعل وذلك لأنّ خطاب الشارع مع الجماهير و ينبغي أن يذكر معهم في نعته سبحانه ماهو أدلّ على الكمال وأظهر في العزّ والجلال وإلّا فلافرق بين هذه الصفات في هذا المعنى بحسب التحقيق .

إن قيل مامعنى قوله (عليه السلام) و«العلم ذاته» وكيف يكون العلم عين الذات مع أن مفهومه غير مايفهم من الذات وكذلك القول في نظائره وأيضاً فانّ مفهوم كلّ صفة غير مفهوم صفة أخرى فكيف يكون الكلّ متحدة مع الذات قلنا: قدتكون المفهومات المتعددة موجودة بوجود واحد فالصفات بحسب المفهوم وإن كانت غير الذات و بعضها يغاير البعض إلّا أنها بحسب الوجود ليست أمراً وراء الذات أعني أنّ ذاته الأحدية تعالى مجده هي بعينها صفاته الذاتية بمعنى أنّ ذاته بذاته وجود وعلم وقدرة وحياة وإرادة وسمع و بصر وهي أيضاً موجود عالم قادر حيّ مريد سميع بصير تترتّب عليها آثار جميع الكمالات و يكون هو من حيث ذاته مبدأ لها من غير افتقار إلى معانٍ أُخر قائمة به تسمّى صفات تكون مصدراً للآثار لمنافاته الوحدة والغناء الذاتيين و الاختصاص بالقدم فذاته صفاته وصفاته ذاته .

فان قلت: الموجود ماقام به الوجود والعالم ماقام به العلم وكذا في سائر المشتقات قلنا: ليس كذلك بل الموجود ماثبت له الوجود والعالم ماثبت له العلم والأبيض ماثبت له البياض سواء كان بثبوت عينه أو بثبوت غيره، فانّا لوفرضنا بياضاً قائماً بنفسه لقلنا إنه مفرّق للبصر وإنه أبيض وكذا الحال في ماسواه، فان قلت: ذاته مجهول الكنه لنا ومفهوم العلم معلوم لنا فكيف يكون أحدهما عين الآخر؟ قلنا: المعلوم من العلم مفهومه الكلّي المشترك المقول بالتشكيك على أفراده الموجود بوجودات مختلفة والذي هو ذات البارىء فرد خاص منه وذلك الفرد لشدة نوريته وفرط ظهوره مجهول لنا محتجب عن عقولنا وأبصارنا وكذا الكلام في سائر الصفات وأمّا ماورد في كلام أميرالمؤمنين (عليه

السلام) «وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه» فالمراد به نفي الصفة الموجودة بوجود غير وجود الذات كالبياض في الأبيض لا كالناطق للانسان ولما كان أكثر مايطلق عليه اسم الصفة هو الذي يكون أمراً عارضاً ولايقال للمعاني الذاتية للشيء انّها صفات له نفى عنه الصفة ألا ترى إلى قوله (عليه السلام) بعد ذلك «فمن وصف الله سبحانه فقدقرنه ومن قرنه فقدثنّاه» فعلم أنه أراد بالصفة ماقارن الذات الموجب للاثنينيّة فيها،فالعلم في غيره سبحانه صفة زائدة وفيه نفسه تعالى فهو علم باعتبار وعالم باعتبار وهكذا في سائر الصفات وهذه الاعتبارات العقلية لا توجب تكثّراً في ذاته بوجه من الوجوه ولاتخلّ بوحدانيّته الصرفة الخالصة أصلاً .

بل تزيده وحدة لأنّه لوفرض أنّه لم يكن في ذاته شيء منها لماكان واحداً حقيقياً،مثلاً لوفرض أنه علم وليس بقدرة أو أنه علم وليس بعالم لكان فيه جهة غير جهة الوجوب والوجود وهي جهة الامكان والعدم فيلزم تركبه من جهتين وهو محال .

٢ـ٣٦٢ (الكافي ـ ١٠٧:١) محمد، عن محمدبن الحسين، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن محمد، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سمعته يقول «كان الله ولاشيء غيره ولم يزل عالماً بما يكون،فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه» .

بيـــان:

شرح ذلك أنّ الله سبحانه أدرك الأشياء جميعاً إدراكاً تاماً وأحاط بها احاطة كاملة فهو عالم بأنّ أيّ حادث يوجد في أيّ زمان من الأزمنة وكم يكون بينه وبين الحادث الذي بعده أو قبله من المدة ولايحكم بالعدم على شيء من ذلك بل بدل مانحكم بان الماضي ليس بموجود في الحال يحكم هو بأنّ كلّ موجود في زمان معيّن لايكون موجوداً في غير ذلك الزمان من الأزمنة التي تكون قبله أو بعده وهو عالم بأنّ كلّ شخص في أيّ جزء يوجد من المكان وأيّ نسبة تكون بينه وبين ماعداه ممّايقع في جميع جهاته وكم الأبعاد بينها على الوجه المطابق للحكم ولايحكم على شيء بأنه

موجود الآن أو معدوم أو موجود هناك أو معدوم أو حاضر أو غائب لأنّه عزّ وجلّ ليس بزماني ولامكاني بل هو بكلّ شيء محيط أزلاً وأبداً يَعْلَمُ مٰابَيْنَ اَيديهِمْ وَمٰاخَلْفَهُمْ وَلاٰيُحيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلّابِمٰاشٰاءَ [1] وإليه أشار أميرالمؤمنين (عليه السلام) بقوله «لم يسبق له حال حالاً فيكون أوّلاً قبل أن يكون آخراً و يكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً» وقال (عليه السلام) «علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين وعلمه بمافي السماوات العلى كعلمه بمافي الأرضين السفلى» .

٣٦٣ - ٣ (الكافي - ١٠٧:١) محمد، عن سعد، عن محمدبن عيسى، عن النخعي [2] انّه كتب إلى أبي الحسن (عليه السلام) يسأله عن الله عزّ وجلّ أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكوّنها أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها فعلم ماخلق عندما خلق وما كوّن عندما كوّن؟ فوقّع بخطه (عليه السلام) «لم يزل الله تعالى عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعدما خلق الأشياء» .

٣٦٤ - ٤ (الكافي - ١٠٧:١) علي بن محمد، عن سهل، عن جعفر بن محمدبن حمزة قال كتبت إلى الرجل [3] (عليه السلام) أسأله أنّ مواليك اختلفوا في العلم فقال بعضهم: لم يزل الله عالماً قبل فعل الأشياء وقال بعضهم: لانقول لم يزل الله عالماً لأنّ معنى يعلم يفعل [4] فان أثبتنا العلم فقدأثبتنا في الأزل معه شيئاً فان

١ . البقرة/٢٥٥

٢ . هو أيّوب بن نوح بن درّاج النخعي الثقة المذكور في مجمع الرجال ج١ ص٢٤٧ و٢٤٨ وهو من أصحاب أبي الحسن الثالث الهادي عليه السلام وكان وكيلاً للعسكريين عليهما السلام «ض.ع».

٣ . الى الرجل يعني أبا الحسن الثالث الهادي عليه السلام «ض.ع».

٤ . وقال برهان الفضلاء لأنّ معنى يعلم يفعل لأنّ مصداق يعلم أن يفعل فيجوز النصب بالاعمال والرفع بالاهمال ثم قال وهذا الدليل بناؤه على مقدمات ثلاث:

الأولى أنّ العلم بلاشيء محض محال والثانية أنّ الشيئيّة منحصرة في الوجود ذهناً أو خارجاً والثالثة أنّ ماسوى الله موجود بالايجاد سواء كان موجوداً في نفسه في الذهن أو موجوداً في نفسه في الخارج، فالامام عليه السلام أجاب بماأجاب من غير توجه إلى دفع الشبهة لظهور دفعها بمنع المقدمة الاولى والمعتزلة أجابوا عن هذه الشبهة بمنع المقدمة الثانية لقولهم بثبوت

←

رأيت جعلني الله فداك أن تُعلّمني من ذلك ماأقف عليه ولاأجوزه فكتب بخطه (عليه السلام) «لم يزل الله عالماً تعالى ذكره» .

٣٦٥ ـ ٥ (الكافي ـ ١:١٠٨) محمد، عن أحمد، عن الحسين، عن القاسم بن محمد، عن عبدالصمد بن بشير، عن فضيل بن سُكَّرَة [١] قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام) جعلت فداك ،إن رأيت أن تُعلمني هل كان الله جلّ وجهه يعلم قبل أن يخلق الخلق أنه وحده فقداختلف مواليك فقال بعضهم: قد كان يعلم قبل أن يخلق شيئاً من خلقه وقال بعضهم: إنّما معنى يعلم يفعل فهو اليوم يعلم أنه لاغيره قبل فعل الأشياء فقالوا إن أثبتنا [٢] أنه لم يزل عالماً بأنّه لاغيره فقدأثبتنا معه غيره في أزليته فان رأيت ياسيدي أن تُعلمني مالاأعدوه إلى غيره فكتب «مازال الله عالماً تبارك وتعالى ذكره» .

بيــان:

قد أسلفنا تحقيق ذلك و بيانه بمالامزيد عليه .

٣٦٦ ـ ٦ (الكافي ـ ١:١٠٨) علي، عن العبيدي، عن حماد، عن حريز، عن محمد ،عن أبي جعفر (عليه السلام) إنه قال في صفة القديم «أنه واحد صمد

←

المعدومات في الخارج وقال الفاضل الاسترابادي قدذكر ابن سينا شبهة عجز عن جوابها وكان قول السائل فقد أثبتنا في الأزل شيئاً اشارة اليها وهي أن علمه تعالى في الأزل متعلّق بكل مفهوم فلابدّ للمفهومات من وجود أزلي فوجودها في الأزل إمّا خارجي أو ذهني وعلى التقديرين هي قائمة بأنفسها أوبغيرها وعلى تقدير قيامها بغيرها فهي قائمة بذاته تعالى أو بغيره تعالى والكل محال فذكر صاحب المحاكمات احتمالاً في الوجود الذهني وهو أن يكون وجود ذهني من غير قيام الموجود الذهني بشيء وجواب الشبهة منحصر في التمسك بهذا الاحتمال بأن يقال ذاته تعالى وجود ذهني لكل المفهومات الغير المتناهية من غير قيام الوجود بها ومن غير قيامها بشيء ومن غير قيامها بنفسها... «الهدايا».

١ . سُكَّرة وزان قُبَّرة واحدة السُّكَّر فارسي معرّب «ض.ع».

٢ . قوله: «إن أثبتنا أنه لم يزل عالماً بأنه لاغيره فقدأثبتنا معه غيره في أزليته» هذا الاستدلال منهم على امتناع أزلية علمه سبحانه بتوحيده ووجوده منفرداً ليس معه غيره بأن يوجب علمه بذلك وجود غيره معه في أزليته وقدعرفت حاله ممّاسبق ولما كان الاستدلال ظاهر السخافة اكتفى (عليه السلام) في الجواب بأزلية علمه سبحانه ولم يتعرض لابطال دليلهم.«ش».

أحدي المعنى ليس بمعاني كثيرة مختلفة» .

قال: قلت جعلت فداك ؛ يزعم قوم من أهل العراق إنه يسمع بغير الذي يبصر و يبصر بغير الذي يسمع قال: فقال «كذبوا وألحدوا وشبّهوا تعالى الله عن ذلك إنّه سميع بصير يسمع بمايبصر و يبصر بمايسمع» قال، قلت: يزعمون أنه بصير على ـ مايعقلونه قال: فقال «تعالى الله انّما يعقل ماكان بصفة المخلوق ليس الله كذلك» .

بيــان:

قد مضى بعض معاني الصمد في باب النسبة وسيأتي له معانٍ أخر في باب معاني الأسماء إنشاء الله تعالى وأعاد في الكافي هنا ذكر طائفة من حديث الزنديق الطويل الذي مرّ ذكره في باب الدليل على أنه تعالى واحد مع اسناده لمناسبتها هذا الموضع أيضاً ونحن اقتصرنا على ذكرها هناك ومن أرادها فليراجع إليه وممّاأورده الصدوق (رحمه الله) في توحيده من الأخبار المناسبة لهذا المقام مارواه باسناده عن الصادق (عليه السلام) أنه قيل له إن رجلاً ينتحل موالاتكم أهل البيت يقول: ان الله تبارك وتعالى لم يزل سميعاً بسمع و بصيراً ببصر وعليماً بعلم وقادراً بقدرة .

فغضب (عليه السلام) ثم قال «من قال بذلك ودان به فهو مشرك وليس من ولايتنا على شيء ان الله تبارك وتعالى ذات علامة سمعية بصيرة قادرة» وفي رواية أخرى عن الرضا (عليه السلام) «من قال ذلك ودان به فقداتّخذ مع الله الهة أخرى وليس من ولايتنا على شيء» ثم قال (عليه السلام) «لم يزل الله عزّ وجلّ عليماً قادراً حيّاً قديماً سميعاً بصيراً لذاته تعالى عمّايقول المشركون والمشبهون علواً كبيراً» .

وباسناده عن محمد بن عرفة قال: قلت للرضا (عليه السلام) خلق الله الأشياء بقدرة أم بغير قدرة فقال «لايجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدرة لأنك إذا قلت خلق الأشياء بالقدرة فكأنك قدجعلت القدرة شيئاً غيره وجعلتها آلة له بها خلق الأشياء وهذا شرك وإذا قلت خلق الأشياء بقدرة فانّما تصفه أنه جعلها باقتدار عليها وقدرة ولكن ليس هوبضعيف ولاعاجز ولامحتاج إلى غيره وزاد في «العيون» بل هو سبحانه

قادر بذاته لابالقدرة و باسناده عن هشام بن سالم قال دخلت على أبي عبدالله (عليه السلام) فقال لي «أتنعت الله»؟ قلت نعم قال «هات» فقلت هو السميع البصير- قال «هذه صفة يشترك فيها المخلوقون» قلت فكيف تنعته؟. فقال: «هو نور لاظلمة فيه وحياة لاموت فيه وعلم لاجهل فيه وحقّ لاباطل فيه» فخرجت من عنده وأنا أعلم الناس بالتوحيد .

و باسناده عن الصادق (عليه السلام) قال: «هو نور ليس فيه ظلمة وصدق ليس فيه كذب وعدل ليس فيه جور وحقّ ليس فيه باطل كذلك لم يزل ولايزال أبد الآبدين وكذلك كان إذ لم يكن أرض ولاسماء ولاليل ولانهار ولاشمس ولاقمر ولانجوم ولاسحاب ولامطر ولارياح» وفي نهج البلاغة عن أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه) أنه قال «وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كلّ صفة أنها غير الموصوف وشهادة كلّ موصوف أنه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه فقدقرنه ومن قرنه فقدثنّاه ومن ثنّاه فقدجزّأه ومن جزّأه فقدجهله» الحديث .

٣٦٧ - ٧ (الكافي - ١:١٠٧) محمد، عن محمد بن الحسين، عن صفوان، عن الكاهلي قال كتبت إلى أبي الحسن (عليه السلام) في دعاء الحمد لله منتهى علمه فكتب إليّ:

«لا تقولنّ منتهى علمه فليس لعلمه منتهى ولكن قل منتهى رضاه» .

- ٤٤ -

بـاب صفات الفعل

٣٦٨ - ١ (الكـافي - ١:١٠٩) محـمـد، عـن ابن عيسى، عن الحسين، عن النضر عـن عـاصـم بن حميد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت لم يزل الله تعالى مريداً؟ قال «إن المريد لايكون إلّا المراد معه لم يزل عالماً قادراً ثمّ أراد» .

بيـــان:

المراد بـالارادة هاهنا الإحداث كما نصّ عليه في الخبر الآتي لاالتي هي عين ذاته الأحديّة .

٣٦٩ - ٢ (الكافي - ١:١٠٩) القميان، عن صفوان قال: قلت لأبي الحسن (عليه السـلام) أخـبـرني عـن الإرادة [1] من الله ومن الخلق؟ قال: فقال «الإرادة من

١ . قـولـه: «اخبرني عن الارادة..» الظاهر أن المراد بالارادة تخصص أحد الطرفين ومابه يرجّح القادر أحد مقدوريه على الآخر لامـايـطلق في مقابل الكراهة كما يقال يريد الصلاح والطاعة و يكره الفساد والمعصية والجواب أن الارادة من الخلق الضمير أي أمر يدخل خواطرهم وأذهانهم و يوجد في نفوسهم ويحلّ فيها بعد مالم يكن فيها وكانت هي خالية عنه وقوله «ومايبدو لهم بـعـد ذلـك مـن الـفـعـل» يحتمل أن يكون جملة معطوفة على الجملة السابقة والظرف خبر للموصول ويحتمل أن يكون الموصول مـعـطـوفـاً على قـولـه الـضـمير و يكون من عطف المفرد على المفرد و يكون قوله من الفعل بياناً للموصول والمعنى على الأول أن ←

الخلق الضمير ومايبدو لهم بعد ذلك من الفعل وأمّا من الله فإرادته إحداثه لاغير ذلك لأنه لايروّى ولايهمّ ولايتفكّر وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق فارادة الله تعالى الفعل لاغير ذلك يقول له كن فيكون بلالفظ ولانطق بلسان ولاهمّة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما أنه لا كيف له» .

بيـان:

الضمير هو تصوّر الفعل و«مايبدو لهم بعد ذلك» أي مع مايبدو وهو اعتقاد النفع فيه، ثم الروية، ثم الهمة، ثم انبعاث الشوق منه، ثم تأكده إلى أن يصير اجماعاً باعثاً على الفعل وذلك كلّه إرادة فينا متوسطة بين ذاتنا و بين الفعل، فقوله (عليه السلام) «من الفعل» أي من أسباب الفعل ويحتمل أن يكون الضمير عبارة عن مجموع مايتوسّط و«مايبدو» عبارة عن الفعل بمعنى المصدر و يكون «من» بياناً لـ«ما» وهذا أوفق باللفظ و يؤيده قوله «لاغير» وفي الجناب القدسي يترتّب الفعل الذي هو ارادة باعتبار على نفس ذاته الأحدية التي هي ارادة باعتبار آخر من غير أن يتوسّط بين الذات و بين أفعاله الاختيارية شيء من الصفات ـ والأحوال العارضة للذات أصلاً فنفس ذاته القيوم الواحد الأحد ارادة لمايريد و يفعل كما انها علم بالأشياء ـ ومشيّة لأفعاله الاختيارية ولاارادة ولامشية هناك وراء نفس الذات إلّا نفس الفعل والإحداث اللذين هما عبارة عن ارادته بالمعنى الآخر .

٣٧٠ ـ ٣ (الكافي ـ ١٠٩:١) محمد بن أبي عبدالله، عن محمدبن اسماعيل، عن الحسين بن الحسن، عن بكر بن صالح، عن ابن أسباط، عن الحسن بن الجهم عن بكير بن أعين قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) علم الله ومشيته هما

←

الارادة من الخلق الضمير الذي يدخل في قلبهم والذي يكون لهم بعد ذلك من الفعل لامن إرادتهم وعلى الثاني أن إرادتهم مجموع ضمير يحصل في قلبهم ومايكون لهم من الفعل المرتب عليه والمقصود هنا بالفعل مايشمل الشوق إلى المراد ومايتبعه من التحريك إليه والحركة فالارادة من الخلق حالة حادثة حاصلة في ذواتهم بدخولها فيهم وقيامها بهم بعد خلوّهم بذواتهم عنها. وأمّا الارادة من الله فيستحيل أن يكون كذلك. رفيع رحمه الله.

مختلفان أو متفقان؟ فقال «العلم ليس هو المشية ـ ألا تدري [١] إنّك تقول سأفعل كذا إن شاء الله تعالى ولا تقول سأفعل كذا ان علم الله فقولك ان شاء الله دليل على أنّه لم يشأ فاذا شاء كان الذي شاء كما شاء وعلم الله السابق المشية» [٢،٣].

بيان:

مختلفان أو متفقان أي معنيان متغايران أو عبارتان عن معنى واحد «دليل على أنّه لم يشأ» أي لم يشأ بعد والمراد بالمشية هنا الإحداث والايجاد ومغايرتها للعلم واضحة وأمّا المشية بمعنى كون ذاته سبحانه بحيث يختار مايختار فمغايرتها للعلم بالاعتبار و«علم الله السابق المشية» أي علمه سابق على مشيته فعلم الله مبتدأ والسابق المشية خبره ـ وهذا كما يقال زيد الحسن الوجه .

٣٧١ ـ ٤ (الكافي ـ ١ : ١١٠) الثلاثة، عن ابن أذينة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «خلق الله المشية بنفسها [٤] ثم خلق الأشياء بالمشية» .

١ . ألا ترى، كذا في الكافي المطبوع وكذلك في الكافيين المخطوطين.

٢ . ٣ . السابق للمشية ـ كذا في الكافي المطبوع وفي المخطوط «م» جعله على نسخة قال في الهدايا:
قال برهان الفضلاء: ذهبت الفلاسفة إلى اتحاد علم الله ومشيته وعلمه تعالى عندهم فعليّ سبب لوجود المعلوم لاانفعالي تابع للمعلوم وإلى انّ نسبة علمه تعالى الى معلومه كنسبة كلام انشائي الى مضمونه لاكنسبة كلام خبري إلى مضمونه وعلم الله مبتدأ والسابق المشيئة خبر كزيد الحسن الوجه أي سابق على مشيته واحتمل برهان الفضلاء السائق بالهمز مكان المفردة. «ض.ع».

٤ . قوله: «خلق الله المشية بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشية» أي أبدع المشية واخترعها بنفسها لابمشية أخرى فكانت المشيه أول صادر عنه ثم أبدع الأشياء المرادة بالمشية فكان صدور الأشياء عنه بعد صدور المشية عنه ولما كان بين المشيئة والمراد مراتب كما ستطلع عليه أتى بلفظة «ثمّ» الدالة على التراخي واطلاق الخلق هنا بمعناه الأعم ولذا صحّ إسناده بالمشية التي هي من عالم الأمر لامن عالم الخلق.. رفيع رحمه الله.

بيـــان:

قـال السـيـد الـداماد (ره): المراد بالمشية هاهنا مشية العباد لأفعالهم الاختيارية لتقدسه سبحانه عن مشية مخلوقة زايدة على ذاته عزّ وجلّ و بالأشياء أفاعيلهم المترتّب وجودها على تـلـك المشـية و بذلك تنحل شبهة ربّما أوردت هاهنا أنّه لوكانت أفعال العباد مسبوقة بارادتهم لكانت الارادة مسبوقة بارادة أخرى وتسلسلت الإرادات لاإلى نهاية .

أقول:

مـاذكره خلاف الظاهر من الحديث وكيف لايكون له مشية مخلوقة وحديث ابن مسلـم الآتي نـصّ في ذلك لايحتـمل التأو يل بمشية العبد لظهور حدوث مشية العبد فلامعنى لإفادة ذلك مع أن المقام موضع ذكر صفات الله سبحانه والباب موضوع لذلك كما هو ظاهر فالصواب أن يقال أن للمشية معنيين: أحدهما متعلق بالشائي وهي صفة كـمـالـيـة قديمة هي نفس ذاته سبحانه وهي كون ذاته سبحانه بحيث يختار ماهو الخير والصلاح .

والآخر يتعلّق بالمشيء وهوحادث بحدوث المخلوقات لا تتخلف المخلوقات عنه وهو ايجاده سـبـحـانـه إيّاهـا بحـسـب اختياره،وليست صفة زائدة على ذاته عزّ وجلّ وعلى المخلوقات بل هي نسبة بينهما تحدث بحدوث المخلوقات لفرعيتها المنتسبين معاً وقدعرفت تحـقـيـق ذلـك فيما أسلفناه. إذا تمهد هذا فنقول في شرح الحديث و بيان معناه مستعيناً بـالله عزّ وجلّ انه لماكان هاهنا مظنة شبهة هي أنه إن كان الله عزّ وجلّ خلق الأشياء بالمشية فبِمَ خلق المشية أبمشية أخرى فيلزم أن يكون قبل كلّ مشية مشية الى مالانهاية لـه. فـأفـاد الامام (عليه السلام) أن الأشياء مخلوقة بالمشية وأمّا المشية نفسها فلايحتاج خلقها إلى مشية أخرى بل هي مخلوقة بنفسها لأنّها نسبة واضافة ـ بين الشائي والمشيء تـتـحـصـل بـوجـوديها الـعـيني والـعـلمي ولذا أضاف خلقها إلى الله سبحانه لأنّ كلى الـوجـودين له وفيه ومنه وفي قوله (عليه السلام) «بنفسها» دون أن يقول بنفسه إشارة لـطـيـفـة إلى ذلـك نـظير ذلـك مايقال: إن الأشياء إنّما توجد بالوجود فأمّا الوجود نفسه

فلايفتقر إلى وجود آخر بل إنّما يوجد بنفسه فافهم راشداً.

٣٧٢ ـ ٥ (الكافي ـ ١ : ١١٠) العدّة، عن البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن محمد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «المشيـة محدثة» .

بيـــان:

أراد بهذه «المشيـة» الإحداث والايجاد لا كون ذاته بحيث يختار مايختار .

٣٧٣ ـ ٦ (الكافي ـ ١ : ١١٠) العدة عن البرقي عن محمدبن عيسى عن المشرفى حمزةبن المرتفع عن بعض أصحابنا قال: كنت في مجلس أبي جعفر (عليه السلام) اذ دخل عليه عمرو بن عبيد فقال له جعلت فداك؛ قول الله تعالى: وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْهَوى [1] ماذلك الغضب؟ .

فقال: أبو جعفر (عليه السلام) «هو العقاب ياعمرو؛ إنّه من زعم أنّ الله قدزال من شيء إلى شيء فقدوصفه صفة مخلوق [2] انّ الله تعالى لايستفزّه شيء فيغيّره» .

بيـــان:

سند الحديث في توحيد الصدوق (رحمه الله) هكذا: أحمدبن إدريس عن أحمدبن أبي عبدالله عن محمدبن عيسى اليقطيني عن المشرفي [3] عن حمزةبن الربيع عمّن ذكره

١ . طه/٨١

٢ . وان الله ـ كمافي المطبوع وكذلك في الكافيين المخطوطين.

٣ . المشرقي، ق،ك .

وقال المامقاني (رحمه الله) في تنقيح المقال ج٣ ص٥٨: المشرفي بالفاء أو المشرقي بالقاف على اختلاف النسخ لقب نفر منهم: علي بن الزبال وجرير بن خضير وعمرو بن قيس والقاسم وحمزةبن المرتفع وغيرهم، وهو أيضاً لقب هشام بن ابراهيم البغدادي.. ثم قال بعضهم انصراف المشرقي الى هشام و يظهر هذا الانصراف من مجمع الرجال لأنه قال في ج٧ ص١٤٨ المشرقي «هشام بن ابراهيم» «ض.ع».

قال: كنت، الحديث والمشرفي بالفاء وقيل بالقاف هو هشام بن ابراهيم العباسي وحمزة بن الربيع وهو ابن الربيع المصلوب على التشيع وفي رواية الصدوق لايستفزّه شيء ولايغيّره تقول استفززته إذا ازعجته وأفزعته وهززت سرّه وحيرت فؤاده واستفزّه الخوف: استخفّه .

٣٧٤ - ٧ (الكافي - ١: ١١٠) علي، عن أبيه، عن العباس بن عمرو، عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي سأل أبا عبدالله (عليه السلام) فكان من سؤاله أن قال له: فله رضا وسخط؟ .

فقال: أبو عبدالله (عليه السلام) «نعم ولكن ليس ذلك على مايوجد من المخلوقين وذلك أن الرضا حال تدخل عليه فتنقله من حال إلى حال لأن المخلوق أجوف معتمل مركب للاشياء فيه مدخل وخالقنا لامدخل للأشياء فيه لأنه واحد و-أحدي الذات و-أحدي المعنى فرضاه ثوابه وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيّجه و ينقله من حال إلى حال لأنّ ذلك من صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين» .

بيـــان:

في توحيد الصدوق: أنّ الرضا دخّال و-أحدي الذات أحدي المعنى-بدون الواو ين وانّما كان المخلوق أجوف لأنه مزدوج الحقيقة فيه تركيب من الوجود والعدم كما مضى بيانه في باب النسبة وإليه الاشارة بقوله (عليه السلام) «مركب» وفيه إشارة إلى جواز اطلاق الصمد على الله سبحانه بمعنى مالاجوف له و«المُعْتَمَل» الذي عمل فيه غيره وزاد الصدوق بعد قوله (عليه السلام) «المحتاجين» وهو تبارك وتعالى القوي العزيز الذي لاحاجة به إلى شيء ممّا خلق وخلقه جميعاً محتاجون إليه إنّما خلق الأشياء من غير حاجة وسبب بل اختراعاً وابتداعاً قيل[1] في قوله (عليه السلام) «من غير حاجة»

[1] - هو السيد الداماد برد الله مضجعه - توجد هذه الجملة بخط علم الهدى رحمه الله بهامش الأصل.

نفي لمبادیء الأفعال الاختيارية التي فينا عنه سبحانه وعن أفعاله الاختيارية وقوله «ولاسبب» تصريح بأن السبب الغائي الحقيقي الذي هو غاية الغايات لأفعاله سبحانه نفس ذاته لاأمر وراء ذاته انتهى. و«الاختراع» مطلق الانشاء و«الابتداع» الانشاء من غير مثال.

قال أبوجعفر محمد بن يعقوب الكليني [1] (رحمه الله) في آخر هذا الباب جملة القول في صفات الذات وصفات الفعل أنّ كلّ شيئين وصفت الله بهما وكانا جميعاً في الوجود فذلك صفة فعل وتفسير هذه الجملة أنك تثبت في الوجود مايريد ومالايريد ومايرضاه ومايُسخطه ومايحبّ ومايبغض فلوكانت الارادة من صفات الذات مثل العلم والقدرة كان مالايريد ناقضاً لتلك الصفة ألا ترى أنّا لانجد في الوجود مالايعلم ومالايقدر عليه وكذلك صفات ذاته الأزلي إلى آخر ماقاله ممّالامدخل لبقيّته في زيادة التبيين وملخّصه أنّ مايختلف من صفاته سبحانه بالنسبة إلى المخلوقات فهو من صفات الفعل ومالايختلف بالإضافة إليها، بل يشمل كلّها على نسق واحد فهو من صفات الذات وقدحقّقنا ذلك في أول الأبواب بمالامزيد عليه .

١ . فيا ذكره في الكافي نظر من وجوه يظهر و ينكشف عند التأمل منه (رحمه الله).

- ٤٥ -
باب حدوث الأسماء

٣٧٥ - ١ (الكافي - ١:١١٢) علي بن محمد، عن صالح بن أبي حمّاد، عن الحسين بن يزيد، عن ابن أبي حمزة، عن ابراهيم بن عمر، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال

«إن الله تعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوت و باللفظ غير منطق و بالشخص غير مجسّد و بالتشبيه غير موصوف و باللون غير مصبوغ منفي عنه الاقطار، مُبَعَّد عنه الحدود، محجوب عنه حسّ كلّ متوهّم، مستتر غير مُسَتَّر [1] فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها وحجب واحداً منها وهو الاسم المكنون المخزون فهذه الأسماء التي ظهرت فالظاهر هو الله تعالى وسخّر سبحانه لكلّ اسم من هذه الأسماء أربعة أركان فذلك إثناعشر ركناً، ثم خلق لكلّ ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها فهو: الرحمن. الرحيم. الملك. القدّوس. الخالق. البارىء. المصوّر. الحيّ. القيّوم لا تأخذه سنة ولانوم. العليم. الخبير. السميع. البصير. الحكيم. العزيز. الجبار. المتكبّر. العليّ. العظيم. المقتدر. القادر.

١ . غير مستور، كذا في الكافي المطبوع وكذلك في المخطوطين.

السلام. المؤمن. المهيمن. الباریء. المنشيء. البديع. الرفيع. الجليل. الكريم. الرازق. المحيي. المميت. الباعث. الوارث. فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنىٰ حتى ـيتم [١] ثلاثمائة وستين اسماً فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب الإسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة وذلك قوله تعالى: قُلِ ادْعُوا اللّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَآءُ الحُسْنىٰ [٢].

بيـان:

الإسم مادلّ على الذات الموصوفة بصفة معيّنة سواء كان لفظاً أو حقيقة من الحقائق الموجودة في الأعيان فإنّ الدلالة كما تكون بالألفاظ كذلك تكون بالذوات من غير فرق بينهما فيما يؤول إلى المعنى بل كلّ موجود بمنزلة كلام صادر عنه تعالى دالّ على توحيده وتمجيده، بل كل منها عند أولي البصائر لسان ناطق بوحدانيّته يسبّح بحمده ويقدّسه عمّالايليق بجنابه كما قال تعالى وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ [٣].

بل كلّ من الموجودات ذكر وتسبيح له تعالى إذ يفهم منه وحدانيّته وعلمه واتّصافه بسائر صفات الكمال وتقدسه عن صفات النقص والزوال قوله (عليه السلام) «مستتر» من الاستتار «غير مُسَتَّر» من التستير على البناء للمفعول إشارة إلى أنّ خفاءه وعدم نيله انّما هو لضعف البصائر والأبصار لاأنّه جعل عليه ستر أخفاه وكأنّ الاسم الموصوف بالصفات المذكورة إشارة إلى أوّل ماخلق الله الذي مرّ ذكره في باب العقل، أعني النور المحمّدي والروح الأحمدي والعقل الكلّي وأجزاءه الأربعة إشارة إلى جهته الإلٰهيّة والعوالم الثلاثة التي يشتمل عليها أعني عالم العقول المجرّدة عن المواد والصوّر. وعالم الخيال المجرّد عن المواد دون الصور وعالم الأجسام المقارنة للمواد .

وبعبارة أخرى إلى الحسّ والخيال والعقل والسرّ وبثالثة إلى الشهادة والغيب وغيب الغيب وغيب الغيوب وبرابعة الى الملك والملكوت والجبروت واللاهوت ومعيّة

١ . تتم، كذا في الكافي المطبوع والمخطوط.
٢. الاسراء/١١٠
٣. الاسراء/٤٤

الأجزاء عبارة عن لزوم كلّ منها الآخر وتوقّفه عليه في تماميّة الكلمة وجزؤه المكنون السر ّالإلٰهيّ والغيب اللاهوتي قوله فهذه الأسماء التي ظهرت كذا وجدت فيما رأيناه من نسخ الكافي والصواب بهذه الأسماء بالباء كما رواه الصدوق طاب ثراه في كتاب توحيده و يدلّ عليه آخر الحديث حيث قال:

وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة،فالظاهر هو الله يعني أن الظاهر بهذه الأسماء الثلاثة هو الله فانّ المسمّى يظهر بالإسم و يعرف به والأركان الأربعة الحياة والموت والرزق والعلم التي وُكّل بها أربعة أملاك هي إسرافيل وعزرائيل وميكائيل وجبرائيل وفعل الأول نفخ الصور والأرواح في قوالب المواد والأجساد واعطاء قوّة الحسّ والحركة لانبعاث الشوق والطلب وله ارتباط مع المفكّرة ولولم يكن هو لم ينبعث الشوق والحركة لتحصيل الكمال في أحد .

وفعل الثاني تجريد الأرواح والصور عن الأجساد والموادّ وإخراج النفوس من الأبدان وله ارتباط مع المصورة ولولم يكن هو لم يمكن الاستحالات والانقلابات في الأجسام ولاالاستكمالات والانتقالات الفكريّة في النفوس ولاالخروج من الدنيا والقيام عند الله للأرواح بل كانت الأشياء كلّها واقفة في منزل واحد ومقام أوّل .

وفعل الثالث إعطاء الغذاء والإنماء على قدر لائق وميزان معلوم لكلّ شيء بحسبه وله ارتباط مع الحفظ والإمساك ولولم يكن هو لم يحصل النشوء والنماء في الأبدان ولاالتطوّر في أطوار الملكوت في الأرواح ولاالعلوم الجمّة للفطرة .

وفعل الرابع الوحي والتعليم وتأدية الكلام من الله سبحانه الى عباده وله ارتباط مع القوة النطقية ولولم يكن هو لم يستفد أحد معنى من المعاني بالبيان والقول ولم يقبل قلب أحد إلهام الحقّ والقاؤه في الروع وهاهنا أسرار لايحتملها المقام .

٣٧٦ - ٢ (**الكافي - ١:١١٣**) القمي، عن الحسين بن عبدالله، عن محمد بن عبدالله وموسى بن عمر والحسن بن علي بن عثمان،عن ابن سنان قال: سألت أباالحسن الرضا (عليه السلام) هل كان الله تعالى عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ .

قال «نعم» قلت: يراها و يسمعها قال «ماكان محتاجاً إلى ذلك لأنّه لم يكن يسألها ولايطلب منها هو نفسه ونفسه هو قدرته نافذة،فليس يحتاج أن يسمّي نفسه ولكنه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها لأنّه إذا لم يدع باسمه لم يُعرف فأوّل ما اختار لنفسه العلي العظيم لأنه أعلى الأشياء كلّها فعناه الله واسمه العلي العظيم هو أوّل أسمائه علا على كلّ شيء » .

بيــان:

لله سبحانه العلوّ الحقيقي كما أنّ له العلوّ الاضافي والأوّل من خواصه سبحانه لايشاركه فيه غيره ولهذا قال اختار لنفسه «العلي العظيم» وجعله أول أسمائه لعدم توقّف تعقله على تعقل الغير وجعل «الله» المعني لأنّه بازاء الذات غير مفهوم المعنى للخلق فهو المسمّى و«العلي العظيم» الإسم لأنّه وسيلة إلى فهم المعنى .

٣٧٧ ـ ٣ (**الكافي ـ ١:١١٣**) بهذا الأسناد، عن محمد بن سنان قال: سألته عن الإسم ماهو؟ قال «صفة لموصوف» [1].

بيــان:

في هذا إشارة إلى ماذكرنا من معنى الاسم .

٣٧٨ ـ ٤ (**الكافي ـ ١:١١٣**) محمد بن أبي عبدالله، عن محمدبن إسماعيل، عن بعض أصحابه،عن بكر بن صالح، عن علي بن صالح،عن الحسن بن محمدبن

١ . وقال برهان الفضلاء يعني سألت الرضا عليه السلام عن الإسم ماهو؟ قال «صفة» أي ثناء في الأذهان الحادثة للمثنى عليه ليس فيه ولاعينه بل أمر حادث له.

وقال الفاضل الاسترابادي رحمه الله: صفة لموصوف يعني كيفية قائمة بالهواء فيمتنع أن يكون عين المسمّى كما توهم جمع أو معناه مفهوم كلّي هو صفة انتزاعيّة لذلك الشخص جل جلاله. ذكره الهدايا ثم قال: أقول: يعني علامة لفظية بمدلولها النفسي لموصوف قديم أو حادث فدلالته على حدوث مطلق الأسماء. انتهى «ض.ع».

خالد بن يزيد، عن عبدالأعلى، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «اسم الله غير الله [١] وكلّ شيء وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ماخلا الله، فامّا ماعبّرته الألسن ـ أو عملت [٢] الأيدي فهو مخلوق والله غاية مَنْ غاياته [٣] والمغيى غير الغاية والغاية موصوفة وكلّ موصوف مصنوع وصانع [٤] الأشياء غير موصوف بحدّ مسمّى لم يتكون فتعرف كينونيّته بصنع غيره ولم يتناه إلى غاية إلّا كانت غيره لايذل [٥] مَنْ فَهِم هذا الحكم أبداً وهو التوحيد الخالص فارعوه [٦] وصدقوه وتفهموه باذن الله مَن زعم أنه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال فهو مشرك لأنّ حجابه ومثاله وصورته غيره وإنّما هو واحد ـ موحد [٧] فكيف يوحّده من زعم أنه عرفه بغيره وإنّما عرف الله من عرفه بالله فمن لم يعرفه به فليس يعرفه انّما يعرف غيره ليس بين الخالق والمخلوق شيء والله خلق [٨] الأشياء لامن شيء كان. والله يسمّى بأسمائه وهو غير أسمائه والأسماء غيره» .

١ ـ في الكافي المطبوع اسم الله غيره وكذا في المخطوط «م» وفي المخطوط «خ» جعله على نسخة.

٢ ـ أو عملته، كذا في الكافي المخطوط «م».

٣ ـ غاياه ـ خ ل.

٤ ـ قوله: «وصانع الأشياء غير موصوف بحد» أي بنهاية أو صفة هي من صفات الممكن وتوابع الامكان وقوله «مسمى لم يتكون» خبر لصانع الأشياء بعد خبر أو خبر لمبتدأ محذوف أي هو مسمّى لم يتكون فيكون محدثاً بفعل غيره فيعرف كينونيته وصفات حدوثه بصنع صانعه كما تعرف المعلولات بالعلل وقوله «ولم يتناه الى غاية» أي لم يتناه من حيث الفعل والايجاد إلى نهاية إلّا كانت هذه النهاية غيره ومبائنة له غير محمولة عليه وقوله «لايذل من فهم هذا الحكم أبداً» أي لايذل ذل الجهل والضلال من فهم هذا الحكم وعرف سلب جميع مايغايره عنه وهو (أي سلب جميع مايغايره عنه التوحيد الخالص وقوله «فارعوه» من الرعاية وفي بعض النسخ فاوعوه بالواو أي فاحفظوه.

وفي بعضها بالدال أي كونوا مذعنين له مصدقين به والمعاني فيها متقاربة وقوله «من زعم أنه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال» أي بحقيقة من الحقائق الامكانية كالجسم أو النور أو بصفة من صفاتها التي هي عليها كما أسند إلى القائلين بالصورة أو بصفة من صفاتها عند حصولها في العقل كما في قول الفلاسفة في رؤية العقول المفارقة فهو مشرك لأن الحجاب والصورة والمثال كلّها مغايرة له غير محموله عليه فمن عبد الموصوف بها عبد غيره فكيف يكون موحداً له عارفاً به إنّما عرف الله من عرفه بذاته وحقيقته المسلوبة عنه جميع مايغايره فمن لم يعرفه به فليس يعرفه وكل مايغايره مخلوق إذ ليس بين الخالق والمخلوق شيء والله خالق الأشياء لامن شيء كان سابقاً على المخلوقات إذ لاواسطة بين الخالق والمخلوق والله يسمّى بأسمائه وهي غيره وكل مايغايره مخلوق له فالاسم مخلوق له محدث. رفيع (رحمه الله).

٥ ـ لايزل ـ الكافي المطبوع.

٦ ـ فادعوه ـ كذا في الكافي المخطوط.

٧ ـ متوحد ـ الكافي المطبوع.

٨ ـ خالق الأشياء ـ الكافي المطبوع وكذلك في الكافيين المخطوطين.

بيـــان:

«اسم الله غيرالله»سواء أريد بـه اللفظ أو الكتابة أو المفهوم الذي يفتقر في وجوده وتـعـقـلـه إلى غـيـره وهـذا الحـكم ظاهر «ماخلا الله» أي ماخلا ذاته ومعناه المسمّى بالاسم الله «ماعَبّرته الألسن» بالتخفيف من العبارة اشار به إلى الأسماء الملفوظة «أو عـمـلـت الأيدي» أشار به إلى الأسماء المكتوبة «فهو مخلوق» فيه إشارة إلى ردّ مذهب مـن زعم أنّ القرآن قديم أو الكلام عين المتكلّم أو الاسم عين المسمّى «والله غاية من غـايـاتـه» أي المـفـهـوم مـن اسـم الله حدّ من حدود ماعبرته الألسن أو عملته الأيدي يـنـتهـيـان إلـيـه والمغيّى إن كانت بالمعجمة والتحتانيّة كما يوجد في النسخ التي رأيناها بمعنى ذي الغاية .

فـالمراد بـقوله (عليه السلام) «والمغيّى غير الغاية» أنّ ماعبرته الألسن أو عملته الأيـدي غير المـفـهوم منهما والمفهوم منهما موصوف بهما و «كلّ موصوف مصنوع » لأنه يصنعه الـواصـف في ذهـنه وإن كانت بالمهملة والنون كما هو الأظهر فالمراد أن المقصود باسم «الله» يـعني ذاتـه سبـحانه وتعالى غير الغاية أي الاسم «ولم يتناهِ الى غاية» أي لم يحد بحـد ومـفـهـوم وعـلامـة «هـذا الحـكـم» أي الحكمـة أو القضاء والحكم جاء بالمعنيين «فـارعـوه» إمّا بالوصل من الرعاية بمعنى الحفظ وإمّا بالقطع من الارعاء بمعنى الإصغاء وتمام الحديث قدمضى بيانه .

-٤٦-
باب معانی الأسماء

١ - ٣٧٩ (الكافي - ١١٤:١) العدة، عن البرقي، عن القاسم، عن جده،عن عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن تفسير بسم الله الرحمن الرحيم .

قال «الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مجد الله» وروي بعضهم: «الميم ملك الله والله إله كلّ شيء الرحمن بجميع خلقه والرحيم بالمؤمنين خاصة» .

بيــان:

أشير بهذا التفسير الى علم الحروف فإنّه علم شريف يمكن أن يستنبط منه جميع العلوم والمعارف كلياتها وجزئياتها إلّا انّه مكنون عند أهله وكأنّ الرحمن انّما هو من الرحمة التي وسعت كلّ شيء والرحيم من الرحمة التي يختص بها من يشاء من عباده قال أستادنا (قدّس الله سرّه) بعد تحقيق معنى الرحمة على مايفهمه الجمهور وإذا أُطلق بعض هذه الصفات على الله فلابدّ أن يكون هناك على وجه أعلى وأشرف لأن صفات كلّ موجود على حسب وجوده،فصفات الجسم كوجوده جسمانية وصفات النفس نفسانية وصفات العقل عقلانية وصفات الله إلٰهيّة لا كما عليه كثير من أهل التميز من أن ينكر هذه الصفات في حقّ الله رأساً و يقال انّ أسماء الله إنّما تطلق باعتبار

الغايات التي هي الأفعال دون المبادىء التي تكون انفعالات وهذا من قصور العلم وضيق الصدر وعدم سعة التعقّل حيث لم يدركوا مقامات الوجود ومواطنه ومعارجه ومنازله وأحواله في كلّ موطن ومقام فوقعوا في مثل هذا التعطيل الخالي عن التحصيل وبالجملة العوالم متطابقة،فاوجد من الصفات الكمالية في الأدنى يكون في الأعلى على وجه أرفع وأشرف وأبسط قال:فافهم هذا التحقيق واغتنم فانّه عزيز جدّاً .

٣٨٠ - ٢ (**الكافي - ١:١١٤**) بهذا الاسناد، عن الحسن بن راشد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال: سُئل عن معنى «الله» فقال «استولى على مادقّ وجلّ» .

بيــان:

لما كان الله اسماً للذات الأحديّة القيوميّة فسّر بمايختص به الذات وهو استيلاؤها على الدقيق والجليل .

٣٨١ - ٣ (**الكافي - ١:١١٥**) علي بن محمد، عن سهل، عن يعقوب بن يزيد، عن العباس بن هلال قال: سألت الرضا (عليه السلام) عن قول الله تعالى: **اللّٰهُ نُورُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ** [1] فقال هاد لأهل السماء وهاد لأهل الأرض» [2].

٣٨٢ - ٤ (**الكافي - ١:١١٥**) وفي رواية البرقي «هادي من في السماء وهادي من في الأرض» .

بيــان:

في بعض النسخ هدى بدل هادي في المواضع الأربعة .

١ - النور/٣٥

٢ - فقال هاد لأهل السماء والأرض. كذا في الكافي المخطوط «خ».

٣٨٣ ـ ٥ (الكافي ـ ١:١١٥) القميان، عن صفوان، عن فضيل بن عثمان، عن ابن أبي يعفور قال سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله تعالى: هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ [1] وقلت أمّا الأول فقد عرفناه وأمّا الآخر فبيّن لنا تفسيره.

فقال: «إنّه ليس شيء إلّا يبيد[2] أو يتغيّر أو يدخله التغيّر والزوال أو ينتقل من لون الى لون ومن هيئة الى هيئة ومن صفة الى صفة ومن زيادة الى نقصان ومن نقصان الى زيادة إلّا ربّ العالمين فانّه لم يزل ولايزال بحالة واحدة هو الأول قبل كلّ شيء وهو الآخر على مالم يزل ولاتختلف عليه الصفات والأسماء كما تختلف على غيره مثل الانسان الذي يكون تراباً مرّة ومرّة لحماً ودماً ومرة رفاتاً ورميماً وكالبسر الذي يكون مرّة بلحاً ومرّة بُسراً ومرّة رطباً ومرّة تمراً فتتبدل عليه الأسماء والصفات والله تعالى بخلاف ذلك».

بيان:

«يبيد» يهلك و«الرفاة» مادُقّ وكسر وتفتت كالفتات و«الرميم» مابلي من العظام والبُسر بضم الموحدة والمهملتين مالم ينضج بعد من الرطب وأول مايبدو من

١ . الحديد/٣

٢ . قوله: «انه ليس شيء إلّا يبيد إلى آخره» باد الشيء يبيد بيداً هلك وكل شيء من المخلوقات يهلك بزوال حقيقته أو يتغيّر بزوال فرد وحصول آخر كأفراد الحرارة والبرودة أو يدخله التغير والزوال كالمواد القوابل لتلك الأفراد أو حقائق الصور التي تزول عنها لايبدل أو ينتقل من لون الى لون أي من نوع الى نوع أو من فاصل عن غيره الى آخره.

كالمواد المنتقلة من نوع كالمائية الى آخر كالأرضية ومن هيئة الى هيئة أي كيفية موجودة الى كيفية أخرى موجودة ومن صفة الى صفة والصفة مايوصف به الشيء و يشمل الاعتباريات ومن زيادة الى نقصان ومن نقصان الى زيادة كالاختلاف والتغير في الكميات المتصلة والمنفصلة وكل شيء لها نهاية وزوال إلّا ربّ العالمين فانه لم يزل ولايزال بحالة واحدة هو الأول قبل كلّ شيء فانه مبدأ كل شيء وفاعله وهو الآخر لعدم زواله وعدم تغير صفاته واسمائه الدالة على الصفات كاختلافها على غيره كالانسان الذي يكون بمادّته تراباً مرة ومرة لحماً ودماً ومرة رفاتاً ورميماً.

الرفات كل مادقّ وكسر وغلب استعماله في العظم والرّميم: العظم البالي وكالبسر الذي يكون مرة بلحاً والبلح بالحاء المهملة مابين الخلال والبسر وثمر النخل اذا خضر واستدار فخلال فاذا عظم فبسر فاذا انتهى نضجه فرطب فاذا جفّ و يبس فتمر فالبسر في التبدل والتغير في الصفات والأسماء وكذا الانسان وسائر المخلوقات فلجميع المخلوقات زوال بوجه وهو سبحانه باق لايزول بوجه من الوجوه.

فهو الآخر الباقي بعد زوال الأشياء وفنائها. رفيع رحمه الله.

النخلة يقال له ـ طلع ـ ثم خلال ثم ـ بلح ـ بالموحدة والمهملة وفتح اللام ثم ـ بسر ـ ثم ـ رطب ـ ثم ـ تمر ـ أراد (عليه السلام) ان الله سبحانه لم يستفد من خلقة العالم كمالاً كان فاقداً له قبل الخلق بل إنّه كما كان في الأزل يكون في الأبد من غير تغيّر فيه فهو الأوّل وهو بعينه الآخر يكون كما كان بخلاف غيره من الأشياء فانّها إنّما خلقت لغايات وكمالات تستفيدها الى نهاية اجالها فالأوّل منها غير الآخر .

٣٨٤ ـ ٦ **(الكافي ـ ١: ١١٦)** الثلاثة، عن ابن أذينة، عن محمد بن حكيم، عن ميمون البان قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) وقد سُئل عن الأول والآخر فقال «الأوّل لاعن أوّل قبله ولاعن بدىء سبقه [1] واخر [2] لاعن نهاية كما يعقل من صفة المخلوقين ولكن قديم أوّل آخر لم يزل ولايزول بلابدىء ولانهاية لايقع عليه الحدوث ولايحول من حال الى حال خالق كلّ شيء» .

بيـان:

في قوله (عليه السلام) «أوّل آخر» بدون العطف إشارة الى أن أوليته عين آخريته ليدلّ على أن كونه قديماً ليس بمعنى القدم الزماني أي الامتداد الكمّي بلانهاية إذ وجوده ليس بزماني بل هو فوق الزمان والدهر نسبته الى الأزل كنسبته الى الأبد فهو بما هو أزلي أبدي وبما هو أبدي أزلي فهو وإن كان مع الأزل والأبد لكن ليس في الأزل ولافي الأبد حتى يتغيّر ذاته وإليه الإشارة بقوله «لايقع عليه الحدوث» .

٣٨٥ ـ ٧ **(الكافي ـ ١: ١١٦)** محمد بن أبي عبدالله رفعه الى أبي هاشم الجعفري قال كنت عند أبي جعفر الثاني (عليه السلام) فسأله رجل فقال: أخبرني عن الربّ تبارك وتعالى له أسماء وصفات في كتابه؟ وأسمائه وصفاته هي هو؟

١ . قوله: «الأول لاعن أول قبله ولاعن بدء سبقه مضمون هذه الرواية كمفاد الرواية السابقة فلاحاجة الى تفسيرها وشرحها وقوله لايقع عليه الحدوث ناظر الى الأولية وقوله لايحول من حال الى حال ناظر الى الآخرية. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . في الكافي المطبوع والمخطوط. (خ) والآخر ولكن في «المخطوط، م» وآخر كما في المتن.

فقال أبوجعفر (عليه السلام):

«إنّ لهذا الكلام وجهين إن كنت تقول هي هو أي إنّه ذوعدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك وإن كنت تقول هذه الصفات والأسماء لم تزل فإنّ (لم تزل) محتمل معنيين فان قلت لم تزل عنده في علمه وهو مستحقّها، فنعم وإن كنت تقول لم تزل تصويرها ـ وهجاها [1] وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره بل كان الله ولاخلق، ثم خلقها وسيلة بينه و بين خلقه يتضرّعون بها إليه و يعبدونه وهي ذكره وكان الله ولاذكر والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل والأسماء والصفات مخلوقات والمعاني والمعنيّ بها هو الله الذي لايليق به الاختلاف ولاالائتلاف وانّما يختلف و يأتلف المتجزيء فلايقال ـ الله مؤتلف ـ ولاالله قليل ولاكثير ـ ولكنه القديم في ذاته لأن ماسوى الواحد متجزىء .

والله واحد لامتجزىء ولامتوهّم بالقلة والكثرة وكلّ متجزىء أو متوهّم بالقلّة والكثرة فهو مخلوق دال على خالقٍ له فقولك إن الله قدير خبّرت أنه لايعجزه شيء فنفيت بالكلمة العجز وجعلت العجز سواه وكذلك قولك عالم انّما نفيت بالكلمة الجهل وجعلت الجهل سواه وإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع ولايزال من لم يزل عالماً» فقال الرجل فكيف سمّينا ربّنا سميعاً؟ فقال «لأنه لايخفى عليه مايدرك بالاسماع ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس وكذلك سميناه بصيراً لأنّه لايخفى عليه مايدرك بالأبصار من لون أو شخص أو غير ذلك. ولم نصفه ببصر لحظة العين وكذلك سمّيناه لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وأخفى من ذلك وموضع النشوء منها والعقل والشهوة للسّفاد والحدب على نسلها وأقام بعضها على بعض ونقلها الطعام والشراب الى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار فعلمنا أنّ خالقها لطيف بلاكيف وانّما الكيفيّة للمخلوق المكيف وكذلك سمينا ربّنا قوياً لابقوة البطش المعروف من المخلوق ولوكانت قوته قوة البطش المعروف من

---

١ . في الكافي المطبوع والمخطوط «خ» وهجاؤها.

المخلوق لوقع التشبيه ولاحتمل الزيادة وما احتمل الزيادة احتمل النقصان وما كان ناقصاً كان غير قديم وما كان غير قديم كان عاجزاً فربّنا تبارك وتعالى لاشبه له ولاضدّ ولاندّ ولا كيف ولانهاية ولا تبصار بصر ومحرم على القلوب أن تمثله وعلى الأوهام أن تحدّه وعلى الضمائر أن تكونه جلّ وعزّ عن أدات خلقه وسمات بريّته وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

بيــان:

في توحيد الصدوق رفع رفعه بمحمدبن بشر قوله و«هي ذكره» ربّما يجعل الضمير في تاء بمعنى الذكرى وارادة مابه الذكرى وفيه تكلّف لفقد التاء فيمابعده قيل قوله والمعاني محذوف الخبر يعني مخلوقات والأولى أن يجعل مبتدأ ويجعل المعنّى بها عطف تفسير [1] له بارجاع الضمير المجرور الى الأسماء والصفات وفي بعض النسخ مخلوقات المعاني بدون الواو «ولايزال من لم يزل عالماً» أي ولايزال عالماً يعني به ان عالميّته وسائر صفاته الذاتيّة إنّما هي بنفس ذاته الأحديّة الحقّة القديمة لابالأسماء والصفات «بالسمع المعقول» أي المحبوس و«موضع النشوء» منها أي لعلمه بموضع النشوء منها من نشأ ينشأ بمعنى: النماء وقيل بل هو بالواو والتاء بمعنى السكر لاقترانه بالعقل وفيه تكلف مع ان اقتران الجسد بالعقل بمعنى الرّوح أشمل و«السفاد» بكسر السين قبل الفاء نزو الذكر على الأنثى و«الحدب» على القوم باهمال الحاء والدال و بالتحريك العطف والشفقة عليهم و«إقام» بعضها بكسر الهمزة أي كونه مقيماً قواماً قويّاً عليه قائماً بأموره حافظاً لأحواله وأصله اقامة .

وفي توحيد الصدوق وافهام بعضها عن بعض موافقاً لخبر فتح الآتي في الباب التالي لهذا الباب وقيل معنى اللطيف فاعل اللطف وهو مايقرّب العبد الى الطاعة و يبعّده عن المعصية ويمكن الجمع بين المعنيين بأن يقال اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها ومادقّ منها ولطف ثم يسلك في ايصالها الى المستصلح سبيل الرفق دون

١ . عطف بيان: ف ق ك

العنف، فاذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الادراك تمّ معنى اللطف «والقفر» بتقديم القاف المفازة التي لانبات فيها ولاماء و«التبصار» تفعال من البصر «عن أدات خلقه» إمّا بفتح الهمزة بمعنى الآلة أي عن نيلها إيّاها ولم تكتب بالتاء المدورة لأنها ليست بمحل وقف أو بكسرها بمعنى المعونة أو جمع «الإدَة» بمعنى الثقل وفيها تكلف ارتكبه متكلف الذكره والنشوه «والسمة» ـ بالكسر: العلامة .

٣٨٦ ـ ٨ (الكافي ـ ١:١١٧) علي بن محمد، عن سهل، عن السراد عمّن ذكره عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رجل عنده: الله أكبر فقال «الله أكبر من أي شيء» [١] فقال من كلّ شيء فقال: أبو عبدالله (عليه السلام) «حددته» فقال الرجل كيف أقول؟ قال «قل الله أكبر [أكبر] من أن يوصف» .

٣٨٧ ـ ٩ (الكافي ـ ١:١١٨) ورواه محمد، عن ابن عيسى، عن مروك بن عبيد، عن جميع بن عمير قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام) «أي شيء الله أكبر»؟ فقلت: الله أكبر من كلّ شيء فقال «وكان ثَمّ شيء فيكون أكبر

١ . قوله: الله أكبر من أي شيء؟... هذا استعلام عن مراد القائل انه هل أراد اتصافه سبحانه بالشدة والزيادة في الكبر الذي يعقل في المخلوق فيلزم اتصافه بالكبر الاضافي أو أراد نفي اتصافه سبحانه بمايعقل من الصفات التي في المخلوقات فلمّا أجاب القائل بقوله من كل شيء علم انه أراد الاتصاف بالكبر الاضافي فنبه على فساده بقوله حددته لأن المتصف بصفات الخلق محدد بحدود الخلق غير خارج عن مرتبتهم فلمّا علم القائل خطاؤه قال كيف أقول أي في تفسير الله أكبر ومعناه فأجاب (عليه السلام) بقوله قل الله أكبر من أن يوصف ومعناه اتصافه بنفي صفاته المخلوقين عنه وتعاليه عن أن يتصف بها.

فلفظ أكبر هاهنا ليس مستعملاً فيا يعقل من المعاني الحقيقية للتفضيل انّما استعمل في نفي هذه الصفات وتعاليه سبحانه عن الاتصاف بها فيكون استعمالاً للفظ في لازم معناه الحقيقي فان الأشد والأزيد في صفة مشتركة بين المفضّل والمفضّل عليه خارج عن مرتبة المفضل عليه غير محاط بها واستعمل في الخروج عن مرتبة غيره ونفي المحاطية بتلك المرتبة مجرداً عن الاشتراك في اصل الصفة كما ان القدرة من لوازمها نفي العجز والعلم من لوازمه نفي الجهل والسمع من لوازمه نفي خفاء مايدرك بالسمع والبصر من لوازمه نفي خفاء مايدرك بالبصر واستعملت هذه الصفات فيه سبحانه باعتبار اللوازم لاباعتبار تحقق المعقول من صفاتنا فيه سبحانه. رفيع ـ (رحمه الله).

منه»؟ فقلت فما هو؟ [١] قال «الله أكبر من أن يوصف» .

بيـان:

«حدّدتـه» بـالتشديد من التحديد أي جعلت له حدّاً محدوداً وذلك لأنه جعله في مقابلة الأشياء ووضعه في حدّ والأشياء في حدّ آخر ووازن بينهما مع أنه محيط بكلّ شيء لايخرج ـ عن [٢] معيّته وقيوميّته شيء كما أشار إليه بقوله (عليه السلام) وكان ثَمّ شيء يعني مع ملاحظة ذاته الواسعة واحاطته بكلّ شيء ومعيّته للكل لم يبق شيء تنسبه إليه بالأكبريّة بل كلّ شيء هالك عند وجهه الكريم وكلّ وجُودٍ وكمال وجود مضمحل في مرتبة ذاته ووجوده القديم .

٣٨٨ ـ ١٠ (الكافي ـ ١:١١٨) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن سبحان الله فقال «أَنَفة لله» .

بيـان:

يعني تنزيه لذاته الأحدية عن كل مالايليق بجنابه يقال أنف من الشيء اذا استنكف عنه وكرهه وشرف نفسه عنه و«سبحان» مصدر منصوب بفعل مضمر .

٣٨٩ ـ ١١ (الكافي ـ ١:١١٨) أحمد بن مهران، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني عن ابن اسباط عن سليمان مولى طربال [٣] عن هشام الجواليقي قال: سألت أبا

١ . في الكافي المطبوع وماهو ولكن في نسخة المخطوط «م» و«خ» فما هو، كما في المتن.

٢ . من، ف.

٣ . قوله: عن سليمان مولى طربال وفي بعض النسخ سليم مولى طربال وفي (ش) و(ق) من (جخ) سليمان مولى طربال وفي (ق) سليم مولى طربال كوفي وقوله تنزيه وفي بعض النسخ تنزيه أي معنى سبحان الله والمقصود به تنزيه الله سبحانه قوله اجماع الألسن عليه بالوحدانية أي معنى الواحد في أسمائه وصفاته سبحانه ماأجمع عليه الألسن من وحدانيته وتفرده بالخالقية والألوهية كقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله. رفيع ـ (رحمه الله).
وطربال بالكسر كلّ بناء عال واسم رجل وطرابيل الشام صوامعها «الهدايا». «ض.ع».

عبدالله (عليه السلام) عن قول الله سبحانَ اللهِ مايعني به؟ قال «تنزيه»[١].

٣٩٠ - ١٢ (الكافي - ١:١١٨) علي بن محمد ومحمد بن الحسن، عن سهل ومحمد، عن ابن عيسى جميعاً، عن أبي هاشم الجعفري قال: سألت أباجعفر الثاني (عليه السلام) مامعنى الواحد؟ فقال «إجماع الألسن عليه بالوحدانية كقوله وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ[٢]» .

بيــان:

يعني كما أن الغرائز الانسانية مجبولة بحسب الفطرة الأولى على الاعتراف بان الله واحد لاشريك له ولولاالأغراض النفسانية لمااختلف فيه إثنان ولهذا لماسألهم «ألست بربّكم»؟ قالوا«بلى» بالا تفاق كذلك في الفطرة الثانية لوخُلّوا وطبائعهم ولم يكن لهم غرض آخر وسألوا مَن الخالق إياهم ليقولن الله

روى أن زنديقاً دخل على الصادق (عليه السلام) فسأله عن الدليل على اثبات الصانع فاعرض عليه السلام عنه ثم التفت اليه وسأله «من أين أقبلت وماقصتك»؟ فقال الزنديق: إنّي كنت مسافراً في البحر فعصفت علينا الريح وتقلبت بنا الأمواج فانكسرت سفينتنا فتعلقت بساجة منها ولم يزل الموج يقلبها حتى قذفت بي الى الساحل فنجوت عليها.

فقال (عليه السلام) «أرأيت الذي كان قلبك إذا انكسرت السفينة وتلاطمت عليكم الأمواج فزعاً عليه مخلصاً له في التضرّع طالباً منه النجاة فهو «إلهك» فاعترف الزنديق بذلك وحسن اعتقاده وذلك من قوله تعالى: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ[٣] .

١. تنزيهه، الكافي المطبوع والمخطوط «م».
٢. الزخرف/٨٧
٣. الاسراء/٦٧

٣٩١ - ١٣ (الكافي - ١٢٣:١) علي بن محمد ومحمد بن الحسن، عن سهل،عن محمد بن الوليد ولقبه شباب الصيرفي عن داودبن القاسم الجعفري قال: قلت لأبي جعفر الثاني (عليه السلام) جعلت فداك ماالصمد؟ قال: «السيد المصمود إليه في القليل والكثير» .

بيـــان:

«المصمود اليه» المقصود.

٣٩٢ - ١٤ (الكافي - ١٢٣:١) العدة، عن البرقي، عن العبيدي، عن يونس عن الحسن بن السري،عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سألت أباجعفر (عليه السلام) عن شيء من التوحيد فقال «ان الله - تبارك وتعالى [1] أسماؤه التي يدعى بها وتعالى في علوّ كنهه - واحد توحّد بالتوحيد في توحّده ثم اجراه على خلقه فهو واحد صمد قدّوس يعبده كلّ شيء و يصمد اليه كلّ شيء ووسع كل شيء علماً» .

بيـــان:

«توحد بالتوحيد في توحّده» يعني أنّ كلّ واحد دون الله غير متوحّد في توحّده إذ قدوُجِدَت له في توحّده أمثال موجودة أو مفروضة فهو سبحانه كما لاشريك له في إلهيّته لاشريك له في أحديته وذلك لأن وحدته ليست من جنس الوحدة العدديّة التي تدخل في باب الأعداد ولاالوحدة المبهمة التي توصف بها الأنواع والأجناس «ثم اجراه على خلقه» يعني أجرى ظلّ التوحد [2] على الخلق كما أجرى فيض الوجود عليهم إذ الوحدة

١ . في الكافي «المخطوط، م- و- خ» وكذلك في الكافي المطبوع هكذا: انّ الله تباركت أسماؤه التي يدعى بها...
٢ . التوحيد ف، ق، ك ، ط .

في كلّ شيء هي عين وجوده بالذات وغيره بالاعتبار وهي فيه متشابكة بالكثرة ولذلك قال: «فهو واحد صمد» أي فهو فقط واحد ذلك الواحد صمد في وجوده لافرجة فيه «قدوس» في وحدته، لايمازجه كثرة فلذلك يعبده كلّ شيء طلباً لتتميم كماله الوجودي و«يصمد إليه كلّ شيء» تخلّصاً عن عالم التفرقة والكثرة إلى عالم الجمعية والوحدة وقوله «وسع كلّ شيء علماً» إشارة الى أن وحدته الذاتية كعلمه الذي هو نفس ذاته «وسعت كل شيء» لأنه مع كلّ شيء لابممازجة وغيره لابمباينة كما ورد عن أميرالمؤمنين (عليه السلام).

كذا أفاد أستادنا (قدس سرّه) في معنى هذا الحديث قال محمدبن يعقوب الكليني (طاب ثراه) بعد نقل هذا الحديث والذي قبله: فهذا هو المعنى الصحيح في تأويل الصمد لاماذهب اليه المشبهة أنّ تأويل الصمد المصمت الذي لاجوف له لأنّ ذلك لايكون إلّا من صفة الجسم والله جلّ ذكره متعال عن ذلك هو أعظم وأجلّ من أن تقع الأوهام على صفته أو تدرك كنه عظمته .

ولو كان تأويل الصمد في صفة الله تعالى المصمت لكان مخالفاً لقوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [1] لأنّ ذلك من صفة الأجسام المصمتة التي لاأجواف لها مثل الحجر والحديد وسائر الأشياء المصمتة التي لاأجواف لها تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً فأما ماجاء في الأخبار من ذلك فالعالم (عليه السلام) أعلم بماقال وهذا الذي قال (عليه السلام) «انّ الصمد هو السّيد المصمود اليه» هو معنى صحيح موافق لقول الله تعالى «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» [2] والمصمود اليه المقصود في اللغة قال أبوطالب في بعض ماكان يمدح به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من شعره:

وبالجمرة القصوى إذا صمدوا لها   يؤمون قذفاً [3] رأسها بالجنادل

يعني قصدوا نحوها يرمونها بالجنادل يعني الحصا الصغار التي تسمّى بالجمار .

وقال بعض شعراء الجاهلية:

١ . ٢ . الشورى/١١

٣ . هكذا في الكافي «المخطوط، م ـ و ـ خ» وفي المطبوع «رضخاً» مكان «قذفاً» وجعل قذفاً على نسخة «ض.ع» .

مـا كـنـت أحسـب أن بـيـتـاً ظـاهـراً لله في أكـنـاف مـكّـة يُـصْـمَـد

يعني يقصد وقال ابن الزبرقان:

ولا رهـيـنـة إلّا سـيّـد صـمـد

وقال شداد بن معاوية في حذيفة بن بدر:

عَـلَـوتُـه بحُـسـام ثم قـلـت لـه خـذها حُذَيْفُ فأنـت السيد الصمد

ومثل هذا كثير والله تعالى هو السيد الصمد الذي جميع الخلق من الجنّ والإنس اليه يصمدون في الحوائج وإليه يلجأون عند الشدائد ومنه يرجون الرخاء ودوام النعماء ليدفع عنهم الشدائد، انتهى كلامه.

أقول:

وأنت قدعلمت أنّ تأويل الصّمد بمعنى مالاجوف له أيضاً صحيح لماأدريناك من قبل في باب النسبة وعلمتَ أنه قدجاء به روايات عن أهل العصمة (سلام الله عليهم أجمعين).

كما اعترف به شيخنا أبوجعفر الكليني (رحمه الله) ولاينافيه صحّة المعنى الذي ذكره بل له معان أُخر أيضاً كلّها صحيحة موافقة لأقوال أئمة اللغة قال ابن الأثير في النهاية في أسماء الله تعالى: الصمد هو السيد الذي انتهى اليه السؤدد .

وقيل: هو الدائم الباقي وقيل: الذي لاجوف له وقيل: الذي يصمد إليه في الحوائج أي يقصد .

-٤٧-

باب فرق ما بين المعاني التي تحت أسماء الله تعالى وأسماء المخلوقين

٣٩٣ - ١ (الكافي - ١:١١٨) علي، عن المختار بن محمد بن المختار الهمداني ومحمد بن الحسن، عن عبدالله بن الحسن العلوي جميعاً، عن الفتح بن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: سمعته يقول «وهو اللطيف الخبير السميع البصير الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد [١] لم يعرف الخالق من المخلوق ولا المنشيء من المنشأ لكنه المنشيء، فرق [٢] بين مَن جسّمه وصوّره وأنشأه اذ كان لايشبهه شيء ولايشبه هو شيئاً» قلت أجل جعلني الله فداك لكنك قلت «الأحد الصمد» وقلت «لايشبهه شيء» والله واحد والانسان واحد أليس قد تشابهت الوحدانيّة؟ قال «يافتح أحلت ثبتك الله إنّما التشبيه في المعاني فأما في الأسماء فهي واحدة وهي دالة على المسمّى وذلك انّ الإنسان وإن قيل واحد فانه يخبر أنه جثة واحدة وليس باثنين والانسان بنفسه [٣] ليس بواحد لأن أعضاءه مختلفة وألوانه مختلفة ومَنْ ألوانه مختلفة غير

١ . لوكان كما تقول المشبهة، هذه الزيادة توجد في الكافي «المخطوط - م و- خ» والكافي المطبوع.

٢ . فرق: اما اسم أي الفرق والامتياز لازم بينه سبحانه وبين من جسمه (أي أوجده جسماً أو اعطاه حقيقة الجسمية...) أو فعل أي فرق و بان بين الماهيات وصفاتها ولوازمها... «المرآة».

٣ . نفسه، الكافي المطبوع و«المخطوط، م- و- خ» والمرآة.

واحد وهو أجزاء مجزىء ليست بسواء دمه غير لحمه ولحمه غير دمه وعصبه غير عروقه وشعره غير بشرته [١] وسواده غير بياضه وكذلك سائر جميع الخلق فالانسان واحد في الاسم ولاواحد في المعنى والله تعالى هو واحد لاواحد غيره لااختلاف فيه ولا تفاوت ولازيادة ولانقصان فأمّا الإنسان المخلوق المصنوع المؤلف من أجزاء مختلفة وجواهر شتى غير أنه بالاجتماع شيء واحد» قلت جعلت فداك فرّجت عنّي فرّج الله عنك فقولك «اللطيف الخبير» فسّره لي كما فسرت الواحد فاني أعلم ان لطفه على خلاف لطف [٢] خلقه للفصل غير أني أحبّ أن تشرح ذلك لي .

فقال «يافتح؛ إنّما قلنا اللطيف للخلق اللطيف لعلمه بالشيء اللطيف أولا ترى وفّقك الله وثبّتك الى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف ومن الخلق اللطيف ومن الحيوان الصغار ومن البعوض والجِرجِس وماهو أصغر منها مالايكاد تستبينه العيون بل لايكاد يستبان لصغره الذكر من الأنثى والحدث المولود من القديم فلمّا رأينا صغر ذلك في لطفه واهتداؤه للسفاد والهرب من الموت والجمع لمايصلحه ومافي لجج البحار ومافي لحاء الأشجار والمفاوز والقفار وافهام بعضها عن بعض منطقها ومايفهم به أولادها عنها ونقلها الغذاء اليها ثمّ تأليف ألوانها حمرة مع صفرة و بياض مع حمرة وأنّه مالايكاد عيوننا تستبينه لدمامة خلقها لا تراه عيوننا ولا تلمسه أيدينا،علمنا أن خالق هذا الخلق لطيف

١ . بشره، الكافي المطبوع وكذلك في «المخطوط، خ» لكن في «المخطوط، م» بشرته كما في المتن.

٢ . قوله: «لطفه على خلاف لطف خلقه للفصل» أي لماعلمت من وجوب الفصل ونفي التشابه بينه و بين خلقه إلّا أني أحب أن تشرح ذلك لي وتبين معناه ومفهومه وقوله انّما قلنا اللطيف للخلق اللطيف... لعل المراد به ان اللطيف هو الشيء الدقيق ثم استعمل فيما هوسبب ومبدأ للدّقيق من القوة على صنعه والعلم به فيقال لصانعه أنه دقّ ولطف بصنعه وهو صانع دقيق في صنعه وللعالم به انه دقّ ولطيف بدركه وهو عالم دقيق في دركه وهوسبحانه قوي على خلق الدقيق لابقوة استعمال آلة وأداة وعالم بالدقيق لابكيفية نفسانية لاستحالة التشابه فانّما قلنا له اللطيف لمالايعجز عن خلقه وبخلقه لابالقوة التي نعقلها فينا ولا باستعمال اداة وآلة ولمالايجهلها ويحيط علمه بها لابكيفية نعقلها في نفوسنا.

فالمقصود باللطف فيه سبحانه نفي العجز عن خلق الدقيق ونفي الجهل بالدقيق وقوله أولا ترى وفقك الله وثبّتك الى أثر صنعه في النبات... تنبيه على نفي عجزه سبحانه عن خلق الدقيق ونفي جهله بالشيء الدقيق وأدقّ مافيه من الدقائق. رفيع ـ (رحمه الله).

لطف بخلق ماسمّيناه بلاعلاج ولاأداة ولاآلة وأنّ كل صانع شيء فمن شيء صنع، والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لامن شيء» .

بيــان:

عن أبي الحسن يعني الرضا (عليه السلام) كما شهد له ايراده الصدوق (طاب ثراه) في كتاب عيون أخباره (عليه السلام) وفيه وفي كتاب توحيده بعد قوله كفوًاً أحد منشيء الأشياء ومجسّم الأجسام ومصوّر الصّور ولوكان كما يقولون لم يعرف الخالق من المخلوق وكأنّ هذه الزيادة سقطت من قلم صاحب الكافي قوله «كما يقولون» يعني المشبهة وربما يوجد في بعض نسخ الكافي ولوكان كما يقول المشبهة لم يعرف «لكنه المنشيء» إمّا كلام تام ومابعده كلام آخر أو المنشيء بدل من الضمير ومابعده خبره «فرق» إمّا فعل ماضٍ أو منوّن «بين من جسّمه» أي بينه و بين من جسّمه «أجل» هو مثل نعم إلّا أنه أحسن منه في التصديق «ونعم» أحسن منه في الاستفهام «أحلت» أتيت بالمحال «ثبّتك الله» يعني على الحق «انّما التشبيه في المعاني» قيل يعني ليس في الحقيقة والذات تشبيه أصلاً وإنّما التشبيه في المفهومات المدلول عليها بلفظ واحد .

أقول:

بل المراد أنّ التشبيه الممنوع منه مايكون في المعاني يعني ماإذا شبّه ذاته بشيء من خلقه لامايكون في الأسماء باطلاق لفظ واحد عليه وعلى خلقه مع تعدّد المعنى المراد بذلك اللفظ و«كذلك سائر جميع الخلق» يعني وإن كان كلّ منها واحداً بسيطاً في الخارج فانه متعدد مركّب ذو أجزاء ولومن جنس وفصل وماهيّة وإنّية متغايرتين فالوحدانيّة الخالصة ليست إلّا لله سبحانه «من أجزاء مختلفة» هذا الظرف خبر للانسان، أو المؤلّف خبر أو المصنوع «للخلق اللطيف» الخلق هنا بمعنى المصدر «لعلمه بالشيء اللطيف» بدل للخلق أو تعليل له وفي بعض نسخ الكتاب وكتابي الشيخ الصدوق: ولعلمه ـ بالواو وهو الأصوب الأوضح ليكون تعليلاً ثانياً لتسميته سبحانه لطيفاً و«الجرجس» بكسر الجيمين بينهما الراء وإهمال السين: البعوض الصغار

و يسمّى بالقرقس أيضاً.

«وما في لجج البحار» أي من ذلك وفي بعض النسخ «ممّا» بياناً لمايصلحه وهو أوضح و«اللحاء» بكسر اللام واهمال الحاء والمد قشر الشجر و«بياض» في نسخ العيون بالنصب وهو أظهر «لدمامة خلقها» بفتح الدال المهملة حقارته «بلاعلاج» مزاولة ومباشرة .

٣٩٤ - ٢ (الكافي - ١: ١٢٠) علي بن محمد مرسلاً، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: «اعلم علّمك الله الخير أنّ الله تبارك وتعالى قديم والقدم صفته التي دلّت العاقل على أنه لاشيء قبله ولاشيء معه في ديموميّته فقدبان لنا باقرار العامة - معجزة الصفة أنه لاشيء قبل الله ولاشيء مع الله في بقائه و بطل قول من زعم أنّه كان قبله أو كان معه شيء وذلك أنّه لوكان معه شيء في بقائه لم يجز أن يكون خالقاً له لأنّه لم يزل معه فكيف يكون خالقاً لمن لم يزل معه ولوكان قبله شيء كان الأوّل ذلك الشيء، لاهذا وكان الأول أولى بأن يكون خالقاً - للأول ثمّ وصف نفسه تبارك وتعالى بأسماء دعا الخلق اذ خلقهم وتعبدهم وابتلاهم الى أن يدعوه بها فسمّى نفسه، سميعاً بصيراً قادراً قائماً ناطقاً ظاهراً باطناً لطيفاً خبيراً قويّاً عزيزاً - حكيماً حليماً عليماً [١] ومأشبه هذه الأسماء فلمّا رأى ذلك من أسمائه الغالون المكذبون وقدسمعونا نحدّث عن الله أنه لاشيء مثله ولاشيء من الخلق في حاله قالوا أخبرونا إذ زعمتم أنّه لامثل لله ولاشبه له كيف شاركتموه في أسمائه الحسنى فتسميتم بجميعها فانّ في ذلك دليلاً على أنّكم مثله في حالاته كلّها أو بعضها دون بعض اذ جمعتم الأسماء الطيّبة قيل لهم إن الله تعالى الزم العباد أسماء من أسمائه على اختلاف المعاني وذلك كما يجمع الاسم الواحد معنيين مختلفين .

١ . في الكافي المطبوع والمخطوطين «حكيماً علماً».

والدليل على ذلك قول الناس الجائز عندهم الشائع وهو الذي خاطب الله به الخلق فكلّمهم بمايعقلون ليكون عليهم حجّة في تضييع ماضيّعوا. فقديقال للرجل كلب وحمار وثور وسُكّرة وعلقمة وأسد كلّ ذلك على خلافه وحالاته لم تقع الأسامي على معانيها التي كانت بنيت عليه لأن الانسان ليس بأسد ولاكلب فافهم ذلك (رحمك الله) وانّما سمّي الله بالعلم لغير [1] علم حادث علم به الأشياء استعان به على حفظ مايستقبل من أمره والروية فيما يخلق من خلقه و يفسد مامضى ـ بما [2] أفنى من خلقه ممّالولم يحضره ذلك العلم و يعينه كان جاهلاً ضعيفاً كما أنّا لورأينا علماء الخلق إنّما سمّوا بالعلم لعلم حادث إذ كانوا فيه جهلة .

وربما فارقهم العلم بالأشياء فعادوا الى الجهل وإنّما سمّي الله عالماً لأنّه لايجهل شيئاً فقدجمع الخالق والمخلوق اسم العالم واختلف المعنى على مارأيت وسمّى ربّنا سميعاً لابِخُرت فيه [3] يسمع به الصوت ولايبصر به كما ان خُرتنا الذي به نسمع لانقوى به على البصر ولكنه أخبر أنّه لايخفى عليه شيء من الأصوات ليس على حدّ ماسمينا نحن فقدجمعنا الاسم بالسمع واختلف المعنى وهكذا البصر لابخرت منه أبصر كما أنّا نبصر بخُرت منّا لاننتفع به في غيره ولكن الله بصير لايحتمل شخصاً منظوراً اليه فقد جمعنا الإسم واختلف المعنى وهو قائم ليس على معنى انتصاب وقيام على ساق في كبد كما قامت الأشياء ولكن قائم يخبر أنّه حافظ كقول الرجل: القائم بأمرنا فلان، والله هو القائم على كلّ نفس بماكسبت والقائم أيضاً في كلام الناس: الباقي والقائم أيضاً يخبر عن الكفاية كقولك للرجل: قم بأمر بني فلان أي اكفهم والقائم منّا قائم على ساق فقدجمعنا الاسم ـ ولم نجمع المعنى وأمّا اللطيف فليس على قلّة وقضافة وصغر ولكن ذلك على النفاذ في الأشياء والامتناع من أن يدرك ،كقولك للرجل لطف عني هذا

---

١ . بغير علم حادث ـ كذا في الكافي المطبوع و«المخطوط ، م» ولكن في «المخطوط خ» مثل مافي المتن.

٢ . ممّا، كذا في الكافي المطبوع والمخطوط فيما رأينا.

٣ . الخرت، و يضم: الثقب في الأذن وغيرها، قاموس.

الأمر ولطف فلان في مذهبه وقوله يخبرك أنه غمض فيه العقل وفات الطلب وعاد متعمّقاً متلطفاً لايدركه الوهم .

فكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدرك بحدّ أو يحدّ بوصف واللطافة منّا الصغر والقلة فقدجمعنا الاسم واختلف المعنى وأمّا الخبير فالذي لايعزب عنه شيء ولايفوته ليس للتجربة ولاللاعتبار بالأشياء فعند التجربة والاعتبار علمان ولولاهما ماعلم لأنّ من كان كذلك كان جاهلاً والله لم يزل خبيراً بمايخلق والخبير من الناس المستخبر عن جهل المتعلم فقدجمعنا الاسم واختلف المعنى وأمّا الظاهر فليس من أجل أنه علا الأشياء بركوب فوقها وقعود عليها وتسنّم لذراها ولكن ذلك لقهره ولغلبته الأشياء وقدرته عليها كقول الرجل ظهرت على أعدائي وأظهرني الله على خصمي يخبر عن الفلج والغلبة فهكذا ظهور الله على الأشياء ووجه آخر أنّه الظاهر لمن أراده ولايخفى عليه شيء وأنه مدبّر لكلّ مايرى [١].

فأي ظاهر أظهر وأوضح من الله تبارك وتعالى لأنّك لا تعدم صنعته حيث ماتوجهت وفيك من آثاره مايغنيك والظاهر منّا البارز بنفسه والمعلوم بحدّه فقدجمعنا الإسم ولم يجمعنا المعنى وأمّا الباطن فليس على معنى الاستبطان بالأشياء بان يغور فيها ولكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علماً وحفظاً وتدبيراً كقول القائل:أبطنته يعني خُبّرته وعلمت مكتوم سرّه والباطن منّا الغائب في الشيء المستتر فقدجمعنا الاسم واختلف المعنى وأمّا القاهر [٢] فليس على معنى علاج ـ وتصلب [٣] واحتيال ومداراة ومكر كما يقهر العباد بعضهم

١ ـ مابرأ، كذا في الكافي المطبوع ولكن في المخطوط «مابرىء» وفي المرآة «مابرء» وجعل «مايرى» على نسخة.

٢ ـ قوله: «واما القاهر فليس على معنى علاج ونصب واحتيال...» العلاج مزاولة الفعل والسعي فيه والمداراة و«النصب» التعب والمشقة و«الاحتيال» جودة النظر والقدرة على التصرف والقاهر في حقّه سبحانه ليس بهذا المعنى انّما قهر عباده بهذه الصفة فاللفظ وان اتّحد، المعنى مختلف والقاهر من الله تعالى على غلبته على جميع الأشياء بالايجاد والفاعلية وتلبّس جميع الأشياء بالذل له وان ليس لها الامتناع عن ارادته وأمره سبحانه والخروج عنها طرفة عين وهكذا جميع أسمائه سبحانه يقع عليه بغير المعنى الذي يطلق في عباده.

٣ ـ ونصب، في الكافي المطبوع والمخطوطين والمرآة وكذا في حاشية الرفيع ـ (رحمه الله).

بعضاً والمقهور منهم يعود قاهراً والقاهر يعود مقهوراً ولكن ذلك من الله تبارك وتعالى على أنّ جميع ماخلق ملبس به الذلّ لفاعله وقلّة الامتناع لماأراد به لم يخرج منه طرفة عين أن يقول له كن فيكون والقاهر منّا على ماذكرت ووصفت فقدجمعنا الاسم واختلف المعنى وهكذا جميع الأسماء وإن كنّا لم نستجمعها كلّها ـ فقديكتفي الاعتبار بماألقينا إليك والله عونك وعوننا في ارشادنا وتوفيقنا» .

بيــان:

هذا الخبر رواه الشيخ الصدوق (طاب ثراه) في العيون والتوحيد مسنداً هكذا: أحمد بن محمد بن عمران الدقاق عن محمد بن يعقوب الكليني عن علي بن محمد المعروف بعلان عن محمد بن عيسى عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) الحديث قوله (عليه السلام) «معجزة الصفة» في العيون «مع معجزة الصفة» وهو الصواب وكأنه سقط من قلم نساخ الكافي ـ ولمتكلف [1] أن يتكلف في توجيه مافيه بأن يقرأ معجزة الصفة بفتح الجيم والجرّ صفة للعامة أي الذين أعجزتهم الصفة عن نيلها أو بكسر الجيم والرفع ليكون فاعلاً لـ«بان» ومابعدها يكون بدلاً عنها يعني بان لنا باقرار العامة بأن الله قديم «معجزة هذه الصفة» أي اعجازها لمن زعم أن شيئاً قبله تعالى أو معه بأن يكون خالقاً للأول ـ في العيون ـ بأن يكون خالقاً للثاني وهو أوضح وأصوب «قائماً ناطقاً» في العيون مكان اللفظتين «قاهراً حيّاً قيّوماً» وهو الذي خاطب الله به الخلق حيث مثّل اليهود بالحمار لبلادتهم و بلعم بالكلب لعدم تأثير الهداية فيه وعبّر عن القدرة باليد لجريانها عليها في الغالب الى غير ذلك «وعلقمة» العلقمة شجر مرّ و يقال علقمة للحنظل ولكلّ شيء مُرّ، بنيت «عليه» في العيون «عليها» وهو أظهر و«يعينه» بالمهملة من الاعانة وهكذا وجد في النسخ بدون الجزم وفي العيون «و يُعِنه» مجزوماً وهو الصحيح ومن الناس من تكلف فيه فجعله تغيبه

١ . ولمتكلّفه، ج.

بالمعجمة والباء الموحدة فعل ماض من باب التفعل من الغيبة على الحذف والايصال أي تغيّب عنه .

وفي بعض نسخ العيون: والرويّة فيا يخلق من خلقه وتفنية مامضى ممّاأفنى من خلقه ممّالولم يحضره ذلك العلم وتفنيته كان جاهلاً ضعيفاً من القنية «بخرت» بضم الخاء المعجمة والراء سماخ الأذن وثقب الإبرة ونحوها «في كبد» أي شدة وتعب «وقضافة» بالقاف والضاد المعجمة ثمّ الفاء الدقة والنحافة و«قوله» ـ بالجر ـ عطف على ـ مذهبه ـ يخبرك خبر متبدأ محذوف أي هذا القول وفي نسخة «وقولك يخبرك » «غمض فيه العقل» بفتح الميم وضمه بمعنى خفي واشتد غوره «والغامض» من الكلام خلاف الواضح .

وفي كتابي الصدوق ـ غمض فبهر العقل ـ وهو الأصحّ من ـ بهره ـ إذا غلبه معلوماً ومجهولاً فعند التجربة في كتابي الصدوق فيفيده التجربة والاعتبار علماً «المستخبر عن جهل» أي المتّصف بالعلم بعد جهل سابق «المتعلم» يعني من غيره «وتسنّم لذراها» ارتفاع لأعلاها وكلّ شيء علا شيئاً فقدسنمه وتسنّمه «عن الفلج» [1] أي الظفر ولايخفى عليه شيء» قيل هذا وجه آخر لظاهريته جلّ سلطانه وراء أنّه الظاهر لمن أراده فان ظهور كلّ شيء لله سبحانه إنّما هو بنفس ظهور ذاته سبحانه لذاته .

أقول:

تعدد الوجه بعيد عن العبارة والأولى أن يقال لما كان سبحانه محيطاً بالأشياء وله المعيّة مع كلّ شيء فعدم خفاء شيء عليه يستلزم ظهوره للأشياء وكذا تدبيره لها يستلزم ظهوره لديهم فكأنه أكّد ظهوره لمن أراده بالأمرين .

قال: سيد الشهداء (صلوات الله عليه) في دعاء عرفة «كيف يستدل عليك بماهو

في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك من الظهور ماليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم تجعل له

١ . الفلج ـ بفتح الأول وسكون الثاني: الظفر والفوز ـ قاموس.

من حبّك نصيباً» «ابطنته» لعله بمعنى بطنته أو الهمزة للاستفهام .

قال: الجوهري: بطنت الأمر إذا عرفت باطنه ومنه ـ الباطن ـ في أسماء الله تعالى والباطن منّا الغائب في الشيء في العيون الغائر في الشيء وهو أوفق بماقبله «وقلّة الامتناع لماأراد به» أراد بالقلة العدم .

قال ابن الأثير: في الحديث أنه (عليه السلام) كان يقل اللغو أي لايلغو أصلاً وهذا اللفظ يستعمل في نفي أصل الشيء كقوله تعالى: فَقَلِيلاً مايُؤْمِنُونَ [1] «لم يخرج منه طرفة عين» لأنّ الذات الممكنة هالكة في حدّ نفسها باطلة بحسب جوهرها في الآزال والآباد جميعاً فادام الحقّ سبحانه يفيض عليها الوجود و يقول لجوهرها كن فيكون وتتحقّق فاذا أمسك عن إفاضته وقول «كن» لجوهرها رجعت نفسها إلى هلاكها الذاتي وعادت ذاتها الى بطلانها السرمدي وَلَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ [2].

١ . البقرة/٨٨
٢ . فاطر/٤١

-٤٨-

باب النوادر

٣٩٥ - ١ (الكافي - ١٤٣:١) الحسين بن محمد ومحمد جميعاً، عن أحمد بن اسحاق، عن سعدان بن مسلم، عن ابن عمّار، عن أبي عبدالله (عليه السلام).

في قول الله تعالى: وَلِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا [1] قال «نحن والله الأسماء الحسنى التي لايقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا» .

بيـــان:

قد سلف منّا مايصلح شرحاً لهذا الحديث ونزيد فنقول: كما أنّ الإسم يدلّ على المسمّى و يكون علامة له كذلك هم (عليهم السلام) أدلاء على الله يدلّون الناس عليه سبحانه وهم علامة لمحاسن صفاته وأفعاله وآثاره «فادعوه بها» أي فادعوا الله واطلبوا التقرّب إليه بسبب معرفتها فانّ معرفته تعالى منوطة بمعرفتهم (عليهم السلام) والعبادة غير مقبولة إلّا بمعرفة المعبود المتوقفة على معرفتهم.

آخر أبواب معرفة صفاته وأسمائه سبحانه والحمد لله أولاً وآخراً .

١ . الأعراف/١٨٠

أبواب معرفة مخلوقاته وأفعاله تبارك وتعالى

الآيات:

قال الله سبحانه: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ * لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرىٰ﴾[1].

وقال: عزّ وجلّ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[3].

وقال: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾[4].

وقال جلّ ذكره: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[5].

بيـــان:

سيأتي في هذه الأبواب مايصلح شرحاً لهذه الآيات .

١ . طه/٥-٦

٢ . البقرة/٢٥٥ وفي بعض النسخ زاد فيه (وهو العلي العظيم).

٣ . الأنعام/١٨و٦١

٤ . هود/٥٦

٥ . الأعراف/٥٤

-٤٩-

باب العرش والكرسي

٣٩٦ - ١ (الكافي - ١:١٢٩) العدّة، عن البرقي رفعه قال سأل الجاثليق أميرالمؤمنين (عليه السلام) فقال له: أخبرني، عن الله تعالى يحمل العرش أم العرش يحمله؟ فقال أميرالمؤمنين (عليه السلام) «الله تعالى[1] حامل العرش والسموات والأرض ومافيها ومابينها وذلك قوله تعالى: إِنَّ اللّٰهَ يُمْسِكُ السَّمٰوٰاتِ والأرضَ أنْ تَزُولا وَلَئِنْ زٰالَتٰا إِنْ أَمْسَكَهُمٰا مِنْ أَحَدٍ مِن بَعْدِهِ إِنَّهُ كٰانَ حَلِيماً غَفُوراً [2] » .

قال: فأخبرني، عن قوله: وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمٰانِيَة [3] فكيف قال ذاك وقلت إنّه يحمل العرش والسماوات والأرض؟ .

فقال أميرالمؤمنين (عليه السلام) «إن العرش خلقه الله تبارك وتعالى من أنوار أربعة: نور أحمر منه احمرّت الحمرة ونور اخضر منه اخضرّت الخضرة، ونور اصفر، منه اصفرّت الصفرة ونور أبيض، منه [4] البياض وهو العلم الذي حمّله

١ . قوله: «الله تعالى حامل العرش والسماوات والأرض ومافيها ومابينها» لعل المراد بالحامل الحافظ الذي يمسك المحمول عن السقوط والزوال يدل عليه قول الله عزّ وجلّ: إنّ الله يمسك السموٰات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إلى آخره. «ش».

٢ . فاطر/٤١

٣ . الحاقة/١٧

٤ . منه أبيض البياض، كذا في الكافي المطبوع وشرح المولى خليل - (رحمه الله).

الله الحملة وذلك نور من عظمته فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين و بعظمته ونوره عاداه الجاهلون و بعظمته ونوره ابتغى من في ـ السماء [١] والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المتشتتة [٢] فكلّ محمول يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته لايستطيع لنفسه ضرّاً ولانفعاً ولاموتاً ولاحياةً ولانشوراً فكلّ شيء محمول والله تعالى الممسك لهما أن تزولا والمحيط بهما من شيء وهو حياة كلّ شيء ونور كلّ شيء سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً» قال له: فأخبرني عن الله عزّ وجلّ أين هو؟ فقال أميرالمؤمنين (عليه السلام) «وهو هاهناوهاهنا وفوق وتحت ومحيط بنا ومعنا وهو قوله: مَايَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلٰثَةٍ إلّاهُوَ رَابِعُهُمْ وَلاخَمْسَةٍ إلّاهُوَسَادِسُهُمْ وَلاأدْنىٰ مِنْ ذٰلِكَ وَلاأكْثَرَ إلّاهُوَمَعَهُمْ أيْنَ مَاكَانُوا [٣].

فالكرسيّ محيط بالسماوات والأرض ومابينهما وماتحت الثرى وَإنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأخْفَىٰ [٤] وذلك قوله: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰواتِ وَالأرْضَ وَلايَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَالْعَلِيُّ الْعَظِيمُ [٥] فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّلهم الله علمه وليس يخرج عن هذه الأربعة شيء خلق الله في ملكوته وهو الملكوت الذي أراه الله أصفيائه وأراه خليله (عليه السلام).

فقال: وَكَذٰلِكَ نُرِي إبْرٰهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰواتِ وَالْأرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ [٦] وكيف يحمل حملة العرش الله وبحياته حييت قلوبهم و بنوره اهتدوا إلى معرفته» .

بيان:

قد يراد بالعرش الجسم المحيط بجميع الأجسام وقديراد به ذلك الجسم مع جميع

١ ـ السماوات، كذا في الكافي المخطوط والمطبوع.
٢ ـ المشتبهة، ف وكذا في الكافي المخطوط والمطبوع.
٣ ـ المجادلة/٧
٤ ـ طه/٧
٥ ـ البقرة/٢٥٥
٦ ـ الأنعام/٧٥

مافيه من الأجسام أعني العالم الجسماني بتمامه وقديراد به ذلك المجموع مع جميع مايتوسط بينه و بين الله سبحانه من الأرواح والعقول التي لاتتقوم الأجسام إلّابها أعني العوالم كلها بملكها وملكوتها وجبروتها و بالجملة ماسوى الله عزّ جلّ وقديراد به علم الله سبحانه المتعلق بماسواه وقديراد به علم الله تعالى الذي أطلع عليه أنبيائه ورسله وحججه (صلوات الله عليهم) خاصة وهو الذي فسّر به في هذا الحديث ومابعده وقدوقعت الاشارة إلى كلّ منها في كلامهم (عليهم السلام) وعن الصادق (عليه السلام) انه سئل عن العرش والكرسي ماهما؟.

فقال «العرش في وجه هوجمله الخلق والكرسي وعاءه وفي وجه آخر العرش هو العلم الذي أطّلع الله عليه أنبيائه ورسله وحججه (عليهم السلام) والكرسي هو العلم الذي لم يُطلِع عليه أحداً من أنبيائه ورسله وحججه (عليهم السلام) وكان جملة الخلق عبارة عن مجموع العالم الجسماني ووعائه عن عالمي الملكوت والجبروت لاستقراره عليها وقيامه بها وسيأتي تمام الكلام في الكرسي إن شاء الله وقدثبت أنّ العلم والمعلوم، متحدان بالذات متغايران بالاعتبار فمعاني العرش كلها متقاربة وقوائمه عبارة عن أركان العالم أعني ماكان بناء الخلق عليه وقدمرّ منّا الاشارة إليها وإلى الموكلين بها في باب حدوث الأسماء وحملته عبارة عن الأرواح الموكلة بتدبيره على المعاني الأول وعن حملة العلم على الأخيرين و يأتي شرحها إن شاء الله .

والأنوار الأربعة هي الجواهر القدسية العقلية التي هي وسائط جوده تعالى وألوانها كناية عن اختلاف أنواعها الذي هو سبب اختلاف الأنواع الرباعية في هذا العالم الحسّي كالعناصر والأخلاط وأجناس الحيوانات أعني الانسان والبهائم والسباع والطيور ومراتب الانسان أعني الطبع والنفس الحساسة والنفس المتخيّلة والعقل وأجناس المولّدات كالمعدن والنبات والحيوان والانسان وضمير (هو) في قوله (عليه السلام) وهو العلم راجع إلى العرش لاالنور الأبيض كما ظُنّ فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين لأنّ بنور العقل يكون ابصار القلوب وبها عاداه الجاهلون لأن الجهل منشأه الظلمة التي هي ضدّ النور والمعاداة إنّما يكون بين الضدّين وبها يبتغي الوسيلة إلى الله لأنّ كلّ شيء يرجع إلى أصله وغايته اللذين منها نشأ و يطلبها و يتوسّل بها

ومنشأ كلّ شيء النور المخلوق أولاً من نور العظمة كما مرّ بيانه مراراً وضمير الثثنية المجرور في الممسك لهما راجع إلى السماوات والأرض والمحيط إمّا بالجرّ عطفاً عليه وإمّا بالرفع على ـ الممسك ـ والأول أنسب بقوله من شيء اذ على الثاني لابدّ من اضمار متعلّق له بأن يقال: والمحيط بهما «بماحو ياه من شيء» وأمّا مايتوهم من استلزام الأول العطف على الضمير المجرور بلااعادة الخافض وأنّه ممّالايجوز فيدفعه انه لم يثبت عدم الجواز بل هو ممّايقع في كلام المعصومين (عليهم السلام).

قوله: «وكيف يحمل حملة العرش الله» ردّ لمالزم من قول السائل أم العرش يحمله من كون حملته حملة الله وامّا تبديل التاء في حملة بالضمير وجعله المفعول المطلق كما فعله بعض الشرّاح فتحريف وتصحيف لاتساعده النسخ ولاالفصاحة ولاضمائر الجمع فيما بعده .

٣٩٧ ـ ٢ (الكافي ـ ١:١٣٠) الفميان، عن صفوان قال: سألني أبوقرة [١] المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا (عليه السلام) فاستأذنته فأذن لي فدخل فسأله عن الحلال والحرام ثمّ قال له أفتقرّ أن الله محمول؟ فقال أبوالحسن (عليه السلام) «كلّ محمول مفعول به مضاف الى غيره محتاج والمحمول اسم نقص في اللفظ والحامل فاعل وهو في اللفظ مدحة وكذلك قول القائل: فوق وتحت وأعلا وأسفل وقدقال الله: لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا [٢].

ولم يقل في كتبه أنه المحمول بل قال: إنّه الحامل في البرّ والبحر [٣] والممسك للسماوات والأرض أن تزولا [٤] والمحمول ماسوى الله ولم يسمع أحد آمن بالله وعظمته قطّ قال في دعائه «يامحمول» .

قال: أبوقرّة: فانه قال: وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ [٥] وقال ٱلَّذِينَ

١ . قوله: أبوقرة هو كنية موسى بن طارق اليماني الزبيدي القاضي «قس».
٢ . الأعراف/١٨٠ والآية هكذا: ولله الأسماء الحسنى الخ.
٣ . اشارة الى سورة الاسراء/٧٠
٤ . اشارة الى سورة فاطر/٤١
٥ . الحاقة/١٧

يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ [١] فقال: أبوالحسن (عليه السلام) «العرش ليس هو الله والعرش اسم علم وقدرة وعرشٍ فيه كلّ شيء ثمّ أضاف الحمل الى غيره خلق من خلقه لأنّه استعبد خلقه بحمل عرشه وهم حملة علمه وخلقاً يسبحون حول عرشه وهم يعلمون [٢] بعلمه وملائكةً يكتبون أعمال عباده واستعبد أهل الأرض بالطواف حول بيته والله على العرش استوىٰ [٣] كما قال العرش [٤] ومن يحمله ومن حول العرش .

والله الحامل لهم الحافظ لهم الممسك القائم على كلّ نفس وفوق كلّ شيء وعلى كلّ شيء ولايقال ـ محمول، ـ ولا أسفل قولاً مفرداً لايوصل بشيء فيفسد اللفظ والمعنى قال: أبوقرّة فتكذب بالرواية التي جاءت انّ الله اذا غضب انّما يعرف غضبه انّ الملائكة الذي يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم فيخرون سجّداً فاذا ذهب الغضب خفّ ورجعوا الى مواقفهم؟ فقال أبوالحسن (عليه السلام) «أخبرني عن الله [٥] تبارك وتعالى منذ لعن إبليس الى يومك هذا هو غضبان عليه فتى رضي وهو في صفتك لم يزل غضباناً عليه وعلى أوليائه وعلى أتباعه كيف تجترىء أن تصف ربّك ـ بالتغيّر [٦] من حال الى حال وانّه يجري عليه مايجري على المخلوقين سبحانه لم يزل مع الزائلين ولم يتغيّر مع المتغيرين ولم يتبدل مع المتبدلين ومَن دونه في يده وتدبيره وكلّهم إليه محتاج وهو غني عمّن سواه» .

١ . غافر/٧

٢ . يعملون ـ خ ل، كذا في ف وكذلك في الكافي المطبوع والمخطوط والمرآة وفي بعض النسخ جعله على نسخة.

٣ . اشارة الى سورة الأعراف/٥٤ ـ و يونس/٣ ـ و الرعد/٢ ـ و طه/٥ ـ و الفرقان/٥٩ ـ و السجدة/٤

٤ . في نسخ الكافي المطبوع والمخطوط «والعرش» مكان «العرش».

٥ . قوله: «اخبرني عن الله تعالى» هذا تكذيب للرواية اذا كانت مخالفة للحكم العقلي البديهي أو النظري المدلول عليه بالأدلة العقلية.

٦ . بالتغيير، كذا في ج، وفي الكافي المطبوع والمخطوط والمرآة.

بيـان:

«المحـمـول اسم نقص» اعلم انّ كلّ لفظ ليس هو من الألفاظ الكمالية فيا نعقله ونتصوره فانه لايجوز اطلاقه عليه سبحانه بوجه من الوجوه أصلاً .

وأمّا الألفاظ الكمالية فان لم يرد فيه من جهة الشرع إذن بالتسمية كواجب الوجود فذلك إنّما يجوز اطلاقه عليه سبحانه توصيفاً لا تسمية وإن ورد فيه الاذن بالتسمية ساغ الاطلاق توصيفاً وتسمية كـ«الحي» «والعالم» «وكذلك قول القائل». يعني ان فوق وأعلى مـدحـة كـالحـامل وتحت وأسفل اسم نقص كالمحمول «وعرش فيه كلّ شيء» بـالجرّ عـطـفـاً على علم وقدرة أي اسم عرش جسماني و«خلقاً» عطف على «خلقه» وكـذا «مـلائـكـة» أي استعبد خلقاً وملائكة وكأنّ الخلق الأول كناية عن الملائكة المقـربين والـنـفـوس الـكـامـلين ولهـذا أضافهم إلى الله والثاني عن الملائكة المدبّرين والنفوس السماوية ولهذا نسبهم إلى حول العرش .

وإلى الـعـمـل على مـافي بعض النسخ من تقـدم الميم على اللام وملائكة كناية عن المـوكـلين على بني آدم والـنـفـوس الأرضية وأهل الأرض عن أجساد بني آدم «العرش ومـن يحـمله ومن حول العرش» يعني استوى على الجميع «قولاً مفرداً» متعلّق بـ«أسفل» خـاصـة يعني من دون أن يقال معه وأعلى «فتى رضي» يعني اذا كان حال غضبه غير حال رضاه وقدثبت غضبه على إبليس في هذه المدّة المديدة بزعمك فلايكون له سبحانه حال رضاً في هذه المدّة عن أحد أصلاً «لم يُزل» بضمّ الزاي من الزوال .

٣٩٨ - ٣ (الـكـافي - ١:١٣٢) محـمـد بـن الحـسـن، عن سهل، عن السراد، عن عـبدالرحمن بن كثير، عن داود الرقي قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عـزّ وجلّ: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ [1] فقال: «مايقولون؟» قلت: يقولون إنّ العرش كان على الماء والربّ فوقه .

فقال: «كذبوا من زعم هذا فقد صير الله محمولاً ووصفه بصفة المخلوق ولزمه أن الشيء الذي يحمله أقوى منه» قلت: بيّن لي جعلت فداك. فقال: «إنّ الله حمل دينه [1] وعلمه الماء [2] قبل أن يكون أرض أو سماء أو جن أو إنس أو شمس أو قمر فلما أراد [3] أن يخلق الخلق نشرهم بين يديه فقال لهم مَن ربّكم؟ فأول من نطق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأميرالمؤمنين (عليه السلام) والأئمة (عليهم السلام) فقالوا أنت ربّنا فحمّلهم العلم والدين ثمّ قال للملائكة: هؤلآء حملة ديني وعلمي وأمنائي [4] في خلقي وهم المسؤولون ثم قال: لبني آدم أقروا لله بالربوبيّة ولهؤلآء النفر بالولاية والطاعة فقالوا: نعم ربّنا أقررنا فقال الله للملائكة: إشهدوا فقالت الملائكة شهدنا على أن لايقولوا غداً إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ+ أويقولوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ [5] ياداود ولايتنا مؤكدة عليهم في الميثاق» .

بيـــان:

قد يراد بالماء المادة الجسمانية التي خلق منها الجهل وجنوده والنار وتوصف بـ«الاجاج» كما مرّ في حديث العقل والجهل وكما يأتي في باب طينة المؤمن والكافر

١ . قوله: «انّ الله حمل دينه وعلمه الماء قبل أن يكون أرض أو سماء» لعل المراد به ان العرش هو علمه سبحانه الفائض من الجوهر العقلاني إلى النفوس والأرواح الجسمانية وكان فيضان هذا العلم على الماء من الجسمانيات قبل خلق الأرض والسماء والجنّ والإنس والشمس والقمر وذلك ان القابل لأن يفاض عليه من الأنوار العقلانية المستعد له انّما هو الماء الذي منه حياة كلّ شيء وانّما الحياة هي المصحّحة للعلم والقدرة كما في قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حيّ [6] وقبل خلق السماوات والأرض كان علمه سبحانه على الماء كما ان بعد خلق هذه الأشياء على المخلوق من الماء فان الماء أقرب الأجسام إلى المبادىء العقلانية والأسباب الروحانية ومحل الحياة في الجسمانيات المصححة للعلم والقدرة ولذا نيط التطهير من الأدناس المانعة من قرب المبادىء باستعمال الماء والتطهير به مع زوال أعيانها. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . على الماء. ق.

٣ . كذا في نسخ الوافي والكافي المخطوط ولكن في الكافي المطبوع والمرآة ـ فلمّا أراد الله أن يخلق.

٤ . وامانتي، خ ل.

٥ . اشارة الى سورة الأعراف/١٧٢-١٧٣ والآية أو يقولوا انّما اشرك ... الخ.

٦ . الأنبياء/٣٠

وقديراد به ماخلق منه الأصفياء والجنة باعتبار قبوله الكمالات من الله سبحانه باقاضته عليه وتوصف بـ«العذب» كما يأتي في باب الطينة وهو المراد به هاهنا وقبلية حمل الدين والعلم إيّاه على الموجودات المذكورة قبلية بالذات والمرتبة لابالزمان وهي أقوى وأشدّ لأنّها بعلاقة ذاتية «نثرهم» أي نثر ماهياتهم وحقائقهم بين يدي علمه فاستنطق الحقائق بألسنة قابليات جواهرها وألسن استعدادات ذواتها وفيه اشارة إلى قوله سبحانه: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ [1] أي عند كون نفوسهم في أصلاب آبائهم العقلية ومعادنهم الأصلية يعني شاهدهم وهم رقائق في تلك الحقائق وعبّر عن تلك الآباء بالظهور لأن كلّ واحد منهم ظَهْر أو مظهر لطائفة من النفوس أو هي ظاهرة عنده لكونها هناك صوراً عقلية نورية ظاهرة بذواتها [2] «وأشهدهم على أنفسهم» أي أعطاهم في تلك النشأة الادراكية العقلية شهود ذواتهم العقلية وهوياتهم النوريّة فكانوا بتلك القوى العقلية يسمعون خطاب «ألست بربّكم» كما يسمعون الخطاب في دار الدنيا بهذه القوى البدنية وقالوا بألسنة تلك العقول «بلى» أنت ربّنا الذي أعطيتنا وجوداً قدسياً ربّانياً سمعنا كلامك وأجبنا خطابك وعن الصادق (عليه السلام) أنه سئل كيف أجابوا وهم ذرّ؟ فقال: (عليه السلام) «جعل فيهم ماإذا سألهم أجابوه» يعني في الميثاق ولعله (عليه السلام) أراد أنه نصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم مايدعوهم إلى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم «ألست بربّكم قالوا بلى» فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه بمنزلة الإشهاد والإعتراف على طريقة التمثيل .

نظير ذلك قوله عزّ وجلّ: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [3] وقوله عزّ وجلّ: فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ [4] ومعلوم أنه لاقول ثمة وإنّما هو تمثيل وتصوير للمعنى و يأتي ذكر هذا الحديث في باب أخذ الميثاق بولايتهم

١. الأعراف/١٧٢
٢. بذاتها، ج، ف، ق.
٣. النحل/٤٠
٤. فصلت/١١

(عليهم السلام) مسنداً إنشاء الله تعالى ولايبعد أيضاً أن يكون ذلك النطق باللسان الملكوتي في العالم المثالي الذي دون عالم العقل فإنّ لكل شيء ملكوتاً فيه كما قال سبحانه: فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ [1] والمُلكوت باطن الملك وهو كله حياة كما قال: جلّ وعزّ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ [2] لأنّ الدار الآخرة من جنس الملكوت فلكل ذرّة لسان ملكوتي ناطق بالتسبيح والتحميد والتوحيد والتمجيد وبهذا اللسان نطق الحصى في كف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبه تنطق الأرض يوم القيامة يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا [3] وبه تنطق الجوارح أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ [4].

٣٩٩ ـ ٤ (الكافي ـ ١٣٢:١) محمد، عن ابن عيسى، عن البزنطي، عن محمدبن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «حملة العرش (والعرش العلم) ثمانية: أربعة منّا وأربعة ممّن شاء الله».

بيان:

«منّا» أي من أهل البيت (عليهم السلام) «ممّن شاء الله» كنّى به عمّن تقدمهم من الأنبياء (عليهم السلام) وعن الكاظم (عليه السلام) قال: «إذا كان يوم القيامة كان حملة العرش ثمانية: أربعة من الأولين: نوح وابراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام) وأربعة من الآخرين: محمد وعلي والحسن والحسين (عليهم السلام) وفي اعتقادات الشيخ الصدوق (قدس سرّه) فأمّا العرش الذي هو جملة الخلق فحملته أربعة من الملائكة لكلّ واحد منهم ثماني أعين كلّ عين طباق الدنيا واحد منهم على صورة بني آدم يسترزق [5] الله تعالى لولد آدم والآخر على صورة الثور يسترزق الله تعالى للبهائم كلّها والآخر على صورة الأسد يسترزق الله تعالى للسباع والآخر على صورة

١. يس/٨٣
٢. العنكبوت/٦٤
٣. الزلزلة/٤
٤. فصلت/٢١
٥. فهو يسترزق الله، ج، ق.

الديك يسترزق الله تعالى للطيور فهم اليوم هؤلاء الأربعة وإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية وأمّا العرش الذي هو العلم .

فحملته أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين فأمّا الأربعة من الاولين: فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى وأمّا الأربعة من الآخرين: فمحمد وعلي والحسن والحسين (عليهم السلام) هكذا روى بالاسانيد الصحيحة عن الأئمة (عليهم السلام) في العرش وحملته انتهى كلام الشيخ الصدوق (قدس سرّه).

و يشبه أن تكون الملائكة كناية عن ارباب الأنواع العقلية على مارآه طائفة من الحكماء و يكون أربعة في جانب البدو والنشأة الأولى وهي التي ذكر تفصيلها وأنها على صور تلك الأنواع تربيها وتفيض عليها ماتحتاج اليه وتصير ثمانية في جانب العود والنشأة الأخرى التي تصير اليها الأنواع بعد تحصيل كمالاتها في هذه النشأة وهي هناك حملة العلم وأعينها كناية عن أصناف علومها بماتحتاج إليه في تربية الأنواع فان بالعلم يبصر العالم كما أن بالعين يبصر الرائي وعددها مطابق لعدد حملة العلم كأنّها تبصر بعلومهم إذ لكلّ منهم علم وكمال خاص يقتضيها المزاج الخاص وطباقها الدنيا عبارة عن شمول علمها وتدبيرها جميع جزئيات تلك الأنواع .

٤٠٠ ـ ٥ (**الكافي** ـ ١: ١٣٢) النيسابوريان، عن حمادبن عيسى ، عن ربعي ،عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجلّ: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ [1] فقال: «يافضيل؛ كل شيء في الكرسي السمٰوات والأرض وكلّ شيء في الكرسي» .

بيـان:

كأنّ المراد بالكرسي في هذا الحديث ومابعده هو العلم و يؤيّد هذا مارواه الصدوق طاب ثراه في توحيده باسناده عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجلّ: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰات والأَرْض [2] قال «علمه»

١ . ٢. البقرة/٢٥٥

وقد يراد بالكرسي الجسم الذي تحت العرش بالمعنى الأوّل الذي دونه السماوات والأرض لاحتوائه على العالم الجسماني كأنه مستقره والعرش فوقه كأنه سقفه وفي الحديث ماالسماوات والأرضون السبع مع الكرسي إلّا كحلقة ملقاة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة وقديراد به وعاء العرش كما مرّ في الحديث وكأنه أشير به الى العلم أو إلى عالمي الملكوت والجبروت لاستقرار مجموع العالم الجسماني الذي يعبّرعنه بالعرش عليها وقيامه بهما وقديراد به العلم الذي لم يطّلع عليه سوى الله سبحانه وقدمضى أيضاً في الحديث وربّما يقال إنّ كون العرش في الكرسي لاينافي كون الكرسي في العرش لأن أحد الكونين بنحو والآخر بنحو آخر لأن أحدهما كون عقلي اجمالي والآخر كون نفساني تفصيلي وقديجعل الكرسي كناية عن الملك لأنه مستقر الملك وقديقال أنه تصوير لعظمته تعالى وتخييل بتمثيل حسّي ولاكرسيّ ولاقعود ولاقاعد كقوله سبحانه: وَٱلْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيـٰمَةِ وَٱلسَّمـٰوٰتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ [1] وهذا مسلك الظاهريين وماقلناه أولاً مسلك الراسخين في العلم .

٤٠١ - ٦ (الكافي - ١:١٣٢) محمد، عن ابن عيسى، عن الحجال، عن ثعلبه، عن زرارة قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله تعالى: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمـٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ [2] السماوات والأرض وسعن الكرسي أم الكرسي وسع السماوات والأرض؟ فقال «بل الكرسي[3] وسع السماوات والأرض والعرش وكلّ شيء وسع الكرسي».

١ . الزمر/٦٧

٢ . البقرة/٢٥٥

٣ . قوله: «بل الكرسي وسع السماوات والأرض والعرش» يحتمل أن يكون قوله والعرش عطفاً على الكرسي أي والعرش أيضاً وسّع السماوات والأرض ويحتمل أن يكون عطفاً على السماوات والأرض أي الكرسي وسع السماوات والأرض والعرش كلّها وكل شيء و يكون قوله وسع الكرسيّ تأكيداً لماسبقه وعلى الأول يكون مدلول الكلام أن الكرسي والعرش كلاً منهما وسع السماوات والأرض كما هو في الروايتين السابقتين من قوله وعرش ربّك فيه كلّ شيء وقوله وكلّ شيء في الكرسي وعلى الثاني فمدلوله أن الكرسيّ وسع كل شيء حتى العرش. رفيع (رحمه الله).

بيــان:

«وسع الكرسي» أي وسعه الكرسي يعني العلم أو العالمين المجردين عن المادة الجسمانية.

٤٠٢ - ٧ **(الكافي - ١:١٣٢)** محمد، عن احمد، عن الحسين، عن فضالة،عن ابن بكير، عن زرارة قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجلّ: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ السماوات والأرض وسعن الكرسي أم الكرسي وسع السماوات والأرض؟ فقال «إن كل شيء في الكرسيّ».

- ٥٠ -
باب البداء

٤٠٣ - ١ (الكافي - ١٤٦:١) محمد، عن ابن عيسى، عن الحجّال، عن ثعلبة، عن زرارة، عن احدهما (عليهما السلام) قال: «ماعبد الله بشيء مثل البداء».

٤٠٤ - ٢ (الكافي - ١٤٦:١) وفي رواية ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) «ماعُظّم الله بمثل البداء».

بيــان:

بدا له في هذا الأمر بدآء ممدوداً أي نشأ له فيه أمر وإنّما لم يعبد الله ولم يعظّم بشيء مثل البداء لأنّ مدار استجابة الدعاء والرغبة إليه سبحانه والرهبة منه وتفويض الأمور إليه والتعلّق بين الخوف والرجا وأمثال ذلك من أركان العبودية عليه فان قيل كيف يصحّ نسبة البداء الى الله تعالى مع احاطة علمه بكل شيء أزلاً وأبداً على ماهو عليه في نفس الأمر وتقدسه عمّايوجب التغير والسنوح ونحوهما؟ فاعلم أنّ القوى المنطبعة الفلكية لم تحط بتفاصيل ماسيقع من الأمور دفعة واحدة لعدم تناهي تلك الأمور بل إنّما ينتقش فيها الحوادث شيئاً فشيئاً وجملة فجملة مع أسبابها وعللها على

نهج مستمر ونظام مستقر.

فـان مايحدث في عالم الكون والفساد إنّما هو من لوازم حركات الأفلاك المسخرة لله ونتـائج بـركـاتها فـهي تعلم أنه كلّما كان كذا كان كذا [1] فهما حصل لها العلم بأسـباب حدوث أمر ما في هذا العالم حكمت بوقوعه فيه فينتقش فيها ذلك الحكم وربما تـأخـر بعـض الأسـبـاب الموجـب لوقوع الحادث على خلاف مايوجبه بقية الأسباب لـولا ذلك السبب ولم يحصل لها العلم بذلك بعد لعدم اطلاعها على سبب ذلك السبب، ثمّ لماجـاء أوانـه واطـلـعـت عليه حكمت بخلاف الحكم الأول فيُمْحا عنها نقش الحكم السابق و يُثبّت الحكم الآخر، مثلاً لمّاحصل لها العلم بموت زيد بمرض كذا في ليلة كذا لأسـبـاب تـقـتـضي ذلك ولم يحصل لها العلم بتصدقه الذي سيأتي به قبيل ذلك الوقت لـعـدم اطـلاعـهـا على أسـبـاب الـتـصـدق بعد ثم علمت به وكان موته بتلك الأسباب مشروطاً بأن لايتصدق فتحكم أولاً بالموت وثانياً بالبرء واذا كانت الأسباب لوقوع أمر ولاوقوعه متكافئة ولم يحصل لها العلم برجحان أحدهما بعد لعدم مجيء أوان سبب ذلك الـرجـحـان بـعـد كـان لها التردد في وقوع ذلك الأمر ولاوقوعه فينتقش فيها الوقوع تارة والـلاوقـوع أخـرى فـهـذا هو السبب في البدا [2] والمحو والأثبات والتردد وأمثال ذلك في

١ . ضـعـف هـذا الكلام غير خفيّ على أهل العلم والصحيح في المقام ماسنذكره عن شيخنا الصدوق طاب ثراه قريباً ولانحتاج إلى هذه التكلّفات أصلاً. «ض.ع».

٢ . اخـتـلـف العلماء في الـبـدا اختلافاً شديداً، فنهم من أنكر كون البدا من مذهب الإمامية كما عن المحقّق الطوسي في «نقد المحصل» ومنهم من يقول: البدا هو من مذهبنا كما عن العلامة المجلسي (رحمه الله) ومنهم من قال: البدا من النسخ وغير ذلك من الأقوال ولكن ليس اختلافهم إلّا في اللفظ فقط، لأنّهم اتّفقوا على بطلان البدا بمعنى التغيير في حكمه تعالى وظهور أمر بعد أن لم يكن وقالوا بأن البدا نعت لمن يتقلّب والله تعالى منزّه عن التقلّب والتغيير ولذلك قالوا جميعاً ماورد في هذه الكلمة في الأخبار كما قالوا في اطلاق الرضا والغضب والأسف والنسيان على الله تعالى نحو:
«نسيناكم» [1] و«غضب الله عليه» [2] و«رضي الله عنهم» [3] و«فلما أسفونا انتقمنا» [4] وقال الشعراني (رحمه الله) بعد تحقيق طويل له: فليس مفاد البدا الوارد في الأخبار إلّا ماطبق عليه المسلمون بل سائر الملل والأديان انّ للدعاء والصدقة والتوجه إلى الله تعالى والتضرع والإلحاح تأثيراً في دفع الشرّ واستجلاب الخير وليس شيئاً يختصّ بمذهب الشيعة و يؤكده قول الصادق (عليه السلام) «مابعث الله نبيّاً قط حتى يقول بالبدا» ومعناه أنه لولا الدعاء كان ينزل البلاء إلى أن قال:

١ . السجدة/١٤

٢ . النساء/٩٣

٣ . المائدة/١١٩ ـ و ـ التوبة/١٠٠ ـ و ـ المجادلة/٢٢ ـ و ـ البينة/٨

٤ . الزخرف/٥٥

أمور العالم وامّا نسبة ذلك كلّه الى الله تعالى فلأنّ كلّ مايجري في العالم الملكوتي إنّما يجري بارادة الله تعالى بل فعلهم بعينه فعل الله سبحانه حيث أنهم لايعصون الله ماأمرهم و يفعلون مايؤمرون اذ [1] لاداعي لهم على الفعل إلاّ إرادة الله جلّ وعزّ لإستهلاك إرادتهم في إرادته تعالى ومثلهم كمثل الحواس للانسان كلّما همّ بأمر محسوس امتثلت الحاسة لما همّ به وأرادته دفعة فكلّ كتابة تكون في هذه الألواح والصحف فهو أيضاً مكتوب الله عزّ وجلّ بعد قضائه السابق المكتوب بقلمه الأوّل فيصحّ أن يوصف الله عزّ وجلّ [2] بأمثال ذلك بهذا الاعتبار وان كان مثل هذه الأمور يشعر بالتغير والسّنوح وهو سبحانه منزّه عنه فأن كلّ ماوجد أو سيوجد فهو غير خارج عن عالم ربوبيّته نظير ذلك مامضى في الحديث في باب تأويل مايوهم التشبيه من أنّ

إنه لابدّ من تأويل لفظ البدا فأحسن التأويلات ماذكره الصدوق (عليه الرحمة) في كتاب «التوحيد» ثم ذكر شطراً من كلماته وأشار الى كلمات جم لايسعنا ذكرها في المقام وحيث انّ كلمات شيخنا الصدوق طاب ثراه يغنينا عن كلماتهم أوردناها بعين ألفاظها فهو قال:

ليس البدا كما يظنّه جهال الناس بأنّه بدا ندامة «تعالى الله عن ذلك» ولكن يجب علينا أن نقرّ لله عزّ وجلّ بأن له البدا معناه أن له ان يبدأ بشيء من خلقه فيخلقه قبل شيء ثمّ يعدم ذلك الشيء و يبدأ بخلق غيره أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله أو ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل مانهى عنه وذلك مثل نسخ الشرائع وتحويل القبلة وعدة المتوفى عنها زوجها ولايأمر الله عزّ وجلّ عباده بأمر في وقت ما إلاّ وهو يعلم أن الصلاح لهم في ذلك الوقت في أن يأمرهم بذلك و يعلم أن في وقت آخر الصلاح لهم في أن ينهاهم عن مثل ماأمرهم به فاذا كان ذلك الوقت أمرهم بمايصلحهم.

فمن أقرّ الله عزّ وجلّ بأن له أن يفعل مايشاء و يعدم مايشاء ويخلق مكانه مايشاء و يقدم مايشاء و يؤخر مايشاء و يأمر بماشاء كيف شاء فقد أقرّ بالبدا وماعظم الله عزّ وجلّ بشيء أفضل من الاقرار بأن له الخلق والأمر والتقديم والتأخير واثبات مالم يكن ومحو ماقد كان والبدا هو ردّ على اليهود لأنّهم قالوا انّ الله قدفرغ من الأمر فقلنا انّ الله كلّ يوم في شأن، يحيي ويميت و يرزق و يفعل مايشاء. والبدا ليس من ندامة وانّما هو من ظهور أمر تقول بدا لي شخص في طريقي أي ظهر قال الله عزّ وجلّ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون[3] أي ظهر لهم ومتى ظهر الله تعالى ذكره من عبد صلة لرحمه زاد في عمره ومتى ظهر له منه قطيعة لرحمه نقص من عمره ومتى ظهر له من عبد إتيان الزنا نقص من رزقه وعمره ومتى ظهر له منه التعفّف عن الزنا زاد في رزقه وعمره ومن ذلك قول الصادق (عليه السلام) «مابدا لله بداء كما بدا له في اسماعيل ابني» يقول ماظهر لله أمر كما ظهر له في اسماعيل إبني اذا اخترمه قبلي ليعلم بذلك انه ليس بامام بعدي وقدروى لي من طريق أبي الحسين الأسدي (رضي الله عنه) في ذلك شيء غريب وهو انه روى عن الصادق (عليه السلام) قال مابدا لله بدا كما بدا له في اسماعيل أبي إذا أمر أباه ابراهيم بذبحه ثم فداه بذبح عظيم وفي الحديث على الوجهين جميعاً عندي نظر إلاّ أنّي أوردته لمعنى لفظ البدا والله الموفق للصواب انتهى كلامه أعلى الله مقامه. «ض.ع».

١ . اشارة الى سورة التحريم/٦

٢ . عزّ وجلّ نفسه بأمثال، ق.

٣ . الزمر/٤٧

نسبة الأسف والمظلومية ونحوهما إلى نفسه تعالى إنّما هو باعتبار خلطه بعض عباده بنفسه ولله الحمد على مافهمنا من غوامض علمه.

٤٠٥ ـ ٣ (الكافي ـ ١٤٦:١) الثلاثة، عن هشام بن سالم وحفص بن البختري وغيرهما، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: في هذه الآية :يَمْحُوا اللّهُ مايَشاءُ وَيُثْبِتُ [1] قال:
فقال: «وهل يمحي إلّا ماكان ثابتاً وهل يثبت إلّا مالم يكن؟».

بيــان:

يعني أن في هذه الآية دلالة على ثبوت البداء لله سبحانه فلاوجه لإنكار المخالفين علينا بذلك وذلك لأنّ القول بالبداء لله تعالى من خواص مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

٤٠٦ ـ ٤ (الكافي ـ ١٤٧:١) الثلاثة، عن هشام بن سالم، عن محمد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «مابعث الله نبيّاً حتّى يأخذ عليه ثلاث خصال: الإقرار له بالعبوديّة وخلع الأنداد وأنّ الله يقدم مايشاء و يؤخّر مايشاء».

٤٠٧ ـ ٥ (الكافي ـ ١٦٥:٨) [2] سهل، عن الريان بن الصلت، عن يونس رفعه قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام) «انّ الله تعالى لم يبعث نبيّاً قطّ إلّا صاحب مرّة [3] سوداء صافية ومابعث الله نبيّاً قطّ حتى يقرّ له بالبداء» .

١ . الرعد/٣٩

٢ . رقم ١٧٧.

٣ . في مجمع البحرين: قوله تعالى ذو مرّة فاستوى أي قوة في عقله ورأيه ومتانة في دينه وصحّة في جسمه... ثم قال: والمرّة خلط من اخلاط البدن.. وفيه لم يبعث نبيّاً قط إلّا صاحب مرّة سوداء صافية.
وفي المرآة: قال: لعله كناية عن شدة غضبهم فيما يسخط الله وتشمرهم في ذات الله وحدّة ذهنهم وفهمهم، وتوصيفها بالصفاء لبيان خلوصها عمّا يلزم تلك المرّة غالباً من الأخلاق الذميمة والخيالات الفاسدة. «ض.ع» .

٤٠٨ ـ ٦ (الكافي ـ ١٤٨:١) العدّة، عن البرقي، عن بعض أصحابنا، عن محمدبن عمرو الكوفي أخي يحيى، عن مرازم بن حكيم قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «ماتنبّأ نبيّ قطّ حتى يقرّ لله بخمس بالبداء والمشيّة والسجود والعبودية والطاعة» .

بيــان:

يعني بـ«المشيّة» إنّ كلّ شيء يقع في هذا العالم فانّما يقع بمشيئة الله سبحانه .

٤٠٩ ـ ٧ (الكافي ـ ١٤٨:١) (التهذيب ـ ١٠٢:٩) [١]علي، عن أبيه، عن الريّان بن الصلت قال: سمعت الرضا (عليه السلام) يقول «مابعث الله نبيّاً قط إلّا بتحريم الخمر وأن يقرّ لله بالبداء» .

بيــان:

هذا الحديث نقله في التهذيب عن محمدبن يعقوب وزاد في آخره ـ وانّ الله يفعل مايشاء وأن يكون في تراثه الكندر .

٤١٠ ـ ٨ (الكافي ـ ١٤٨:١) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن مالك الجهني قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «لوعلم الناس مافي القول بالبداء من الأجر مافتروا عن الكلام فيه» .

بيــان:

وذلك لأن أكثر مصالح العباد موقوف على القول بالبداء إذ لواعتقدوا أنّ كلّ ماقدر في الأزل فلابدّ من وقوعه حتماً لمادَعَوُا الله في شيء من مطالبهم وماتضرّعوا إليه

١. رقم٤٤٦.

ومـا استـكانوا لديه ولاخافوا منه ولارجوا إليه إلى غير ذلك من نظائره وأمّا عدم المنافاة بين الأمرين فلايفهمه من ألف ألف إلّا واحد وسرّه أنّ هذه الأمور من جملة الأسباب وقدقُدّر في الأزل أن يتحقّق بها لابدونها .

٤١١ - ٩ (الكـافي - ١٤٧:١) محـمـد، عن أحمد، عن ابن فضال، عن ابن بكير عـن زرارة،عن حمران،عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ قَضىٰ أجَلاً وَأجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ [1] قـال «هما أجلان: أجل محتوم وأجل موقوف» .

٤١٢ - ١٠ (الكـافي - ١٤٧:١) النيسابوريان، عن حمادبن عيسى، عن ربعي عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أباجعفر (عليه السلام) يقول: «العلم علمان: فعلم عند الله مخزون لم يُطّلع عليه أحداً من خلقه وعلم علّمه ملائكته ورسله فاعلّمه ملائكته ورسله فانّه سيكون لايكذب نفسه ولاملائكته ولارسله وعلم عنده مخزون يقدّم منه مايشاء و يؤخّر منه مايشاء و يثبت مايشاء» .

بيـان:

وذلك لأن صور الكائنات كلّها منتقشة في أمّ الكتاب المسمّى بـ«اللوح المحفوظ» تـارة وهـو العـالم العقلي والخلق الأوّل وفي كتاب «المحو والا ثبات» أخرى وهو العالم النفسي والخلق الثاني وأكثر اطلاع الأنبياء والرسل (عليهم السلام) على الأوّل وهو محفوظ من المحو والإ ثبات وحكمه محتوم بخلاف الثاني فإنّه موقوف وفي الأوّل اثبات المحو في الثاني، واثبات الإ ثبات فيه ومحو الإ ثبات عند وقوع الحكم وانشاء أمر آخر فـهو مقدّس عن المحو يحكم باختلاف الأمور وعواقبها مفصلة مسطّرة بتقدير العزيز العليم .

[1] . الأنعام/٢

۴۱۳ ـ ۱۱ (الكافي ـ ۱:۱۴۷) بهذا الأسناد، عن الفضيل قال: سمعت أباجعفر (عليه السلام) يقول: «من الأمور أمور موقوفة عند الله يقدّم منها مايشاء و يؤخر منها مايشاء» .

۴۱۴ ـ ۱۲ (الكافي ـ ۱:۱۴۷) العدّة، عن ابن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن جعفر بن عثمان، عن سماعة، عن أبي بصير و وهيب بن حفص، عن أبي بصير عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «انّ لله علمين: علم مكنون مخزون لايعلمه إلّا هو من ذلك يكون البداء وعلم علّمه ملائكته ورسله وأنبيائه فنحن نعلمه» .

۴۱۵ ـ ۱۳ (الكافي ـ ۱:۲۵۶) محمد، عن بنان، عن السراد، عن ابن رئاب، عن سدير الصيرفي قال: سمعت حمران بن أعين يسأل أباجعفر (عليه السلام) عن قول الله تعالى: بَدِيعُ السَّمٰوٰاتِ وَالأَرْضِ [1] قال أبوجعفر (عليه السلام) «انّ الله تعالى ابتدع الأشياء كلّها بعلمه على غير مثال كان قبله فابتدع السماوات والأرضين ولم يكن قبلهن سماوات ولاأرضون أما تسمع لقوله تعالى وَكٰانَ عَرْشُهُ عَلىَ الْمٰاءِ» [2] فقال له حمران: أرأيت قوله تعالى عٰالِمِ الغَيْبِ فَلايُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً .[3]

فقال أبوجعفر (عليه السلام) «إِلّامَنِ ارْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ [4] وكان والله محمد ممّن ارتضاه وامّا قوله تعالى: عٰالِمِ الغَيْبِ فان الله تعالى عالم بماغاب عن خلقه فيما يقدر من شيء و يقضيه في علمه قبل أن يخلقه وقبل أن يفضيه الى الملائكة فذلك ياحمران؛ علم موقوف عنده إليه فيه المشية فيقضيه إذا أراد و يبدو له فيه فلايُمضيه فأمّا العلم الذي يقدره الله تعالى و يقضيه ويمضيه فهو العلم الذي

۱ . البقرة/۱۱۷ ـ و ـ الأنعام/۱۰۱
۲ . هود/۷
۳ . الجنّ/۲۶
۴ . الجنّ/۲۷

انتهى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم إلينا.

٤١٦ - ١٤ (الكافي - ١٤٨:١) محمد، عن أحمد، عن الحسين، عن السراد، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «مابدا لله في شيء إلّا كان في علمه قبل أن يبدو له».

بيان:

وذلك لأنّ البداء ليس منشأه من عنده بل ولا من عند الخلق الأوّل بل إنّما ينشأ في الخلق الثاني كما علمت.

٤١٧ - ١٥ (الكافي - ١٤٨:١) عنه، عن أحمد، عن ابن فضال، عن داود بن فرقد، عن عمرو بن عثمان الجهني، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «إن الله لم يبدُ له من جهل».

بيان:

وذلك لإحاطة علمه بما كان كما كان وبما سيكون كما سيكون أزلاً وأبداً وإنّما البداء ينشأ من الوسائط لمصالح ترجع الى الخلق.

٤١٨ - ١٦ (الكافي - ١٤٨:١) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس؟ قال: «لا، مَن قال هذا فأخزاه الله» قلت: أرأيت ما كان [أرأيت] [1] ما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: «بلى قبل أن يخلق الخلق».

١ . كذا في نسخ الوافي امّا في الكافي المطبوع والكافيين المخطوطين والمرآة وشرح المولى خليل هكذا: أرأيت ما كان وما هو كائن.

٤١٩ ـ ١٧ (الكافي ـ ١:١٤٨) العدة، عن أحمد، عن جعفر بن محمد، عن يونس عن جهم بن أبي جهم [١] عمن حدثه عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «انّ الله جلّ وعزّ أخبر محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بما كان منذ كانت الدنيا وبما يكون إلى انقضاء الدنيا وأخبره بالمحتوم من ذلك واستثنى عليه فيما سواه» .

١ . أبي جهمه ـ خ ل .

- ٥١ -

باب أسباب الفعل[١]

١٤٢٠ - ١ (الكافي - ١:١٤٨) الاثنان قال: سُئل العالم (عليه السلام) كيف علم الله؟

قال: «علم وشاء وأراد وقدّر وقضى وأمضى فأمضى ماقضى وقضى ماقدّر وقدّر ماأراد فبعلمه كانت المشية وبمشيته كانت الارادة و بارادته كان التقدير وبتقديره كان القضاء و بقضائه كان الامضاء - والعلم يتقدّم[٢] المشية والمشية ثانية والارادة ثالثة والتقدير واقع على القضاء بالامضاء فلله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء فاذا وقع القضاء

١ . قوله: باب أسباب الفعل... التكثير في أسباب الفعل انتزاعي حاصل في المفاهيم بالاعتبارات لتكثر صفات الذات وأسمائه تعالى وكما انّ العلم والقدرة والحياة فيه تعالى مفاهيم متعددة لمعنى واحد لا تكثّر فيه كذلك فعله تعالى شيء واحد هو صدور الممكن عنه بعنايته ورضاه وقيامه به ابتداء واستدامة وهذه المفاهيم أعني المشية والارادة والقضاء والامضاء وغير ذلك مفاهيم منتزعة من شيء واحد غير متكثر و يعبر عنه بعبارات مختلفة باعتبارات شتى ولذلك اختلف الاخبار في عددها وتقدمها وتأخرها ولمارأينا الموجودات مشتملة على حكم وأغراض وفوائد علمنا أنها صدرت عن علم ولمارأينا المقادير فيها منضبطة بحيث اذا غلب أحد الاخلاط على المزاج زالت الصورة علمنا أن كلّ شيء خلقه الله تعالى بقدر ولمارأينا حركات الأفلاك والكواكب منتظمة والأعمال مؤجلة والقاسر للاخلاط على البقاء وعدم الانفكاك أي الروح مهتمّاً بشأنها حافظاً لها مدة علمنا أن كلّ شيء بكتاب وأجل وهكذا نصف فعله بالاعتبارات المختلفة كما نصف ذاته تعالى من غير حصول تكثّر «ش».

٢ . والعلم متقدم على، كذا في الكافي المطبوع والمخطوط وشرح المولى خليل.

بالامضاء فلابداء فالعلم ـ بالمعلوم [١] قبل كونه والمشية في المُشاء قبل عينه والارادة في المراد قبل قيامه والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً ووقتاً والقضاء بالامضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواس من ـ ذي [٢] لون وريح ووزن وكيل ومادبّ ودرج من انس وجنّ وطير وسباع وغير ذلك ممّا يدرك بالحواس فلله تعالى فيه البداء ممّالاعين له فاذا وقع العين المفهوم المدرك فلابداء والله يفعل مايشاء فبالعلم علم الأشياء قبل كونها وبالمشية عرف صفاتها وحدودها وإنشاءها قبل إظهارها وبالارادة ميز أنفسها في ألوانها وصفاتها وبالتقدير قدر أقواتها وعرف أوّلها وآخرها وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلّهم عليها وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها وذلك تقدير العزيز العليم» .

بيــان:

الفرق بين المشيـة والارادة بالكليّة والجزئية والتقدم والمقارنة وكذا الفرق بين القضاء والقدر على المشهور وأمّا في الاخبار فالقضاء بمعنى الحكم والايجاب فيتأخر عن القدر و«الامضاء» هو الايجاد في الخارج قوله «فامضى ماقضى» إلى آخره إشارة الى الترتب الذاتي بين هذه الأمور وقوله «فبعلمه كانت المشيـة» إشارة الى سببية بعضها لبعض وقوله «والعلم يتقدم المشيـة» تصريح بالعلية والمعلولية وقوله «فلله البداء» اشارة الى تعيين محل البداء من هذه المراتب وهو ماوقع في الوسط دون الطرفين وقوله «فالعلم بالمعلوم قبل كونه» الى آخره إشارة الى أنّ هذه الموجودات الواقعة في الأكوان لها ضرب من الوجود والتحقق في العلم الإلٰهي قبل تحققها في العالم الكوني «قبل تفصيلها» أي تفريق بعضها من بعض «وتوصيلها» أي تركيب بعضها مع بعض «ومادبّ ودرج» أي تحرّك ومشى .

١. في المعلوم، كذا في الكافي المطبوع وشرح المولى خليل وفي الكافي المخطوط جعله على نسخة.
٢. ذوي، كذا في بعض نسخ الوافي وكذلك في الكافي المطبوع والمخطوط والمرآة وشرح المولى خليل.

٤٢١ - ٢ (**الكافي** - ١:١٤٩) العدة، عن البرقي، عن أبيه ومحمد، عن ابن عيسى، عن الحسين ومحمد بن خالد جميعاً، عن فضالة، عن محمد بن عمارة.

(الكافي) علي، عن أبيه، عن محمد بن حفص، عن محمد بن عمارة، عن حريز وابن مسكان جميعاً، عن أبي عبدالله (عليه السلام) إنه قال: «لايكون شيء في الأرض ولا في السماء إلّا بهذه الخصال السبع: بمشية وارادة وقدر وقضاء وإذن وكتاب وأجل، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر» .

٤٢٢ - ٣ (**الكافي** - ١:١٤٩) علي، عن أبيه، عن محمد بن خالد، عن زكريا بن عمران، عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال: «لايكون شيء في السماوات ولا في الأرض إلّا بسبع: بقضاء وقدر وارادة ومشية وكتاب وأجل وإذن فمن زعم غير هذا فقد كذب على الله أو ردّ على الله» .

بيان:
«الاذن» هو الامضاء و«الكتاب» ثبته في الألواح و«الأجل» تعيين الوقت .

٤٢٣ - ٤ (**الكافي** - ١:١٥٠) علي بن محمد بن عبدالله، عن البرقي، عن أبيه، عن الديلمي، عن علي بن إبراهيم الهاشمي قال: سمعت أباالحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام) يقول: «لايكون شيء إلّا ماشاء الله وأراد وقدّر وقضى» قلت: مامعنى شاء؟ قال «ابتداء الفعل» قلت: مامعنى أراد؟ قال «الثبوت عليه» قلت: مامعنى قدّر؟ قال «تقدير الشيء من طوله وعرضه» قلت: مامعنى قضى؟ قال «إذا قضى أمضاه فذلك الذي لامردّ له ».

بيـــان:

قراءة «ابتداء الفعل» على المصدر ليوافق نظيره أولى ولم نجد في نسخ الكافي السؤال عن معنى الارادة وجوابه وإنّما كتبنا ذلك من الاحتجاج «اذا قضى امضاه» يعني انّ القضاء مايتفرّع عليه الامضاء وهو الحكم والايجاب .

٤٢٤ ـ ٥ (الكافي ـ ١: ١٥٠) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن أبان، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): شاء وأراد وقدّر وقضى؟ قال: «نعم» قلت وأحبّ؟ قال «لا» قلت وكيف شاء وأراد وقدّر وقضى ولم يُحبّ قال: «هكذا خرج إلينا» .

بيـــان:

لعل الإمام (عليه السلام) إنّما أعرض عن جواب السائل وأبهم الأمر فيه لدقة الجواب وكونه بحيث لاينالـه فهم الأكثرين ويمكن الاشارة الى لمعة منه لمن كان أهله في هذا الزمان الذي يوجد فيه أقوام متعمّقون كما أشير اليه في حديث عاصم بن حميد في باب النسبة بان يقال ان المشية والارادة والتقدير والقضاء كلها من فعل الله سبحانه وهي حكم الله في الأشياء على حد علمه بها وأما المشيء المراد المقدر المقضي الذي يقع في الوجود فانه ربّما يكون من فعل العبد الذي يطلبه من الله تعالى باستعداده وهو قديكون محبوباً مرضياً كالايمان والطاعات وقديكون مبغوضاً مسخوطاً كالكفر والمعاصي .

ولا شك أنّ الحكم غير المحكوم به والمحكوم عليه لكونه نسبة قائمة بهما فلايلزم من كون الحكم الذي من طرف الحقّ خيراً أن يكون المحكوم به الذي من جهة العبد خيراً ومحبوباً وهذا هو التحقيق في التفصّي عن شبهة [1] مشهورة هي أنه قدثبت

١ . وربما يجاب عن الشبهة بالفرق بين القضاء بالذات و بالعرض فالمأمور به هو الرضا بمايوجبه القضاء بالذات وهو الخيرات كلّها والمنهي عنه هو الرضا بمايوجبه القضاء على سبيل العرض وهو الشرور اللازمة للخيرات الكثيرة بالنسبة إلى بعض

وجوب الرضا بالقضاء وعدم جواز الرضا بالكفر والمعاصي فاذا كان الكفر والمعاصي بالقضاء فكيف التوفيق وفي هذا المقام اسرار طوبى لمن فاز بها.

٤٢٥ - ٦ (الكافي - ١: ١٥٠) علي، عن أبيه، عن علي بن معبد، عن واصل بن سليمان، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سمعته يقول «أمر الله ولم يشأ وشاء ولم يأمر [1] أمر ابليس أن يسجد لآدم وشاء أن لايسجد ولو شاء لسجد ونهى آدم (عليه السلام) عن أكل الشجرة وشاء أن يأكل منها ولو لم يشاء لم يأكل» .

الجزئيات وهذا الجواب أقرب الى الأفهام وذلك الى الحقّ ولايمكن إجراؤه فيما نحن فيه بأن يقال إنّما نفي المحبّة بالذات لابالعرض لأن المحبّة كأخواتها في ذلك فالمعتمد ماقلناه. منه - (رحمه الله).

١ . قوله: «أمر الله ولم يشأ وشاء ولم يأمر...» ظاهر هذا الحديث غير مراد قطعاً لأنه لايوافق مذهب الشيعة وغيرهم من أهل العدل في اتحاد الطلب والارادة ولايجوز أن يأمر الله بشيء يريد أن لايقع والتأويلات الممكنة هنا مذكورة في مرآة العقول أحسنها تأويل المشيئة بالعلم فقوله أمر الله ولم يشأ أي أمر ولم يعلم الاطاعة أمر ابليس أن يسجد لآدم وعلم انّه لايسجد ولو علم أنه يسجد لسجد والتزم كثير من الناس مذهب الاشاعرة في الفرق بين الطلب والارادة إلّا انّهم سمّوهما بالطلب الانشائي والواقعي أو الارادة التكوينية والتشريعية وهو يخالف المذهب لأنّه يستلزم التكليف بمالايطاق لأنّ الله تعالى اذا شاء أن لايسجد ابليس لآدم امتنع منه السجود فتكليفه تكليف بمالايطاق فإن قيل كيف يجوز اطلاق المشيئة على العلم قلنا يطلق المشيئة والارادة على كلّ شيء يستتبع حدوث شيء كقوله تعالى: **جداراً يريد أن ينقضّ** [2] واطلق يريد باعتبار وجود آثار في الجدار يتبعها الانقضاض وكقوله تعالى: **إنّي أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك** [3] يعني إنّي أصبر على ظلمك ولاأهم بقتلك فيتبع عملي هذا أن تحمل إثمي وإثمك معاً فأطلق أريد على الصبر والحلم وقال الشاعر:

تعاللت كي أشجى ومابك علّة تريدين قتلي قدظفرت بذلك

فاطلق تريدين على الدلال واظهار المرض فانه يستتبع قتل العاشق ونقول من شاء أن يدخل النار شرب الخمر ولايشاء ذلك شارب الخمر وإنّما يستتبع فعله وقال تعالى: **ولاتقولنّ لِشَايْءٍ انّي فاعل ذلك غداً إلّا أن يشاء الله** [4] وليس المراد المشيئة الملزمة حتى يلزم الجبر، بل المراد الاّ أن يعلم الله ولما كان علم الله تعالى بما سيقع يستتبع وقوعه صحّ اطلاق المشيئة والارادة عليه ولايلزم منه الجبر ولاالتكليف بما لايطاق و يدلّ على هذا التأويل مارواه الفضيل بن يسار عن أبي عبدالله (عليه السلام): (شاء أن لايكون شيء إلّا بعلمه وأراد مثل ذلك ولم يحب أن يقال ثالث ثلاثة ولم يرض لعباده الكفر انتهى).
فلم يشأ أن يكون الكافر كافراً لكنه تعالى شاء أن يكون كفر من كفر بعلمه وسيأتي لذلك زيادة تأييد إن شاء الله. «ش».

٢ . الكهف/٧٧

٣ . المائدة/٢٩

٤ . الكهف/٢٣-٢٤

بيــان:

سرّ هذا الكلام ان لله سبحانه بالنسبة الى عباده أمرين: أمراً إرادياً ايجادياً وأمراً تكليفياً ايجابياً والأوّل بلاواسطة الأنبياء (عليهم السلام) ولايحتمل العصيان والمطلوب منه وقوع المأمور به و يوافق مشيته تعالى طرداً وعكساً لايتخلف عنها البتة فيقع المأمور به لامحالة واليه أشير بقوله عزّ وجلّ إنّما أمرُنا لشيءٍ إذا أردْناهُ أنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون [1] والثاني يكون بواسطة الأنبياء (عليهم السلام) والمطلوب منه قديكون وقوع المأمور به فيوافق مشيته تعالى و يقع المأمور به من غير معصية فيه كالأوامر التي كلف الله بها الطائعين وقديكون نفس الأمر من دون وقوع المأمور به لحكم ومصالح ترجع الى العباد،فهذا الأمر الذي لايوافق المشية ولاالارادة يعني لم يشاء الله به وقوع المأمور به ولاأراده وإن شاء لأمر به وأراد وأمر، ولذلك لم يقع المأمور به.

٤٢٦ - ٧ (الكافي - ١:١٥١) علي، عن المختار بن محمد الهمداني ومحمدبن الحسن، عن عبدالله بن الحسن العلوي جميعاً، عن الفتح بن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: «انّ لله إرادتين [2] ومشيتين ارادة حتم وارادة

١ . سورة النحل/٤٠ ـ في الأصل وفي سائر النسخ «انّما أمرنا لشيء الخ» والآية: إنّما قولنا لشيء الخ نعم الآية المشتملة على كلمة الأمر هي في سورة يس/٨٢ انّما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. «ض.ع» .

٢ . قوله: «إن لله ارادتين ...» الظاهر انّ المراد من احدى الارادتين الارادة الحقيقية المتعلّقة بأصل الفعل الموجبة بصيرورة الفعل موجوداً قهراً تكويناً أو واجباً على المكلّف تشريعاً ومن الأخرى الارادة التي لايستلزم وقوعه قهراً تكويناً أو وجوبه على المكلّف تشريعاً نظير ارادة الكفر من ابليس تكويناً فانّها بمعنى علمه بصدور الكفر منه باختياره لاقهراً ونظير ارادة ذبح الولد من ابراهيم (عليه السلام) تشريعاً فانّها في الحقيقة أمر بمقدمات الذبح ولم يكن أمر حقيقي بالذبح قال السيد عميدالدين في شرح التهذيب وهل هو أي الطلب مغاير للارادة قالت الأشاعرة نعم وأنكره المعتزلة وزعموا أن الطلب عبارة عن إرادة المأمور به وهو الحق، لنا أن الزائد على الارادة غير معقول لنا ولوثبت لكان أمراً خفياً في الغاية الى أن قال واحتجّت الأشاعرة بوجوه: الأول أنه تعالى أمر الكافر الذي علم منه عدم الطاعة بها ولم يردها منه لكونها ممتنعة فقدثبت وجود الأمر من دون الارادة الثاني يصحّ أن يقول احد من الناس لغيره أريد منك الفعل ولاآمرك به الثالث ان السيد قديأمر عبده بمالايريد كما لوضرب عبده فتوعده الملك بالمؤاخذة ان كان لاالموجب فاعتذر بأنّه لايمتثل أمره فطلب الملك امتحانه بأن يأمره في حضرته بأمر فان السيد حينئذ يأمره بفعل ولايريده منه انتهى ملخصاً ثم أجاب عنها جميعاً بماهو معروف وحاصل جوابه عن الأول إن علم الله بأن الكافر لايؤمن ليس موجباً لجبره على الكفر وعن الثاني بانّا لم ندّع ان كلّما وجد ←

عزم، ينهي وهو يشاء و يأمر وهو لايشاء، أو مارأيت أنه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك ولولم يشأ أن يأكلا لماغلبت مشيتهما مشية الله وأمر إبراهيم أن يذبح اسحاق ولم يشأ أن يذبحه ولوشاء أن يذبحه لماغلبت مشيئة ابراهيم مشية الله» [1].

بيــان:

«لماغلبت مشية ابراهيم مشية الله» يعني محبته الطبيعية لبقاء ولده وذلك لاينافي ارادة الطاعة منه والتسليم لأمر الله المشار إليه بقوله عزّ وجلّ: فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ [2] حاشا الخليل أن يشاء مالايشاء الله .

٨ ـ ٤٢٧ (الكافي ـ ١:١٥١) علي، عن أبيه، عن علي بن معبد، عن درست عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «شاء وأراد ولم يحبّ ولم يرض، شاء أن لايكون شيء إلّا بعلمه وأراد مثل ذلك ولم يحب أن يقال ثالث ثلاثة ولم يرض لعباده الكفر» .

←

إرادة شيء وجب الأمر به بل كلّما وجد الأمر وجب تحقق الإرادة فيه ولوعكس وقال آمرك بفعل لاأريده منك لزم المغايرة التي تدّعيها الأشاعرة.

وعن الثالث بأن السيد أوجد صورة الأمر من غير أمر انتهى تلخيص كلامه فظهر منه ان مالدعاه بعض المتأخرين أن البحث بين الأشاعرة والمعتزلة لفظي وانّ الفرق بين الطلب والارادة أظهر من الشمس وأبين من الأمس ناش من قلّة التتبع و يتوهّم غير المتدبر أنّ الإرادة التي تكون في الأوامر الامتحانية وأمثالها محالاً يريد الآمر صدوره من المكلّف نظير أمر ابراهيم (عليه السلام) بذبح ولده والحق أن الارادة حقيقة تعلّقت بمقدمات الفعل وتوطئة النفس والهمّ بالطاعة وامّا صورة الأمر بذبح الولد فليس فيه ارادة أصلاً بل الأمر بها مستعمل في غير معناه الحقيقي أعني الطلب نظير «كونوا حجارة أو حديداً» وقوله نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة أي نهاهما تشريعاً وشاء ذلك أي علم انّهما يأكلان باختيارهما وأراد أن يكون صدور الفعل منهما لاقهراً عليهما وقوله «ولولم يشأ أن يأكلا» يعني بالقهر والجبر لماغلب مشيئتهما مشيئة الله وكان امتناعهما من الأكل قهرياً ولم يكونا حينئذ مأمورين بالأكل ولامنهيين عنه. «ش».

١ . كذا في نسخ الوافي ولكن في النسخة المخطوطة من الكافي هكذا وأمر ابراهيم أن يذبح اسحاق ولم يشأ ان يذبحه ولوشاء لماغلبت مشيئة ابراهيم مشيئة الله.

٢ . الصافات/١٠٣

٤٢٨ ـ ٩ (الكافي ـ ١٥٢:١) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن حمزةبن محمد الطيّار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «مامن قبض ولابسط إلّا ولله فيه مشية وقضاء وابتلاء» .

٤٢٩ ـ ١٠ (الكافي ـ ١٥٢:١) العدة، عن البرقي، عن أبيه، عن فضالة، عن حمزةبن محمد الطيار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «إنّه ليس شيء فيه قبض أو بسط ممّا أمر الله به أو نهى عنه إلّا وفيه لله جلّ جلاله ابتلاء وقضاء» .

بيـــان:

الابتلاء من الله سبحانه اظهار ماكتب لنا أو علينا في القدر وإبراز ماأودع فينا وغرّز في طباعنا بالقوة بحيث يترتب عليه الثواب والعقاب،فانّه مالم يخرج من القوة الى الفعل لم يوجد بعد وإن كان معلوماً لله سبحانه فلايحصل ثمرته وتبعته اللازمتان ولهذا قال: عزّ وجلّ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتّىٰ نَعْلَمَ الْمُجاهِدينَ مِنْكُمْ وَالصّابِرينَ وَنَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ [١] «وأمثال ذلك أي نعلمهم موصوفين بهذه الصفة بحيث يترتّب عليها الجزاء وأمّا قبل ذلك الابتلاء فإنّه عَلِمَهم مستعدين للمجاهدة والصبر صائرين إليها بعد حين.

٤٣٠ ـ ١١ (الكافي ـ ١٥٢:١) محمد، عن أحمد، عن البزنطي قال: قال أبوالحسن الرضا (عليه السلام) قال الله تعالى [٢] ابن آدم بمشيتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ماتشاء و بقوتي أديت فرائضي و بنعمتي قوّيت على معصيتي جعلتك سميعاً بصيراً قويّاً ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة فمن

١ . محمد/٣١

٢ . [يا] ابن آدم الكافي المطبوع.

نفسك وذلك إنّي أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك منّي وذاك انّى[1] لاأسأل عمّا أفعل وهم يسألون صدق الله» .

٤٣١ - ١٢ (الكافي - ١٥٩:١) محمد بن ابي عبدالله وغيره، عن سهل،عن البزنطي قال: قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام): «إنّ بعض أصحابنا يقول بالجبر و بعضهم يقول بالاستطاعة قال: فقال لي اكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم قال علي بن الحسين (عليهما السلام) قال الله عزّ وجلّ: يابن آدم الحديث قال في آخره قدنظمت لك كلّ شيء تريد» .

بيــان:

إنّما كان الله أولى بحسنات العبد منه لأنّ القوة القاهرة المبدأيّة لا تمكن الوسائط في استقلال التأثير وإنّما كان العبد أولى بسيئآته من الله لأن النقائص والشرور من لوازم الماهيات المتنزلة في عالم التضاد وأمّا أنّه لايسأل عمّايفعل فلأنّ الغاية في فعله سبحانه غير زائدة على ذاته وعلمه بذاته إذ لايتصوّر أن يكون أمر أولى بالغنى المطلق أن يقصده وإلّالكان فقيراً في حصول ماهو الأولى له إلى ذلك الشيء وتحقيق هذا يحتاج الى بسط من الكلام ليس هاهنا محله فليطلب من كتبنا التي ألفناها في أصول أصول الدين وسيأتي مايصلح أن يكون زيادة شرح لهذا الحديث وأمّا مافي آخر الرواية الثانية من الزيادة فيحتمل أن تكون من كلام الله و يكون معناها قدنظمت أسباب معاشك ومعادك وسهلت عليك سبيل الخير وأوضحت لك طريقي السعادة والشقاوة من غير جبر وضيق عليك ولامنع وصدّ منّي إياك فان أطعت وسلكت سبيل الخير والسعادة فلك الأجر والثواب ولي عليك الفضل والمنّة وإن عصيت وسلكت سبيل الشقاوة فلزمك العذاب وتبعك الحساب والعقاب ولي عليك الحجة والعتاب. ويحتمل أن يكون من كلام أبي الحسن الرضا أو علي بن الحسين (عليهم السلام) و يكون معناها قدبيّنت لك مافي هذه المسألة من الإبهام والإشتباه.

١. انّني، ك، ق، والكافي المطبوع.

-٥٢-
باب السعادة والشقاوة[1]

٤٣٢ - ١ (الكافي - ١٥٢:١) النيسابوريان، عن صفوان، عن منصور بن حازم عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «ان الله خلق السعادة - والشقاء [2] قبل أن يخلق خلقه فمن خلقه الله سعيداً لم يبغضه أبداً، وإن عمل شرّاً أبغض عمله ولم يبغضه، وإن كان شقياً لم يحبه أبداً وإن عمل صالحاً أحبّ عمله وأبغضه لما يصير اليه، فاذا أحبّ الله شيئاً لم يبغضه أبداً واذا أبغض شيئاً لم يحبه أبداً» .

١ . قوله: باب السعادة والشقاوة، مذهبنا في هذه الأبواب الى آخر هذا الجزء معروف معلوم وتحقيقه في كتب الكلام مذكور وماورد من الأخبار في هذه الأبواب وغيرها إن كان مطابقاً لماثبت بالتواتر من أئمتنا (عليهم السلام) من نفي الجبر والتفويض والعدل واللطف فهووإن لم يكن مطابقاً صريحاً و يقبل التأويل بحيث يوافق المعلوم الثابت منهم (عليهم السلام) وجب التأويل ولو بتكلّف وإن لم يطابقه أصلاً وأفاد الجبر والظلم عليه تعالى الله عنه وجب ردّه و بالجملة فالأصل هو ماثبت عنهم بالتواتر.
وتقرّر في علم الكلام ويجب ارجاع الأخبار إليه إن أمكن وإلّا فلااعتماد على ماروى بطريق الآحاد إن خالف ماثبت في علم الكلام ومن ذلك مااتّفق عليه المتكلّمون من أصحابنا أن القدرة قبل الفعل وقدورد أحاديث تدلّ على أن الاستطاعة مع الفعل موافقاً لمذهب الأشاعرة والجبرة فان أمكن التأويل فهو وإلّا فدلولها لايوافق المذهب المعروف الذي لاشبهة فيه إلّا أن يراد بها نفي التفويض لااثبات الجبر. «ش».
٢ . الشقاوة - ف.

بيـــان:

السرّ في تفاوت النفوس في الخير والشرّ واختلافها في السعادة والشقاوة هو اختلاف الاستعدادات وتنوع الحقائق فان المواد السفلية بحسب الخلقة والماهية متبائنة في اللطافة والكثافة وأمزجتها مختلفة في القرب والبعد من الاعتدال الحقيقي والأرواح الإنسيّة التي بازائها مختلفة بحسب الفطرة الأولى في الصفاء والكدورة،والقوة والضعف مترتبة في درجات القرب والبعد من الله تعالى لماتقرر وتحقّق أنّ بازاء كلّ مادة ماينـاسبها من الصور فأجود الكمالات لأتم الاستعدادات وأخسّها لأنقصها كما أشير اليه بقوله (عليه السلام).

«الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام» فلايمكن لشيء من المخلوقات أن يظهر في الوجود ذاتاً وصفة وفعلاً، إلّابقدر خصوصيّة قابليته واستعداده الذاتي ووجه آخر وهو أنه قدثبت أنّ لله عزّ وجلّ صفات وأسماء متقابلة هي من أوصاف الكمال ونعوت الجلال ولها مظاهر متبائنة بها يظهر أثر تلك الأسماء فكلّ من الأسماء يوجب تعلّق إرادته سبحانه وقدرته الى ايجاد مخلوق يدلّ عليه من حيث اتصافه بتلك الصفة،فلذلك اقتضت رحمة الله جلّ وعزّ ايجاد المخلوقات كلّها لتكون مظاهر لأسمائه الحسنى ومجالي لصفاته العليا.

مثلاً لمّاكان قهاراً أوجد المظاهر القهرية التي لايترتب عليها إلّاأثر القهر من الجحيم وساكنيه والزقوم ومتناوليه ولماكان عفوّاً غفوراً أوجد مجالي للعفو والغفران يظهر فيها آثار رحمته وقس على هذا فالملائكة ومن ضاهاهم من الاخيار وأهل الجنة مظاهر اللطف والشياطين ومن والاهم من الأشرار وأهل النّار مظاهر القهر ومنها تظهر السعادة والشقاوة فنهم شقي وسعيدفظهر أن لاوجه لاسناد الظلم والقبائح الى الله سبحانه لأنّ هذا الترتيب والتميز من وقوع فريق في طريق اللطف وآخر في طريق القهر من ضروريات الوجود والايجاد ومن مقتضيات الحكمة والعدالة ومن هنا قال بعض العلماء: ليت شعري لِمَ لاينسب الظلم الى الملك المجازي حيث يجعل بعض من تحت تصرفه وزيراً قريباً و بعضهم كنّاساً بعيداً لأن كلاً منها من ضروريات مملكته

و ينسب الظلم الى الله تعالى في تخصيص كلّ من عبيده بإخصص مع أنّ كلاً منها ضروري في مقامه.

٤٣٣ ـ ٢ (الكافي ـ ١:١٥٣) علي بن محمد رفعه، عن (العقرقوفي) عن أبي بصير قال: كنت بين يدي أبي عبدالله (عليه السلام) جالساً وقدسأله سائل فقال: جعلت فداك يابن رسول الله من أين لحق الشقاء أهل المعصية حتى حكم [1] لهم في علمه بالعذاب على عملهم؟

فقال: أبوعبدالله (عليه السلام) «أيها السائل حُكم الله عزّوجلّ ان لايقوم له أحد من خلقه بحقّه فلمّاحكم بذلك وهب لأهل محبته القوّة على معرفته ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ماهم أهله ووهب لأهل المعصية القوة على معصيته لسبق علمه فيهم ومنعهم إطاقة القبول منه فواقعوا [2] ماسبق لهم في علمه ولم يقدروا أن يأتوا حالاً ينجيهم من عذابه لأنّ علمه أولى بحقيقة التصديق وهو معنى شاء ماشاء وهو سرّه» .

بيـــان:

يمكن الاشارة الى سرّ ذلك لأهله من المتعمقين وإن كان الظاهريون لبمعزل عن فهمه ونيله بأن يقال لما كان الخلق هم المعلومون لله سبحانه وهو العالم بهم والمعلوم يعطي العالم ويجعله بحيث يدرك ماهو عليه في نفسه ولاأثر للعلم في المعلوم بأن يحدث فيه مالايكون له في حدّ ذاته بل هو تابع للمعلوم والحكم على المعلوم تابع له فلاحكم من العالم على المعلوم إلّا بالمعلوم وبمايقتضيه بحسب استعداده الكلّي والجزئي،فاقدّر الله سبحانه على الخلق الكفر والعصيان من نفسه بل باقتضاء أعيانهم وطلبهم بألسنة استعداداتهم أن يجعلهم كافراً أو عاصياً كما تطلب عين الصورةالكلبية الحكم عليها بالنجاسة العينيّة فما كانوا في علم الله سبحانه ظهروا به في وجوداتهم العينية فليس

١ ـ حكم الله لهم، كذا في الكافي المطبوع.
٢ ـ كذا في نسخ الوافي ولكن في الكافي المطبوع فواقفوا، وجعله في الكافي المخطوط على نسخة.

للحق إلّاإفاضة الوجود عليهم والحكم لهم وعليهم،فلايحمدوا إلّاأنفسهم ولايذموا إلّاأنفسهم ومايبقى للحقّ إلّاحمد ـ إفاضة [١] الوجود لأن ذلك له لالهم ولذلك قال مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [٢] أي ماقدرت عليهم الكفر الذي يشقيهم ثم طلبتهم بماليس في وسعهم أن يأتوا به بل ماعاملناهم إلّابما علمناهم وماعلمناهم إلّابماأعطونا من نفوسهم ممّاهم عليه فان كان ظلماً فهم الظالمون ولذلك قال وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [٣].

وفي الحديث «من وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلايلومنّ إلّانفسه» كذا قيل، فان قلت لوكانت المعلومات أعطت الحقّ سبحانه العلم من نفسها فقدتوقف حصول العلم له على المعلومات ومن توقّف وصفه على شيء كان مفتقراً الى ذلك الشيء ووصف العلم له سبحانه وصف نفسي ذاتي فكان يلزم من هذا أن يكون في نفسه مفتقراً الى شيء تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً قلنا. ليس الأمر كذلك بل الله سبحانه إنّما علم المخلوقات بعلم أصلي ذاتي منه تعالى غير مستفاد ممّا هي عليه فيما اقتضته بحسب ذواتها غير أنّها إقتضت في نفسها ماكانت عليه في علمه سبحانه فحكم لها ثانياً بمااقتضته بحسب علمه ولأجل ذلك قيل إنّها أعطته العلم من نفسها فان قلت فمافائدة قوله سبحانه: وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ [٤] قلنا «لو» حرف امتناع لامتناع، فماشاء إلّا ماهو الأمر عليه ولكن عين الممكن قابل للشيء ونقيضه في حكم دليل العقل وأيّ الحكمين المعقولين وقع فهو الذي عليه الممكن في حال ثبوته في العلم فشيته أحديّة التعلق وهي نسبة تابعة للعلم والعلم نسبة تابعة للمعلوم والمعلوم أنت وأحوالك فعدم المشية معلل بعدم إعطاء أعيانهم هداية الجميع لتفاوت استعداداتهم وعدم قبول بعضها الهداية وذلك لأن الاختيار في حقّ الحقّ تعارضه وحدانية المشية فنسبته الى الحقّ من حيث ماهو الممكن عليه لامن حيث

١ . اضافة الوجود ق، افاضته الوجود، ك .
٢ . ق/٢٩
٣ . البقرة/٥٧ ـ الأعراف/١٦٠ ـ التوبة/٧٠ـ النحل/٣٣و١١٨ العنكبوت/٤٠ـ الروم/٩
٤ . النحل/٩

ماهو الحقّ عليه قال تعالى: وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي [١] وقال: أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ [٢].

وقال: مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ [٣] فهذا هو الذي يليق بجناب الحقّ والذي يرجع الى الكون وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا [٤] فاشاء فان الممكن قابل للهداية والضلال من حيث ماهو قابل، فهو موضع الانقسام وفي نفس الأمر ليس للحق فيه إلّا أمر واحد فان قلت حقائق المخلوقات واستعداداتها فائضة من الحقّ سبحانه فهو جعلها كذلك قلنا: الحقائق غير مجعولة بل هي صور علمية للأسماء الإلٰهية وانّما المجعول وجوداتها في الأعيان والوجودات تابعة للحقائق ولنقبض عنان القلم عن أمثال هذه الأسرار فإنها من جملة أسرار القدر المنهي عن إفشائها ولله الحمد .

٤٣٤ ـ ٣ (الكافي ـ ١:١٥٤) العدة، عن البرقي، عن أبيه، عن النضر، عن يحيى بن عمران الحلبي، عن معلّى أبي عثمان، عن علي بن حنظلة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) إنّه قال: «يُسلَك بالسعيد في طريق الأشقياء حتى يقول الناس ماأشبهه بهم بل هو منهم، ثمّ يتداركه السعادة وقد يُسلَك بالشقيّ طريق السّعداء حتى يقول الناس ماأشبهه بهم بل هو منهم، ثمّ يتداركه الشقاء إنّ من كتبه الله سعيداً وان لم يبق من الدنيا إلّا فواق ناقة خُتم له بالسعادة» .

بيـان:

«الفواق» مابين الحلبتين من الوقت لأنّها تحلب ثمّ تترك سويعة يرضعها [٥] الفصيل لتدرّ، ثم تحلب فيقال ماأقام عنده إلّا فواقاً وفي الحديث «العيادة قدر فواق ناقة» .

١ ـ السجدة/١٣
٢ ـ الزمر/١٩ في الأصل حقت عليه وصححناه وفقاً للقرآن الكريم.
٣ ـ ق/٢٩
٤ ـ السجدة/١٣
٥ ـ يرتضعها، ق.

-٥٣-

باب الخير والشّر

٤٣٥ - ١ (الكافي - ١٥٤:١) العدة، عن البرقي، عن السرّاد وعلي بن الحكم، عن ابن وهب قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «إنّ ممّا أوحى الله إلى موسى (عليه السلام) وأنزل عليه في التوراة -إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا خلقت الخلق وخلقت الخير وأجريته على يدي من أحبّ فطوبى لمن أجريته على يديه وأنا الله لا إله إلّا أنا خلقت الخلق وخلقت الشرّ وأجريته على يدي من أريده فويل لمن أجريته على يديه» .

٤٣٦ - ٢ (الكافي - ١٥٤:١) العدة، عن البرقي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن حكيم، عن محمد قال: سمعت أباجعفر (عليه السلام) يقول «إنّ في بعض ما أنزل الله من كتبه إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا خلقت الخير وخلقت الشرّ فطوبى لمن أجريت على يديه الخير وويل لمن أجريت على يديه الشرّ وويل لمن يقول كيف ذا وكيف ذا»؟

٤٣٧ - ٣ (الكافي - ١٥٤:١) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن بكار بن كردم، عن مفضل بن عمر وعبدالمؤمن الأنصاري، عن أبي عبدالله (عليه

السلام) قال: «قال الله جلّ وعزّ أنا الله لاإله إلّاأنا خالق الخير والشرّ فطوبى لمن أجريت على يديه الخير وويل لمن أجريت على يديه الشرّ وويل لمن يقول كيف [1] هذا»؟ قال يونس يعني من ينكر هذا الأمر يتفقه فيه» .

بيـــان:

بكّار بفتح الموحدة والتشديد «وكردم» معناه في اللغة الرّجل القصير [2] الضخم ثم جعل علماً وشاعت به التسمية قوله «يتفقّه فيه» أي يجتهد بعقله و يقول برأيه وقدمضى منّا مايصلح شرحاً لهذه الأخبار .

١ . لمن يقول كيف ذا وكيف هذا، كذا في الكافي المطبوع والمخطوط. وقال في الهدايا: كيف ذا وكيف ذا كناية عن السؤال عن الوجه المخزون عند العدل الحكيم أو الحكم بوجهها رأياً وقياساً أو الانكار لحقيّة حكم الحديث، انتهى «ض.ع».

٢ . وكردم كجعفر وقيل كمنصر ومن معاني كردم الشجاع ولعله وجه تسميته وبكار هو المذكور في ج١ ص٢٧٢ مجمع الرجال «ض.ع».

- ٥٤ -
باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين

٤٣٨ - ١ (الكافي - ١:١٥٥) علي بن محمد، عن سهل واسحاق بن محمد وغيرهما رفعوه قال: كان أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه) جالساً بالكوفة بعد منصرفه من صفّين إذ أقبل شيخ فجثى بين يديه ثم قال له: ياأميرالمؤمنين؛ أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر؟ فقال له أميرالمؤمنين (عليه السلام) «أجل ياشيخ ماعلوتم تلعة ولاهبطتم بطن واد إلّابقضاء من الله وقدر» فقال له الشيخ عند الله احتسب عنائي ياأميرالمؤمنين؛ فقال له «مه ياشيخ فوالله لقدعظم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم سائرون وفي مقامكم وأنتم مقيمون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولاإليه مضطرين» .

فقال له الشيخ: وكيف لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولاإليه مضطرين وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا؟ فقال له «وتظنّ أنه كان قضاء حتماً وقدراً لازماً؟ إنّه لوكان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله (عزّ وجلّ) وسقط معنى الوعد والوعيد فلم تكن لائمة للمذنب ولامحمدة للمحسن ولكان المذنب أولى بالاحسان من المحسن ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدريّة هذه الأمة ومجوسها إن الله تبارك وتعالى كلّف

تخييراً ونهى تحذيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يُعص مغلوباً ولم يُطع مكرهاً ولم يُمَلِّك مُفوضاً ولم يخلق السماوات والأرض ومابينهما باطلاً ولم يبعث النبيّين مبشرين ومنذرين عبثاً ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ [١] فأنشأ الشيخ يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من أمرنا ماكان ملتبساً جزاك ربّك بالإحسان احساناً.

بيـــان:

اسناد هذا الحديث في توحيد الشيخ الصدوق (رحمه الله) متصل غير مرفوع هكذا: احمدبن عمران الدقاق عن محمدبن الحسن الطائي عن سهل عن علي بن جعفر الكوفي قال: سمعت سيدي علي بن محمد (عليها السلام) يقول: حدّثني أبي محمدبن علي عن أبيه الرضا عن أبيه عن أبيه عن أبيه عن أبيه الحسين (عليهم السلام) ورواه بسند آخر أيضاً «الصفين» كـ«سجين» موضع قرب الرقة بشاطىء الفرات كانت به الوقعة العظمى بين أميرالمؤمنين (عليه السلام) ومعاوية بن أبي سفيان وجثا يجثوا ـ جثواً ـ وجثياً بضمها: جلس على ركبتيه وأقام على أطراف أصابعه و«التلعة» ماارتفع من الأرض «عند الله أحتسب عنائي» أي منه أطلب أجر مشقّتي في هذا السفر مع وقوع ذلك بقضائه وقدره كأنّه استبعد ذلك وزعم أن فيه تضاداً وزيد في بعض الروايات ولاأرى لي في ذلك أجراً، فردعه (عليه السلام) وذكر «انّه ليس حتماً يبلغ حدّ الإكراه والاضطرار» .

وذلك لأنه إنّما وقع بالأسباب التي من جملتها اختيار العبد وسعيه وإن كان ذلك أيضاً مقضياً، ثم بيّن ذلك ببيان مفاسد الجبر «وانّما كان المذنب أولى بالإحسان» لأنّه لايرضى بالذنب كما يدلّ عليه جبره عليه [٢] فجبره عليه يستدعي إحساناً في مقابلته «والمحسن أولى بالعقوبة» لأنّه لايرضى بالاحسان لدلالة الجبر عليه ومن لايرضى

١ . ص/٢٧
٢ . عليه بالذنب، ق.

بالاحسان أولى بالعقوبة من الذي يرضى به قوله «ومجوسها» إشارة الى الحديث النبوي المشهور «القدرية مجوس هذه الأمة» ووجه تسميتهم بالمجوس مشاركتها في سلب الفعل عن العبد فانّ المجوس يسندون الخيرات الى الله والشرور الى ابليس وتحقيق هذا المقام يحتاج الى بسط من الكلام فنقول و بالله التوفيق: إعلم أنّ القدر في الأفعال وخلق الأعمال من الأسرار والغوامض التي تحيّرت فيها الأفهام واضطربت فيها آراء الأنام ولم يرخّص في إفشائها بالكلام فلايدوّن إلّا مرموزاً ولا يعلّم إلّا مكنوناً لما في إظهاره من إفساد العامة وهلاكهم ولهذا لم يرد في بيانه إلّا مجملات وترى أئمتنا (عليهم السلام) تارة يقولون في مثله «هكذا خرج إلينا» كمامرّ، وأخرى يقولون «لاجبر ولاقدر ولكن منزلة بينها» فيها الحق التي بينها لايعلمها إلّا العالم أو من علّمها إيّاه العالم كما يأتي .

وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «القدر سرّ الله فلا تظهروا سرّ الله» وفي معناه اخبار أُخر فالغور فيه ممنوع منه إلّا أنّه يمكن الاشارة الى لمعة منه لمن كان أهله بنقل المذاهب و بيانها فانّ الآراء أربعة: اثنان فاسدان وهما: الجبر والتفويض اللذان هلك بها كثير من الناس واثنان دائران حول التحقيق ومرجعها الى الأمر بين الأمرين أحدهما أقرب الى الحق والنقول وأبعد من الافهام والعقول وهو طريقة أهل الشهود العارفين بأسرار الأخبار والآخر بالعكس وهو طريقة أهل العقول والأنظار و بيان الأوّل عسير لغموضه جداً فلنطوها طيّاً ونكتفي ببيان الثاني وإن لم نرتضه لتضمنه أكثر مايترتب على الجبر من المفاسد في بادىء النظر وعند النظر القاصر إلّا أنه يخرج عقول الخواص من بعض أسباب الحيرة.

ولهذا مال اليه فحول العلماء ولنذكر في بيانه ماذكره بعض المحققين موافقاً لما حققه المحقق الطوسي نصيرالملّة والدين (قدس الله سرّه) في بعض رسائله المعمول في ذلك قال: قدثبت أن مايوجد في هذا العالم فقدقدّر بهيئته وزمانه في عالم آخر فوق هذا العالم قبل وجوده وقدثبت أنّ الله عزّ وجلّ قادر على جميع الممكنات ولم يخرج شيء من الأشياء عن مصلحته وعلمه وقدرته وايجاده بواسطة أو بغير واسطة وإلّالم يصلح لمبدأية الكلّ فالهداية والضلالة والإيمان والكفر والخير والشرّ والنفع والضرّ وسائر المتقابلات

كلّها منتهية الى قدرته وتأثيره وعلمه وإرادته ومشيّته إمّا بالذات أو بالعرض فاعمالنا وأفعالنا كسائر الموجودات وأفاعيلها بتفضلئه وقدره وهي واجبة الصدور منّا بذلك ولكن بتوسّط أسباب وعلل من ادراكاتنا وإراداتنا وحركاتنا وسكناتنا وغير ذلك من الأسباب العالية الغائبة عمن علمنا وتدبيرنا الخارجة عن قدرتنا وتأثيرنا، فاجتماع تلك الأمور التي هي الأسباب والشرائط مع ارتفاع الموانع علة تامة يجب عندها وجود ذلك الأمر المدبّر المقضي المقدّر وعند تخلّف شيء منها أو حصول مانع بقي وجوده في حيّز الامتناع و يكون ممكناً وقوعياً بالقياس الى كل واحد من الأسباب الكونية ولمّا كان من جملة الأسباب وخصوصاً القريبة منها، ارادتنا وتفكرنا وتخيلنا و بالجملة مانختار به أحد طرفي الفعل والترك فالفعل اختياري لنا فان الله أعطانا القوة والقدرة والاستطاعة ليبلونا أيّنا أحسن عملاً مع إحاطة علمه.

فوجوبه لاينافي امكانه واضطراريته لاتدافع كونه اختيارياً كيف وإنّه ماوجب إلّابالاختيار ولاشك أن القدرة والاختيار كسائر الأسباب من الإدراك والعلم والإرادة والتفكر والتخيّل وقواها وآلاتها كلّها بفعل الله تعالى لابفعلنا واختيارنا وإلّالتسلسلت القدر والارادات الى غير النهاية وذلك لأنّا وإن كنّا بحيث ان شئنا فعلنا وإن لم نشأ لم نفعل، لكنا لسنا بحيث إن شئنا شئنا وإن لم نشأ لم نشأ بل إذا شئنا فلم يتعلق مشيتنا بمشيتنا بل بغير مشيتنا فليست المشية إلينا إذ لوكانت إلينا لاحتجنا الى مشيّة أخرى سابقة وتسلسل الأمر الى غير النهاية ومع قطع النظر عن استحالة التسلسل نقول جملة مشيّاتنا الغير المتناهية بحيث لايشذّ عنها مشية لاتخلو إمّا أن يكون وقوعها بسبب أمر خارج عن مشيتنا أو بسبب مشيتنا والثاني باطل لعدم امكان مشية أخرى خارجة عن تلك الجملة والأول هو المطلوب فقدظهر ان مشيتنا ليست تحت قدرتنا كما قال الله عزّ وجلّ وَمَاتَشَاؤُنَ إلّاأنْ يَشَاءَ اللّهُ [1] فاذاً نحن في مشيتنا مضطرون [2] وإنّما تحدث المشية عقيب الدّاعي وهوتصور الشيء الملائم تصوراً ظنّيّاً أو

١ . الانسان/٣٠ و التكوير/٢٩

٢ . قال المحقق الطوسي نصيرالملّة والدين في بعض رسائله المعمول لتحقيق الأمر بين الأمرين: العبد مختار في الفعل والترك إلّا أنّ مشيئته ليست تحت قدرته كما قال الله تعالى (وماتشاؤن إلّا أن يشاء الله) فاذن نحن في مشيئتنا مضطرّون وفي عين الاختيار مجبورون «الهدايا».

تخيليـاً أو علمياً فإنّا إذا أدركنا شيئاً فإن وجدنا ملائمته أو منافرته لنا دفعة بالوهم أو ببديهة العقل انبعث منّا شوق إلى جذبه أو دفعه وتأكّد هذا الشوق هو العزم الجازم المسمّى بالإرادة وإذا انضمت الى القدرة التي هي هيئة للقوة الفاعلة انبعثت تلك القوة لتحريك الأعضاء الأدوية من العضلات وغيرها فيحصل الفعل فاذن اذا تحقق الداعي للفعل الذي تنبعث منه المشية تحققت المشية وإذا تحققت المشية التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لامحالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشية والمشية تحدث ضرورة في القلب عقيب الداعي فهذه ضروريات يترتّب بعضها على بعض وليس لنا أن ندفع وجود شيء منها عند تحقق سابقه فليس يمكن لنا أن ندفع المشية عند تحقق الداعي للفعل ولاانصراف القدرة الى المقدور بعدها فنحن مضطرون في الجميع فنحن في عين الاختيار مجبورون فنحن إذاً مجبورون على الاختيار، هذا ملخص ماذكره والحق فيه أمر آخر لايصل إليه إلّامن هو من أهله ﴿وَذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1].

٤٣٩ ـ ٢ (الكافي ـ ١:١٥٦) الاثنان، عن الوشا، عن حمادبن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «من زعم أنّ الله يأمر بالفحشاء[2] فقدكذب على الله ومن زعم أن الخير والشر إليه فقدكذب على الله» .

١ . الحديد/٢١

٢ . قوله: من زعم أن الله يأمر بالفحشاء فقد كذب على الله، هذا اشارة الى فساد قول الأشاعرة من نفي الحسن والقبح العقليّين وتجويز أن يأمر بمانهى عنه ممّايحكم العقل بقبحه وان يأمر بالسوء والفحشاء فإن إبطال حكم العقل فيا يحكم به بديهة أو بالبرهان باطل والأمر بالقبيح قبيح ومن جوّز القبيح على الله فقد كذب عليه وقوله: ومن زعم انّ الخير والشر إليه... إشارة الى فساد قول المعتزلة من انّ الخير والشر من أفعال العباد مفوض اليهم وان العبد مستقل بايجاد أفعاله وان الله سبحانه يجري في ملكه خلق شيء وايجاده لابارادته فانّه قول بخالق وموجد سواه و بتحقّق مخلوق لايكون وجوده منه بقدرته وارادته كقول المجوس في الشرور ومن زعم هذا فقد كذب على الله وأبطل ملكه وسلطانه ويحتمل أن يكون المراد ان من زعم انّ الخير والشر على (الى خ ل) الله سبحانه من غير مدخلية ارادة العبد وقدرته كما يقوله الأشاعرة فقد كذب على الله و يكون اشارة الى فساد قولهم كالفقرة الأولى. رفيع ـ (رحمه الله).

بيــان:

«إليـه» يعني الى نفسه إنّما كذبا على الله تعالى لأنّ الأوّل قصّر نظره على السبب الأول وقطع النظر عن الأسباب القريبة للفعل مطلقاً ولم يفرق بين أعمال الإنسان وأعمال الجمادات والله تعالى أعدل من أن يجبر خلقه ثم يعذّبهم وأكرم من أن يكلّف الناس مالايطقيون. والثاني قصّر نظره على الأسباب القريبة وقطع النظر عن السبب الأوّل والله أحكم من أن يهمل عبده و يكله الى نفسه وأعزّ من أن يكون في سلطانه مالايريد .

٤٤٠ ـ ٣ (الكافي ـ ١:١٥٨) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن حفص بن قرط [١] عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «من زعم أن الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله ومن زعم أن الخير والشرّ بغير مشية الله فقد اخرج الله من سلطانه ومن زعم أن المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله أدخله الله النار» .

٤٤١ ـ ٤ (الكافي ـ ١:١٦٠) العدة، عن البرقي، عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «الله أكرم [٢] من أن يكلّف الناس مالايطيقون والله أعزّ من أن يكون في سلطانه مالايريد ».

٤٤٢ ـ ٥ (الكافي ـ ١:١٥٨) العدة، عن البرقي، عن عثمان، عن اسماعيل بن جابر قال: كان في مسجد المدينة رجل يتكلّم في القدر والناس مجتمعون قال:

١ . بضم القاف وسكون الراء المهملة بعدها طاء مهملة. كذا ضبطه تنقيح المقال ج١ ص٢٢١ «ض.ع»

٢ . قوله: الله أكرم من أن يكلّف الناس مالايطيقون أي مالايكون الاتيان به مقدوراً لهم ولايكونون مجبورين على خلافه كما يقوله الجبريّة والله أعزّ من أن يكون في ملكه مالايريده و يدخل شيء في الوجود لامن قدرته وارادته وايجاده له. رفيع ـ (رحمه الله).

فقلت ياهذا أسالك ؟ قال: سل قلت: قديكون في ملك الله تعالى مالايريد قال: فأطرق طويلاً، ثم رفع رأسه اليّ فقال ياهذا لئن قلت انه يكون في ملكه مالايريد إنه لمقهور ولئن قلت لايكون في ملكه إلّامايريد أقررت لك بالمعاصي [١] قال: فقلت لأبي عبدالله (عليه السلام) سألت هذاالقدري، فكان من جوابه كذا وكذا فقال «لنفسه نظر، أما لوقال غير ماقال لهلك» .

بيـــان:

«بالمعاصي» يعني بأنه يريدها.

٤٤٣ ـ ٦ (الكافي ـ ١:١٥٧) الاثنان، عن الوشا، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: سألته فقلت: الله فوض الأمر إلى العباد؟ قال: «الله أعزّ من ذلك» قلت: فجبرهم على المعاصي قال: «الله أعدل وأحكم من ذلك» قال ثم قال: «قال الله يابن آدم أنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئآتك منّي عملت المعاصي بقوّتي التي جعلتها فيك».

بيـــان:

أمّا أولوية الله عزّ وجلّ بالحسنات فلانّه سبحانه أمر بها ووهب القوة عليها ووفق لها وأمّا أولوية العبد بالسيئات فلأن الله عزّ وجلّ نهى عنها وأوعد عليها ووهب القوة ليصرفها العبد في الطاعات فصرفها في المعاصي وفيه وجه آخر بعيد عن أفهام الجماهير وقدمضى .

١ ـ قوله: أقررت لك بالمعاصي أي امكنتك بفعلها اذ كلّ معصية بارادته أو المراد أنّه أقررت لك بأن المعاصي بارادته وقوله «لنفسه نظر» أي رقّ ورحم لنفسه أما لوقال غير ماقال لهلك. رفيع ـ (رحمه الله).

٤٤٤ - ٧ (الكافي - ١٥٧:١) علي، عن أبيه، عن ابن مرّار [١]، عن يونس بن عبد الرحمن قال: قال لي أبو الحسن الرضا (عليه السلام) «يا يونس، لا تقل بقول القدرية [٢] فان القدريّة لم يقولوا بقول أهل الجنة ولابقول أهل النار ولابقول إبليس فان أهل الجنة قالوا: ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ [٣] وقال أهل النار: رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ [٤] وقال ابليس رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي [٥]» فقلت: والله ماأقول بقولهم ولكني أقول لايكون إلّابماشاء الله [٦] وأراد وقدر وقضى فقال «يايونس، ليس هكذا لايكون إلّاماشاء الله وأراد وقدّر وقضى يايونس تعلم ماالمشية؟» قلت لاقال «هي الذكر الأول فتعلم ماالإرادة»؟ قلت لاقال: «هي العزيمة على مايشاء فتعلم ماالقدر»؟ قلت لا قال: «هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء» .

قال: ثم قال «والقضاء هو الابرام وإقامة العين» قال فاستأذنته أن أقبّل رأسه وقلت فتحت لي شيئاً كنت عنه في غفلة .

١ . هو اسماعيل ومرّار وزان صيغة المبالغة ك(شدّاد) راجع ص١٤٥ ج١ تنقيح المقال وج١ ص٢٢٤ من مجمع الرجال. «ض.ع».

٢ . قوله: «لاتقل بقول القدرية» الظاهر أن المراد هنا أيضاً بالقدرية من يقول بأن أفعال العباد وجودها ليست بقدر الله وقضائه بل بايجادهم لها بارادتهم كما في الحديث الأول ومن يقول بعدم مدخلية قضاء الله وقدره و باستقلال ارادة العبد به واستواء نسبته الى الارادتين وصدور أحدهما عنه لابموجب غير الارادة كما ذهب إليه بعض المعتزلة لايقول بقول أهل الجنّة من اسناد هدايتهم إليه سبحانه ولابقول أهل النار من إسناد ضلالتهم إلى شقوتهم ولابقول إبليس من اسناد الاغواء اليه سبحانه. رفيع - (رحمه الله).

٣ . الأعراف/٤٣

٤ . المؤمنون/١٠٦

٥ . الحجر/٣٩

٦ . قوله: «لايكون إلّا بماشاء الله ...» أي إلّا بالذي شاء الله ... أو بشيء شاء الله ولمّا كانت هذه العبارة قاصرة عن الدلالة على المراد قال (عليه السلام) «ليس هكذا» أي ليس التعبير عمّا هو هكذا بل العبارة عنه لايكون إلّا ماشاء الله وأراد وقدر وقضى وقوله هي الذكر الأول أي المشيئة فيها هي توجه النفس الى المعلوم بملاحظة صفاته وأفعاله المرغوبة الموجبة لحركة النفس الى تحصيله وهذه الحركة النفسانية فينا وانبعاثها لتحصيله هي العزم والارادة وفي الواجب تعالى مايترتّب عليه أثر هذا التوجّه و يكون ثمر له قوله: «وهي الهندسة» مأخوذة من الهنداز وهي فارسية ومعناها تحديد مجاري الأمور فلمّا عربت صيرت الزاء سيناً لأنه ليس في كلام العرب زاي بعد الدال والمهندس مقدّر مجاري القناء حيث تحفر ثمّ عمّم في تحديد مجاري الأمور كلّها. رفيع - (رحمه الله).

بيـــان:

المراد بـالـقدرية في هذا الحديث المفوّضة القائلون بقدرة العبد واستقلاله فانّ أهل الجـنة سلبوا الفعل عنهم باسناد الهداية الى الله وأهل النار سلبوه عنهم باسناده الى غلبة الـشـقـوة عليهم وابليس سلبه عنه باسناد الأغواء الى الله والفرق بين قول يونس بماشاء الله وقـول الإمـام (عـلـيـه الـسلام) «مـاشاء الله» أنّ الأول جبر محض ولهذا نهاه عنه والـثـاني أعـمّ مـنه ومن الأمر بين الأمرين ولهذا أثبته وإنّما يصحّ إذا أريد به مالايكون جـبـراً «والـذكـر الأول» هـو اللـوح المحـفـوظ وإنّما سـمّاه مشيـة لأنه مرتبة تعين العلم بـالنظام الأوفق المُعتّى بالمشيـة كما أشرنا إليه في أوائل أبواب الصفات وأريد بالبقاء والفناء مُدد أعمار الأشياء وآجالها.

٤٤٥ ـ ٨ (الكافي ـ ١:١٥٨) النيسابوريان، عن حمادبن عيسى، عن اليماني، عن أبي عـبـدالله (عليه السلام) قال: «إنّ الله خلق الخلق،فعلم ماهم صائرون إليه وأمـرهم ونهاهم فماأمرهم به من شيء فقدجعل لهم السبيل إلى تركه ولايكونون آخذين ولا تاركين إلّابإذن الله» .

بيـــان:

في تـوحـيـد الـصـدوق و«الاحتجاج» هكذا: فماأمرهم به من شيء فقدجعل لهم السبيل الى أخذه ومانهاهم عنه من شيء فقدجعل لهم السبيل إلى تركه وهو الصواب.

٤٤٦ ـ ٩ (الـكـافي ـ ١:١٥٩) محـمـد، عـن أحمدبن محمدبن الحسن زعلان، عن أبي طالب القمي، عن رجل، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قلت أجبر الله الـعـبـاد على المـعـاصـي؟ قال «لا» قال: قلت ففوض إليهم الأمر؟ قال «لا»

قال: قلت فماذا؟ قال «لطف من ربّك بين ذلك» [1].

بيـــان:

يـعني هـو معنى دقيق غامض من صنع الله يلطف إدراكه عن العقول والافهام وهو أمر بين الجبر والتفويض .

٤٤٧ ـ ١٠ (الكافي ـ ١:١٥٩) علي عن العبيدي عن يونس عن غير واحد عن أبي جـعفر وأبي عبدالله (عليهما السلام) قالا: «ان الله تعالى أرحم بخلقه من أن يجبر خـلـقـه على الـذنـوب،ثمّ يـعذبهم عليها والله أعزّ من أن يريد أمراً فلايكون» قال فسُـئـلا (عـليهما السـلام) هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قالا: «نعم أوسع مابين السماء والأرض» [2].

٤٤٨ ـ ١١ (الـكـافي ـ ١:١٥٩) بهـذا الاسناد، عن يونس، عن صالح بن سهـل عـن بـعـض أصحابه،عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سُئل عن الجبر والقدر فـقـال «لاجبر ولاقدر ولكن منزلة بينهما فيها الحقّ التي بينهما لايعلمها إلّاالعالم أو من علّمها إيّاه العالم» [3].

١ . قـولـه: لـطف من ربّك بين ذلك، لعلّ المراد باللطف هنا اعطاء الله القدرة للعبد على مايشاء من الفعل والترك وجعله عاملاً بارادته الواقعة تحت ارادة الله بالمأمور به والكفّ عن المنهي عنه وتقريبه من الطاعة بالأمر وتبعيده عن المعصية بالنهي. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . قـولـه: «نـعـم أوسع ممّا بين السماء والأرض» لما كان كلام السائل دالاً على انكار الواسطة بين الجبر وهو ايجاب الله وإلزامه الـعـبـاد على أعـمـالهم بلامدخلية لارادة العباد وقدرتهم في أفعالهم وايجابها والقدر وهو استقلال قدرة العبد وارادته في ايجاب فـعـلـه وايجاده مـن غير ايجاب الله سـبـحـانه له وايجاده بقدرته واختياره أجيب بأن مابينهما احتمالات كثيرة ولاحصر بينهما لاعقلاً ولاقطعاً. رفيع ـ (رحمه الله).

٣ . قـولـه: «التي بينهما لايعلمها إلّا العالم أو من علّمها إيّاه العالم» وذلك لدقّتها وغموضها وعروض الشبه فيها فلايقدر على تحقيقها والـعلم بها على ماينبغي إلّاالعالم أو من علّمه العالم فالقادر على تحقيقها والعالم بها إمّا من خصّه الله بافاضة العلوم عليه أو من وفّقه للتعلّم والأخذ عنه. رفيع ـ (رحمه الله).

٤٤٩ - ١٢ (الكافي - ١:١٥٩) بهذا الاسناد، عن يونس، عن عدة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال [١]: قال له رجل جعلت فداك أجبَر الله العباد على المعاصي قال «الله أعدل من أن يجبرهم على المعاصي ثم يعذبهم عليها» فقال له جعلت فداك، ففوّض الله إلى العباد؟ قال: فقال «لوفوض إليهم لم يحصرهم بالأمر والنهي» فقال له جعلت فداك فبينهما منزلة؟ قال فقال «نعم أوسع مابين السماء والأرض».

٤٥٠ - ١٣ (الكافي - ١:١٦٠) محمد بن أبي عبدالله، عن الحسين بن محمد، عن محمدبن يحيى عمّن حدثه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «لاجبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين» قال: قلت وماأمر بين أمرين؟ قال: «مثل ذلك رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية».

بيــان:

هذا مثال حسن لمخاطبة العامي الضعيف الذي قصر فهمه عن درك كيفية الأمر بين الأمرين تقريباً لفهمه وحفظاً لاعتقاده في أفعال العباد حتى لايعتقد كون العبد مجبوراً في فعله ولامفوضاً إليه اختياره.

١ ـ فقال، الكافي المطبوع و«المخطوط، خ».

-٥٥-

باب الاستطاعة

٤٥١ - ١ (الكافي - ١٦٠:١) علي، عن الحسن بن محمد، عن القاساني، عن ابن اسباط قال: سألت أباالحسن الرضا (عليه السلام) عن الاستطاعة فقال «يستطيع العبد بعد أربع خصال: أن يكون مخلّى السرب صحيح الجسم سليم الجوارح له سبب وارد من الله» قال: قلت جعلت فداك ؛ فسّر لي هذا قال: «أن يكون العبد مُخَلّى السّرب صحيح الجسم سليم الجوارح يريد أن يزني فلايجد امرأة ثم يجدها فإمّا أن يَعْصِم نفسه فيمتنع كما امتنع يوسف (عليه السلام) أو يُخلّي بينه و بين ارادته فيزني فيسمّى زانياً ولم يُطِع الله باكراه ولم يَعْصه بغلبة».

بيــان:

السَّرب بالفتح الطريق وفلان آمن في سِرِبه بالكسر أي في نفسه وفلان واسع السرب أي رخي البال وقدقدّمنا مايصلح أن يكون شرحاً لهذا الحديث ومابعده.

٤٥٢ - ٢ (الكافي - ١٦١:١) محمد وعلي، عن أحمد، عن علي بن الحكم وعبدالله بن يزيد جميعاً، عن رجل من أهل البصرة قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن الاستطاعة فقال أبوعبدالله (عليه السلام) «أتستطيع أن تعمل

مالم يُكَوِّن»؟ قال: لاقال: «فتستطيع أن تنتهي عمّا قدكوّن» قال: لافقال له أبوعبدالله (عليه السلام) «فتى أنت مستطيع»؟ قال: لاأدري قال: فقال أبو عبدالله (عليه السلام) «ان الله خلق خلقاً فجعل فيهم آلة الاستطاعة ثم لم يفوض إليهم فهم مستطيعون للفعل [١] وقت الفعل مع الفعل اذا فعلوا ذلك الفعل فاذا ـ لم يفعلوه [٢] لم يكونوا مستطيعين أن يفعلوا فعلاً لم يفعلوه لأن الله عزّ وجلّ أعزّ من أن يضادّه في ملكه أحد».

قال البصري: فالناس مجبورون؟ قال: «لوكانوا مجبورين كانوا معذورين» قال: ففُوِّض إليهم قال: «لا» قال: فاهم؟ قال: «علم منهم فعلا فجعل فيهم آلة الفعل فاذا فعلوا كانوا مع الفعل مستطيعين» قال البصري: أشهد أنه الحق وأنكم أهل بيت النبوّة والرسالة.

بيـــان:

ظاهر هذا الحديث يدلّ على نفي الاستطاعة وظاهر الحديث السابق يدلّ على إثباتها والجمع بينهما بأن يقال أن الاستطاعة في الحال لا تنافي عدمها في الاستقبال ولاالعكس فنجيب عن قول القائل أتستطيع أن تؤثر حال عدم الأثر أو لا تؤثر حال وجوده نعم نستطيع لكن معنى استطاعتنا أنا نتمكن من الفعل والترك في ثاني الحال فلاينافيه عدم استطاعتنا في الحال بمعنى عدم تمكننا من التأثير في وجود الأثر حال عدمه ولافي عدمه حال وجوده ولافي وجوده حال وجوده ولافي عدمه حال عدمه لأنّ في الأولين تناقضاً وفي الآخرين تحصيلاً للحاصل ومعنى قوله (عليه السلام) «فجعل فيهم آلة الاستطاعة» الى قوله «في ملكه أحد» أن العبد لايفعل إلّا ماأراد الله منه فهو مستطيع في وقت الفعل للفعل لاللترك ومستطيع في وقت الترك للترك لاللفعل فلايستطيع في كلّ وقت إلّاماجعل الله فيه آلة الاستطاعة لأجله ثمّ أشار (عليه السلام) إلى أن الناس مع ذلك ليسوا مجبورين ولامفوّضاً إليهم أيضاً.

١ . في وقت الفعل، ج، ق.

٢ . لم يفعلوه في ملكه، ق وكذا في الكافي المطبوع وجعله في المخطوط على نسخة.

٤٥٣ ـ ٣ (الكافي ـ ١٦٢:١) محمد وعلي، عن أحمد ومحمدبن أبي عبدالله، عن سهل جميعاً، عن علي بن الحكم، عن صالح النيلي قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) هل للعباد من الاستطاعة شيء؟ قال: فقال لي «اذا فعلوا الفعل كانوا مستطيعين بالاستطاعة التي جعلها الله فيهم» قال: قلت وماهي؟ قال «الآلة مثل الزنا [١] اذا زنى كان مستطيعاً للزنا حين زنى ولوأنه ترك الزنا ولم يزن كان مستطيعاً لتركه اذا ترك» قال: ثم قال «ليس له من الاستطاعة قبل الفعل قليل ولاكثير ولكن مع الفعل والترك كان مستطيعاً» قلت: فعلى ماذا يعذبه؟ قال: «بالحجة البالغة والآلة التي ـ ركّبها فيهم [٢] إن الله لم يجبر أحداً على معصيته ولاأراد إرادة حتم الكفر من أحد ولكن حين كفر كان في إرادة الله أن يكفر، وهم في ارادة الله وفي علمه ألايصيروا الى شيء من الجبر» [٣] قلت أراد منهم أن يكفروا؟ قال «ليس هكذا أقول ولكني أقول علم أنهم سيكفرون فأراد الكفر لعلمه فيهم وليست [٤] ارادة حتم أنما هي ارادة ـ اختبار» [٥].

بيـان:

قوله «ليس له من الاستطاعة قبل الفعل قليل ولاكثير» إشارة الى نفي وقوع الفعل بالأولوية وتقرير أنّه مالم يجب لم يوجد وقول السائل «فعلى ماذا يعذبه؟» يعني إذا كان جميع مايتوقّف عليه فعل العبد من قدرته واستطاعته بخلق الله وجَعْله فيه فلماذا يعذّب الكافر و يعاقب العاصي فأجاب (عليه السلام) بانّ تعذيب الله لعباده ليس من جهة غرض له فيه لأنه سبحانه بريء من الغرض غنيّ عمّاسواه بل انساقت حجته البالغة وحكمته الكاملة الى تعذيب فريق وتنعيم فريق ـ بما [٦] ركّب في كل واحد منهم من

١ . مثل الزاني، كذا في الكافي المطبوع وفي المخطوط جعله على نسخة.
٢ . ركب فيهم، كذا في الكافي المخطوط والمطبوع وفي الأخير جعل ركبها على نسخة.
٣ . الخير ج وكذلك أيضاً في الكافي المطبوع والمخطوطين والمرآة.
٤ . ليست هي ارادة حتم، كذا في الكافي المطبوع و«في المخطوطين» أيضاً.
٥ . اختيار، كذا في جميع النسخ وكذلك في المطبوع والمخطوطين من الكافي.
٦ . لما، ج.

الآلات وخلق لهم من الدواعي والإرادات وغيرها من أسباب المعاصي والطاعات والشرور والخيرات فانقسمت أفعال الله إلى ماينساق الى الغاية المطلوبة بالذات والى ماينساق الى غاية أخرى مرادة بالعرض فاطلق على الأول اسم المحبوب وعلى الثاني اسم المكروه وانقسم عباده الذين هم أيضاً من فعله واختراعه الى من سبقت لهم العناية بالحسنى بتسليط الدواعي والبواعث عليه لسياقتهم الى غاية الحكمة والى من سبقت لهم المشيّة بالردى لسياقتهم الى غاية الحكمة فلكلّ منهما نسبة الى المشية الربانية امّا قوله: «إن الله لم يجبر أحداً على معصيته» فالوجه فيه ان المجبور هو الذي لم يترتب فعله على قدرته وفعْلِه وإرادته وهاهنا تتوقّف المعصية على تلك الأمور كما دريت.

٤٥٤ - ٤ (الكافي - ١٦٢:١) محمد، عن ابن عيسى، عن الحسين،[1] عن بعض أصحابنا، عن عبيد بن زرارة، عن حمزة بن حمران قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن الاستطاعة فلم يجبني فدخلت عليه دَخْلة أخرى فقلت: أصلحك الله إنه قدوقع في قلبي منها شيء لايخرجه إلّاشيء أسمعه منك قال: «فانّه لايضرّك ماكان [2] في قلبك» قلت: أصلحك الله إني أقول: إن الله تبارك وتعالى لم يكلّف العباد مالايستطيعون ولم يكلفهم إلّامايطيقون وإنّهم لايصنعون شيئاً من ذلك إلّابارادة الله ومشيّته وقضائه وقدره قال: فقال «هذا دين الله الذي أنا عليه وآبائي» أو كما قال .

بيــان:

يأتي في نوادر الأبواب الأول من كتاب الحجّ مايناسب هذا الباب إن شاء الله تعالى.

١ . الحسين بن سعيد عن بعض أصحابنا، ق.

٢ . قوله: «لايضرّك ماكان في قلبك...» لما كان (عليه السلام) مطّلعاً على أنه خطر بقلبه ماهو الحقّ أجابه بعدم اضراره وترك الجواب أولاً إمّا لهذا أو لمصلحة مقتضية له ولماسمع السائل منه هذا عرض عليه معتقده فصدّقه (عليه السلام) بقوله: «هذا دين الله الذي أنا عليه وآبائي» وقوله «أو كما قال» ترديد من السائل بين العبارة المنقولة ومافي حكمها من العبارات الدالة على تصديق معتقده بوجه من الوجوه. رفيع - (رحمه الله).

-٥٦-

باب البيان والتعريف و لزوم الحجة[١]

٤٥٥ - ١ (الكافي - ١: ١٦٢) محمد وغيره، عن ابن عيسى، عن الحسين، عن ابن أبي عمير.

(الكافي) النيسابوريان، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عن ابن الطيار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال «إنّ الله احتجّ على الناس بماآتاهم وعرّفهم».

بيـــان:

يعني بماآتاهم من العقل والفهم وعرّفهم من الخير والشرّ دون مالم يؤتهم ولم يعرّفهم من ذلك ولاينافي هذا لزوم بذل الجهد بالقدر المقدور فانه أيضاً من الأسباب إلّاأن

١. قال برهان الفضلاء: قدوضع ثقة الاسلام هذا الباب بهذا العنوان ابطالاً لمذهب الجهمية وقول المرجئة وسائر المذاهب الباطلة في حقيقة الايمان على ماستعرف إنشاء الله تعالى. قالت الجهمية الايمان مجرّد معرفة الربوبيّة لربّ العالمين والمكلّف يكلف به.

وقالت المرجئة: ايمان المكلّف مجرّد معرفته ربوبيّته تعالى ومعرفة الرّسول وتصديقه في جميع ماجاء به ولامدخل في العمل في حقيقة الايمان. «الهدايا».

ترتب حصول المعرفة على السعي في حيّز الامكان وبحسب مشية الله وعلى اختلاف درجات الناس في الهمة والاستعداد وليس عليهم إلّا التعرض لها بتحصيل مقدماتها كما ورد في الحديث النبوي «إن لربّكم في أيّام دهركم نفحات ألافتعرّضوا لها» وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لماخُلِقَ له فالعبد إنّما يستحق العذاب والعقوبة في ترك واجب أو فعل محرّم إذا كان قدأوتي له التكليف وعرف المكلّف به وبالجملة كان في ذاته استعداد فضيلة أو داعية، ثمّ تكاسل في تحصيله او انحرف عن قصد سبيله بقدر ماقصّر في ذلك وبحسبه .

٤٥٦ - ٢ (الكافي - ١:٨٦) محمد عن محمدبن الحسين عن ابن بقاح عن سيف بن عميرة عن اليماني [1] قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «إنّ أمر الله كله عجب إلّا [2] أنّه قداحتج عليكم بماعرّفكم من نفسه» .

بيـــان:

يعني أن في صفات الله سبحانه وأفعاله عجائب وغرائب لايدرك أسرارها ولايصل الى اغوارها إلّاالأقلون ولكن الله سبحانه لم يطلب منكم البلوغ اليها ولم يطلب ممّن لم يبلغ إليها أن يعبده بحسبها بل بحسب مابلغ اليه منها وعرّفه الله تعالى من نفسه فحسب وإنّما احتجّ عليكم بقدر معرفتكم التي أعطاكم لاأزيد منه.

٤٥٧ - ٣ (الكافي - ١:١٦٣) العدة، عن البرقي، عن ابن فضال، عن ثعلبةبن ميمون،عن حمزةبن محمد الطيار،عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَيهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَايَتَّقُونَ﴾ [3] قال: «حتّى

١ . هو ابراهيم بن عمر اليماني الصنعاني، ضعفه (غض) ووثقه (جش) وقال: شيخ من أصحابنا ثقة راجع ص٦٠ و٦١ ج١ من مجمع الرجال، «ض.ع».
٢ . في بعض نسخ الكافي ألا وفي الكافي المطبوع والمخطوط وقالوا يحتمل أن يكون على سبيل التنبيه وأن يكون الاستثناء منقطعاً.
٣ . التوبة/١١٥

يعرّفهم مايرضيه [١] ومايسخطه» وقال: فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَيٰهَا [٢] قال: «بيّن لها ماتأتي وماتترك» وقال: إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً [٣] قال. «عرّفناه إما آخذ وإما تارك» وعن قوله: وَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ [٤] قال «عرّفناهم فاستحبوا العمى على الهدى وهم يعرفون» .

٤٥٨ ـ ٤ (الكافي ـ ١:١٦٣) وفي رواية «بيّنا لهم».

بيــان:

«ليضلّ قوماً» بالمعاصي والكفر «بعد اذ هداهم» سبيل الايمان.

٤٥٩ ـ ٥ (الكافي ـ ١:١٦٣) علي، عن العبيدي، عن يونس، عن ابن بكير، عن حمزة بن محمد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ [٥] قال: «نجد الخير والشرّ».

بيــان:

النجد: الطريق الواضح.

٤٦٠ ـ ٦ (الكافي ـ ١:١٦٣) بهذا الأسناد، عن يونس، عن حماد، عن عبدالأعلى قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) أصلحك الله: هل جُعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة؟ قال: فقال: «لا» قلت: فهل كلّفوا المعرفة؟ قال «لا، على

١ . قوله: «حتى يعرفهم مايرضيه ومايسخطه» هذا القول ومابعده ممّا قاله (عليه السلام) دال على انّ التعريف فيما يرضيه و يسخطه وفيما ينبغي الاتيان به وماينبغي تركه وفيما هو سبيل الخير من الله سبحانه. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . الشمس/٨

٣ . الانسان/٣

٤ . فصلت/١٧

٥ . البلد/١٠

الله البيان: لايُكَلِّفُ اللّهُ نَفساً إلّا وُسْعَها[1] [2] وَلايُكَلِّفُ اللّهُ نَفساً إلّاما آتاها»[3] قال: وسألته عن قوله: وَما كانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إذْ هَديهُمْ حَتّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مايَتَّقُونَ[4] قال. «حتى يعرّفهم مايرضيه ومايسخطه» .

بيـــان:

«أداة ينـالون بها» أي في أنفسهم من دون استعانة برسول منه أو وحي من عنده «فهـل كـلفوا المعرفة» أي من قبل إرسال الرسل وإلزام الحجّة «إلّا وسعها» أي دون طاقتها.

٤٦١ ـ ٧ (الكافي ـ ١٦٣:١) بهذا الاسناد، عن يونس، عن سعدان رفعه، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «إنّ الله لم يُنعم على عبد نعمة إلّا وقدألزمه فيها الحجة من الله فمن منّ الله عليه فجعله قوياً فحجته عليه القيام[5] بما كلّفه واحتمال مَن هودونه ممن هو أضعف منه ومن منّ الله عليه فجعله موسّعاً عليه فحجته عليه ماله،ثم تعاهده الفقراء بعد بنوا فله ومن منّ الله عليه فجعله شريفاً في بيته جيلاً في صورته،فحجته عليه أن يحمد الله على ذلك و ـ لايتطاول[6] على غيره فيمنع حقوق الضعفاء لحال شرفه وجماله» .

١ . قوله: «لايكلّف الله نفساً إلّا وسعها ...» فيه إشارة الى أن المعرفة بكمالها لاقدرة للعبد على تحصيلها بارادته وأنّ تكليف غير المقدور قبيح وغير واقع وقوله «ولايكلف الله نفساً إلّا ماآتاها» أي أتاها معرفتها. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . البقرة/٢٨٦

٣ . الطلاق/٧

٤ . التوبة/١١٥

٥ . قوله: «فحجته عليه القيام بما كلفه» أي مايحتج به عليه بعد التعريف قوة القيام بما كلّف به أو المحتجّ له القيام بالمكلّف به وهذا أظهر وأوفق بمابعده من جعل التعاهد للفقراء بنوافل ماله والحمد على شرفه وجماله وعدم التطاول على غيره من الحجّة وحينئذ ينبغي حمل قوله «فحجّته عليه ماله» على أن المحتج له إصلاح ماله وصرفه في مصارفه وحفظه عن التضييع والاسراف فيه «المرآة» .

٦ . وفي الكافي المطبوع «وان لايتطاول» وفي الكافي المخطوط والمرآة «ألا يتطاول».

بيــان:

«وقد ألزمه فيها الحجة» يعني أوجب عليه شكره عليها بأن يصرفها فيا خلقت لأجله «القيام بما كلّفه» أي يقول له عند الاحتجاج عليه هل قمت بما كلّفتك؟ أو على حذف المضاف أي قدرة القيام «مَن هو دونه» أي مؤنة من هو دونه والقوة تشمل الصوريّة والمعنويّة أعني الجاه والمنزلة عند الناس «فحجته عليه ماله، ثمّ تعاهده الفقراء بعد بنوا فله» أي حجته إعطاؤه إيّاه المال وتمكينه له من أن يتعاهد الفقراء و يصرف اليهم مايزيد عن مؤنة نفسه .

٤٦٢ ـ ٨ (الكافي ـ ١:١٦٤) محمد بن أبي عبدالله، عن سهل، عن ابن أسباط عن الحسين بن زيد [1] عن درست عمّن حدّثه عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «ستة أشياء ليس للعباد فيها صنع: المعرفة والجهل والرضا والغضب والنوم واليقظة» .

بيــان:

ليس ذكر العدد للحصر لوجود أشياء أُخر كثيرة من هذا القبيل كالمرض والصحّة والبكاء والضحك وغير ذلك وإدخال غير المذكور في المذكور لايخلو من تكلّف وإنّما ليس لهم فيها صنع بعد حصول الأسباب وارتفاع الموانع أو في تحصيل جميع الأسباب ورفع الموانع إمّا في تحصيل بعضها الذي من جملته السعي والكسب لبعض مايتوقّف عليه، فلهم فيه مدخل وإن لم يكف في حصول المطلوب ولهذا نفى عنهم الصنع رأساً، فان قيل فكيف يصحّ التكليف بمعرفة الله والرضا عن الله قلنا التكليف إنّما يتوجّه الى مقدماتها فإنّ المعرفة نور من الله سبحانه إنّما يفيضه على قلب من يتهيأ له بالحركات النفسانية والانتقالات الذهنية أو بالرياضات البدنية والتهذيبات النفسانية فان كان

١ . وأشار الى رواية الحسين هذا عن «درست» في جامع الرواة ج١ ص٣١١ «ض.ع»

بواسطة معلم بشري فهو إنّما يلقى عليه الألفاظ والعبارات حتى يستعد المتعلم بمايعلمه بنفسه أو يسمعه من أستاده لأن تفيض عليه من الله صورة علمية أو ملكة نورية يحصل بها المعرفة، فليس له فيها صنع إلّابالتهيئة والاعداد دون الافاضة والايجاد فلا تكليف عليه إلّابالاعداد وتحصيل الاستعداد وكذلك الرضا عن الله تعالى إنّما يحصل بمعرفة أنّ مايفعله سبحانه بعبده المؤمن هو خير له وفيه صلاحه وهذه المعرفة إنّما تحصل بالتهيوء لها وإعداد النفس لحصولها اللذين هما من المقدمات.

٤٦٣ - ٩ (الكافي - ٢:١٥) محمد، عن احمد، عن صفوان، عن أبان، عن الفضيل قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) أُولٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمٰانَ [1] هل لهم فيما كتب في قلوبهم صنع؟ قال: «لا».

٤٦٤ - ١٠ (الكافي - ١:١٦٣) محمد وغيره، عن ابن عيسى، عن ابن أبي‌عمير عن محمدبن حكيم قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) المعرفة من صنع مَن هي؟ قال «من صنع الله ليس للعباد فيها صنع» [2]

٤٦٥ - ١١ (الكافي - ١:١٦٤) محمد، عن محمدبن الحسين، عن أبي شعيب المحاملي، عن درست، عن العجلي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «ليس لله على خلقه [3] ان يعرفوا وللخلق على الله أن يعرّفهم ولله على الخلق اذا عرّفهم أن يقبلوا» .

١ - المجادلة/٢٢

٢ - قوله: من صنع الله ليس للعباد فيها صنع وذلك لأن عقول الناس غير وافية بالوصول الى المعرفة بكمالها وإنّما يحصل بتعريف الله ولأن المعرفة ليس ممالارادة العبد وأفعاله فيه تأثير إنّما حصولها بفيضان من المبدء على النفوس وأول الوجهين أولى. رفيع - (رحمه الله).

٣ - قوله: «ليس لله على خلقه أن يعرفوا...» أي ليس المعرفة واجبة عليهم لأنّه من صنع الله لامن صنعهم وللخلق على الله أن يعرّفهم لأنّ استكمالهم ونجاتهم فيما لايكون تحت قدرتهم لازم على الخالق الخبير الحكيم القادر ويحكم العقل بحسنه وقبح تركه وبانه لايتركه الموصوف بتلك الصفات البتة والواجب لله على الخلق ومن حقوقه عليهم اذا عرّفهم أن يقبلوا أي يطيعوا و ينقادوا و يعترفوا بأن ماعرّفهم حقّ وهذا الحديث وأمثاله دال على التحسين والتقبيح العقليين. رفيع - (رحمه الله).

بيــان:

«ليـس لله على خـلـقـه أن يـعرفوا» يعني من قبل أن يخلق فيهم آلات الاستطاعة للمعرفة من العقل والفهم وإرسال الرسل «وللخلق على الله ان يعرّفهم» لأنّ من دأب العـنـاية الإلٰهية أن لايهمل أمراً ضرورياً يحتاج إليه كلّ نوع في وجوده و بقائه ولاسيّما نوع الإنـسان المخلوق للأبد «أن يقبلوا» إمّا من القبول أي يتلقوا بالقبول و يتعرّفوا منه أو مـن «الاقبال» أي يتوجّهوا بكنههم اليه و يرغبوا فيا عنده و يزهدوا فيا يبعدهم عن دار كرامته.

٤٦٦ - ١٢ (الـكـافي - ١:١٦٤) الـعدة، عـن ابن عيسى، عـن الحجّال، عن ثعلبة بن ميمون، عن عبدالأعلى بن أعين قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) من لم يعرف [١] شيئاً هل عليه شيء؟ قال «لا».

٤٦٧ - ١٣ (الـكـافي - ١:١٦٤) مـحـمـد، عـن ابـن عـيسى، عن ابن فضال، عن داود بن فرقد، عـن أبي الحسن زكريـابن يحيى، عن أبي عبدالله (عـليه السلام) قال: «ماحجب الله عن العباد فهو موضوع عنهم» [٢].

١ . قوله: «ومن لم يعرف شيئاً هل عليه شيء» أي من لم يعرف شيئاً بتعريفه سبحانه بارسال الرسل أو الوحي والإلهام هل يجب عـلـيـه شيء يؤاخذ بتركه و يعاقب عليه أو المراد من لم يعرف شيئاً خاصاً بتعريفه سبحانه هل يجب ذلك الشيء عليه و يؤاخذ بتركه و يعاقب عليه وإن كان عبارة السائل قاصرة عنه والجواب ينفي الوجوب اما على الأول فلقوله تعالى: وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً [٣] ولأنه من لم يعرف شيئاً حتى المعرفة بالله سبحانه التي من صنع الله كيف يؤاخذ بعدم المعرفة به وبمايترتّب عليه وأمّا على الثاني فلما قاله سبحانه لأن الارسال في شيء لايجدي في شيء آخر ولانه مؤاخذة الغافل عن الشيء من غير أن ينبه عليه وعقابه على تركه قبيح عقلاً. رفيع - (رحمه الله).

٢ . قوله: «ماحجب الله عن العباد فهو موضوع عنهم» أي مالم يعرّفوه و بيانه ظاهر ولعلّ معرفة الله سبحانه في الجملة ليس ممّاحجبه الله عن عبد من عباده وإن كان حجاب فبصنعه لابصنع الله لأنه سبحانه لم يحجبها عن أحد بل أوضحها وأظهرها بدلائلها وإعطاء مايكفي للوصول إليها وإن لم يقع الوصول فن جهتهم لامن حجبه سبحانه إيّاها عنهم نعم المعرفة على وجه الكمال ربّما يقال يحجبها عن بعض النفوس الناقصة وفي استناد هذا الحجب اليه سبحانه نظر ويحتمل أن يكون المراد بقوله ماحجب الله عن العباد مالم يكن في وسعهم وحجبوا عنه بمامن جانب الله فيكون موضوعاً عنهم كما في الحديث الذي بعد هذا. رفيع - (رحمه الله).

٣ . الاسراء/١٥

٤٦٨ - ١٤ (الكافي - ١:١٦٤) العدة، عن البرقي، عن علي بن الحكم، عن أبان، عن ابن الطيار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال لي «اكتب» فأملى عليّ «إنّ من قولنا انّ الله يحتجّ على العباد بماآتاهم[1] وعرّفهم ثم أرسل إليهم رسولاً وأنزل عليهم الكتاب فأمر فيه ونهى، أمر فيه بالصلاة والصيام، فنام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الصلاة فقال: أنا أنيمك وأنا أوقظك، فاذا قمت فصلّ ليعلموا اذا أصابهم ذلك كيف يصنعون ليس كما يقولون اذا نام عنها هلك وكذلك الصيام أنا أمرضك وأنا أصحّك فاذا شفيتك فاقضه» ثم قال أبوعبدالله (عليه السلام) و«كذلك اذا نظرت في جميع الأشياء لم تجد أحداً في ضيق ولم تجد أحداً إلّا ولله عليه الحجّة ولله فيه المشية ولاأقول إنّهم ماشاؤا صنعوا» ثم قال: «انّ الله يهدي ويضلّ» وقال «وماأمروا إلّا بدون سعتهم وكلّ شيء أمر الناس به فهم يسعون له وكلّ شيء لايسعون له فهو موضوع عنهم ولكن الناس لاخير فيهم» ثمّ تلا (عليه السلام): لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَاعَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَاعَلَى الَّذِينَ لَايَجِدُونَ مَايُنْفِقُونَ حَرَجٌ «فوضع عنهم» مَاعَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ[2] وَلَاعَلَى الَّذِينَ إِذَا مَاأَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ[3] قال: «فوضع عنهم لأنّهم لايجدون».

١. قوله: انّ الله يحتجّ على العباد بماآتاهم وعرفهم ثم أرسل اليهم... الظاهر أنّ المراد بماأتاهم وعرّفهم هنا معرفة الله سبحانه التي عرّفها للعباد باظهار الدلائل الواضحة الدالة عليها يرشدك اليه قوله ثم أرسل اليهم فان ارسال الرسول أنّما يتأخر عن هذا التعريف ومابعد ذلك في هذا الحديث من قوله ثم أرسل اليهم لبيان ان لاتضييق على العباد فيا أمروا به ثمّ عمّم نفي التضييق عليهم في جميع ماكلّفوا به اتياناً وتركاً وفيه إشارة الى نفي الجبر وقوله ولله عليه الحجّة كالدليل على ذلك فانّه لاحجّة على المجبور لكونه معذوراً وقوله ولله فيه المشية إشارة الى نفي القدر وأن كلّ مايكون من العبد بمشية الله وقوله ولاأقول انّهم ماشاؤوا صنعوا سواء كان على وفق مشية الله أو لم يكن تصريح بنفي القدر وقوله انّ الله يهدي أو يضلّ دليل على كون الكلّ بمشية الله وقوله «وماأُمروا إلّا بدون سعتهم» أي لم يكلّفوا بمنتهى سعتهم بل كلّفوا بمالم يصل اليه وفوقه مرتقب من السعة وكلّ شيء أمر الناس به فهم يسعون له وكلّ شيء لايسعون له فهو موضوع عنهم غير مطلوب منهم فالم يقع من المأمور به ليس لأنّهم لايسعون له بل لأنّهم لاخير فيهم. رفيع - (رحمه الله).

٢. التوبة/٩١

٣. التوبة/٩٢

بيــــان:

«ولاأقول إنّهم ماشاؤا صنعوا» هذا بيان لقوله ولله فيه المشية وازاحة لمايتوهّم من قوله (عليه السلام) :: ولله عليه الحجّة من شبهة التفويض وقوله (عليه السلام) «انّ الله يهدي و يضلّ» تأكيد لهذا البيان والازاحة «بدون سعتهم» فضلاً عن طاقتهم «فهم يسعون له» يطيقون فوقه «لاخير فيهم» لضلالهم عن الطاعة بعد الهداية والبيان والاقدار واساءتهم بالعصيان بعد الاحسان اليهم بالتعريف والانذار «لايجدون ماينفقون» أي في الجهاد «حرج» ضيق وذنب «فوضع عنهم» يعني الجهاد «ماعلى المحسنين» بنيّة الخير وارادة الطاعة «من سبيل» فانّما يثيب الله عباده بالنيّات «لتحملهم» أي على الرواح [1] للجهاد وتمام الآية: قُلْتَ لاأَجِدُ مٰاأَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاّيَجِدُوا مٰايُنْفِقُونَ [2].

٤٦٩ ـ ١٥ (التهذيب ـ ٤:١٥٣)[3] التيملي، عن محمدبن الربيع الأقرع، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: «ماكلّف الله العباد فوق مايطيقون» فذكر الفرائض وقال: «إنّما كلّفهم صيام شهر من السنة وهم يطيقون أكثر من ذلك» .

١ . أي على الرواحل للجهاد، كذا في سائر النسخ.

٢ . التوبة/٩٢

٣ . رقم٤٢٦.

-٥٧-

باب أنّ الهداية من الله

٤٧٠ - ١ (الكافي - ١:١٦٥ -) العدة، عن ابن عيسى.

(الكافي - ٢:٢١٣) محمد، عن ابن عيسى، عن ابن بزيع، عن ابي اسماعيل السرّاج، عن ابن مسكان، عن ثابت بن أبي سعيد قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام) «ياثابت؛ مالكم وللناس؟ كفوا عن الناس ولا تدعوا أحداً الى أمركم، فوالله لوأنّ أهل السموات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يهدوا عبداً يريد الله ضلالته مااستطاعوا على أن يهدوه ولوأنّ أهل السموات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يضلوا عبداً يريد الله - هداه [١] مااستطاعوا أن يضلوه كفوا عن الناس ولايقول أحد عمّي وأخي وابن عمّي وجاري فان الله إذا أراد بعبد خيراً طيّب روحه فلايسمع معروفاً إلّاعرفه ولامنكراً إلّا أنكره، ثم يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره» .

بيـان:

«إلى أمركم» يعني الى التشيع والدين الحقّ «ولايقول أحد عمّي» أي لايتأسف

١ . في الكافي المطبوع والمرآة «هدايته» .

على ضلال أقربائه وجيرانه..

٤٧١ ـ ٢ (الكافي ـ ١٦٦:١) الثلاثة، عن محمد بن حمران، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «إن الله إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور [1] وفتح مسامع قلبه ووكّل به ملكاً يسدّده وإذا أراد بعبد سوء نكت في قلبه نكتة سوداء وسدّ مسامع قلبه ووكّل به شيطاناً يضلّه ثم تلا هذه الآية فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ [2].

٤٧٢ ـ ٣ (الكافي ـ ٢١٤:٢) الثلاثة، عن محمد بن حمران، عن محمد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) مثله الى قوله يضله إلّا أنه قال نكتة بيضاء بدل قوله نكتة من نور.

بيان:

«إنّ الله إذا أراد بعبد خيراً» أي قدّره في عالم التقدير من أهل السعادة الأُخروية وجعل روحه من جنس أرواح الملائكة الاخيار «نكت في قلبه نكتة من نور» ألقى في قلبه نيّة صالحة أو خاطر خير يؤثّر فيه من فعل فعل أو قول سمع «والنكت» أن يضرب في الأرض بقضيب ونحوه فيؤثّر فيها «وفتح مسامع قلبه» بتكرير الادراكات النورية الناشئة من تكثير الأعمال الصالحة وسماع الأقوال الفائحة من جنس مايتأثر منه قلبه أوّلاً فيقوى بها استعداده لأن يصير بها ملكة نفسانية ويخرج بها نور قلبه من الضعف

١ . قوله: «نكت في قلبه نكتة من نوره...» أي أدخل في قلبه وأحدث فيه أثراً من نور وفتح مسامع قلبه وجعلها مفتوحة تسع المعارف ووكّل به ملكاً يسدده و يعرّفها إيّاه ويحفظه عن الزيغ وقوله واذا أراد بعبد سوءً أراد به وقوع مراد العبد وعلمه بأنّه يريد السوء نكت في قلبه نكتة سوداء بأن يتركه على بينه و بين مراده فيحدث في قلبه نكتة سوداء من سوء اختياره و يصير مسامع قلبه مسدودة وتركه والشيطان الموكل به لإضلاله لمافيه من سوء اختياره. رفيع ـ (رحمه الله).

٢ . الأنعام/١٢٥

الى الكمال ومن القوة الى الفعل فيستعد أن يصير ذاتاً جوهرية نورانية قائمة بذاتها فاعلة للخير والهداية واليها أشار بقوله: «وكّل به ملكاً يسدّده» فهذا الملك خلقه الله من مادة تلك النيّة الصالحة والحالة النفسانية ـ واشتدادها بتكرر النيّات والإدراكات التي تناسبها و يُوَلِّدُ هذا الملك في عالم المعنى من تلك النيّة ومايتقوّى به في رحم النفس كتولد الحيوان في عالم الصورة من ماء مهين يتغذّى و يتقوّى مدة بدم الحيض في رحم الأمّ حتى يصير شخصاً حيوانيّاً مستقلاً بذاته وقس عليه معنى إرادة السوء والنكتة السوداء وسدّ المسامع وتوكيل الشيطان وإضلاله إيّاه.

٤٧٣ ـ ٤ **(الكافي ـ ٢:٢١٤)** الثلاثة، عن عبدالحميد بن أبي العلا، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «إن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور فاضاء لها سمعه وقلبه حتى يكون أحرص على مافي أيديكم منكم وإذا أراد بعبد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء فأظلم لها سمعه وقلبه ثم تلا هذه الآية فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ [١]».

٤٧٤ ـ ٥ **(الكافي ـ ٢:٢١٢)** الثلاثة، عن كليب بن معاوية الصيداوي قال: قال لي أبوعبدالله (عليه السلام) «إيّاكم والناس إن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة فتركه وهو يجول لذلك ويطلبه» ثم قال: «لوأنّكم إذا كلمتم الناس قلتم ذهبنا حيث ذهب الله واخترنا من اختار الله ـ اختار الله محمداً [٢] واخترنا آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)» .

٤٧٥ ـ ٦ **(الكافي ـ ٢:٢١٤)** علي، عن أبيه، عن عثمان، عن إبن أذينة، عن أبي

١ . الأنعام/١٢٥
٢ . واختار الله محمداً «الكافي المطبوع».

عبدالله (عليه السلام) قال: «إنّ الله تعالى خلق قوماً للحقّ فإذا مرّ بهم الباب من الحقّ قبلته قلوبهم وإن كانوا لايعرفونه وإذا مرّ بهم ـ الباطل [1] أنكرته قلوبهم وإن كانوا لايعرفونه وخلق قوماً لغير ذلك فإذا مرّ بهم الباب من الحقّ أنكرته قلوبهم وإن كانوا لايعرفونه وإذا مرّ بهم الباب من الباطل قبلته قلوبهم وإن كانوا لايعرفونه» .

٤٧٦ ـ ٧ (الكافي ـ ١: ١٦٦ و٢: ٢١٣) العدة، عن ابن عيسى.

(الكافي) محمد، عن ابن عيسى، عن ابن فضال، عن علي بن عقبه، عن أبيه قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول «إجعلوا أمركم لله ولاتجعلوه للناس فإنه ماكان لله فهو لله وماكان للناس فلايصعد الى الله ولاتخاصموا الناس لدينكم فانّ المخاصمة ممرضة للقلب ان الله تبارك وتعالى قال لنبيّه (صلى الله عليه وآله وسلم): إِنَّكَ لاتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ [2] وقال أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النّاسَ حَتّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ [3] ذروا الناس فان الناس اخذوا عن الناس وانكم أخذتم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انّي سمعت أبي (عليه السلام) يقول: انّ الله عزّ وجلّ اذا كتب على عبد أن يدخل في هذا الأمر كان أسرع اليه من الطير الى وكره» .

بيـان:

زاد في الاسناد الثاني وعلي (عليه السلام) ولاسواء بعد قوله عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «اجعلوا أمركم لله» أي اخلصوا دينكم وانقيادكم لمن أمركم الله بانقياده لله سبحانه «ولاتجعلوه للناس» ولا تراءُوا به فان الرياء شرك خفي مردود الى صاحبه «ممرضة للقلب» إمّا بضم الميم اسم فاعل أو بكسرها إسم آلة و«الوكر»

١ ـ الباب من الباطل، كذا في الكافي المطبوع.
٢ ـ القصص/٥٦
٣ ـ يونس/٩٩

عش الطائر وإن لم يكن فيه .

٤٧٧ - ٨ (الكافي - ١٦٧:١) القميان، عن صفوان، عن محمد بن مروان، عن فضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) ندعو الناس الى هذا الأمر؟ فقال «لا يا فضيل؛ إنّ الله اذا أراد بعبد خيراً أمر ملكاً، فأخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر طائعاً أو كارهاً» [1].

١ - قوله: «فأدخله في هذا الأمر طائعاً أو كارهاً» أي أدخله في معرفة هذا الأمر والعلم بحقيقته بالاطلاع على دلائله سواء كان راغباً فيه أو كارهاً له، فانّ عند الاطلاع على الدلائل والانتقال الى وجه الدلالة يحصل العلم بالمدلول وإن لم يكن المطلع راغباً وكان كارهاً. رفيع - (رحمه الله).

-٥٨-

باب النوادر

١ - ٤٧٨ (الكافي - ١٤٧:١) احمد بن مهران، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني عن ابن اسباط، عن خلف بن حماد، عن إبن مسكان، عن مالك الجهني قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً»[١].

قال: فقال «لامقدراً ولامكوّناً» قال وسألته عن قوله: هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً[٢] فقال: «كان - مقدوراً[٣] غير مذكور».

بيـــان:

أريد بقوله سبحانه من قبل القبلية الذاتية وذلك حيث كان الله ولم يكن معه شيء ولهذا قال: و«لم يك شيئاً» وأريد بالخلق التقدير في العلم وبقوله تعالى: حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ مابعد خلق السماوات والأرضين وتقدير الأشياء وتدبيرها ولهذا قال: لَمْ يَكُنْ شَيْئاً

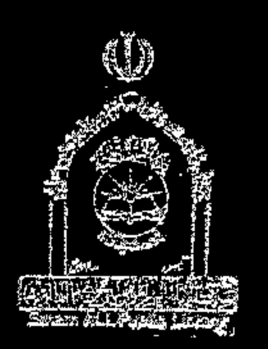
١ - مريم/٦٧ وفي الأصل وسائر نسخ الوافي ومارأينا من نسخ الكافي هكذا: اولم ير الإنسان... - والآية في القرآن «اولايذكر الانسان».

٢ - الإنسان/١

٣ - مقدراً، كذا في الكافي المطبوع وفي «المخطوط، خ» جعله على نسخة.

تذكوراً والمذكور ماحصل في الذكر أي في الخاطر .

آخر أبواب معرفة مخلوقاته وأفعاله سبحانه و بتمامه قدتمّ الجزؤ الأول من كتاب الوافي وهو كتاب العقل والعلم والتوحيد و يتلوه في الجزء الثاني كتاب الحجة إن شاء الله تعالى والحمد لله أوّلاً وآخراً و باطناً وظاهراً والصلاة والسلام على محمد وآله.



مرکز تحقیقات علمی و دینی امام امیرالمؤمنین علیه السلام

اصفهان